

القضايا النقدية والبلاغية

في شروح حماسة أبي تمام

دكتور

عيد عبد السميع الجندي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

- القضايا النقدية والبلاغية في شروح حماسة أبي تمام / عيد
 عبد السميع الجندي . - ط 1. - مسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع .
 384 ص ؛ 17.5 × 24.5 سم .
 تدمك : 7 - 470 - 308 - 977 - 978
 1. الشعر العربي - تاريخ ونقد .
 2. البلاغة العربية .
 3. أبو تمام ، حبيب بن أروس بن الحارث الطائي ، 804-846 .
 أ - العنوان .

رقم الإيداع : 19270 .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
 مسوق - شارع الشركات - ميدان المحطة
 هاتف : 0020472550341 - فاكس : 0020472560281
 E-mail: etelm_aleman@yahoo.com
etelm_aleman@hotmail.com

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير :

يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأي شكل
 من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

إهداء

إلى من أحاطتني بالرعاية والعناية حتى
خرج هذا العمل إلى النور إلى أختي

تحية إعزاز وتقدير و عرفان بالجميل

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع
١٤ - ٩	المقدمة
٥٦ - ١٧	التمهيد
٢٤٤ - ٥٧	الباب الأول: القضايا النقدية في الشروح
١٥٠ - ٦١	الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى:
٦١	المبحث الأول: الألفاظ
١٠٥	المبحث الثاني: المعاني
١٣٧	المبحث الثالث: التلازم بين الألفاظ والمعاني
٢٠٦ - ١٥٣	الفصل الثاني: قضية الأخذ الأدبي:
١٥٦	المبحث الأول: مقاييس الأخذ الأدبي في الألفاظ والمعاني
٢٠٠	المبحث الثاني: الشعراء الذين تأثر بهم شعراء الحماسة
٢٠٣	المبحث الثالث: الشعراء الذين تأثروا بشعراء الحماسة
٢٤٤ - ٢٠٩	الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)
٢١٣	أولاً: نقد الرواية
٢٢٢	ثانياً: نقد الرواة وشرح الشعر السابقين

٢٤٥ - ٣٦٢	الباب الثاني: القضايا البلاغية في الشروح
٢٤٧ - ٢٩٢	الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياها:
٢٥١	- التقديم والتأخير
٢٥٩	- التذكير والتعريف
٢٧٥	- أسلوب الذكر والحنف
٢٩٣ - ٣٢٨	الفصل الثاني: مباحث علم البيان وقضاياها:
٢٩٥ - ٣١٤	أولاً: التشبيه:
٢٩٦	- شرح الصورة التشبيهية وتحليلها
٣٠٩	- نقد الصورة التشبيهية
٣١٥ - ٣٢٨	ثانياً: الاستعارة:
٣١٨	- شرح الصورة الاستعارية وتحليلها
٣٢٦	- نقد الصورة الاستعارية
٣٢٩ - ٣٦٢	الفصل الثالث: مباحث علم البديع وقضاياها:
٣٣١	أولاً: الطباق والمقلبة
٣٣٧	ثانياً: الجناس
٣٤٩	ثالثاً: التجريد
٣٦٣	الخاتمة
٣٦٩	المصادر والمراجع

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد عليه
الفضل الصلاة وآتاهم التسليم، أما بعد:

ليس من الغريب أن يحتل نيوان الحملة لأبي تمام مكتبة كبيرة بين كتب الاختيارات في مسيرة تاريخ
الأدب العربي، وذلك لأنه أول كتب الحملات في تاريخنا الأدبي والنقدي فقط بل كذلك لأنه نابع من اختيار شاعر
كبير نواقة ونقد متميز في مجال الشعر والإبداع، ألا وهو أبو تمام الذي أبدع الحماسيتين الكبرى - وهي مقصود
التراسة - والصغرى التي تدعى بالوحشيت، وغيره من المصنفات، إلى جانب ديوانه الشعري الذي توفر عليه عدد
من الشراح المشهورين ممن لهم قف وزن بين القماء. وتأتي أهمية حملة أبي تمام في اختلاف نوق مصنفها عن
مصنفي الاختيارات الأخرى، لأن الرجل شاعر لطيف الحس حسن الثقافة حافظ لتقديم الشعر، وخليق بمثله أن يكون
قائماً على التمييز، بصيراً بجيد الأشعار.

اتسمت الحملة بأنها اختيار عمد فيه أبو تمام إلى جيد الأبيات فنتقاه، مخالفاً بذلك طريقة السابقين
كالمفضل والأصمعي اللذين كلاهما يختاران القصيدة برمتها. وقد أباح أبو تمام لنفسه حرية إصلاح ما يراه قلقاً من
الالفاظ كما ذكر بعض شراحها كالمرزوقي^(١) وهذا منيع لا يرضاء النقاد، ولعله سار في ذلك على ما ذكره
الأصمعي من أن الرواة قديماً كانوا يصلحون أشعار الشعراء^(٢).

وامتازت حملة أبي تمام، بالإضافة إلى جمع أشعار القماء، بتبويبها حيث وقعت في عشرة أبواب هي:
باب الحملة، والمراتي، والأدب، والنسب، والهجاء، والأضياف، والمديح والصفات، والذير، والملح، وباب منة
النساء. والنقاد القماء مجموع على إطرء الحملة، قال المرزوقي: "ولد وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق
في اختيار المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام"^(٣)، وروى التبريزي قول بعضهم: "إن أبا تمام في اختياره الحملة
أشعر منه في شعره"^(٤)، وقد اهتم بها المشتغلون في الأدب والتراث اهتماماً كبيراً حيث قلم الكثير منهم بشرحها
حتى حلوزوا العشرين شارحاً أشهرهم المرزوقي والتبريزي والصولي وابن جني والأمدي والعسكري والشتنمري
والمعري والمكبري. ولعل أشهر هذه الشروح شرح المرزوقي وشرح التبريزي وقد طبعا عدة طبعات، إلى جانب
الشروح الحديثة مثل شرح المرصفي.

ومن هنا تنبع أهمية مختاراته الحماسية، وإن كفت قضية الحملة هي التي تقتطم كتابه. فحين يقوم شاعر
بمنزلة أبي تمام ومكفته بتقديم هذه المختارات، فذلك يعني تفوق هذه الأشعار على غيرها في بلها الذي اختارها ولا
أدل على مكتبة هذه الأشعار التي اختارها من شرح العلماء الكبار لها من بعده مثل المرزوقي والتبريزي، وكذلك قد
جاء النقاد والشعراء من بعده ليقدموا اختيارات شعرية، ليس هذا لحسب، بل جعلوا اسمها كذلك (الحماسة) اقتداءً
بأبي تمام، فكلفت حملة البحتري وحملة البصري، وحملة المغربي، وحملة الخالدين، وغيرها من الكتب التي
لا تزال مخطوطة.

(١) انظر: المرزوقي: شرح نيوان للحماسة: نشره لعمد لبن، عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م، مقدمة الشرح، ص ١٩.

(٢) انظر: المرزوقي: الموشح في ملحة اللطاف على الشعراء، حمدة نشر الكتب العربية، القاهرة، ١٣٤٣ هـ ص ١٢٥.

(٣) انظر: المرزوقي: شرح ديوان الحملة، مقدمة الشرح، ص ٣.

(٤) التبريزي: شرح ديوان للحماسة، عالم الكتب، بيروت، (١/ ٣).

ولقد تعددت شروح ديوان الحمسة لأبي تمام وتوعدت بتتبع مشارب الشراح ومأربهم فلكل شارح ملقته العقلية، وتدرته الخلسة على الفهم والإدراك، فالروح التي أملت شرحه كفت تمثل جانباً من مكونات عقله وعلمه، لقد بطى جانب على آخر في تعرضه للنصوص بالشرح والتحليل، ولكننا لا نستطيع الفصل بين تلك الجوانب بشكل محدد سائر بحيث لا يمكننا القول إن هذا الشارح أو ذاك يهتم بجانب واحد معين، بل قد تجد الشارح الواحد يتعرض لقضايا لغوية، ونحوية، وأدبية، وفنية... إلخ؛ ولذلك فإن هذه الشروح في حاجة دائمة إلى سبر أغوارها، والكشف عن أسرار جمالها، وتحليل موضوعاتها، وربطها بكل ما يجد في مجال الدراسات الأدبية النقدية منها والبلاغية.

وبناءً على هذه الرؤية أثرت دراسة القضايا النقدية والبلاغية في شروح ديوان الحمسة لأبي تمام لأسباب يمكن إجمالها في الآتي:

- كون أبي تمام يمثل نموذجاً لتقلد النقاد الأدبي في العصر الذي عاش فيه، فضلاً عن مكفة شعره في الألب العربي، مما كان لهما عظيم الأثر في مختاراته الشعرية، التي أثرت حركة الشروح حولها بالعديد من الإضافات على المستويين النقدي والبلاغي.

- المنزلة الكبيرة التي تحتلها حمسة أبي تمام بين العلماء والأدباء، فلا نكاد نعرف أثراً من الآثار الأدبية كتبها كان أو ديوان شعر تولد عليه الشراح مثلما توفروا على شرح حمسة أبي تمام.

- أهمية شروح حمسة أبي تمام وللشروح عامة؛ إذ تمثل شروح الشعر مرحلة مهمة في تاريخ الدراسات الأدبية والنقدية للشعر العربي، فضلاً عن أن شروح حمسة أبي تمام كفت تطبيقاً لمفاهيم القضايا النقدية والبلاغية، دون التعريف بالكثير منها، فكان لزاماً على الباحث، المتقصي في الأمثلة والشواهد، والتوصل إلى المفاهيم والأسس التي سطرت عليها تلك المفاهيم في فكر شارح الحمسة من خلال شواهدهم وتقييماتهم وتعليقاتهم.

- رغبة الباحث في خدمة التراث العربي الذي يحمل في طوقه نضارة مشرفة لا يخفى نورها على الألب.

- دراسة النقد والبلاغة من خلال الشروح تعود على الباحث بالكثير من جوانب النفع الأدبي؛ لأنها ذات بعد فكري صيق لها فيها من الجمع بين علوم النحو والبلاغة والنقد.

- السعي إلى تقديم دراسة جادة وجديدة قوائم بين ما أنجزه القدماء وما وصلت إليه الدراسات الأدبية الحديثة.

- تنوع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع في كثير من الكتب جعل من الضروري عمل دراسة تساهم في جلاء محتواها وإبرازها؛ كي يشكل منها في النهاية موضوعاً مترابطاً، متلاحماً، متسقاً.

كفت منه هي أهم الأسباب التي دفعتني إلى دراسة القضايا النقدية والبلاغية في شروح ديوان الحمسة لأبي تمام، دراسة تعتمد على ربط البلاغة بالنقد، من خلال عرض القضايا مع مفاهيمها ومناقشتها وتأييد ذلك بما توفد من شواهد؛ لكونها مثلت جزءاً حياً من تاريخ البلاغة والنقد الأدبي عند العرب.

تعتمد هذه الدراسة على شروح ديوان الحملة لأبي تمام المطبوع منها، وما تيسر للباحث الاطلاع على المخطوط منها، وذلك حتى يدلف إلى العصر الحديث الذي بدأ التأريخ له بخروج الحملة الفرنسية من مصر سنة ١٨٠١ م.

ومن العنوان "التصليبا النقدية والبلاغية في شروح حملة في تمام" يتحدد إطار الدراسة في اختصارها على تناول القضايا والمباحث النقدية والبلاغية التي شكت ظاهرة في الشروح أو توافرت عند الشراح.

ومن هنا أعرضت عن دراسة بعض القضايا البلاغية - خاصة مباحث علم المعاني كالتكرار - دراسة تفصيلية، وكذلك بعض القضايا النقية كالتفسير الذاتي، والحب، والصنق والكنب، والموازنة، والطبع والصنع، والعروض، والمبالغة في الشعر، وإن كنت قد أشرت إلى بعضها في ثنايا البحث.

إن هذه الدراسة لم يكن ضيقنا فيها سهلاً ميسراً على الرغم مما أعيننا له أنفسنا من تحمل المشاق؛ نتت أن القضايا منوعة وموثقة في ثنايا الشروح، فكان التثبت، والتأكد منها ومن شواهدنا، وضبط الشيء إلى شبيهه ونظيره، لتناول كل مجموعة منها في مبحث مستقل، إلى حجب سعة الموضوع وحجم الشروح، وكثرة المادة النقية والبلاغية - ذكرنا آراء الشراح متصفاً - ما أمكن - آراء غيرهم من العلماء، ومن تلك الصعوبات أيضاً ندرة وجود بعض الشروح في المكتبات حتى سهل الله لي الحصول عليها وعلى غيرها من مصادر الدراسة عن طريق استئناسه / أراهيم راشد الذي سبتي فكر سيكته بعد قُرْب عرفتنا بتجريب.

خف الإلحاح بنحو خمسة أبي تمام العديد من الدراسات المختلفة، والتصنيف المتنوعة، ربما أهمها دراسة د/ عبد الله عبد الرحيم عيلان^(١)، حيث تتبع فيها - بكل دأب وأمانة علمية تحسب له - ما توفر من شروح ديوان الحملة، المنقود منها والموجود سواء أكان مطبوعاً أو مخطوطاً، عازياً الشروح إلى أصحابها، متتبعاً أصولها ونسخها في مختلف مكتبات العالم، موثقاً لها، مفنداً ما ورد من آراء الأبناء والمؤرخين في تراث الأدب العربي، عبر ثبت دقيق لها منذ نشأتها حتى تاريخ دراسته. و الدراسة على أهميتها إلا أنها لم تكثف عن المظاهر النقدية والبلاغية في تلك الشروح، وهو موضوع دراستنا؛ مما يضطرنا أن نأخذها في محيط دراستنا هذه، وغيرها مما لا يتسع المجال لمعرضها هنا. لكن الذي يهمنا من هذه المصنفات ما يتصل منها بالنقد والبلاغة.

هناك دراسات نقدية حديثة كثيرة ومتنوعة تناولت العديد من القضايا النقدية والبلاغية في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ولكن أغلبها - إن لم يكن كلها - اقتصر في دراسته على شرح واحد فقط هو شرح المرزوقي، وإغفل باقي الشروح الأخرى، التي لها مكنتها هي الأخرى ودورها في فهم وتحليل الديوان، منها الدراسة التي وضعها د/ يحيى محمد أبو عيسى^(٢).

وقد عني فيها بعرض ومناقشة الآراء النقدية حول مقنعة المرزوقي، وتحليله لها، إلى جانب تعرضه لبعض القضايا النقدية المثبتة في ثنايا الشرح. وهناك دراسة د/ إلهام الموسى العبد اللوي^(٣)، حاولت فيها الكشف عن الأسس والمعايير التي تطلق من خلالها المرزوقي في شرحه للديوان، من خلال إشارات سريعة وعبرة إلى بعض

(١) بعرض خمسة في تمام وشروحها دراسة وتحليل، مقنعة عيسى علي العلي وشركه، القاهرة، ط١، ١٩٨٧ م.

(٢) بعنوان "تصليبا الأدبية والنقدية في شرح المرزوقي لبيت الحماسة" دار المعارف - ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.

(٣) مقال بعنوان "تصليبا البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة" دار المرزوقي - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص (٧٩) - ٢٠٤.

المباحث البلاغية والمسائل النقدية، وهناك دراسة د/أحمد صبرة^(١)، تطرق فيها إلى مستويات تحليل المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة عبر قراءة تحليلية تطبيقية، وحصرها في: المستوى الفيلولوجي (فك رموز النص النحوي)، المستوى النحوي، المستوى البلاغي، المستوى الدلالي. ومن الدراسات ما تقتصر على جزء من شرح الديوان، كدراسة الشيخ الضاهر بن عثور^(٢)، حيث اكتفت الدراسة بتسليط الضوء على المقدمة، وتحليلها، والكشف عن عناصر الإبداع الفني فيه. وكذا ينو من عنايتها فيها لم تطرق لأي من نصوص الشرح والمرزوقي عليها، بل لتحليل أو استعراق.

وهناك بعض الدراسات العامة التي استهدفت نقد بعض شراح الحماسة، مثل المرزوقي والتبريزي، كدراسة د/أحمد حماد العمري^(٣)، وقد هدفت فيها إلى دراسة مناهج شراح الشعر الجاهلي بشكل عام، معرجة فيما على منهج المرزوقي والتبريزي في شرحهما لديوان الحماسة. ملطاً الضوء على بعض العناصر النقدية والبلاغية الواردة في شرحيهما، موضعا مظاهر التكرار والتكرار بينهما، مدعيا ذلك بالشواهد والأدلة.

بقي لما بعد كل ذلك أن نسير إلى تلك الدراسة التي قمنا بها د/السيد حمدان^(٤)، فعلى الرغم من اختلاف محلها التطبيقي عن مجال دراستنا، إلا أنها تبقى من أهم الدراسات التي أفاد منها البحث. خذنا في المنهج، وفي استعارة رؤوس كثير من العناصر النقدية والبلاغية.

وتلبي دراستنا هذه ذاتها ما قلنا من دراسات. بل تكون قلادة على مصمم وحقن فيه: لاخر جيباً من أفضل صورة؛ لما تتم به من نمووية والشمولية التي تعتمدها العديد من الدراسات الحديثة، ذاتها "متر حصة". كما يرجو الباحث - بشروح ديوان الحماسة قديماً وحديثاً، بالاضافة إلى تنويعها بحثاً ومستمراً - وقصده قد تقررنا الدراسات السابقة، وأضفت إلى ما سبق وزانت عليه.

وبعد، فإن دراستنا هذه تسعى من خلال ما تقدمه، أن تكون لينة جنيئة تضيق إلى الدراسات النقدية والبلاغية، توسع باب الاخذ في شروح الشعر، التي لا تزال في حاجة متجددة إلى قراءة نقدية منهجية تحفظ على مستوى الثوابت بين مسالك الشراح، مع التأصيل بعلم القديم بالقديم في ضوء الحديث.

أما عن منهج الدراسة، فقد أسهمت في اختياره اعتبارات عدة، منها: طبيعة القضايا النقدية والبلاغية وتنوعها في الشروح، وعدم قيم الشراح بالفصل بينها في الشروح، وإغفالهم لفكر كثير من المفاهيم، يضاف إلى ذلك تعدد المناهج والدراسات التي تعرضت للقضايا النقدية والبلاغية في شعرنا العربي قديماً وحديثاً؛ مما جعل طبيعة الدراسة تقتضي أن أجمع فيها أكثر من منهج، فدرست القضايا من زواياها المختلفة في الشروح؛ لإحلاء خصائصها، وفق منهج تكاملي، يتمس من مجموعها ما يحكم موضوعها، ويمتد الدلالة لدية أساليبها، ثم ينطلق في سيره لتفقد من باقي المناهج الأخرى. مثل: (الوصفي، التحليلي، الاستطفي، النقدي) في محاولة للكشف عن تصورات الشراح ومقاصدهم، ومدى تطلق ذلك مع أسلافهم من خلال شواهدهم وتحليلهم، وذلك عبر قراءة وعرض النصوص، وتسجيل الملاحظات النقدية والبلاغية الموحودة في الشروح، واستبطان أو استخلاص القواعد

(١) بعنوان "شرح المرزوقي الشعرية والإعراب"، المصنفات لشرح والإعراب، القاهرة، د.ت.

(٢) بعنوان "شرح النظم الأدبية لشرح الإسم المرزوقي على ديوان الحماسة"، دار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٦ م.

(٣) بعنوان "شرح الشعر العربي" على حواشي، دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م.

(٤) بعنوان "النقد البلاغي والنقد في شروح الحماسة"، رسالة دكتوراه، معونة، جامعة مصر، كلية الآداب، ٢٠١٩ م.

والمعايير التي انطلق منها الشراح وتناولوا بها القضايا المحيطة، ثم نقيم هذه الآراء والملاحظات، وكذلك التقاوس والتراخي ووصفها في موضعها الصحيح، في ضوء المقاييس والآراء النقدية السائدة.

وقد تم الاستعانة في توضيح ذلك بكتب النقد والبلاغة المختلفة، والتعامل مع القضايا بوصفها من حيث مسئلة مع المحفظة على ترابط القضايا، بلحظة بعضها إلى بعضها الآخر، لاستيضاح كم المسائل. وهذا ما يدرج تكرار بعض النصوص التي جاءت مشتركة بين أكثر من قضية. وإقامة هذا المنهج وتحقيقه قد رأيت أن أقسه - حد حد المقدمة - بلين يسبقهما تمهيد ويؤهما خاتمة.

أتى في التمهيد شروح جوان الحملة لأبي تمام. وعرفت بها وأصحابها تعريفًا وافيًا. وكنت ع أنرر خصصتها رسمتها. وكنت ملاحظات وتبيلات حولها.

وتحت في الباب الأول عن "القضايا النقدية في الشروح"، لمحت فيه الآراء والأحكام النقدية المتصلة بقضية النظم والمعنى. وقضية الأخذ الأدبي أو ما عرف في دراسات نقدية بقضية الرقائ. وقضية نقد الرواية والرواية أو ما يعرف بشوقي.

ومن هنا فقد جاء في ثلاثة فصول: الأول: تناولت فيه "قضية النظم والمعنى"، وجاء في ثلاثة منحت هي الألفظ والمعنى، والتلازم والاندماج بين الألفظ والمعنى.

بم درست في الفصل الثاني "قضية الأخذ الأدبي"، وجاء هو الآخر في ثلاثة منحت. هي على الترتيب: تفسير 'أخذ الأدبي' في الألفظ والمعنى، وأهم الشعراء الذين نثر بهم شعراء الحملة، والشعراء الذين نكروا بهم.

وحصصت الفصل الثالث لدراسة "نقد الرواية والرواية"، وجاء في ثلاثة منحت رئيسة، هي نقد الرواية القائم على نقد الرواية القائم على السياق، نقد الرواية القائم على التفسير.

أما الباب الثاني فقد جاء تحت عنوان "القضايا البلاغية في الشروح"، وتناولت فيه الآراء والافتراءات ذات الصبغة البلاغية الحالية، ملقًا لها وضعه البلاغيين من تعريفك وتبرعت، مناقشا ذلك كله، ومحلولا تفسير ما لاحظته اشراح من ضواهر بلاغية عند شعراء الحملة. وتبعًا لتقسيم البلاغيين فقد حوى هذا الباب ثلاثة فصول: قبلت كز منهم بتعريف:

الأول: تسعت فيه مباحث علم المعاني في الشروح؛ درست منها: التقديم والتأخير، والتكرير والتعريف، والتكرير والتخفيف.

والثاني: جعلته لدراسة مباحث علم البيان، وتوجهت فيها إلى فنون التشبيه، والاستعارة، وتناولتهما من ناحيتين هما اشراح والتد.

والثالث: خصصته لدراسة مباحث علم اللميح؛ درست منها: الطعن، والمقابلة، والجناس، والتجريد.

وفي النهاية جاءت الخاتمة لتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ويتبعها ثبت الفهارس الفنية، والمصادر والمراجع.

و من باب رد الدعوى الى أهله، فلن الفصل يعود الى أسس حجة الشكوة / سيدة محمد ومصلح.
 ليس كل لرعيته البالغة، وملاحظتها الدقيقة، وبصانحه معنية، اكر معي عن مواصلة البحث، فلأستقي فصل
 اتوجه، وعلى وحدي ما يقع في هذا البحث من خطأ وضبط وحرر من له ر يدرب عي خبر الجراء، وينع
 بها طلاب العلم إنه سميع مجيب الدعاء. أما أسئلتي الشكوة / محمد السيد السوي، فكان له عظيم الأثر في إخراج
 هذا البحث الى النور. فليقبلته مني أسس أيلت الشكر والتقدير، تقاد من أخصي به من عجة، أنزلت البصيرة،
 وشحت العريضة واسكت الهممة، في تواضع حمد، وخلق سدد، وكرم حبيل، بعره ش جبر، وبارك في بعره ولص
 مؤتمه. وحم من في موازين حسنة، إنه سميع قريب. كمد توجه الشكر والامتنان الى الشكوة / السيد حمدان
 السيد سعد، لمراسلته، على ما أحاطني به من رعاية ومعه بعره عنه موضوع دراسة التي فقت. كما
 أنزلت سقا، من دراسة سيقاته كثيرا، وما فقمه من نصيح وتوجيه وراء سيدة سهمت في احراز الموضوع،
 فحراه به عي خير الحراء.

كمد توجه بجريل الشكر والتقدير إلى أسئلتي الكبر لاسد شكوة / سيدة مصري رند / دامت حجة
 تنع عربية / جمعة الأزهري / فرع المنصورة، على ما معي به من سواد وى نيوم، حيث من مكنته العبرة
 وعنه تحرير كل بعر، ومن شخصه الكريم التواضع والذلة، فذ من م، بعره انه خير ما يحرى به الأستاذ
 من تلامذه، وار بديم عليه الصحة والعافية.

وأجرا أشكر كل الأخوة الذين منوا لي بد العور والمساعدة شاء كنفه من بحث وضعه، وسأل الله
 سبحانه وتعالى أن يحررهم جميعا خير الجزاء، وأن يتقبل من جميع. ويحل حيث حصة توجهه الكريم، به سيع
 محبب

وفى كل هنا وبعده، وبعد حمد الله وشكره، أرى تكلمات تصادى، ولا حد من القول ما يوفي أحتي حثها،
 نى كل لها اكر الفصل على بعد والذي، إلا الدعاء لها بعه يوفي بعض ما تعبر تكلمت من لشخصاته. عن
 نود به، اللهم برك لها وبارك فيها وبارك عليها، ووفيت الى كل خير.

وبعد، فلست أزعم أنني قلت الكلمة الأخيرة في هذا البحث، ولكي حثت ما وسعني الاجتهاد فل كنت
 قد أصبت فذلك توفيق من الله، وإن كفت الأخرى فمن نفسي ... والحمد لله رب العلمين. وصلى الله وسلم على بيننا
 محمد، وعلى آله واصحابه أجمعين.

"رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري واخلف عقدة من لساني بلغها قولي"

{ طه : ٢٤ - ٢٧ } صلى الله عليه وسلم

عبد عبد المميع الجندي

التصميم

التمهيد

مع التطور الحضاري وارتفاع التوق الأدبي في العصر العباسي الأول جتج الناس إلى التثاق، وقثم لهم الأدباء ما يريهم ويرضيه، وظهرت احتيالات عدة جاءت مرتبة حسب أغراض الشعر ومعيقه؛ لتلبي تلك الحاجات، وأتم هذه المختار ما جمعه أبو تمام الشاعر (١٩٢ هـ = ٨٠٢ م / ٢٢١ هـ = ٨٤٦ م)، تحت مسمى: "ديوان الحملة" الذي يعد - ولا يزال - موضع الإعجاب والتقدير، والنظر والفتنة بما كان في القيم والحديث، من شروح ومن نقد كذلك. وإذا كان تراثنا الأدبي القديم أغلبه شعر، فطبيعي أن ينصرف الاهتمام إلى شرح الشعر أكثر مما هو منصرف إلى شرح النثر؛ فالعرب أمة يمثل الشعر ديوانها، وحركة شرح الشعر هذه حركة قيمة جديده، استلقت فيها ديوان الحملة لأبي تمام بنصيب كبير من اهتمام النقاد والشراح. فلتفتع بهذا الاهتمام الأدب والنقد لما انتفاع، واستفاد منه شرح الشعر بخاصة؛ أما استفادة فكفت الشروح على الديوان كثيرة غزيرة، بمقتضى ما فيه من المعاني العميقة والاستعارات البديعة.

ولأبي تمام حملة أخرى تسمى الحملة الصغرى أو اللوحشيات، لكن حظ حماسيته الكبرى، أو ما يعرف بـ "ديوان الحملة" من الشرح والتحليل، ومن غلبة التعمية بل والمحدثين واحتفالهم بها، أكثر بكثير من غلبته بـ "ديوان الحملة" أو ما تعرف بـ (الوحشيات)، وهذا يعود لأسباب أهمها: عظم قيمة ديوان الحملة من شاحين الفنية والأدبية؛ إذ أنه يعد "من الشاحية الفنية معرضاً حلقاً بالوان متعدي من الشعر للجد لعصرين من أرقى عصور العربية: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، وهو من الشاحية اللغوية يرجع إليه الأدباء عند المقارنة والتحقيق. كما يستل اللغويون والمفسرون والمحدثون والمؤلفون في الأدب بنصوصه... ويُعد من الشاحية التاريخية حلقاً في سلسلة المختارات الشعرية"^(١). كما أنه يحوي ثمانية وإحدى وثلاثين قصيدة ومتنوعة شعرية، متنوعة الأغراض، وهو بذلك يعد من دواوين الشعر العربي الكبرى. وكذلك فقد "حفظ لنا نصيباً وافراً من شعر الشعراء المغضوبين الذين ما كنا نقف على روائعهم لولا حملته"^(٢). هذا ويمثل ديوان الحملة نموّاً بيناً لتطور الدواوين الشعرية في نواحي التنظيم والتبويب، وكذلك في نواحي الإضافة والتجديد.

وشراح ديوان الحملة لأبي تمام كثيرون، إلا أن مصنفهم في أغلبها قد عثت بها يد الزمان فلم يبق منها إلا القليل، وقد أورد حاجي خليفة في كشف الظنون^(٣) واحداً وعشرين شرحاً، ذكرها غير مرتبة، وهناك شروح أخرى لم يأت حلجي خليفة على ذكرها، فقد أورد هزاد سزكين خمسة وثلاثين شرحاً للحملة بلغة العربية وشرحاً واحداً بلغة الفارسية^(٤)، وقد تتبع الشروح الدكتور عبد الله عبد الرحيم عيلا^(٥) فنكر مئة وثلاثين شرحاً، وتتبعها كذلك الدكتور حسين محمد نقشه^(٦) لموافها على واحد وأربعين شرحاً بزيادة عشرين شرحاً على ما أورده حاجي خليفة، وسأحاول فيما يلي إحصاء هذه الشروح، مع مراعاة ترتيبها ترتيباً تاريخياً.

(١) د.لطفاً أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٨، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، ص ١٢٥.

(٢) د.عبد الله عبد الرحيم عيلا: حملة أبي تمام وشروحها، ص ٩٨.

(٣) قطر: حنلي خليفة: كشف الظنون، دار إيماء لتراث العربي، بيروت، (١ / ١٩٩ : ١٩٩٢).

(٤) هزاد سزكين: تلخيص التراث العربي مقننة ومراسلات، نقله إلى العربية د.محمود فهمي حجازي، ولحن الترجمة د.عروة مصطفى، د.محمد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، المملكة العربية السعودية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، مع ٢ / ج ١، ص ١٠٨ : ١١٧.

(٥) قطر: عبد الله عبد الرحيم عيلا: حملة أبي تمام وشروحها، ص ٦٢ : ٦٧ حيث ذكر ١٥ شرحاً، ثم تحدث عن شرح المرصلي "أحد الحملة" ص ٢٠٢ : ٢١٢.

(٦) قطر: مقننة نقشة د.حسين محمد نقشه على شرح ديوان الحملة، المنسوب للعربي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ١٠٨ : ١١٩.

١ - شرح أبي بكر الصولي^(١) (ت ٢٣٥ هـ):

ستر، غير واحد^{١٣١}، وهو من الشروح المفترية، التي لم تصل إلينا.

٢ - شرح أبي جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي التحوي المعروف بلبن النحاس^١ (ت ٣٢٨ هـ):

مكره صاحب كتاب التلاوة والمفلوئين^(١)، لم أنف عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة.

٣. شرح أبي ريش^(١) (أحمد بن إبراهيم الشيباني ت ٥٢٣٩هـ):

ذكره غير واحد^(١)، وهو بعد أول شارح للحملسة حلافا لما نص البغدادي أن أول شارح لها هو أبو عبد الله النمري^(٢)، وهو من الشروح التي مارانت مقفودة حتى الآن، التي حفظت لها كثير من المصائر والشروح اللاحقة عليه الكثير منه، من خاتم النصوص الموثوقة بين تلاميها، كما سجد عند البغدادي، والنريزي، اللذين اكتفيا المنق منه، وخاصة فيما يتعلق بالحقب التاريخي. ومنسلة النصوص والحوال دبط بها، وما يتعلق بها من أخبار وادخلت حول الشعر والشعر. وهو ما سجد جليا عند النريزي الذي نقل عنه في هذا الجانب معرضا باسمه في أكثر من موضع، وهو ما يشعر أن أدرياش زكريا تركيزا بالغا على هذا الحقب، حتى بدأ شرحه وكفنه محدد رصد توافع والأحداث التي دارت حول الشعر والشاعر^(٣)، وإن لم يحل شرحه من لمحات وإشارات خاصة بثلاثة^(٤)، والنمري^(٥)، وبذلك البت، وخاصة نقده لإلا تمام الذي يرى أنه أحاطا في سعة بعض الشعر إلى قفله^(٦).

[illegible]

(٢) المصراع السبعة، وحتى هذبة كُتبت الصور ١٦٢٢، وأولاد مؤرخي تاريخ التراث العلمي مع ١/٢ ص ٨٠،
وأيضا من محمد بن أحمد بن السديج بن يونس أبو جعفر الحراني المصري، الحنفي المعروف بالقرطبي، الفقيه المصري الأديب، مؤلفه وديعة
المصريين. وقد كتب أوله أحد عشر بيتا في التوراة يقع شيزان في العروسة، فقصه شاعرة على الجليل، ثم إنه سلك في قوله ولم يكن
والله كفى حد السوء عن علي بن سهل الأحمسي، وأبي بكر الأنباري، وأبي إسحاق الزجاج، ومطوية وغيرهم، وروى الحديث عن
الشافعي، وكل مبدل عد، وأنتج شعره، وله مصنفات كثيرة معقدة، منها (تفسير التوراة)، و(المناسك والموسم)، وشرح ألفيت سبويه، وله
بعض المثلث، وشرح المعتمد والملاوي وغيره... راجع له

الناشر هو محمد أم حنكل، وفيكت الأجيال (٢٩/١)، وابن عزي، بردي رباح، الحوام الزاهرة (٣٠٠/٣)، وابن كبير، للمصطفى بدية
و سبحة حنكل، محمد بن مسلم، وابن، دار الزميل لتراث، القاهرة، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٨ م، (٢٢٢/١)، وعيسى بن يوسف، لتقني اسمه
دار تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٩٦ م.
١٢) شمس العلماء (٢٠٠٤).

(١) انظر حماد محمد اللهلي الملاكي والمباركون. تقديم دريب محمود القصيري، ائبسة لعلمة لملحور الثقافة، سللة المللر، الللر، ١٠٠٢م، سللة مللر، ع. طلة مللة ومللة لمللر له ١٢١٢ هـ هي ٨٠.

(٥) هو أحمد بن إدريس بن علي بن أبي هاشم التميمي - كما يقول الثعلبي - بلغة في حفظ أيام الحرب وأسلمها وأشعلها. عليه دلالة من هو أرونها وسرد حشره، مع قصيدة وبطل، وأحرف وإتقان، وهو شيخ أبي عبد الله النعماني، أحد شيوخ الحنفية، توفي سنة (٣٣٩ هـ).

١٣٢) والنقض فيه لزوماً (٢٥ / ١١)، (١٥٣ / ١)، والتعليق: قيمة الأهل في محاسن أهل العصر. دل الثبوت الغيبة، بيروت، ط١.

١٩٧٩ م. (٢٦ / ٣)، والمصري، لؤاي موفست، اختتام «فلسوت واير»، مار نشر فرابر شتير، نيمسلي، لشعبا، ١٩٨٠ م.
والسويدي بميل للرحلة في ضيق النعمى ونعمة، نعمتي محمد أبو القصل إبراهيم، مار اشتر، ص٥٤، ١٩٩٩ م.

(٦) المصادر السابقة، وليس الأستاذي: نزعة الأكلية، ص ٤٠١. و لواء مركبي: تاريخ التراث العربي، ١/٢ - ص ١٠٨.

(٧) انظر: البغدادي، خزانة الأنسبوت، ألف لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد طروبي، منشأة النحوي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٩٧، (٣/ ٥٤١).

(٨) د/صباح: محاضرة ألقى تسلم ومشروعا دراسة ونمطيل. ص ٣١٣.
(٩) انظر: الفيزيقي: مشرو - بيروا المحاضرة (٨٤ / ١).

(۱۰) قطر: نمسه (۱/۱۹)،
(۱۱) قطر: نمسه (۱/۳۱۰)، (۳/۱۰۷)، (۱/۱۰۹).

وقد حاه شرح أبي ريتر - كما يبدو لنا - فاقصروا في بعض جوانب الشرح، الأمر الذي جعل لنا العلماء المعري يؤلف كتابه الزباني المصطنعي، الذي ألفه استدراكاً لما فاقنا في شرحه، كما ذكر ابن العديم^(١).

وعلى الجملة فإن هذا الشرح لا يخلو من فائدة خاصة في الجلب التاريخي، الذي جند فيه الشارح حل جهده في الكشف عن منسوبة النص، وبيان المعاني، وتوضيح المرامي المستعينة به، وهو جلب مهم لا يمكن التغلب من قيمته، إذ أنه يمتد زاوية مهمة في فهم أسرار الحملة، وسر أغوارها.

٤ - شرح أبي محمد القاسم بن محمد الديمرتي الأصبهاني^(٢) (كان حياً سنة ٣٦٤ هـ):

بين أن للديمرتي شرحان على الحملة: أحدهما وهو - فيما ينظر - الأصل، وما أجمعت المصادر على اشتراك منه - تسمى بـ "العارض"، فكره غير واحد^(٣)، كما أشار إلى ذلك المعري في مقدمة كتابه "معاني أبيات الحملة" بقوله: "وكان أبو ريتر أحمد بن هاشم القيسي رحمه الله أمراً علينا أكثر هذا الكتاب وقرأه بعد عليه وأنا ذاكر ما فيه فيه وفلسه إليه كما أنسب كلا إلى أهله، وكان ما لم أنه في هذا الكتاب فهو خاطئ حطرت لي لم أسمعته قبل، ولعل بعض من تقدم قد سقني إليه فله فضل انسق ولي فاضل الموافقة، وبطرت في الكتاب المعروف بالعارض في الحملة المنسوب إلى الديمرتي وهو كتاب شرط فيه تفسير ما يعرض من لفظ ومعنى مخطط حطت عشواء منه ومنشأه"^(٤)، وهو من الشروح المفتوحة، التي لم تصل إلي.

والآخر: المسمى "تفسير شرح الحملة"، وهو محصور بمكتبة الفتح باستقبال تحت رقم (٣٩٤٤)، وتوجد صورة منه بحمالة أو القرى بالملكة العربية السعودية، صورته جامعة أم القرى من مكتبة الفتح - كتبها أحمد بن عبد الله ابن هشام بن الخطمة سنة ٥٣٢ هـ^(٥)، وعلى ما يبدو أن هذا الشرح ما هو إلا "شرح على شرح الديمرتي" ومختصر عنه، وبشكل أن شراح الحملة نقلوا نصوصاً من شرح الديمرتي وهي لا توجد في هذا الشرح^(٦).

٥ - شرح أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي^(٧) (ت ٣٧١ هـ):

فكره صلح بكشف المتنون^(٨)، وهو من الشروح، التي لم تصل إلينا.

(١) فخر: دباغ، حمالة في تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢١٥.
(٢) هو أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي الأصبهاني، ولد بقرية من قرى أصفهان اسمها ديمرت، لموي لموي من القرن الرابع الهجري، عني في سيرة شمعك كتب وقرأتها، ثم هو متعبد من أربعمائة قرأ عليه الكتاب، روى عن إبراهيم بن منويه الأصبهاني، واسحق بن حميل، ومحمد بن سهل بن الفصح، له من الكتب: كتاب تقييد الأسماء، كتاب الألفاظ، كتاب عرب الحديث ... وغيره.

أخبرني ترجمته بقول المعري: محمد الأديب (٣١١/١٥)، والتقليد: إله الرواة (٣٠/٣)، والمصنوع: بنية الوعة (٢٦٢/٢).
(٣) فخر: المصنف شافعي، وكفرل بروكلمان: تاريخ الألب العربي، نقله إلى العربية: د. عبد العظيم الجبار، دار المعارف بمصر، ط ٥، ١٩٨٣ م (٧٩/١)، وفردان سزكين: تاريخ التراث العربي، ص ٢/٢ ج ١، ص ١٠٩، وتصدر كتابه: عبد الله عبد الرحمن عجيل: حملة أبي مسلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٦٣.

(٤) المعري: معاني أبيات الحملة، تحقيق: د. عبد الله عبد الرحمن عجيل، مطبعة النسي بمصر، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٤٠٣.
(٥) فخر: وصف المخطوطات في مقعة دباغ، نسخة، تحقيقه شرح الحملة المنسوب إلى أبي علاء المعري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ص ١٦.

(٦) فخر: نفسه، ص ١٧.
(٧) هو الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، أبو القاسم عالم بالأدب، وفقيه، من الكتف، له شعر. أسلم من أمه ومولده وولفته بالبحر، له تصنيف كثيرة بالأدب، أهمها: الموازنة بين شعر أبي تمام والمعتري، والمؤلفات، وشمس، في أسماء الشعراء وكماهم ولتأليفهم وأسمائهم، ونثر المفنوم، وميول شعره ... وغيرها.

أخبرني ترجمته: بقول المعري: محمد الأديب (٣١١/٨)، والتقليد: إله الرواة (٢٨٥/٠)، والمصنوع: بنية الوعة (٢١٨) وفيه. ولفه سنة ٣٧١ هـ وفردان: الأعلام (١٨٥/٢).

(٨) فخر: حملي حلية: كشف المتنون (٦٩١/١).

٦- شرح أبي الحسن علي بن محمد النحوي الشافعي^(١) (ت بعد ٣٧٧ هـ):

مكره لو ان سركس^(٢)، وهو من الشروح النحوية، في بعض النسخ

٧- شرح أبي عبد الله النمري^(٣) (ت ٣٩٥ هـ):

السمي (معاني أبيات العمارة)، وهو بعد من نصوص الألفية لشرح حمزة أبي نداء، حتى من بعض المرحومين بل والباحثين أنه أول شارح للعملة^(٤). ونسب على أن من اضرب الشعر في منعة شرحه لمعاني أبيات العملة أن جل ما في شرحه مما أملاه عليه بن بيتن. وأنه حتى بات كله بعد بعد بكر كذلك في منعة شرحه للعملة، أن للنيمة في شرحها عليه سمع نعره^(٥). مما يؤكد عدم أسبقته في الشرح والتفسير للعملة.

ذكره غير واحد ممن ترجموا لصاحبه^(٦)، وقد صرح في كتابه تحقيقاً بعد ما عد الزجدة عيل^(٧)

ولقد جاء شرح النمري موجزاً مختصراً، به بشر كمل خمسة، بل ترحى حيل مقصودت من أولها ثم شرحها

والنمري في شرحه مهتم بمعاني الشعر، وهو ليس من رتبة هذه من حلال ما كتب... ونفسه لعرب من الألفاظ ونكر الروايات الواردة به، ونسب ونحجب، ونريفة كتب حبة نعمة وأحو. مع انبساط سريعة وحظوة للمفصل البلاغية والنتية، وهو من حلال من مبدع ذي نوه، في منعة كذلك فقل "هذا شرح معاني كفاف العملة وذكر رؤيته في النسخ على صورة واحدة على نيات المعاني واخذها وإيضاح الأمل والأزل والمكان: ميب^(٨)"

أما عن مصادر في شرح معاني أبيات حمزة، فيمكن أن نضمه بوعى الأول التي تر استقنته وشوحيه مثل أبي ريتن، وقد نقل عنه في (٢١) موصد، وقد شر بنمري في (١٢) موصد، وتنفى التي

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الشافعي النحوي، من بني عبد ربعة شاذلية، من بني نعيم، له شغل شرح، ونسب منه من شمس (بارمسة) النهر في العمارة، عت الشافعي في القدر ربح بنمري حيث عت النوازل تحتها التي شر به "الشر الكبير في شيوخ المعرفة والتمسك به الأبناء والطماء وفي ملاط الحداثين - في ذكر مركز مبدع من مركز الثقافة، كل انتميه هو ملكه كمنه لصدر انارة الحداثين ولعب ولد نوك الشافعي الكثير من الشر في ذلك وقت... صفة الترميز في منة نمر من حد حل إلى أكثر من شوية رسالة، وس تملحه انارة والانفتاح، الألوان في محسن الانتباه، لبراة، ومتمن نرج نصري وغيره انظر في ترجمته بقرن النمري، معجم الأبناء (٢٧٥/٥)، ولر. كي: نغلة (٣٥١/٥).

(٢) نشر نوك مركز نون كرات العرب، مع ٢/٥ ص ١٠٩.

(٣) هو الحسين بن علي بن عبد الله النمري، عالم بالأدب والشعر، ولد بسري من رتبة، وهو من شمس نعيم حربة ترمي به من معناه، فقد تلمذ على أبي ريتن أحد بني حاتم العام الفروي الأحمدي الألب تروية، وكنت ترمي نمري على لعب علاقة مائة، وعنه. وقد انتسب بنمري فكر له من مشاهير الأبناء وحلة الشعراء، وله نمر الزر. انتسب مدح به في قبيلة، ومن تصفيه (كتب معاني أبيات العملة) الذي تحدث عنه، وكلف القليل وأسماء السند والنسب، نكره نيسي... وغيره وصور من همت كفت بلحمة كد شر سوطي، ولعله مفت علم (٣٨٥ هـ).

(٤) نشر في ترجمته الشافعي بقرنة الدهر (٣٥٢/٢)، والتقصي به فرو- (٢١/١)، والنمري به النوعة (٣٧٧/١)، والزرزكي الأعلام (٢٤٥/٢).

(٥) نشر البغدادي حواشي الأدب ولد لباب لباب العرب (٥٠١/٣).

(٦) نشر النمري معاني أبيات للعملة، شمس ص ٢.

(٧) فقد أشرفت إليه المصنف التي ترجمت لصاحبه، مثل النمري رفة الكد ص ٣٢٨، التي نوره بعد (مشكلات حمزة)، والنمري: بية النوعة (٣٧٧/١)، وأورده بسم (معاني النعمة)، وقد عه قريزي كتر في شرح النعمة على سبيل التمثل (١/٨١، ١٠٦، ١٨٨، ٢٤٨، ٢٤٦)، ونكر البغدادي في المراه (٣٢١/٣)، وبصر مشقة محقق شرح من ١٧٠١.

(٨) طبع هذا الكلف بسم (معاني أبيات النعمة) تحقيق، ما عد له عد لرحمة خمين، مطبعة معني مصر، ٢٠٠٣ هـ ١٩٨٢، وهي النسخة التي - إلى شاء له - سعت عليها في التمام.

(٩) النمري: معاني أبيات للعملة، ص ٣.

عن بعض الكتب والمعلماء كتفه عن أبي عبدة والأصمعي، وابن الأعرابي، وابن السكيت وثعلب، وعلى ابن سليمان الأخضر ولبي زيد^(١).

هذه المصنوع على أنوع من قناتها، إلى جانب تحريه اللغة في نسبة كل نقل إلى صاحبه، واعتراؤه أن جل ما في شرحه من أملاء عليه فيو ريلش، وفكره فضل أبي رولش عليه، وما نجده كذلك في مقدمة شرحه للحملة، أن السمرتي شرحاً عليها لسه المعارض^(٢)، تشهد للتمرري بالأملفة العلمية التي يتمتع بها، والتي تميزه عن كثير من الشراح الآخرين.

وقد تعرض التمرري في شرحه للعملة إلى الكثير من القضايا الفنية والأدبية المختلفة، منها ما يتصل بالرواية، ومنها ما يتصل بمعاني الشعر، ... وغيرها من القضايا والاتجاهات التي تسعى النراة - إن شاء الله - للكشف عنها، وجلاء صورها المتعددة.

- رد أبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود القُدجقي^(٣) (كان حياً سنة ٤٣٠ هـ) على أبي عبد الله التمرري في شرحه للحملة:

في كتاب اسمه "بصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله التمرري (ت ٣٨٥ هـ) في "معاني أبيات الحملة"^(٤).

وقد طبع هذا الكتاب تحقيق د. محمد علي سلطاني ١٩٨٥ م^(٥).

والكتاب ليس شرحاً بالمعنى المعروف للشرح، إنما هو - وكما يبدو من العنوان - تبع لأراء التمرري واتصدي لخصته، بل وكما ينكر المؤلف نفسه في مقدمة كتفه، أنه أتته لانتقالاً لشأن أبي عبد الله التمرري والكتبه شرح معاني أبيات الحملة، وفكرنا لما سمعنا من ثناء عليه، وتعباً لمن طلب منه أن يثبت صحة ما وجهه من طعن على التمرري وشرحه المنشور إليه ألفنا حين طعن فيه، وقد نكر أبو محمد الأعرابي أنه ألف كتبه على حناج السرعة في منه أسبوع واحد في حين أن المتحدي له أمهله سنة كاملة^(٦).

وهو منته انتحه لمتعالي ليس مع التمرري قتل بل مع غيره من العلماء الآخرين، وتلك كما يبدو من عنوان مصنفه، وقد بوه منته لتعطي حين ترجم له^(٧)، وأعجب بمسلكه هذا فقال: "ولتمرري إن كتبه من فوائده

(١) لضر التمرري. معاني أبيات الحملة، مقدمة التحقيق، ص ١٨، وكذلك د. هـ. ص. في تلم وشروحها دراسة واختيار، ص ٧١.

(٢) لضر التمرري: معاني أبيات الحملة، مقدمة، ص ٢.

(٣) هو الحسن بن أحمد بن محمد الأعرابي، أبو محمد الأسود القُدجقي، عالم بالأدب، سلة عارف بيلم العرب والشعر، والمواليد، ألفه كثيراً عن شيعه أبي التمرري سنة إلى "عملان" ببيتة بخرن، قال عنها ياقوت في معجم البلدان (٢١٠ / ٦): "لها بلد تبرز لسانه لا يدرج منه إلا لبيب أو حامل سلاح، وكان أبو محمد في عدة من الورق (لا عيش في كتب الورق لعل له منصور بهولم، وزير الملك أبي كلاًجور البويهي، وتوفي باليمن سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وله من المصنفات: "كتاب الليل والحرقة"، وكتاب "الغزل"، وكتاب "قصائد الأملاك"، وكتاب "معرفة الأدباء" في فرد على في سعد السراي في شرح أبيات صبيوه وكتاب "صلة الأدباء" في الرد على من الأعرابي في التورث التي رواد تفت، وكتاب "معرفة أدباء" في فرد على السراي في شرح أبيات إصلاح المنصور، وكتاب "معرفة الأدباء" في الرد على أبي علي في الشكوك، وكتاب "معرفة التمرري في شرح أشكال أبيات للحملة".

انظر في ترجمته: التفتي: إله الرواة (١٦٨ / ٤)، وياقوت القسوي: معجم الأدباء (١٧ / ١٥٩ : ١٦٤)، وياقوت القسوي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧ هـ - ١٩٩٧ م (٢١٠ / ٦)، والموسوي: بغية الوعاة (٥٢ / ١)، والزرزكلي: الأعلام (٨٠ / ٢)، ود. ع. ص. حملة في نظم وشروحه دراسة وتحقيق، ص ٧١.

(٤) أبو محمد الأعرابي في الكتاب بالأسود القُدجقي، إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله التمرري (ت ٣٨٥ هـ) في "معاني أبيات الحملة"، حقه وقدم له د. محمد علي سلطاني، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الكويت، م ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.

(٥) لضر التفتي: كتاب إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله التمرري، المقدمة، ص ٢.

(٦) لضر: التفتي: إله الرواة (١٦٨ / ٤).

الكتب وأنها لعم المتع لأهل الرغبة والطلب، وأن الذي قصده منها لم يقصده سواء ولا يسوغ لأحد من العلماء أن يلتقي بمثل ما أتاه^(١).

على أن من الأسماء والعلماء من عاب على أبي محمد الأعرابي مسلكه هذا، فيذكر بقوت الحموي عن أبي يعلى بن الهاربة الشاعر أنه قال مشيراً إلى أبي محمد الأعرابي: "تبت شعري من هذا الأسود الذي نصب نعه للرد على العلماء وتصدى للأئمة القماء، بهذا نصيح قوله وبطل قول الأول، ولا تحول له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العلم، لا تبح مشهور، ولا هو علم منكور"^(٢). وقد تلبه على هذا القول بقوت الحموي فنكر أن الأمر كما قال أبو يعلى^(٣).

وقد اتضح ذلك على كتابه هذا الذي بين أيدينا، فعد على نحو يرضي ميولات صاحبه الثغية، ولو أدى به ذلك إلى "الطنن" و"التشنيع" لخدمة عرض ندي عبه، فكان "كثيراً ما يتعسف ويشط في منقشته لمن يتولى الرد عليهم، وليس لديه في الغالب من حجج سوى ما يرويه عن شيخه أبي الندى، هذا إلى جانب شيء من التشحج والسخرية بالعلماء"^(٤).

وقد اتضح مع الفندجاني معرج معبر نتيجة شخصية لنقد حملنا نربطه بجبر الهجاء والإتذخ، فبعد كل حاجس العلم / انشراح هو جمع ما اتصل بشعر وتعة من بعد أو قريب في إطار تعريف قرامته أو ما يذهب إليه حكمة العربية، فإن المعدجلي / النقد - إن صفت التسمية غلبه - مكون يهجن أكثر خصوصية هو "البحر الندي ليس لتعوض في ذاتها نقد ما هو لتكتسب غيبه - بوصف حل طلاقه تحمة ثابت غنية " هتية " في نفسه، وهو ما يؤثر في حلبة القراءة للشعر التي كانت محتومة بتوجه النقد ومترعه.

وهو ما يرى أنرد في كتابه الذي بين أيدينا، إذ كل "منكته" في كتبه هو تنوع أبي عن انه النمري فيما يراه محطناً فيه فهو يحاول تصويبه، أو فيما يراه مقصراً فيه فهو يعمل على الاستدراك عليه، مثلاً أولاً ينكر البيت الذي هو محل النقاش، ثم ينقل كلام أبي عن انه حوته، ثم يشرح في الرد عليه نقلاً قال: أبو محمد الأعرابي هذا موضع العتل. وفي كل موضع يوق مثلاً من "الامل" وتثير منه فيه سخرية وانذاع من مثل (أخطأت لستك الحفرة)، و(عي صامت خير من عي نطق)، و(مر يرفد حلم)، و(صوت امرئ رست صنع)، وقول الشاعر:

يُصِيبُ وَمَا يَنْفِي وَيُخْطِي وَمَا نَدَى وَيُفْلِحُ يَفْلُحُ الْهُوْكَ إِلَّا غَمَزَكَ

وقد وصلت هذه الأمثال إلى ما يقرب من (٥٥) مثلاً، وفي مواطن كثيرة يعتمد أبو محمد الأعرابي على شيخه أبي الندى^(٥).

أما عن مأخذ الفندجاني على النمري فقد أخت صورا وأشكالا عدة، إلا أنها تدور في معظمها حول النقاط التالية: ١ - تصحيح متن بيت أخطأ أبو عبد الله في تفسيره لعدم معرفته بصحة متنه.

(١) تقتضي إليه الرواة (١٦٨ / ٤).

(٢) بقوت الحموي معجم الأسماء (١٦٢ / ٧)، (١٦٣).

(٣) نفسه (١٦٢ / ٧)، (١٦٣).

(٤) د/عبدالله حملة أبي تمام وشروحا: دراسة وتعليق، ص ٨٠.

(٥) قطر: د/عبدالله حملة أبي تمام وشروحا دراسة وتعليق، ص ٨١.

٢ - تصحيح نسبة الأبيات إلى ثقلوها.

٣ - الاستدراك على النعري بالتبني على أمور يرى أنه كان يجب أن ينكرها.

٤ - مناقشة المعاني التي فكرها أبو عبد الله النعري في تفسيره بعض الأبيات وفي الغالب يرجع أبو محمد الأعرابي خطأ النعري في المعاني إلى عدم معرفته بقصة البيت، فهو - أي أبو محمد - يميل كثيرا إلى ضرورة ربط البيت بقصته لكي يتضح معناه^(١).

إلا أنه تجدر الإشارة إلى غلبة الطعن والتشويه على الاحتجاج والجدل في كتب الخننجي الذي بين أيدينا، وبالرغم من ذلك فقد تضمنت مساهمة الخننجي قدرا - ولو ضئيلا - من الفائدة والمنفعة لا يمكن جودها، تعود على نصوص الحملة وكيفية تعامل الشراح معها، وخاصة في جذب المعنى، من خلال ما تضمنه كتابه من مناقشات أضفت - ولو بقدر قليل - أيضا لبعض نصوص الحملة، وتوجهات تحت الشراح (النعري) على ضرورة ربط البيت بقصته لكي يتضح معناه^(٢)، وضرورة التعريف بالشعراء، وغيرها مما يمكن أن يستفيد منها كل من يتعرض للنصوص بالشراح والتفسير.

٨ - شرح أبي الفتح عثمان بن جني^(٣) (ت ٣٩٢ هـ):

لقد خصص ابن جني لديوان الحملة كتابين من مؤلفاته النقية: أحدهما: هو "المبهيج في شرح أسماء شعراء الحملة"، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة، وحقق أكثر من تحقيق^(٤).

والآخر: "التبني على شرح مشكل أبيات الحملة"، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د.سيدة حامد عبد العال، د.تفريد محمد حسن، إشراف ومراجعة د.حسين نصار، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م^(٥)، وهو ما يقع في محور الدراسة، ومركزها.

(١) انظر المزيد من الشواهد والأدلة التاريخية/د.عبدلن: حملة في تلمذ وشيوخها دراسة وتحليل، ص ٨٢، ٨٣.
(٢) انظر الأصول للخننجي: إصلاح ما عطف فيه أبو عبد الله النعري، في تعليقه على شرح النعري لتول الشاعر: حيث على المهمل لطهر أمه وبعض الرجل المدعين شفاء، ص ٦٣ (تطويل).

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، الموصل في تنقيح النعري، أشهر بمراسله الشعرية والقصيدة المستقيمة التي تميز في كثير منها بالعمق وبعد النظر، ولم يعرف ترويج مبادئه على وجه اللغة، إنما في الموصل ودرس على شيوخها، ومن أشهر شيوخه أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم، واتصل بشيخه أبي علي النعماني الذي كان له أثر فعال على ثقافته الشعرية والشعرية، واشتهر بين العلماء ودال إصنافهم بما ينتج به من علم واسع في اللغة والنحو، يقول السلفي: "من جلي هو أبو الفتح عثمان ليس أحد من أئمة الأدب في منع التعليلات وشرح المشكلات ما له، ولا سيما في علم الإعراب، فقد وقع منها على شدة الإعراب"، ويروي بالوثوق أنه كل "متمنا بعمد عيني"، وحيد ليس جلي البيت النعري، وقبل إن كان يقول الشعر، وجيد بلمحه، وقد ترك ابن جني تراثا ضخما في اللغة والنحو والأدب والعروض وتلوات له من المؤلفات ما يقرب من ١٧ كتابا من أشهرها كتاب الفحص، ومرصعة الإعراب، والتمام في تفسير أشعر هذيل، وكتاب العروض، والنصف في شرح تصنيف السراي، وكنت ولله سنة (٣٧٢ هـ).

انظر في ترجمته: المطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مكتبة المجمع، القاهرة، ١٣٤٩ هـ، ١٩٣٠ م (١١ / ٣١١ ، ٣١٢)، وابن الأثير: بزهة الألباء، ص ٣٣٢، والسليمان: دمية قصير وعصرة أمل المصير، تحقيق د.سليمان مكي لعلاني، مكتبة دار المعرفة للنشر والتوزيع، الكويت، ط ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ص ٢٢٩، والسيوطي: بحر الرعدة (٢ / ١٣٢)، وتنتهي: (إسه الرعدة (٢ / ٢٣٥)، وابن خلكن: وفيات الأعيان (٣ / ٢١٦)، وابن النسيم: شذرات الذهب في ألسن من ذهب، مكتبة التكمي، القاهرة، ١٣٥١ هـ (٢ / ١٤٠)، ويقول الحموي: معجم الأندلس (١٢ / ٨١).

(٤) منها طبعة دار الهجرة، بيروت، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م، قرأه وشرحه وعلق عليه: مروان السطية، شيخ الرشد، ومنها طبعة: دار القلم، دمشق، ودار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م، بتحقيق د. حسن هادي، وهي الأصل أخذوها من أشكال التصحيح والتعريف، وما بها من فهارس للموصفات والأعلام.

(٥) أي جني التبني على شرح مشكل أبيات الحملة، تحقيق د.سيدة حامد عبد العال، د.تفريد محمد حسن، إشراف ومراجعة د.حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.

فكتاب ابن جني المسمى "التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة" هو ليس شرحاً بالمعنى المفهوم لشرح الشعر، بقدر ما هو كتاب صي فيه ابن جني بإعراب بعض شعر الحماسة، وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف؛ لأنه لم ير أحداً تعرض لعمل ما فيها من صنعة إعراب. وتعلمي شرح أخبارها أو تفسير شيء من معنيها إلا ما يعتمد بالإعراب؛ لأن ذلك قد سبق إليه جماعة كلّي رياش، والديمرتي، والنمري، وغيرهم، وهذا ما قد أنصح عنه ابن جني في مقمعة كتابه، الذي تحدث فيه عن غرضه من الكتاب ومنهج فيه بالقول: "وقد أحببتك أيّدك الله إلى ملتصك من عمل ما في الحماسة من إعراب وما يلحق به من اشتقاق أو تصريف أو عروض أو قواف، وتعاميت شرح أخبارها، أو تفسير شيء من معنيها إلا ما يعتمد بالإعراب فيجب لذلك نكره من حيث كل ذلك قد سبق إليه جماعة من أبي رياش والديمرتي والنمري وغيرهم"^(١).

وقد استعان ابن جني بالتحليل النحوي والصرفي للكشف عن معنى الوحدة المعجمية وتبسيطه، بشكل أصح رصد مميزات الكلمة في بنيتها الصرفية هي سبيله إلى رصد معناها؛ فاهتم ببنية الكلمة اسماً كتبت أم فعلاً من عدة زوايا: كالحركة والاشتقاق والإفراد والثنوية والجمع والتركيب والاشتقاق والمقصود والمهموز والإعجم...، وككتبت جل شواهد من القرآن الكريم، والشعر العربي من عصور الاحتجاج من امرئ القيس إلى ابن هرمة الذي استشهد له بيت من الشعر، حيث يقول مثلاً، وعليه قول ابن هرمة:

فمذغ ذا ولكن منّي تألّفك نفقة ومن هو يخطي خلفي اللصابتا

ولم يفته كذلك أن يستشهد بأراجيز العرب للمعاج ورؤية، وفي القليل النادر يستشهد بالحديث النبوي، وأمثال العرب وأقوالهم، وبعض الشواهد الشعرية يأتي منسوباً عنه وبعضها يأتي بدون نسبة، وبين شواهد أشعار للمولدين يأتي بها على سبيل الاستئناس والتمثيل.

ونظراً لاهتمام ابن جني في كتابه بالحقب النحوي والصرفي، ندد انعكس ذلك على مصدريه التي اعتمد عليها في تصنيفه هذا، فجاءت جلها - إن لم يكن كلها - مصادر نحوية ولغوية صرفية، كل لا يفي على الفارسي فيها نصيب كبير، فقد أخذ عنه في أكثر من موضع^(٢)، كما نقل أيضاً عن سيبويه^(٣)، والخليل بن أحمد^(٤)، وأبي صبرة^(٥)، وكذلك الحال في أخذه من:

الأصمعي^(٦)، وأبي الحسن الأخفش^(٧). ومن مصدريه شرح كتاب "المقصود والممدود" عن يعقوب بن إسحاق السكيت^(٨)، وهي مصادر لغوية تحدد ملامح نهج ابن جني في شرحه.

وقد وظف ابن جني الحواشي المختلفة في شرحه للحماسة كالأرواية، والمعنى، واستعان بها على إثرائه الإعرابي حسب تصوّره النحوي مع شيء من التعليقات النحوية والمنطقية، وغيره من التوجيهات التي مكّنت الدراسة - إن شاء الله - عن كثير من صورها وأشكالها.

(١) ابن جني: مقمعة كتاب التنبيه، ص ٩.

(٢) قنطر مثلاً: ابن جني: التنبيه في شرح مشكلات الحماسة، ص ١٦، ١٧٨، ٢١٩، ٢٢٠.

(٣) قنطر مثلاً: نفسه، ص ١٥٤، ١٦٦، ١٦٨.

(٤) قنطر مثلاً: نفسه، ص ٢٣٦، ٢٠٨.

(٥) قنطر مثلاً: نفسه، ص ٤٤٥.

(٦) قنطر مثلاً: نفسه، ص ١٢٩.

(٧) انظر مثلاً: نفسه، ص ١٦٦، ١٩٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢٤٧.

(٨) انظر مثلاً: نفسه، ص ٧٠، ٨٢.

٩ - شرح الحماسة المنسوب إلى أحمد بن فارس الرازي^(١) (ت ٣٩٥ هـ):

المسمى "تفسير كتاب الحماسة"^(٢)، وقد طبع الكتاب بتحقيق د/هادي حسن حمودي ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م^(٣)، وقد استبعد بعض الدارسين^(٤) صحة نسب هذا الكتاب إلى ابن فارس، داعياً وفيه ببعض الأئمة والبراهين من قبيل:

١ - ورود بعض الجارات في الشرح توحى بطلان صاحبه على شرح المرزوقي المتوفى (٤٢١ هـ) بينما وفاة ابن فارس كفت (٣٩٥ هـ).

٢ - أن لابن فارس موقفاً من حملة أبي تلمع يستبعد معه أن يعود إلى شرحها، إذ عرف عنه أنه كان يهون من شأن الحملة وصاحبها^(٥).

٣ - أن الذين ترجموا لابن فارس لم يذكروا بين مصنفاته شرحاً لحملة أبي تلمع، ولم نجد أحداً من شراح الحملة أشار إلى شيء من ذلك حتى صاحب كتاب كشف الظنون لم يفكر شرحاً لابن فارس في التثنية الذي لورده لشرح الحملة.

مما دفع الدارس إلى الاعتقاد بأن هذا الشرح ما هو إلا "مجرد تعليقات لبعض العلماء على الحملة"^(٦).

وهو ما خلف ما ذهب إليه محقق الشرح على اعتبار أن المخطوطة التي اعتمد عليها المحقق المنسوبة لابن فارس تظهر "تخصيصاً لابن فارس واضحة فيها، وضوحها في كتبه الأخرى وبخاصة معجمه (مقيس اللغة) و(مجل اللغة)"^(٧).

والذي يظهر لي - ولعل إليه - أن هذا الشرح لا يوجد ما يمنع من نسبته إلى ابن فارس، خاصة إذا علمنا أن ابن فارس قد اهتم بهذا الكتاب - أعني كتاب الحملة -، وعني به عناية بالغة "حيث عول على أشعاره فيما

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو العمين، علم من أعلام ثقافة والأدب والفقه، أسلمه من ممدى ورحل إلى فزوي، ولقد صر الأئمة الأعلام من مثل أبي بكر أحمد بن الحسن بن الخطيب رواية تطلب، لولا طبعه النسخ المندلي والصلح بين صد وغيرهما من أئمة البيل، واستولى الرقي في لغته، وله مؤلفات كثيرة في اللغة والفقه والأدب، من أهمها: "مقيس اللغة"، "معجم"، "المصنف"، وله شعر حسن، وتوفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هـ.

أسطر ترجمته: ابن الأثير: نزهة الألباء ص ٢٢٠، وتعليق: لبنة الرواة (١ / ١٢ / ٩٥)، ومقاييس العموي: معجم الأبناء (٤ / ٨٠ - ٩٨)، والخطيب المندلي: تاريخ ممدى (١١ / ٣١١)، وابن الصمد المندلي: شذرات الذهب (٣ / ١٢٢، ١٣٣)، وابن كثير: اللذلية والتهنية (١١ / ٢٩٩)، وابن حلكين: وليات الأئمة (١ / ٣٥)، والتماملي: بنية الدهر (٣ / ٢٩٤)، والزركلي: الأعلام (١ / ١٢٣)، ومقدمة كتاب "تفسير كتاب الحملة" بتحقيق د/هادي حسن حمودي تاليف النكر.

(٢) وقد لورد د/صبيحان في كتابه: حملة أبي تلمع وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩١، ما يبدو أنه جاء شيئاً في صفحة الضور من المخطوطة على الصورة التالية "المرء الأول من كتب الحملة: لعين أبي تلمع حبيب بن لوس الطائي، و تسمير الشيخ أبي العباس أحمد بن فارس رحمه الله"، وذكرنا أن من هذا الشرح نسخة مخطوطة مكتوبة لاله لي بتركيها، ولها صورة بمعهد المخطوطات العربية بدمشق، وهي ناقصة لا يوجد منها إلا الجزء الأول وبلغ في ١٢٥ ورقة وفي الورقة الأولى ١٣ سطراً، وهي نسخة خزانة كتبت برسم الخزانة السلطانية المملوكية الخشبية وليس عليها تاريخ ويظهر أنها من القرن السابع.

(٣) أبو الحسن أحمد بن فارس: تفسير كتاب الحملة، تحقيق د/هادي حسن حمودي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.

(٤) تلمع د/صبيحان: حملة أبي تلمع وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩١، ٩٢، وانظر كذلك: د/عبدالله بن عيسى: مقامة تعقبت لشرح ديوان الحملة المنسوب لأبي العلاء المبري، ص ٢٢، ٢٣.

(٥) وقد اعتد على رأيه هذا على ما تالاه وانضمنا من موقف ابن فارس تجاه حملة أبي تلمع، في الرسالة التي كتبها إلى محمد بن سعد الكلب، ونقش وريت في مقامة التكررة المسمية، التي يذكر فيها المبلغ في التثنية على حملة أبي تلمع وكسر أي مجد لحملة أخرى مولها، فكلها صارت غاية بصر أن يصف أحد مقلها، المبري: تلمع د/صبيحان: حملة أبي تلمع وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩٢، ٩٣.

(٦) تلمع د/صبيحان: حملة أبي تلمع وشروحها دراسة وتحليل، ص ٩٣.

(٧) ابن فارس: تفسير كتاب الحملة: مقامة التحقيق ص ٢٨.

ذكره في معجماته وكتبه الأخرى. كما ذكره في مناقشته ودافع عنه واستشهد به في رسالته النقدية التي أرسلها إلى أبي عمرو بن محمد بن سعيد الكاتب. ثم فلم بتحليلها في (الحملة المحققة)^(١).

وما أرجحه وأميل إليه بقوة ذكر الأتمين أن "لابن فارس كتاب (الحملة المحققة)، وتقرئ ابن النديم من بينهم - على ما نعلم - بتسمية الكتاب بـ (الحملة)، فهل كان ابن النديم يقصد بـ (الحملة) ما قصده غيره بـ (الحملة المحققة) ؟ أم أنه قصد كتابا آخر غير ذلك ؟ نحن إلى هذا الاحتمال الثاني أميل. ذلك أن عنوان كتاب ابن فارس مختلفة ما بين مصدر وآخر من المصادر القديمة، بالإضافة إلى أن قارئ المصنوع القديمة لم يستطع استيفاء كل كتاب ابن فارس ومؤلفاته. بل إن كل المصادر التي ترجمت لابن فارس قد سهت عن ذكر مجموعة هامة من كتبه، فلا غرو إذا ما اعتبرنا هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ما أراد ابن النديم بإشارته تلك، خاصة وأن لفظ (الحملة) حين يطلق بلا تقييد إنما يراد به حملة أي تلم، فلذا ما قيد تخصصه^(٢).

لقد جاء الشرح مختصرا موجزا شديد الإيجاز، لا يركى إلى مكفة الشرح، لا تشرح فيه بعض الأبليات بكثير من سطر أو سطرين، قليل الشواهد، فمثلا في الجانب اللغوي نجد الاكتفاء بوضاح معنى الكلمة بشكل موجز، ويبدو أن يتعرض شيء من الإعراب خلال شرح الأبليات، وقليل ما يتعرض لروايات الشعر، وأما جانب المعنى فنجد فيه صورا موجزة لمعاني الأبليات لا تعد أن تكون نثرا لها، كما لم يهتم كثيرا بالمسائل البلاغية، أو القضايا النقدية، بل كانت له في ذلك لمحات سريعة وإشارات خلطعة، أما في الجانب التاريخي ضفقت في بعض الأحيان على إشارة إلى بعض عادات العرب وتقاليدهم، وقد نجد إشارة إلى مناسبة بعض الأبليات كما جاء في الحديث عن حملية بلخير^(٣).

١٠ - شرح أبي هلال العسكري^(٤) (ت بعد ٣٩٥ هـ) :

ذكره غير واحد^(٥)، ويبدو أن أبا هلال العسكري له مؤلفين حاصنين بالحملة: أحدهما : الشرح الذي نورد ذكره في كتب التراجم والمحققين، وهو من الشروح المعقودة، التي لم تصل إلينا. وقد تعرض فيه أبو هلال العسكري لبعض المسائل اللغوية كتقليب بعض الكلمات حسب اشتقاقها المختلفة، مستشهدا بالشعر على بعض المعاني، كما أولى اهتماما خاصا ببعض القضايا النقدية من قبيل: قضية اللفظ والمعنى، وقضية المروقات ولم لا ؟ وهو نقاد متمكن من أبرز نقاد القرن الرابع، ويكتفيه معرفة كتابه المعروف بـ "الصناعين" الذي يعد معينا ينهل منه كل مشتغل بالأدب والنقد، إلى جانب ذكره لبعض أخبار الشعراء أو الترجمة لهم على نحو موجز، وبيان مناسبة بعض المقطوعات لتصحيح نسبة الشعر إلى قائلها، وللكشف عن معاني الأبليات بالربط بينها وبين مناسبة قولها. الآخر : رسالة بعنوان: "رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة"، وقد قام د/عبد المجيد الإسداوي بتحقيقها، وهي

(١) ابن فارس: تفسير كتاب الحملة: مقدمة التحقيق ص ٣٥.

(٢) انظر نفسه: ص ٣٦.

(٣) فطر. مقدمة التحقيق ص ٣٩، ٣٨، د/اصول: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل ص ٩٣، ٩٤.

(٤) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، وكنيته "أبو هلال"، علم من أعلام اللغة والأدب ولقنه، نسبته إلى "عسكر مكرم" من كور الأهواز، وكان شاعرا له ديوان شعر، وأبناؤه مؤلفات كثيرة في الأدب واللغة والشعر، أمهات: "شفايوس" في اللغة، و"الشروقي" في اللغة، و"المنهاج"، و"ديوان المعاني"، و"المنهاج" في تفسير القرآن، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذ أيضا، أما وفاته فهي على الأرجح بعد سنة ٣٩٥ هـ اعتنفا على النص الذي لونه بقوت من تصديق أبي هلال العسكري وهو كتابه "الأرائل"، وفيها يذكر أنه فرغ منه لعشر خلعت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

انظر في ترجمته: الشاذلي: خزنة الأدب (١ / ١١٦)، وديوان الحموي: معجم اللغات (٦ / ١٧٧)، وديوان الحموي: معجم الأسماء: لتضم الأول من لغوه ثلاث ١٣٥ - ١٣٩، والوسطى: سمة الوعية (١ / ٥٠٦)، وفركلي: الأعم (٢ / ١٩٦).

(٥) انظر: ديوان الحموي: معجم الأسماء (٨ / ٦٢٣)، والوسطى في نغمة الوعية (١ / ٥٠٦)، والفيدي: خزنة الأدب (١ / ١١٢)، (٢ / ٢٠١)، وحلمي خليفة: كتب الشيوخ (١ / ١٩١)، ومن قبل حفظ لنا التتويج نصوحا كثيرة منه في شرحه للحملة، فقد نقل عنه أبا يونس على (٧٥) موضعا كما نقل إلى ذلك د/صليح: حملة أبي تلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢١٥.

مضووعة متداولة^(١)، وهذه الرسالة هي غير شرح الحماسة المفقود للعسكري، "فقد نقل النبرزي نقولات كثيرة عن أبي خنبل لا تتفق مع هذه الرسالة الصغيرة"^(٢). لقد جاءت الرسالة صغيرة مختصرة، مفقاة من كل شائبة أو استطراد، خند فيها صاحبها جل جهده في التعرض لروايات الشعر، وتناول رواية بعض الأبيات بالتدقيق على اعتبار أنها من قبيل التصحيف، مع كثف معنى الرواية التي اختارها. وهو ما ستتطرق إليه الدراسة - إن شاء الله - بالشرح والتحليل، مع بيان أوجه النقد والبلاغة المختلفة التي تضمنتها آراء العسكري وتوجيهاته.

١١ - شرح أبي التدي محمد بن أحمد القنطري^(٣) من رجال القرن الخامس:

لم تثر المصادر التي ترجمت لأبي التدي أن له شرحاً للحماسة، غير أن بعض الدارسين^(٤) استنتج من نصوص متناثرة في كتاب تلميذه أبي محمد الأعرابي القنطري المسمى "إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الشمرى فيما أسره من أبيات الحماسة"، وكذلك وجود نصوص من شرحه نقلها عنه أبو الرضا الرندي في شرحه للحماسة، ما يدل على وجود شرح له اختصه للحماسة، ويبدو من خلال تلك النصوص عنايته بالأخبار التاريخية المتعلقة بالشاعر والشعر، إلى جانب تعرضه للشرح اللغوي بليغاً، وكذلك الشأن بالنسبة لمعاني الشعر، وفي الجلب للتدقيق نجد بعض الإشارات الخلطية لبعض القضايا التقنية من قبيل قضية نحل الشعر، والطبع والصناعة^(٥)، وهو من الشروح المفقودة.

١٢ - شرح أبي الحسن علي بن الحارث البلياري^(٦) من رجال القرن الخامس:

ذكره غير واحد^(٧)، وهو مخطوط ذكر لؤاد سزكين مكان وجوده^(٨)، وهو شرح - كما قال بعضهم^(٩) - يبدو من خلال النصوص التي وصلتنا منه أن البلياري اطلع على شرح الحماسة لأبي ريثان، كما تعرض لتوثيق الشعر وتصحيح بسننه إلى قائله، مع بعض الإطلاقات اللغوية في بعض المواطن، ففراه يتبناه إلى معنى الكلمة بحسب

(١) أو مثال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواعيد من الحماسة، حققها وقدم لها د. عبد المحيد الإسماعيلي، دار حراء للطباعة والنشر بدمشق، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) د. محسن نقيش: مقدمة تحقيق شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ص ١٢٢.

(٣) هو محمد بن أحمد القنطري، وصيه بقوت بله رجل واسع العلم، واسع المعرفة بقلعة وأهل العرب وأشعارها، وقد أخذ العلم عن مشايخ رفاقه كما كان حرصاً على أن يتقن اللغة والشعر عن الأعراف في الدنيا، ونحضر في بلدته لقرنوس، ومن أشهر تلاميذه الذين اشتهروا بالأدب عنه أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الضمقي، الذي بكر بقوت عنه أنه ما عرّف له شيئاً ينسب إليه، ولا تلميذاً يعول عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود في روايته في كتبه كلها عن أبي التدي هذا، ومن تلاميذه أيضاً علي بن الحارث البلياري الذي صنف هو الآخر شرحاً للحماسة، ولم أجد من ذكر وفاته، ويسود عنه من رجال أوائل القرن السادس الهجري؛ إذ لا تلميذه إلا محمد الأعرابي كمال موجوداً عام ٢٢٨ هـ كما ذكر بقوت.

أخبر فرحمن. بقوت الحموي: معجم الأبياء (١٧ / ١٥٩ - ١٦٤)، وتنتهي: أبيه الرواة (٤ / ١٨١)، والسيوطي: مكية الوعة (١ / ٥٢)، وكذلك تعريف د. بصيّلان له. جملة أبي شمر وشروحها دراسة وتحليل، دمشق ص ٢٢٢.

(٤) أنظر: عبد الله عبد الرحيم عسيران: حماسة أبي شمر وشروحها: دراسة وتحليل، في تعرضه لشرح أبي التدي مقتول حسن حيثما عرض الشروح المقترحة، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٥) للربيع من الشواهد والأشعار: أنظر: د. بصيّلان: حماسة أبي شمر وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٦) هو أبو الحسن علي بن الحارث البلياري الحراني، تحدث عنه البلعروني في (مكية لقصص) بكلام مسجع قلقة: "عنه فصل الفصل ومحمّده، ومرعى الألب ومحمّده، ومحمد الطم وسبوعه، والذي تشد إليه الرحال، وتزعم نحوه الجبل، ويقصده القصد، وينشأ على مواريه الرواد"، ووصفه انتحلي بله الأديب البليغ الفاضل، وفكر من مصنفته شرح الحماسة، وكثف صناعة الشعر - ولم أجد من ذكر وفاته، ويسود أنه من رجال النصف الأول من القرن الخامس، إذ في البلعروني لشترى علم (٤٧ هـ) قد ترجم له في كتابه مكية القصص الذي التزم فيه بالترجمة لرجل عصره.

أخبر في ترجمته البلعروني: مكية لشمر وعصره أهل العصر، ص ٣٠٢، وبقوت الحموي: معجم الأبياء (١٥ / ٥٨)، وتنتهي: أبيه الرواة (٢٧ / ٢٢٤) (٤ / ١٨١).

(٧) أنظر: بقوت الحموي: معجم الأبياء (١٥ / ٤١٠)، وتنتهي: أبيه الرواة لتنتهي (٢ / ٢٧٥)، كما أنشأ إليه أبو الرضا الرندي في شرحه للحماسة، ونقل عنه بصورة كثيرة، كما نقل عنه الطبرسي في شرحه للحماسة أيضاً، أنظر كذلك: فؤاد سزكين: تراجم لشراة المعري، مع ١/٢، ص ١١٤.

(٨) أنظر: فؤاد سزكين: تراجم لشراة المعري، مع ١/٢ - ١١٤، حيث ذكر أن المخطوط يوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤٠٩)، أنظر: القسم الأول محصور في (٣٧٥) ورقة، والورقة من وجه واحد فقط وفي كل ورقة ١٧ سطراً، وخط كل ذلك. مقدمة تحقيق د. محسن نقيش: شرح ديوان الحماسة المنسوب للمعري، ص ٩٨.

(٩) أنظر: د. بصيّلان: حماسة أبي شمر وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٢٥ - ٢٢٨.

وحدوها في سياق الكلام، دون النظر إلى معناها المجرد وهي مترتبة، وربط الإعراب بمعنى الكلمة في السياق الواردة فيه، بالإضافة إلى تصميمه إشارات بسيطة للمعاني، وتعرصه لنشره من ألوان البلاغة ومناحتها للاستعلاء، أما حلف الشفد فقد تناول بعض القضايا النقدية في نصوص الحملة، من قبيل قضية اللفظ والمعنى، وقضية التلمذة في الشعر، التي وقف منها الميلاوي موقفا وسطا، إذ لم يرفض المدالعة كلية، بل طالب بالتقصد وعدم الإفراط إلى جانب عليته، "شرح الغريب من المفردات والمعاني المستغلة، وتصحيح بعض مواضع الحملات، وتبوير المسامك بلسنة" (١). وكان كثيرا ما يأخذ برأي السيراني، وأبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة الأصمعي وابن دريد في جلب الإعراب، وفي شرحه للنسب كثيرا ما يصرح بنقل الأخبار عن أبي الندى.

وعلى كل فنشرح بعد بعض أبي ربيع، وبعد طريق، لا يخلو من لفظة، خاصة في الجانب النقي، من خلال ما يتضمنه من إسهامات وتعليقات لبعض القضايا النقدية تتم عن حصر نقدي واع.

١٣ - شرح أبي سعد (أبي سعيد) علي بن محمد الكتب (ت ٤١٤ هـ) (٢):

المسمى "المنثور الهلالي" (٣)، ذكره صاحب كشف الظنون (٤)، في حين نجد من الدارسين (٥) من سبب نفس الشرح المرسوم بـ "المنثور الهلالي" إلى شارح آخر هو:

أبو علي عمر بن محمد المعروف بالشلوبين (ت ٦٤٥ هـ): عزاي توثيقه إلى كشف الظنون، في حين أن صاحب كشف الظنون نفسه قد نص صراحة على اسم الشرح "المنثور الهلالي"، واسم مؤلفه وهو "أبو سعد" أبو سعيد" علي بن محمد الكتب، وإن خالفت سنة الوفاة ما ذكره صاحب الوافي بالوفيات (٦).

(١) دكتور فتنة، ممة تحقيق شرح الحملة المرسوم لأبي العلاء المعري، ص ١٩.
(٢) هو علي بن محمد بن حلف، أبو سعد الكتب البوساني، ويزمنه في سنة ٤١٤ هـ من قري الميلاوي في سنة ٤١٤ هـ، كان من حلة الكتف المتلاء، ولزوده واستلاء، وكان يسمي في س - عي بويه بملك، وصف لبهاء الدولة "المنثور الهلالي" في محله، وتوفي سنة أربع عشرة ولربما، سمع من صاحب كتف الشرح - رفته (٧١٤ هـ)، ولعله هو، فخر حلي خليفة كتف الظنون (٦٩٢ / ١).
أبهر برحمته ابن شكري التكري - الوصف، دالمسل عسل، دار صغر، بيروت، ١٩٧٢ هـ (٧٤ / ٢) والروكي. الأعلام (١٠ / ٣٣٦).

(٣) حلي خيبة كتف الظنون (٦٩٢ / ١).

(٤) صبح تحقيق ودراسة دأعد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الأبل، مكتبة ثلثة لهد الوضية، الرياض، ط ٢٠٠٢ هـ.
ولعله غير كتف "المنثور الهلالي" الذي سمي البوساني محمد بن علي بن خلف الهلالي (ت ٤١٤ هـ)، وإن كل هو الآخر شرح للحملة، ولكتب حملة - و في أعده كتف "حملة في تمام" مصرا للسلبا لاخبراته - من رصمه هو، لقد صمها اشعل من اخبراته، شملت عددا كبيرا من الشعراء، منهم من شعراء عصره ابن بقله السعدي، والشريف الرضي، وكل لأشعار أبي تمام النقيب الأوفى، فطر علي بن محمد بن حلف الهلالي: المنثور الهلالي، انظر دراسة: علة حدي بشر السطرم في الألف العربي، المنثور الهلالي "بوسا"، مفكرة منة قبل برجة المستنير في الألف العربي، نخص الشعرية العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اسم اللغة العربية ولها، جامعة البعيد الحاج لعصر، بلة الفران، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، ص ١٨، و انظر كتف: علي بن خلف الهلالي، المنثور الهلالي، دراسة وتحقيق دأعد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الأبل، ط ٢٠٠٢ هـ، مكتبة الملك لهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٢ م.

(٥) حلي خيبة كتف الظنون (٦٩٢ / ١).

(٦) انظر / صهلان: حملة أبي شلم وثروها دولة وتحليل، ص ٦٧، و قلعه في هذا الرخم دأطي حمودان منة تحقيق شرح الحملة لأشعر المعري، ص ٥٠.

(٧) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله، أبو علي، الأزداني الأنلسي النحوي الملقب بالشلوبين أو الشلوبين، اصدر النحوى والشلوبين في لغة الأنلسيين: هو الألسين الأشعر، مولده في سنة اثنين وستين وخمسة مائة، وبها وقله في مصر سنة خمس وأربعين وستة مائة م، أبي بكر بن العت، وأبي عبد الله بن زفر، وأبي محمد من بويه، وأبي ريد السبيلي، وبعد الصم من النرس، وطاعة وله اجزة حاسة من أبي شلمر السلمي، وأبي بكر بن خيرة، وأبي شلمر من حبش، لعرض باب المد، وري في حمراء، لأن أمه شلى خلسا لابن لهد، وله سماح كتف. ولعه اشعر عي بن مكنون، وأبي الحسن بجة، وكل إيتا في العربية لا بشق عود ولا يعلرى، وكش ليق للكتف، لعد عه علم لا بصوى، وقد اشهر بمة لمرآح، وتروى عه كتفاب في العلة، له تصلطب بجة، منها "تقولى" في علم العربية، و"شرح النعمة المروية" في النحو، وغيره.

انظر في ترجمته ابن حنكل، وبها الأجل (٢٨٢ / ١)، والقطن: إيتا الرواة (٣٢٢ / ٢)، والدمي: سير أعلام الشعلاء، تحقيق / شبيب الأربوط محمد بيم العركوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٤ م (الطبعة ٢٤ / مسلة العصر ٢٢ / ص ٢٠٧، ٢٠٨)، والروكي: الأعلام (٦٢ / ٥).

(٨) انظر حلي خليفة كتف الظنون (٦٩٢ / ١)، والسفدي، الوالي بالوفيات (٧٤ / ٢).

وهذا الشرح لأبي سعيد علي بن محمد الكاتب وإن كان هو الآخر شرحاً للحملة، ولكنها حماسة - وإن اعتمد كتاب "حملة أبي تلم" مصدراً أساسياً لاختياراته - من وضع الشارح نفسه، فقد وضعها أشتار من اختياراته، شملت عدداً كبيراً من الشعراء، منهم من شعراء عصره: ابن فباله السعدي، والشريف الرضي، وإن كان لأشعار أبي تمام النصيب الأولى، فللكاتب يحتوي "عدداً كبيراً من الاختيارات الشعرية التي اصطفاها مؤلفه حسب منهج اخطفه ورسمه نفسه، واعتقد كتاب "حملة أبي تلم" مصدراً أساسياً لاختياراته، كما استعمل بغيره من المصادر الأخرى، وقد تنوعت اختياراته فشملت عدداً كبيراً من الشعراء، فيهم المشهور والمغمور والمكثر والمقل والنحل وبغيره، والمنتم والمحدث، ومن له ديوان، ومن تناثر شعره في طيات الكتب، كما اختار لشعراء عصره، كأمين نباله السعدي والشريف الرضي، وكان لأشعار أبي تمام النصيب الأولى، فقد أورد له الهمزاني كثيراً من شعره في مواطن متعينة من كتبه^(١). أما عن سر اختيار الشارح هذا العنوان لكتبه، هو في مجمله سر لا يتجاوز حب المؤلف لدهاء الدولة بن بويه الذي نسب الكتاب إليه، وفاء واحترامه، وتقديره البالغ له، إضافة إلى ذكر زمن تأليفه، ولا يبعد أن يكون المؤلف قصد من هذه التسمية الإشهار لكتبه، ولنسب نوال السلطان وعطائه، خاصة إذا علمنا أن ذلك الأمر كان "سنة في عصره، وقبله وبعده، فقد عرف عنهم نسبة كتبه إلى أشخاص كانت لهم مكانتهم وفضلهم، كما صنع أبو علي الفارسي، حينما نسب أحد كتبه إلى عضد الدولة البويهى فسماه "الإيضاح العضدي"، وكما صنع أحمد بن فارس، حينما سمي أحد كتبه "الصاحبي في فقه اللغة العربية، وسنن العرب في كلامها" نسبة إلى الصاحب بن عباد، وبغير أولئك كثير"^(٢). وعلى المجمل بعد شرح الحملة لأبي سعيد علي بن محمد الكاتب، المسمى "المختار البهقي"، شرحاً أدبياً له أهميته وقيمته اللغوية والأدبية وانتقديه، فقد تضمن نثرنا احتفالاً به مؤلفه وصاحبه - غالباً - في اللفظ سهلة بسيطة، بعيدة عن الابتدال، تقرب معنى النصوص للقارئ، بأسلوب راق متليق، ينمي قروة القارئ اللغوية، ويزيد مخزونه من المفردات والنراكيب.

١٤ - شرح أبي المظفر محمد بن آدم الهروي النحوي^(٣) (ت ٤١٤ هـ):

ذكره غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

١٥ - شرح أبي عبد الله الخطيب الإسكالي^(٥) (ت ٤٢٠ هـ)، صاحب "مبادئ اللغة":

ذكره غير واحد^(٦)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) علامة خنري: نثر المصنوع في الأدب العربي، المتنور البهقي "موجلاً" مذكورة مؤسسة لنول درجة الماجستير في الأدب العربي، تخصص لشعرية العربية كالأدب والعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية ولأدبها، جامعة الزيتونة للحاج لمصر سقطة، الجزائر، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م، ص ١٨.
(٢) علامة خنري: نثر المصنوع في الأدب العربي، ص ١٧.
(٣) هو محمد بن آدم بن كمال الهروي وكنيته: أبو المظفر، علم بالأدب من أهل (هراة) بلخ، وبها نعتبه. ٧ عمري من تاريخ مولده بطله، ولكن يمين للمترجمين على تاريخ ولده سنة ٤١٤ هـ. له شرح الحملة، وشرح المتن، وشرح الإصطلاح، وشرح لغات أبي عبيد، وبغير ذلك توفي بقة.
(٤) قنر ترجمته: السيوطي: بنية اللغة (٧/١)، والمصنف في اللغات بالرفيات (٢٢٣/١)، وقنر للمصنف: معجم الأنساء (٢٦٧/٦)، وقنر كلى: الأعلام (٢٩٢/٥).
(٥) المصنف الحملة، وقنر أيضاً: وقنر: إنباء الرواة (١٦٦/٣)، وحلعي ملحق: كشف النشون (١٦١/١)، وقنر فؤاد مركين: تاريخ التراث العربي مع ١٩١، ص ١١١.
(٦) هو محمد بن عبد الله الخطيب الإسكالي، وكنيته أبو عبد الله: علم بالأدب واللغة، من أهل إسكندرية، كان إسكالياً، ثم خطيباً بلخري. من كتبه (سبأ في اللغة - ط) و(بقة الشعر) و(درة لتزويد وعرة للتأويل - ط) في الآيات المتشابهة، و(غلط كتاب المعنى) و(الفرقة في بعض ما يغلط به أهل الأدب - ط) و(الطلب الكبير - ط) بحداد، في مسألة الملوك، وتوفي عام ٤٢٠ هـ.
(٧) قنر ترجمته: بقنر العموي: معجم الأبياء (٢٠/٧)، والمصنف في اللغات بالرفيات (٢٢٧/٣)، والسيوطي: بنية القواعد ص ٦٣.
(٨) لقنر: المصنف الصلابة، وحلعي ملحق: كشف النشون (١٦١/١)، وقنر: فؤاد مركين: تاريخ التراث العربي مع ١٩١، ص ١١١.

وقد سمي المرزوقي كناه هذا (شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تعلم الطائي المعروف بكتلب الحملة)، وقد أثبت هذه التسمية في صدر مقدمته^(٢)، ولكنه اشترى تحت اسم (شرح ديوان للحملة)^(٣)، الذي يعد من أئتم شروح الحملة وأعظمها قدرا ومكفة، وأكثرها حظوة باهتمام الأبياء والنقاد، حتى أصبح - كما يرى القطني - بمثابة "الغاية في بابه"^(٤)، ولا غرو في ذلك فشرح المرزوقي "يعد أكبر الشروح التي وصلت إلينا، وأكثرها غنية بمعنى الشعر، وبالقدر والموازنة، على حين لم تقتض العنلة بالقلعة والاشتقاق، وكذا العناية التي لا إيراد فيها بمسائل النحو والتصريف"^(٥)، وما يمتاز به من مقامة نفيسة جريئة، حافلة بالنظرات والمفاهيم النقدية المتباعدة المتعددة، والتي تعد بحق وثيقة هامة في تاريخ النقد الأدبي، كثرت حولها الدراسات، وتمتعت حولها الروى، أغرت بعض الباحثين إلى تخصيص دراسة قمتة بذاتها حولها^(٦).

إلى جانب ما يتميز به المرزوقي نفسه من ثقافة واسعة، وإطلاع عميق شامل على ما يتصل بالعلوم الأدبية واللغوية، انعكس على تحليله لصار ذا عبارة رصينة متخيرة، وحسن نقدي ثاقب.

ويعد المرزوقي بحق رائد المنهج الإبداعى الفني في شرح الشعر، ذلك المنهج الذي يقوم على دعصمت فنية، ومقومات أدبية وعلمية، تتأزر فيما بينها لتخدم الشرح الشعري، وتضفي حوانبه، وتبرز سماعه ومعانيه في أجمل صورة، وعلى أكمل وجه، من خلال إعمال العقل وكذا الفكر، واستطرق النصوص بما فيها، وما وراءها، ويستند إلى المحصول النقدي الواسع في علوم اللغة والأدب، ويظهر في إطار فني بديع، بعكس ملكة صاحبه الحلاقة، الواعية للثقافة، الفاعمة لأغراض الشعر ومرايمه ومعانيه، واستغلال إمكانات اللغة واتعن في استخراج مكلص علوم اللغة، لإظهار ما يؤدبه من جمال التصوير، وروعة التعبير، في إطار من حسن العرض، وكمل التحليل، ووحدة التحليل، واستعراض الروايات، ومقارنتها، واختيار أفضلها وأحدها وأقربها إلى مذهب الشاعر ومقتضاه، ونظهر فيه ذاتية الشارح وشخصيته، وملكته الأدبية، وقدرته على بلورة الأفكار، وتقديم التصورات الممكنة، والمحتلة والجاذبة، في غلاف من الأسلوب الأدبي المؤثر، المحرك لمشاعر القارئ أو السامع ووجدانه^(٧).

(١) أو على أمت من محمد بن الحسن المرزوقي علم بلور من أعلام اللغة والأدب، لم تذكر المصادر الأسماء أو الترتيبية اتسبة شيئا عن حياته الرسمية أو العلمية، ولم تحدد من له، أو كيف كان يكتب قوته، كل ما نكرته أنه كل ينشأ في "عظيم أبناء سي بويه"، ويبدو أنه نشأ في أصبهل، وتلقى العلم على أعلامها، فقد كلفت وأخره بالعلماء والأبياء، ومن بينهم أبو علي القناسي الذي قرأ عليه المرزوقي كتف صهبويه وتلمذ له بعد أن صغر رأسا عنه، فهو كما واصله بقوت "غاية في السكاه واللغة" ومنه تصنيف وإتقنة المنهج وحسن الاختيار، ونسبائه لا مريد عابها في الحرية، وبلى المرزوقي العظيمة ضد سي بويه، والحنوة معلما لأولادهم في أصبهل، وقد أمعن المترجمون على أن وفق في دي الحمة سنة إحدى وعشرين وأربعة لم يشأ منهم أحد، وترك مصنفات كثيرة في اللغة والأدب منها: شرح الفصحيات، ومنه نسخة في مكتبة براين برقم ٧١٤٦، وشرح أشعار هبل، وشرح التصريح لأثر إليه المرزوقي في شروحه للحملة (٢ / ٥٦٢ - ٧٢١)، وكتلب الأرملة والأمتة طبع في مجلدين في حيدر أباد الهند سنة ١٣٢٢ هـ كتف أمالي المرزوقي من نسخة يدو للكتب الشخصية تحت رقم ٢٣٠٠ كتب.

الطبر في ترجمته: يافوت المصري: معجم الأسماء (٥ / ٣٥)، والتقطي: إنش الرواة (١ / ١٠٦)، والسويطي: بغية لوعة (١ / ١٩٦، ١٩٧)، والوروكلي: الأعلام (١ / ٢١٢)، مقامة الأسد عبد السلام هارون في تحقيقه لشرح المرزوقي من ١٨ : ٢٠٠، د.عبدل حملة في تمام وشروحه دراسة وتحليل، طبع من ٩٥، د.أحمد حملة المصري: شروح الشعر الجاهلي، مطابع الشراخ (٢ / ١٩٨) وساندها.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصلصة: تحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين، مقامة المؤلف من ٣.

(٣) طبع هذا الشرح بتمتق الأستاذة عبد السلام محمد هارون ومشاركة الدكتور أحمد أمين، وذلك في مطبعة لجنة التاليف بمصر عام ١٩٥١ م، وطبع عدة مرات منها الطبعة التي بين أيدينا والتي يستند عليها الدراسة وهي طبعة دار الفيل، بيروت ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

(٤) لتقطي: إنش الرواة (١ / ١٠٦).

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحملة، مقامة الملق من ١٦.

(٦) انظر على سبيل المثال: دراسة الطاهر بن عاشور: شرح النعمة الأدمية لنروح الإمام المرزوقي على ديوان الحملة لأبي تمام، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

(٧) انظر: د.أحمد حملة المصري: شروح الشعر الجاهلي، مطابع الشراخ، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

وإنك "كانت شروحه محوبة فية تفسر جوهر الشعر قبل مظهره، وتصل بين الشعر والشاعر والفنّان، وتربط بينهم برباط وثيق من المعرفة في إطار من الأسلوب الفني الجميل، الذي يخطب الأحاسيس والمشاعر قبل العقول"^(١).

لقد عمد المرزوقي في شرحه إلى نشر أبيات الحملة، مجلها بذلك معطياتها الغامضة، مهتما بجانب الرواية في إطار تحقيقه للنص، مع دقته في ضبط وتوثيق نصوص الحملة، ورجوعه إلى نسخ كثيرة، كي يقف على أنق الروايات وأصوبها وأيقنها بالمعنى الذي قصده الشاعر، إضافة إلى اهتمامه بالمناسبات الخاصة بإنشاء بعض النصوص وما لذلك من أثر في توجيه فهم النص، مسلطاً الضوء على الجانب التاريخي من خلال أيام العرب، والاجتماعي من خلال النسب لبعض نصوص الحملة، صر مستويات من التحليل الفني والدلالي تساهم في كشف أغوار النص وحيلاته التي قد يغفلها القارئ، متناولاً القضايا الفنية والبلاغية المختلفة بالشرح والتحليل، عاداً إلى نصوص خارجية يصلها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهادف إلى تعزيز قراءته أو ما ذهب إليه، وقد اعتمد في ذلك الشعر والمثل والقرآن الكريم والحديث الشريف.

أما عن مصادره في الشرح فهي كثيرة متنوعة، وهي على نوعين: الأول: النقل عن بعض الكتب والعلماء من مثل: كتاب العين للخليل بن أحمد، والكتاب لميويه، والأمثال للأصمعي، والعقدة للمدائني، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب الترحمان لأبي عبد الله المتقن، والكامل للمبرد، ونقل عن الرقي وهو أحد شراح الحملة، وأخذ عن ابن العميد الكتب المشهورة وأخرى، والنوع الثاني من مصادره السماع، ويتركز غالباً في سماعه عن شيوخه أبي علي الفارسي في بعض القضايا اللغوية والنحوية، وسمع من أبي عبد الله حمزة بن الحسن^(٢).

ويتميز أسلوب المرزوقي في شرحه بالدقة والوضوح، والاستقصاء والامتنعاب، والإحاطة، والشمول، وحسن التتوق، وتعمد الثقافات، وسعة الإطلاع، تظهر حفاوته باللغة والنحو والتصريف والبلاغة بجلاء في شرحه، وهذا - إن شاء الله - ما سنراه جلياً أثناء الدراسة.

١٧ - شرح أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني^(٣) (ت ٤٣١ هـ):

ذكره بروكلمان، وأشار إلى مكان وجوده في الإسكوريال^(٤)، وأشار د/ صيلان إلى نسخة مصورة عنها في معهد المخطوطات العربية بمصر^(٥)، أما عن اسمه فـ "لم يختر الجرجاني لعمله اسماً خاصاً ولا قدم له مقدمة تبين خطته وعمله فيه والشخصية التي قدمه إليها، مما قد يدل على أن الاختصار والانتقاء عن التفصيل كان شعاره

(١) د/أحمد حماد المصري: شروح أشعر العاهلي، مقام الشراح، ١٣٣/٢.

(٢) أنظر: د/صيلان: حماسة أبي تميم وشيوخها، حيث كلفاً مؤنة المثلث والشمس من خلال بيان مختصر الشرح وتوثيقها الذي أورده من ٩٧، ٩٨.

(٣) هو ثابت بن محمد العدوي أبو الفتح، الأنبي السدي، ولد سنة ٣٢٥ هـ لم أبيه الأندلسي وأخذ من علمته، واحتج بملوكها، ولي الأندلس أملى كتبه شرح الجمل لفرجاء، على أنه رحل إلى بغداد ولقاه بها طالباً للعلم وأخذ من طبعها من مثل أبي الفتح عثمان بن حنبل، وعلي بن عيسى الزبيدي، وعبد السلام بن الحسن المصري، وتوفي مقتولاً في الحرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي مقتولاً بصحيفة سنة ٤٣١ هـ.

إحدى وثلاثين وأربعمائة، بن تصفيه حلق الثوب، مولى لشعر.

أنظر في ترجمته: المصمدي: جوة للمقربين في تاريخ علماء أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياني، دار الكتب المصرية/دار للكتاب اللبناني، القاهرة/بيروت، قسم (المس)، ط١/٢، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ١٨٤، ووقوت المصري: مجمع الأدباء (٢ / ١٤٥)، ولقبني: إيه الرواة (١ / ٢١٣)، وتظر تعريف د/صيلان له: حماسة أبي تميم وشيوخها دراسة وتحليل، هفت من ١٢٨.

(٤) كارل بروكلمان: فريخ الأدب العربي (١ / ٧٩)، حيث ذكر من هذا الشرح نسخة معطوبة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٢٨٩.

(٥) د/صيلان: حماسة أبي تميم وشيوخها دراسة وتحليل، هفت من ١٢٨، حيث أشار إلى وجود نسخة مصورة عن نسخة الإسكوريال في معهد المخطوطات العربية بمصر برقم ٥١٧، فقلنا: "والشرح بخط مغربي نصيب قراءته، وعند أورقه ١٣١ ورقة في كل ورقة ٢٥ سطراً، ويبدو أنه نسخ في القرن السابع حوالي سنة (٦٤٣ هـ)"، وتظر كذلك: د/حسن نقشة: مقدمة تحقيق شرح الحملة المملوك لأبي العماد المصري، ص ٢٦، ٢٥.

في كل شيء^(١). وهو من الشروح المختصرة والموحدة غلبة الإيجاز، بل يكاد يكون مجرد تعليقات على بعض أبيات الحملة، ولم يشملها جميعا بالشرح، اتجه فيه الشارح إلى محاولة تصحيح الأخطاء، إلى جانب تفسير الألفاظ الغريبة مع محاولة إيضاح بعض المعاني، وقد رسم الشارح لنفسه طريقة التزم بها في شرحه صر عنها في حاشية الشرح^(٢).

وهكذا يتبين لنا ما سبق أن قلناه من أن هذا الشرح موجز غلبة الإيجاز، شحيحا على الجقيين النقدي والبلاغي، إلا من بعض الإشارات الخفيفة هنا وهناك، مما يقلل من أهميته للبحث موضوع الدراسة.

١٨ - شرح أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده^(٣) (ت ٤٥٨ هـ):

المسمى "الأنيق في شرح الحملة"، وهو شرح ضخم يقع في ستة مجلدات، نكده غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

أما عن منهجه في شرح الحملة فلقد كانت المصادر شحيحة في إيراد التعليقات عليه، والتي كان من الممكن أن نعطي لنا تصورا عن الكتاب وطريقته إلا أن "الغالب على الظن أنه قد تناول فيه نصوص الحملة وفق طريقة بعض الشراح الذين وقفوا طويلا عند الجانب اللغوي، وأدى بهم الإسهال إلى الخوض في جملة من الاستطرادات اللغوية، واستعراض ضروب الخلاف القائم في شأنها بين علماء اللغة"^(٥)، ويبدو هذا من خلال ما ورد من إشارة مكتوبة في غضون رسالة كتبها أبو الإصبع عبد العزيز ابن أرقم الواد بلسي، وهو معاصر للأعظم، نال فيها منه أمور جرت بينهما، وقد قالت الإشارة بالحرف: "وكخرافته المضحكات في شرح الحملة"^(٦)، فيمكن أن تكون تلك الخرافات هي الاستطرادات سابقة الذكر، من أخبار وإشارات لغوية لا علاقة لها بشرح النص^(٧)، وهو نبال يميل إليه البلعث أيضا خلاصة وأنه يعكس الروح السائدة في تلك الفترة عند أهل المغرب العربي والأندلس، في محل التأليف والشرح من حيث التقليد والمحاكاة لنظرائهم في المشرق العربي، الذي كان يطغى عليه الجلب اللغوي وسرد القضايا الخلافية بين العلماء، شأنه في ذلك شأن الكثير من الشروح الأخرى للحماسة التي انحصرت في هذا الحيز الضيق للتناول، وليس بغريب أن ينتقل هذا التأثير إلى علماء الأندلس الذين اقتفوا في كثير من ألوان الألب لشر أهل المشرق العربي في التأليف والتصنيف.

(١) د/علي حمودان: شرح حملة في نعل للأعظم الشننري، مقدمة التحقيق من ٤٨.

(٢) لطر د/صوبان: حملة في نعل وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٢٩، حيث أورد بعض الأخطاء والتعليقات التي تؤكد على الإيجاز الشديد الذي التزمه الشارح في تعرضه لمعاني المسئلة للشرح، مثل: جلب الرواية، والمعنى، والتقد، وكذلك الجانب التقني الذي تمثل في تكره أحيانا بعض الأخطاء التي تصحح عن منسكفات بعض الأبيات.

(٣) هو علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، وكنيته أبو الحسن، إمام في اللغة وأديبها. ولد بمدينة (في شرق الأندلس)، وانتقل إلى دانية لتولي بها عام ٤٥٨ هـ نشأ في بيت علم، علمه أبوه اللغة العربية وتنمو، كل أصبى كليه. تولى أمه وهو صغير، واشتغل بنظم الشعر منذ بكر الشواخون أن ابن سيده أحد من صاعد الفضوي لوالده على الأندلس من المشرق، وكان من العلماء في اللغة وفنون الأدب والأخبار، وتبسط على نظمها اللغوي عام ٤٦٨ هـ وكان إماما في القراءات، لغة في رواية اللغة، فصرنا محننا، مشهورا بالورع ومحاربة البدع وانطلق للعبور إلى الجيش معاهد العلم، وسع في أدب اللغة ومفرداتها، تصنف للكثير من الكتب، منها: للمعجم، والمعكم، والمعيط الأعظم، وشرح ما أشكل من شعر المتنبي... وغير ذلك.

قطر في ترجمته: ابن حلكان: وفات الأعوان (١/ ٢١٩)، ابن نشوكل: الصلاة، لطر المعجمة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦ م (٢١٦)، والضيبي: بعبه اللسان في تاريخ رحل أهل الأندلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م، من ٤٠٥، وإن السنري التلمساني: فتح البلب في حصن الأندلس الرطب، حققه ووضع فهرسه أبو يوسف الشيخ محمد البقاصي، دار لشكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م (٢/ ٨٧٥)، والبركاني: الأعلام (٤/ ٢٦٢، ٢٦٤).

(٤) انظر: بركات الصوي: معجم الأبياء (١٢/ ٢٣١ - ٢٣٥)، والتقطي: إله الروك (٢/ ٢٢٥)، وحامي: حيلة: كشف الشنن (١/ ١٩١)، وفواد سركين: تاريخ التراث العربي: مع ٢/ ج ١، ص ١١٢.

(٥) د/علي حمودان: شرح الحملة للأعظم الشننري، مقدمة التحقيق من ٤٩.

(٦) ابن سمام الشننري: النخبة في معاني أهل الجزيرة، تحقيق د/إحسان جليل، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م، المجلد الثالث، لطر: ٣٨٧/١.

(٧) لطر: د/علي حمودان: شرح الحملة للأعظم الشننري، مقدمة التحقيق من ٤٩.

١٩ - شرح أبي القاسم زيد بن علي الفسوي^(١) (ت ٤٦٧ هـ):

نكره غير واحد^(٢)، ومن هذا الشرح نسخة مصورة محفوظة في معهد المخطوطات العربية بقلعة القاهرة بعنوان "كتاب الحملة". لاختصار أبي تلمح حبيب بن أوس الطائي، مع مختصر شرحه إسماعيل الشيوخ علي بن محمد المرزوقي^(٣)، تحت رقم (٥١٨ أ ب)، وعند أورلها (١٩٤) ورقة، وقد كتبت بخط نسخي، ويبدو أنها بخط يقرئ بن عبد الله الرومي كما جاء في آخرها، وكأن الفراغ من نسخها سنة ٤٣٨ هـ وهي نسخة مصورة من مكتبة لاله لي باستقوال ورقمها في مكتبة لاله لي (١٨١٣)^(٤)، وإن شكك بعض الباحثين في مدى صحة نسخة هذا الشرح إلى الفسوي^(٥)، وإيا ما كان الأمر، فقد جاء الشرح متصدا مختصرا، فكثيرا ما ينكر مجموعة من أبيات الحملة نقي مسرودة بيتا تلو بيت، وقد تصل إلى خمسة أبيات أو ستة، ثم يعقبها بعد ذلك شرح لا يتناول إلا البيت الأول من تلك المجموعة دون غيره من الأبيات، حتى أصبح في نهاية الشرح بدأ يأخذ شكل الإيجاز في أغلب الأحيان لم يتناول إلا بعض أبيات الحملة، بحيث أصبح شرح البيت أو البيتين لا يتجاوز سطرا واحدا، يقتصر فيه غالبا على معاني الكلمات. إلى جانب تعرضه العقل لروايات الشعر، وإيجازه في الشرح اللغوي إذ يكتفي بنكر معنى الكلمة دون النظر إلى اشتقاقها ومعناها المختلفة، وتلبي ما يعرض للإعراب، وإذا تعرض لا يتجاوز المس السريع في كثير من الأحيان. أما جانب معاني الأبيات فقد عني به في أكثر من موطن تقاربا ملموسا في بعض جوانب شرح المعاني بين ما لديه والمرزوقي منه بصورة ليست فحلا حرفيا، بل فيها شيء من التصرف^(٦).

٢٠ - شرح أبي الفضل عبد الله الميكالي^(٧) (ت ٤٧٥ هـ):

نكره غير واحد^(٨)، وهو من الشروح المفقودة التي لم تصل إلينا.

٢١ - شرح عبد الله بن أحمد السامري^(٩) (ت ٤٧٥ هـ):

نكره غير واحد^(١٠)، وهو من الشروح المفقودة التي لم تصل إلينا.

(١) هو زيد بن علي بن عبد الله القاسم الفسوي، كان علامة للسلطنة نوحيا لغويا مشاركا في عدة علوم، لُحذ شعره عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي، وروى عنه الإصباح لطفه، ولما على الشريف أبي البركات صرو بن إبراهيم الكوفي، وأحد الحديث عن أبي فرج الهروي وغيره، وله شرح الإصباح في النحو لأبي علي الفارسي، وشرح الحملة لأبي تلمح، وغيره. لُقح زمانا في حلب ودمشق، ومات في طرابلس الشام في ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة.

تظهر في ترجمته: يقرئ الفسوي، معجم الأبناء (١١ / ١٧٧)، وتتلطفي: إيهام الطرقة (١٧ / ٢)، وحسن خليفة: كشف الظنون (٢١٢ / ١٩١)، والسويطي: بغية الوعاة (٢٥٠)، وقزويني: الأعلام (٦٠ / ٣).

(٢) انظر: المصادر السابقة، وكذلك: فؤاد مزيك: تاريخ التراث العربي، مع ١/٢، ص ١١٣.

(٣) انظر: د. صليان: حملة أبي تلمح وشرحها دراسة وتحليل، دمشق ١٩٣٣، د. حسين نفحة: في مقدمة لشرح الحملة المنسوب للفسوي، ص ٢١، ٢٧.

(٤) انظر الحديث عن احتمالات صدق سبب الشرح للفسوي: د. صليان: حملة أبي تلمح وشرحها دراسة وتحليل، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٥) انظر د. صليان: حملة أبي تلمح وشرحها دراسة وتحليل، ص ١٢٥، ١٢٧.

(٦) هو عبد الله بن أحمد الميكالي، وكنيته أبو الحسن، لُحذ شعره من الكتاب للشراء، من أهل حرسان، صنف التحلي (لشار التلوي) لغزاته، وأورد في بنية الدهر محسن ما شره ونظمه، وكذلك مقالات من كتبه المفضولة المستخرج من رسائله، وصمة صاحب فوات الوفيات "عبد الرحمن بن أحمد" وأورد من شعره ما يوافق بعض ما في التبيسة، مما يؤكد أنها شخص واحد، ونكر له من المؤلفات: مفزونات، مفزونات، والمطلع، وميزان شعره ... وغيره.

تظهر في ترجمته: ابن شكر الكندي: فوات الوفيات (٢٧ / ٢٥).

(٧) انظر المصادر السابقة، وحسن خليفة: كشف الظنون (١٩٢ / ١).

(٨) هو عبد الله بن أحمد بن الحسين السامري، وكنيته أبو الحسين، مؤيد من العلماء بالشعر واللفظ، له من المصنفات: "شرح ديوان المتنبي"، و"شرح لسان أبي عبيد"، وتوفي سنة ٤٧٥ هـ.

انظر ترجمته: السويطي: بغية الوعاة (٢٧٨)، وأورلها: الأعلام (٦٦ / ٤)، حيث نكره باسم السامري.

(٩) المصنوعون السابقين، وقزويني: حاشي خليفة: كشف الظنون (١٩٢ / ١)، و قزويني: الأعلام (٦٦ / ١)، و قزويني: حاشي خليفة: كشف الظنون، ص ١١٣، ١١٤.

٢٢ - شرح أبي الحجاج يوسف بن سليمان المعروف بالأعظم الشنتمري^(١) (ت ٤٧٦ هـ):

وهو عمل حليل، يعد من أهم الشروح الأندلسية للحملة في القرن الخامس الهجري، ويمكن القول أن هذا التصنيف قد جاء على مرحلتين، هما:

أ - المتن:

المسمى "كتاب الحملة ترتيب الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعظم الشنتمري (ت ٤٦٧ هـ)"، وقد طبع هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء بتحقيق د/مصطفى عليان^(٢).

وفيها قام الأعظم بتجميع نصوص الحملة من خلال روايتها المتعددة التي كانت منتشرة في الشرق والأندلس إلى زمرته، وتضمينها مؤلفاً كاملاً، بعد ترتيبها وتبويبها، وكان الأعظم أحباً أثناء استقصائه لبعض الحماسيات وتشغل بالزينة أو الحذف عما رواه أبو تلم في حملته، وربما كان هذا هو السبب - إلى جلب الصورة الحديثة في ترتيب كل باب منها على حروف المعجم - في اعتقاد البعض أنها حملة جديدة تضاف إلى الحملات قاعد بعضهم أن يطلق عليها الحملة الأعلامية أو حماسة الأعظم، مثلاً نجد عند البغدادي عندما يسميها حملة الأعظم، بل نراه في بعض المواضع يشير صراحة إلى أنها حملة مستقلة قائمة بنفسها^(٣)، وكذلك بعض المعاصرين، ومرد ذلك في أغلب الظن غلب الشرح عنهم، فلم يطلعوا عليه أو يتألموه.

والذي يظهر لي وأميل إليه أن هذه الحملة هي عين حملة أبي تمام وجمع لشئ ما كان منوثاً من رواياتها، وأن ليس للأعظم فيها غير التوفيق بين مختلف الروايات ومجرد ترتيب شعرها على اقوالها، الأمر الذي يجعل المشروح إنما هو من اختيار أبي تمام لا من صنعة الأعظم نفسه، وما أرححه وأميل إليه بقرينه قول يلقوت الحموي أن الأعظم "قد شرح الحملة شرحاً مطولاً ورتبها على حروف المعجم"^(٤)، إلى جانب بعض آراء القدماء والمحدثين على السواء^(٥).

وعوما فقد تناول د/علي حمودان في مقامة تحقيقه شرح الحملة للأعظم الشنتمري تلك الآراء، وقام بتفنيدها، وتخصيصها بالأدلة والشواهد، موضحاً آراء كل من الفريقين سواء من القدماء أو المحدثين، وفق منهج علمي مدعماً بالحجة والبراهين^(٦).

(١) هو يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأسلمي، وكنيته أبو المحام، المعروف بالأعظم، علم بالأدب واللغة، ولد في شنتمرية بالقرب بالأندلس وبها لسنه، ورحل إلى أرضه، وكتب بصره في أمر عمره، ومات في شبابه عام ٤٧٦ هـ، وكل مشتق الشقة العليا، للمشهور بالأعظم، ومن شيوخه: أبو بكر مسلم بن عبد العزيز المعروف بابن ألع النعوي الأدب، وأبو تلم إبراهيم بن محمد بن رقباء، فزري الشهير بابن الأندلسي، وأبو سهل يوسف بن أحمد بن يوسف الحراني العدني، ومن مصنفه: "شرح الشراء الصة"، "شرح بولان رهيو بن أبي سلمى".

"شرح شواهد مبهية"..... إلخ. انظر ترجمته: ابن بطم الشنتمري: المندرة القسم ٤٧٤ / ٢ - ٤٨٤، وابن بشكوال: الصلة (٤٢٣)، ولقوت الصوي: معجم الأبناء (٧ / ٢٠٧)، وانتقش: إنبه الرواة (٤ / ٥٩)، ولبن خلكن: وفبات الأصيل (٧ / ٨١)، والمهبطي: بقية الوصة (٢ / ٣٥٦)، المسقري: تنبع الطيب (٤ / ٣٥ - ٣٢ / ٤)، (٧٤ - ٧٩)، وابن الصاد الحظلي: شدرات الذهب (٣ / ١٠٣)، وجعلني خليفة: كتف الطون (١ / ١٦٦)، ولوركل: الأعلام (٨ / ٢٢٢)، وانشر ترجمته في مقامة تحقيق د/علي حمودان لشرح الأعظم الشنتمري لديوان الحماسة ص ٧ وما بعدها.

(٢) الأعظم الشنتمري: كتاب الحملة ترتيب الأستاذ أبي المحام يوسف بن سليمان بن عيسى الأعظم الشنتمري، تحقيق د/مصطفى عليان، مطبوعات جامعة أم القرى، المبرية، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

(٣) انظر البغدادي: للخرقة ٣ / ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٣ / ٧، ٢٢١، ٢٢٨، ٢٣٥ / ٨، ٢٣٥ / ٩، ٢٢٣ / ١.

(٤) ولقوت الصوي: معجم الأبناء (٧ / ٢٠٨).

(٥) انظر على سبيل المثال: رأي معق للحملة البصرية محتل الدين لعمد، ط حيدر آباد المكن، معق الصامة المصرية، ومقامة محبتها الأخر د/عادل سليمان جمال، ط المكن الأوطى بالقاهرة.

(٦) تمه تحقيق شرح الحملة للأعظم الشنتمري ص ٥٢ وما بعدها.

وقد ارتكزت رواية الأعلام للحملة على أكثر من ست روايات، أصلها رواية ثقلت، وسلك الأعلام في ترتيب نصوص الحملة منهج الأبجدية الأندلسية^(١)، وقد رتب متن الحملة في ثلاثة عشر باباً، ضمت ٩٤٠ حملياً.

ب. الشرح:

المسمى "تجلي غرر المعاني عن مثل صبور الغواني، والتخلي بالقلند من جواهر الفوائد في شرح الحملة"، فكره غير واحد^(٢)، وقد كان هذا للشرح منتشرًا في الأندلس انتشارًا كبيرًا، واحتل الخطوة عند النارسين للأدب والعلّة. وقد ألفه الأعلام الشنمري، وكنىه إلى المحدث الصادي. والد المعتمد بن عباد وأمير إشبيلية، ليقي أصله ببعض ما في عقده من دين، في أدب جم ونكران ذات. وقد أبان الأعلام عن منهجه وطريقته التي سبقتها في تناول نصوص الحملة بالشرح من خلال مقعته بالقول "تم رأيت الآن أن أختم ما اعتملت فيه قديمًا وحديثًا، من ذلك جمع كتاب في أشعار الحملة يقتضي تهذيبها وتنقيحها، وتقييد ألفاظها وتصحيحها، وتبيين معانيها، وتقريب أغراضها، وتفسير غريبها وغموض إعرابها، حتى يكون هذا الكتاب مريبًا على جميع التأليف فيها، ومغنيا عن استعمال تصنيفات المحيط بها"^(٣).

حيث نراه يقدم للحملة بعبارة الإنشاد التي يتعرض فيها لاسم الشاعر ونسبه، ثم يقوم بعد ذلك بتوزيع أبيات النص واحدًا واحدًا أو مثنى مثنى في أغلب الأحيان، كل ذلك وفق ما يقتضيه النص من حاجة إلى الشرح، ثم يتعرض لبعض المفردات بالتحليل على المستوى اللغوي والنحوي، مقصداً في تناول المعاني، محتضناً لعدد من الشواهد المختلفة التي تدعم النص وتخدم مضمونه، سواء من القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو من الأمثال والأقوال القبيحة، أو من الشعر والرجز قديمه وحديثه، وبفكر الرواية فيه يشير إلى ما اختلف منها، ويحاول استقلالها لحمة النص^(٤).

تلك هي السمات الأساسية لمنهج الأعلام في شرحه للحملة، التي تنبئ عن درجة عالية من النضج والاكتمال في التصنيف والتناول، وهي تظهر لنا مدى اعتداده واحتفائه بالحماسة وشروحها، وتؤكد ما عرف عنه من الدقة والإتقان.

٢٢. شرح عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخيري^(٥) (ت ٤٧٦ هـ):

نكره غير واحد^(٦)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) ترتيب حروف المعجم على طريقة الشافعية هو: أ ب ت ث ج ح ذ ز ط ظ د ل م ن هـ و غ ف ق س ش هـ و ي، للاستزادة انظر: مقفلة تحقيق كتاب الحملة ترتيب الأعلام الشنمري من ١٣، ٢٥.
(٢) تقرر للمفسر السابقة التي ترجمت له، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق د. علي المنضل حمودان، مطبوعات مركز جامعة الملجود لثقافة والتراث ببي، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م، وهو يقع في مئتين كبيرتين.
(٣) مقدمة شارح الحملة للأعلام الشنمري، ص ٩٢.
(٤) للمزيد انظر: مقفلة تحقيق شرح الحملة للأعلام الشنمري، ص ٦٦: ٧٧.
(٥) هو عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الخيري، أبو حكيم، إمام الفقهيين، عالم بالأدب والتراجم والعلماء، من نقباء الشافعية، نسبته إلى الخدير (يقع لسكون) من قرى شيراز، بفارس، اشتهر وقولي بهنداء، تقفه على أبي إسحاق، وسمع من قتلمسي، والجوهري، له العديد من التصنيفات، أهمها: "شرح ديوان الحميري"، و"شرح ديوان المتنبي"، و"شرح ديوان الشريف الرضي"، كلٌّ يقع في مصنف، فوضع التلب وقال: إن هذا الموت مهبط طيب، ثم ملك، وذلك في ذي الحجة، سنة ٤٧٦ هـ.
(٦) انظر في ترجمته: الميوطي: بغية الوعاة (٢٧٦)، والذهبي: سير أعلام النبلاء للذهبي، الطبعة الخامسة والعشرين، ويقول الحميري: معجم الأبناء (٢٨٥/٤)، والتطريز: إنبه الرواة (٢٨٥/٤)، والزيكري: الأعلام (٦٣/١).
(٧) انظر: بقول الحميري: معجم الأبناء (٢٨٥/٤)، والتطريز: إنبه الرواة (٢٨٥/٤).

٢٤ - شرح أبي بكر عاصم بن أيوب البلوي البطلوسي^(١) (ت ٤٩٣ هـ):

ذكره ابن خثير الإشبيلي^(٢)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا. وهو معاصر للأعلم الشنتمري الذي تعرض للحملة بالشرح أيضاً، أما عن منهجه في شرحه فـ "الغالب على الظن أنه لم يكن بعيداً كثيراً عما صنعه الأعلام، نظراً لكون الرجل في اعتقادنا ممن ترسم خطي الأعلام وسار على مهبه، والمقارنة بين ترتيب قصائد الشعراء الستة لحيهما وبين شرحيهما تفضي إلى ذلك"^(٣). فهو على ذلك الرأي، شرح يغلّب عليه الجانب التحوي واللغوي، وإن أطلت من خلاله بعض اللحنات البلاغية والتقنية على استحياء.

٢٥ - شرح أبي العلاء المعري^(٤) (ت ٤٩٩ هـ):

سماء "الرئيسي المصطلحي"، وقد ذكره غير واحد^(٥)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا، إلا أن هناك نرحا آخر منسوب إليه^(٦)، طبع بتحقيق داحسبن محمد نقشة^(٧)، ولكنه ليس للمعري، ولم يُنسب إليه أنه شرح الحملة إلا الشرح المختصر الذي ينقل منه تلميذه الشريزي، وأسقيد الكتّاب تشهد بأنه متأخر عنه. وليس من منبج المعري أن يشرح المتن بالمعنى المصمود. غاية ما في الأمر أن النسخ أو الورق أو المالك وجد غفلاً ووجد اسم المعري في أسفله فكتب على الغلاف بخط متأخر مختلف أنه للمعري، وقد أدى ذلك إلى الاعتقاد بأن هذا الشرح لأبي العلاء المعري، على نحو ما نجده مثبتاً عند بروكلمان^(٨)، وفي فهرست دار الكتب المصرية، وفهرست معهد

(١) هو عاصم بن أيوب البلوي البطلوسي المعري، أبو بكر، الوزير الأديب، كان من أجين بطليوس، أعلامها في التسون والأدب العربية في وقته. وكان له أحد العلوم من أشول أبي بكر محمد بن العرب، وأبي عمرو السلفي "هو من شيوخ أبي الوليد الولقي"، وأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ. وقد ذكره ابن شكوال فقال: "وكان من أهل المعرفة بالأدب وللمعات، ضابطاً لهما، مع خير وأصل، وقلّة لهما رواء، وأخيراً عنه أبو محمد ابن السيد سميع ما رواه". وقال له صاحب اللغة، ونقل عنه السيوطر، أن أبا بكر البطلوس كل إمسا في اللغة. وله من المؤلفات: شرح للمصطلح، وشرح الشعراء الستة، وشرح لشعر الحملة، وكتب الأوقال، وشرح ميوان رموس الشعراء في المورث الشهير بحدري القيس من حمد الكتدي، وقد توفي أبو بكر، عاصم بن أيوب البطلوسي رحمة الله، في العقد الأخير من القرن الخامس الهجري، وذلك سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

قصر في ترجمته: ابن شكوال: المصطلح، نغمة الوعاة، ص ٢٧٤، وحلي خيفة: كشف الظنون، ص ١٧٤٠، والوركي: الأعلام (٢٤٨/٣).

(٢) ابن خير الأموي الإشبيلي، فهرسة ابن جبر الأموي الإشبيلي، تحقيق إبراهيم الإيزاري، دار الكتب المصرية/دار للكتاب للنشائي، القاهرة، بيروت، ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م (ج ٢/٥٠٤)، ترجمة رقم (١٠٤١)، وانظر كذلك: لؤاد سركين: تاريخ التراث العربي، ص ٢١٤، ج ١، ص ١١٤.

(٣) نشر الأعلام الشنتمري: شرح الحملة، تحقيق د. علي حمودان، نسخة المعلق ص ٥٠.

(٤) هو لعبد بن عبد الله من سليمان التوحي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، من أعلام الشعر العربي وثقافة وأدب، وقد توفي في معرة النعمان في الشمال السوري. كتب مزيين المعنيين بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت. اشتهر ببلائه وفلسفته الشهيرة للبدل في وقته، وحلم عقده الدين، ورفض مبدأ الإسلام بمسك أي إنكاراً للحقيقة. توفي سنة ٤٩٩ هـ.

تصر في ترجمته: كتاب تعريف لتمامه بأبي العلاء: جمع وتحقيق / مصطفى المصطفى وأخرون، ويثرب دار طه حسين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، الذي جمع فيه ما قيل حوله من مختلف كتب التراجم والتاريخ، وفي العصر الحديث كثرت عنه دراسات كثيرة.

(٥) نشر في ذلك كتاب تعريف لتمامه بأبي العلاء، الذي جمع فيه نسخة من الباهلئين المحدثين لأبي العلاء من كتب التاريخ وتراجمه التي أحدثت عن أبي العلاء، وأظهر كذلك: كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١/٧٩)، ولفاد سركين: تاريخ التراث العربي، ص ١١٣، ج ١، ص ١١٣.

(٦) جاء هذا الشرح منسوباً إلى أبي العلاء المعري كما هو مثبت في في صفحة الخوان من المخطوطات فقد جاء فيها: "كتاب الحملة، وشرحها لأبي العلاء لعبد بن سليمان التوحي المعري"، ومن هذا الشرح نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨. أدب كتب بخط نسخي وأصح، وعند أورها (٢٢٥) ورقلة، ومقرها (١٧ x ٢٥) نسخة سنة ٦٥٤ هـ ومنها مسورة بالمقروم في معهد المخطوطات العربية.

(٧) بعنوان "شرح ميوان حملة أبي شلم المنسوب لأبي العلاء المعري"، دراسة وتحقيق داحسبن محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.

(٨) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (١/٧٩).

المخطوطات العربية، على أن الواقع خلاف ذلك؛ وقد أدرك (المحقق!) ذلك كله، وترجع عنده أن الكتاب من تصنيف (ابن مردود)^(١)، ويبدو أنه لم يجد للشجاعة الكافية لكتبة على غلاله (الممنوب للمصري).

وقد تتبع الدكتور عبدالله عبد الرحيم صيقلان خطأ نسبة هذا الشرح إلى أبي العلاء بالألة والبراهين^(٢). وكذلك فعل محقق الشرح الممنوب للمعري^(٣) - القائمة على النقة والتمحيص في قراءة المخطوط الممنوب إلى أبي العلاء، والتأكيد على أنه ليس من صنع أبي العلاء بشيء، إلى جانب وجود بعض المغالطات التاريخية التي يحتويها هذا الشرح من قبيل: ورود بعض النصوص التي تفيد نقل صلح الشرح أو التعليق عن الجواليقي، وهو متأخر عن أبي العلاء، فقد ولد الجواليقي عام ٤٦٠ هـ بعد وفاة أبي العلاء في سنة ٤٤٩ هـ بأحد عشر عاماً، هذا إلى جانب أن سبق النص يوحى ببعد الشرح عن أبي العلاء، وبموازاة بعض شروح أبي العلاء المعري الواردة في شرح التبريزي وما ينظرها من الشرح الممنوب لأبي العلاء تبين أنه لا وجه لثبته بينهما من حيث الأسلوب والمسلوك والمنهج، إلى غير ذلك من القرائن التي أوردها د/صيقلان في كتابه، والتي توصل من خلالها إلى عدم صحة نسبة هذا الشرح إلى أبي العلاء.

وعلى هذا فإن الشرح الصحيح النسب إلى أبي العلاء المعري، والذي توافق عليه جل النقاد والمترجمين، هو ذلك الشرح الذي حفظ لنا الخطيب التبريزي في شرحه للحملة نصوصاً كثيرة منه إذ نقل عنه فيما يربو على (١٣٠) موضعاً، ويبدو أنه من الشروح الكبيرة المخطوطة، حيث وصفه ياقوت بأنه يقع في أربعين كراسة^(٤)، ولكنه للأسف من الشروح المفقودة، ويبدو أن أبا العلاء كان قد سمى شرحه هذا بالريثي المصطنعي، وأنه استكمل الشرح سابق لأبي ريثي^(٥)، وقد وضع ياقوت ذلك مبيناً سبب التسمية حين ذكر في ترجمته "أن له كتاباً يعرف بالريثي المصطنعي، في شرح مواضع من الحملة الريثية، عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة، ويطلب بالإمرة، واسمه كليب بن علي، ويكنى أبا غالب، انتدب نسخة من الحملة الريثية، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً لم يذكره أبو ريثي مما يحتاج إلى تفسيره، فخشى أن تضيق الحواشي عن ذلك فصنع هذا الكتاب، وجمع فيه ما منح مما لم يفسره أبو ريثي^(٦)".

ومن خلال النصوص التي بين أيدينا من شرح أبي العلاء، والتي أوردها عنه التبريزي في شرحه للحملة، يمكن لنا أن نعلم بعض المعالم التي انتهجها أبو العلاء في تنويعه لحوادث الشرح المختلفة، والتي أورد كثيراً منها د/صيقلان في حديثه عن شرح أبي العلاء "الريثي المصطنعي" ضمن الحديث عن الشروح المفقودة، أهمها^(٧):

أن أبا العلاء له مسلك في للشرح من ملامحه التوسع في ذكر اشتغالات الشعراء، والقضايا اللغوية من قبيل: لغات القبائل، والمعرب من الألفاظ، ولحن المعلمة، وتعرضه للروايات المتعددة وشرحها شرحاً لغوياً، وشرحه للمعاني الذي قد يطول ويقصر، ولكنه يوظف ثقله اللغوي في تفسيره لمعاني الأبيات، وتعرضه كذلك لبعض الألوان البلاغية مثل: الاستعارة والالتفات، وأما في مجال النقد فليرز ما نجده لدى أبي العلاء، هو تعرضه لطرف من قضية

(١) فطر مقفة د/محمّد محمد نشة، في تحقيقه للشرح الممنوب للمعري، ص ٣٥.
(٢) للتزيد: انظر: د/صيقلان: مسالة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، في حديثه عن الشرح الممنوب لأبي العلاء المعري، ص ١٢٨ : ١٤٤.
(٣) انظر: د/محمّد نشة: مقفة تحقيق شرح الحملة الممنوب للمعري، ص ٣٣ : ٣٦.
(٤) ياقوت الحموي: معجم الأديباء (١٥٧/٢).
(٥) فطر ما يزيد ذلك في شرح الحملة لتبريزي (٢٥٨/١) حيث صرح أبو العلاء بقتضيب على أبي ريثي.
(٦) انظر ياقوت الحموي: معجم الأديباء (١٥٧/٣).
(٧) انظر: د/صيقلان، مسالة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، في حديثه عن شرح أبي العلاء "الريثي المصطنعي" ضمن الحديث عن الشروح المفقودة، ص ٢٢٨ : ٢٣٨.

القدماء والمحدثين من الشعراء، كما تعرض في شرحه لشبه مما يتعلق بموسيقى الشعر والأوزان، أما في الجانب التاريخي فنراه ملما في بعض الأحيان بأحوال العرب قبل الإسلام وبعده، مثل تطرقه إلى الحديث عن طبية التي ينتسب إليها الشاعر أبو النضر الطهوي. وعن غزوة التي ينتسب إليها جميل بن عبد الله بن معمر العنزي.

٢٦ - شرح أبي زكريا الخطيب التبريزي^(١) (ت ٥٠٢ هـ):

وللتبريزي شرحان لنبوأن الحماسة، أحدهما الذي بين أيدينا مطبوعا، والآخر أكثر الطن أنه مفقود^(٢) أشار إليه التبريزي نفسه في مقامة شرحه المطبوع بالقول: "ولنا كنت قد شرحته شرحا مستوفيا غير أنني كنت أوردت كل قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها شرحا محملا ولم أنصل بين لبيها بالقتل لمير فريت أكثر من يقرأ على هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك ليسهل عليه معرفة ما يشكل في كل بيت منه وبين له عرض الشاعر بالكشف عنه فاستعنت بالله تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره شرحا شافيا بيانا على الولاية وتبيين اشتقاق أسامي الشعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذكره في الكتاب وتفسير ما في كل بيت من الغريب والإعراب والمعنى وذكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها وإيراد الأخبار في أمكنها إن شاء الله^(٣)."

وقد ذكر صاحب كشف الظنون شرحا صغيرا آخر للحماسة، فحمل الشروح بذلك ثلاثة صغيرا ومتوسطا ومستوفيا، حيث قال: "شرح أولا شرحا صغيرا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها، وشرح ثانيا بيانا، ثم شرح شرحا طويلا مستوفيا. وأول المتوسط "أما بعد حمدا لله الذي لا يبلغ صفقه الواصفون"^(٤)، فأما المستوفي فمفقود، وأما المتوسط فهو المطبوع بين أيدينا، وأما الصغير فيراد د/عبد السلام هارون أنه الموجود في دار الكتب المصرية^(٥)، إلا أن د/عيسى نفري أن يكون هذا الشرح الصغير هو الموجود في دار الكتب المصرية. إن كان هناك شرحا صغيرا للحماسة في الأصل - لأنه "ليس بين منهج الشرح المطبوع أنه الصغير، ومنهج الشرحين المستوفي والمطبوع أي تقارب أو اتصال، بل إن الشرح المظنون أنه الصغير مجاف لروح التبريزي في شروحه للشعر تلمس المحاكاة، وإن كان هناك شرح صغير للحماسة من تأليف التبريزي كما ذكر صاحب كشف الظنون؛ فبه ليس هذا الشرح المحفوظ في دار الكتب المصرية، لعدم النقلة بأي وجه مع الشرح المطبوع، الذي يمكن أن يعتبر الأوسط بالنسبة للشرحين المستوفي والصغير، إن صح أن له شرحا صغيرا، مع أن الواقع يستلزم أن يكون الشرح الصغير مأخوذا عن الأوسط، أو ملتقيا معه في جوانب كثيرة على أثل تقدير"^(٦).

(١) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى بن يعقوب التبريزي، المعروف بالمطيب التبريزي، من لغة الألب والاندلس، ولد سنة (٤٢١ هـ) وتلقى العلم اللغة والأدب على أشهر الأئمة والفقهاء من مثل السمرقندي، وعبد الله بن العباسي، وغيرهم، وله مصنفات كثيرة في اللغة والأدب مثل: شرح سقط الزند السمرقندي، وشرح انصاف الشعر، وشرح شعر المتنبي، وغيرها. انظر في ترجمته: البغدادي: دمية الشمس (١٩٠/١)، وابن الأثير: نزهة الألباء، ص ٢٧٢، ويافوت الحموي: معجم الألباء (٢٥/٢٠)، والتبلي: جنة الرواة (٢٢/٤)، وابن الجوزي: شذرات الذهب (٦٠/٥)، وابن حنبل: طبقات الأعلام (١٩١/٦)، وابن خرداد: سدي الأئمة: لشمس الزاهرة (١٩٧/٥)، والموسوي: بحر الوفاة (٣٣٨/٢)، وفهرستي: الأعلام (١٥٧/٨)، وكحل: بوقلمون: فخر آداب العرب (٧٩/١)، وعصر كحلة: معجم المؤلفين (٢١٤/١٢).

(٢) انظر: مقامة شقيق د/عبد السلام هارون شرح المروزي (١٢/١)، وقطر ليش: د/عيسى نفري: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٨، ولم يعلما في هذا الرأي (لا الألبسة محمد محيي الدين عبد السيد، حين ذهب أن الشرح الموجود في دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٩٥) هو الشرح المستوفي، انظر: مقامة تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد السيد لشرح التبريزي (١/١)، وهو ما لم يذهب إليه د/عبد السلام هارون، ود/عيسى نفري.

(٣) التبريزي: شرح نبوأن الحماسة: المقدمة ص ١.

(٤) حاشي طيف: كشف الظنون (١٩٩/١).

(٥) هذا الشرح محفوظ في دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٩٥)، انظر: مقامة تحقيق د/عبد السلام هارون لشرح المروزي (١٢/١).

(٦) د/عيسى نفري: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٩، وانظر للمزيد من تغيب الآراء حول هذا الشرح ومدى صحة نسبه إلى شريوي من عدمه من خلال المقارنة بين طريقة ومنهج هذا الشرح وطريقة ومنهج شريوي في شرحه المطبوع من أيدينا، د/عيسى نفري: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٦٨، ١٧١.

ومهما يكن من أمر فإن الشرح المطبوع بين أيدينا المسمى (شرح ديوان الحماسة)^(١)، هو من أهم الشروح بعد شرح المرزوقي، وقد لفتنا فيه صلحه المنهج الانتقالي التهديفي، الذي يعد زعيمه بل ومزسه، والمخطط له والمنفذ^(٢)، إذ يمثل التبريزي بشرحه هذا "تجاسا ظهرت بولنده في القرن الرابع، وساد بوضوح في القرن الخامس وهو ذلك الاتجاه الذي يعتمد على الانتخاف والاختيار من الشروح السابقة مع شيء من التهديف والتحقيق والتحصيل والمفاضلة بين الآراء المختلفة، بحيث يكثف عن ثقلة صاحبه وسعة اطلاعه، في حين تتناول فيه شخصيته وإبداعه"^(٣)، ويتضح ذلك من خلال مقعة شرحه الذي تحدث فيه عن مناهج من شرحوا الحماسة قبله، وعن منهجه هو في شرحها بالقول: "وقد فسر جماعة، فمنهم من قصر فيه، ومنهم من عني بذكر إعراب مواضع منه دون إيراد المعاني، ومنهم من أورد الأخبار التي تتعلق به وأعرض عن ذكر المعاني، ومنهم من ذكر المعاني دون الإعراب والأخبار، ولنا كننا قد شرحته شرحا مستوفيا، غير أنني كنت أرونت كل قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها محملا، ولم أنفل بين أبياتها بالتفسير، فرأيت أكثر من يقرأ على هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك، ليسهل عليه معرفة ما يشكل في كل بيت منه، ويبين له غرض الشاعر بالكثف عنه، فالتصنت باش تعالى وعزمت على شرحه من أوله إلى آخره شرحا شافيا بيتا بيتا على الولا، وتبين اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجيزي ذكره في الكتاب، وتفسير ما في كل بيت من الفريب والإعراب والمعنى، ونكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها، وإيراد الأخبار في أماكنها إن شاء الله"^(٤).

وبهذا يتضح لنا أمران كلا يدلان التبريزي في السير على هذا المنهج الذي اختطه لنفسه، كما يرى د/عبدل "أولهما: قصور الشروح السابقة في نظره، إن نهج كل شرح منهما يمثل اتحاشا معينا، فجاء هو ليستوعب هذه الاتجاهات جميعا في شرحه، وتقيهما: تلبية رغبات معاصريه في وضع شرح كل بيت بعده مبقرة، وكأنه يرمي بذلك إلى غرض تعليمي يقرب التدرج إلى عقول شداة العلم من تلاميذه وغيرهم، نظرا للحاجة الملحة إلى التسهيل والتقريب بعد أن قرت للهم وضعف التحصيل"^(٥).

أما عن مصادر التبريزي في شرحه، فهي كمعارفه واتجاهاته متعددة ومتنوعة، وأول ما نطالع منها (شرح ديوان الحماسة) للمرزوقي، فقد تكرر به ونقل عنه في غير موضع "بحيث أخذ عنه جل ما في شرحه مما يتعلق بجوانب الشرح المختلفة، ويندر أن نجد شرحا لمقطوعة من مقطوعات الحماسة يحلو من الأخذ من المرزوقي، وذلك دون التصريح باسمه إلا في القليل النادر"^(٦)، فالمرزوقي "هو القلم المشترك الأعظم في معظم شروحه، إن المرزوقي هو المعتقد الأساسي، وهو المصدر الأول، والمعين الذي لا ينصب لما استفاد التبريزي من شروح ضمنها مصنفاته. فالمرزوقي دائما في حضرته، أقواله وتفسيراته، وتحليلاته في خدمته، يستند إليه في الرواية والمعنى واللغة وعلوم البلاغة والنقد ويجعل من شروحه نقطة الانطلاق، يسير بعده يكمله أو يلخصه أو يختصره، أو يلتقي شرحه مع شروح غيره .. أو ينقده إن ظاهرا أو

(١) طبع هذا الشرح أكثر من مرة، وأهم طبعة طبعة بولاق عام ١٢٩٠ هـ، بتصحيح الشيخ محمد الحسم، والطبعة التي جاءت بتحقيق الأستاذ محمد مكي الدين عبد الحميد عام ١٣٥٨ هـ، مطبعة مجازي بمصر، وطبعة علم الكتاب، بيروت، د.ت، وهي التي سنستخدمها للدراسة إن شاء الله.

(٢) لعل: د/محمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، الجزء الثاني، طابع الشراح، ٢٥٢/٢.

(٣) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: مقعة أبي تمام وشروحه دراسة وتحليل، ص ١٤٦.

(٤) التبريزي: شرح ديوان الحماسة، المقعة ص ٤.

(٥) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: مقعة أبي تمام وشروحه دراسة وتحليل، ص ١٤٥.

(٦) د/عبدلله عبد الرحيم صليان: مقعة أبي تمام وشروحه دراسة وتحليل، ص ١٤٦، ١٤٧، وأما كذلك حديث د/عبدلله عن مسود وأشكال تحليل التبريزي في نقله عن المرزوقي وإعجال التصريح باسمه، كل تصرف في نص المرزوقي إما بتقديمه وتأخير، وإما بتحويل مقعة الشكلم في نص المرزوقي إلى مقعة التبريزي للمجهول، وإما بنقل نص المرزوقي مع إعجال التصريح باسمه في صدر الكلام وتصريح به في آخره ... إلخ، مقعة أبي تمام وشروحه دراسة وتحليل، ص ١٦٠ : ١٦١، وأما كذلك تحقيقات د/محمد جمال الصري لما نقله التبريزي عن المرزوقي دون التصريح باسمه، شروح الشعر الجاهلي، مخاض لشرائح (٢ / ٢٩٤ وما بعدها).

تمويهه، إن تصريحاً وإن تلميحاً^(١)، إلى حلق نقله من أعلام اللغة والأدب: مثل الخليل بن أحمد، وسبويه، وأبي عبيدة، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني، وأبي حاتم، وأبي زيد، وابن السكيت، وابن الأعرابي، وابن نريد، والأخفش، والفراء، والمبرد، وأبي رياش. وأبي إسحاق الزجاج، وأبي علي الفارسي، والكلبي، والمدائني، والثيرمري، وابن عد ربه، ودعل الخزاعي، وأبي حلال العسكري، وأبي عبد الله النعمري، وأبي محمد الأعرابي، وابن حني^(٢).

ولم يكن حظ من نقل عنهم التبريزي بأحسن حالا من المرزوقي إلا في القليل النادر، فصرح بالنقل عن بعضهم أحيانا وأغفل التصريح أحيانا كثيرة، وأخذ عنهم جل ما في شرحه، إذ "لم يلم له منه سوى شيء يسير لا يكاد يذكر، وحتى هذا الشيء اليسير لا نعلم مدى حقيقة بعضه من حيث نسبته إليه، ذلك لأن بعض الشروح لتي أخذ عنها بت مفقودا لا أثر له"^(٣).

وقد تعرض التبريزي في شرحه لميوان الحملة للعديد من القضايا والحوادث الأدبية واللغوية والنحوية المتنوعة، - والتي سنطرق لها أثناء الدراسة إن شاء الله - شاع في ذلك شأن كثير ممن سبقه ونقل عنهم من الشراح.

لكن عن التصريح باسماء كثير ممن نقل عنهم التبريزي في حال النقل عنهم، لا يقلل من قيمة شرح التبريزي، ومنزلة الأدبية والعلمية لأنه "حوى بين دفتيه نصرا قيمة من شروح امتدت إليها يد الطباع فاصبحا لا سمح إلا باسمائها دون أن نقف لها على أثر"^(٤).

كما أن التبريزي لم يكن مجرد ناقل، بل كان عالما ذا بصيرة ودراسة ووعي بما يفتقره وينقله من الشراح السابقين له، فينقلهم ويختلف معهم و يخطأهم في مواضع كثيرة، على نحو ما تجده في نقد المرزوقي والنعمري فيما دها إليه من تفسير لمعنى قول موسى بن جابر:

هَلْ لَانَ حَمَلَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ مِنْ التَّقْلِ نَا لَا نَسْتَطِيعُ الْإِبْرَازَ

بقول: "أي هما في الاشتغال والانتفاع بمكانهما بمنزلة هلالين ويتكلمان في كل حسب ومحل من الانتال والأعباء ما لو صارت أجرا ما لعجز عن النهوض بها وتحملها البعران هذا قول المرزوقي، وقال النعمري أي هذان الرجلان يحملان من أعباء الصغار والثقيل الصنقع ما لو أنه يوزن لم تستطع حملة الإبل وهي أثقل الحيوان حملا وأكثره صبرا، وقال أبو العلاء قد ناول النعمري له معنى قد يجوز مثله ولكنه بعيد وإنما ينبغي أن يحمل الشيء على ما كثر وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قري الأضياف ومن نحر الإبل ما لا تستطيعه الأياعر أي أنها لا تقوى عليه لأنها يهلكها وهذا مجاز قولهم بنو فلان ظلامون للجزر ... فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غير"^(٥).

(١) د/أحمد جمال المصري. شروح الشعر الجاهلي، مطبع الشراح، (١٩٤ / ٢).

(٢) انظر د/عبد الله عبد الرحيم عجيل. حملة أبي تمام وشروحيها دراسة وتحليل، حيث لورد لنا بالمواضع التي كثر فيها أحد التبريزي في شروح عن الشراح السابقين للحملة ولانها تشرروفي، ص ١٤٧ - ١٥٩.

(٣) انظر نفسه، ص ١٦١.

(٤) انظر د/عبد الله عبد الرحيم عجيل. حملة أبي تمام وشروحيها دراسة وتحليل: ص ١٦٧.

(٥) ت. بري شرح ديوان للحملة، (١ / ١٩١، ١٩٢).

٢٧ - شرح أبي نصر منصور بن المسلم بن حطي المصروف بابن المنيك^(١) (ت ٥١٠ هـ):

المسمى "تتمة ما كسر فيه ابن جني شرح أبيات الحماسة"، ذكره غير واحد^(٢)، لم أقف عليه، ولعله من الشروح المفقودة، والكتب الغلبة التي تذكرها المصنف التي ترجعت له.

٢٨ - شرح أبي المحاسن مسعود بن حطي بن أحمد بن العباس البيهقي^(٣) (ت ٥٤٤ هـ):

ذكره غير واحد^(٤)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٢٩ - شرح أبي علي الفضل بن الحسين الطيزمي^(٥) (ت ٥٤٨ هـ):

المسمى (الباهر في شرح الحماسة)^(٦)، ذكره نفر قليل^(٧).

ويبدو أن الشرح مجموع من الشروح السابقة، إذ تجدد فيه نقولا كثيرة عن الشراح السابقين، من مثل أبي ريثان، وأبي عبد الله النمري، وأبي الحسن الليثي، وابن جني، وأبي محمد الأعرابي، والمرزوقي، وأبي العلاء المعري، وإلى جانب ذلك نجد نقولا عن الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأصمعي، وعليل، وأبي علي الفارسي، وابن حني، وعبد الظاهر الجرجاني، وقد نقل عن هؤلاء جميعا في كل جانب من جوانب الشرح مما يتعلق بالروايات، واللغة والمحو، والنقد والملاحة، والأخبار التاريخية، واعتمد في معظم هذه الجوانب أكثر ما اعتمد على شرح المرزوقي، فأخذ حل ما في شرحه دون أن ينص على اسمه، ومن النادر أن ينص عليه بجانب ما ينقله عنه^(٨).

(١) هو منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الفرجين، أبو نصر الشهير السعدي مؤنس من العلماء بالعربية، ولد بعلبك، وانتقل إلى دمشق، فكان مفسرا للصحف فيها، وتوفي بها، له شعر، وكتاب في الرد على إعراف الصلة لابن جني سبه "تتمة ما كسر فيه ابن حني" في شرح أبيات الحماسة، قال القتيبي: "هو حسن بن عبد الله بن علي بن نعلج من العربية ملكه بمكة".
تظهر في ترجمته: التظلي: إنبه الرواة (٢٢٦/٣)، وهو فيه المصروف بالمعنيك، وبقرت المصوي: معجم الأدباء (١٩١/٧). وانزركلي: الأعلام (٣٠٤/٧).

(٢) انظر المصنف السابقة التي ترجمت له، وانظر كذلك: حلي خليفة: كشف الظنون (١/١٩٢).

(٣) هو مسعود بن علي بن أحمد بن الحسين المصوي البيهقي، أبو المحاسن: عظم بالأب مفسر شاعر فخر في لغة أبي جاسد الخزالي، وأبي التميمي بن محمد البيهقي المصوي (٥١٧ هـ) وغيرهما، وروى عن: أبي علي بن أبي جعفر الطوسي، وأبي الولاء عبد العزيز بن عبد العزيز فراي، وكان مثقفا، شاعرا، مفسرا، شاعرا، مفسرا عنه الجوزاء، وروى عنه: ابن شهر آشوب، وأطرب العين الرافندي، وصنف كتابا كثيرة، منها: التخرج في أصول الفقه، تصنيق القرآن صيقل الألف في الآيات، أصول، سنة المستور، وديوان أشعره.

انظر في ترجمته: بقرت المصوي: معجم الأدباء (١٩١/١٩٢). والمصوي: بغية الوعاة، ص ٣٩٠، ٣٩١، ورضا كحلقة: معجم المؤلفين (١٢/٢٢٨، ٢٢٧)، وانزركلي: الأعلام (١٩١/٧).

(٤) انظر المصنف السابقة التي ترجمت له، وانظر كذلك: حلي خليفة: كشف الظنون (١/١٩٢). ولؤاد سزكي: تاريخ التراث العربي، مج ٢/١، ص ١١٥.

(٥) هو أبي شين أبو علي النعمان بن الحسن بن الفضل الطبرسي، عالِم مفسر لموي من اعلام الشيعة الإمامية، نسبته إلى طبرستان، لكن بيهقي، ونسب لإفكفة بها وقصد طلاب العلم لئلا هم من موافق علمه، واستقروا من بلاطه في القتر والنظر. ومن مؤلفاته معجم البيان لمطوع القرآن، ومختصر الكشاف، والطوطي في تصريف القرآن، وتولي في سبزوهر عام ٤٤٨ هـ.

انظر في ترجمته: التظلي: إنبه الرواة (٢٢٦/٣)، ورضا كحلقة: معجم المؤلفين (١١/١٩٢)، وانزركلي: الأعلام (١٤٨/٥).
(٦) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة ليدن له التي أدرجت ضمن مكتبة ملط بتركيا ورفها ١٦٤٢، نسخت بخط نسبي دقيق ليس بكامل الأعمال، وتتصل فيه الحروف والكلمات، وعدد لورلها ١٤٩ ورقة، في كل ورقة ٣٩ سطرا، والتتمة مخصصة لا يوجد منها سوى الشهد الأول، وينتهي بشرح بعض مخطوحت باب الهجاء، ولها لا تعرف تفريغ نسخها لأن الشرح يأتي على لغرها. انظر د/عسلان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، دمشق، ١٩٧٢، وانظر كذلك: د/عسلان نقشة، مقدمة تحقيق شرح الحماسة للمصنف لأبي العلاء المعري ص ٣٨، ٢٩.

(٧) إذ لم نجد لدى الذين ترجموا للطبرسي فكرة المشرحة على الحماسة، ولم يورده أيضا صليح كشف الظنون ضمن ما سرد من شروح الحماسة، ولعلهم ظفروا به، وقد ذكره البغدادي في الفزاة، وأقل عنه في مواطن كثيرة، ومن الملاحظ أن بعض المصنفين الذين نقلها البغدادي عن شرح الحماسة للطبرسي هي مما ألفه الطبرسي من فوج المرزوقي، انظر في ذلك: د/عسلان: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٩٢.

(٨) د/عسلان / حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل، ص ١٧٣.

وبما أن الطبرسي قد نقل عن الشراح السابقين - السلفي الذكر - وضمنهم شرحه، مع التصريح بالنقل عن المرزوقي في بعض الأحيان، وعدم التصريح في كثير منها^(١)، لذلك فإن مصاحفه هي نفسها مصادر الشراح السابقين في شروحوهم، ولا داعي من تكرارها مرة أخرى.

والطبرسي في شرحه مهتم بالحلق البلاغي، مع التركيز بشكل واضح على فنين من فنون البلاغة: هما البديع والبيان خاصة الكناية، على أن في شرح الطبرسي ظاهرة بارزة في تحليله للفنون البلاغية الواردة في النص، ألا وهي اتجاهه إلى تكييف مفهوم المصطلح البلاغي، وبيان ما فيه من محسنات مع ذكر بعض شواهد، فـ "الشراح لا يكتفي بذكر اللون البديعي، بل نراه يستطرد في الحديث عن اللون البديعي متطرقاً لتعريفه، وبيان ما فيه من محسنات مع ذكر بعض شواهد، وهكذا الشأن بالنسبة للكناية ... وذلك ظاهرة لم نعهد لها فيما بين أيدينا من شروح العمارة"^(٢).

كما لم يفت الطبرسي العناية بالجانب النقدي، فنراه في مجال النقد يتعرض لبعض عيوب الشعر مع التعريف بها والحديث عنها من مثل التضمنين^(٣).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الطبرسي قد وجد بين يديه شروحا عدة، مختلفة المناهج، متنوعة المذاهب أخذ بقلها ويختار منها ما يوافق هواه، وفي جوانب شرحه التي تطرق لها؛ مما أضفى لونا من التنوع والإثراء لشرحه.

٣٠ - شرح أبي الرضا ضياء الدين فضل الله بن علي الحسيني الراوندي^(١) (ت ٥٥٠ هـ):

المسمى "الحلمة ذات الحواشي"^(٢)، ذكره غير واحد^(٣).

وقد عقد أبو الرضا الراوندي لشرحه مقفلة، أفصح فيها عن مسلكه في تصنيف هذا الشرح بالتقول: "وكنيت شديد التعلات الهمة منذ صباي إلى تتبع شروحه والتقلد غررها ودررها وضم نشرها، وإيناعها مجلدة خفيفة للمعونة سهلة المرتقى قريبة المعزى، والأيام تملط وتطول إلى أن أرضقتني من ذلك بحواش علقها عن نسخة منه بخطي من شرح أبي علي المرزوقي، والإسترلابي، ولبي الحسن البيهقي، وأبي عبد الله الشمرى، ولبي الفتح بن جني، ونسخة للأثير أبي الفضل الميكالي، ومن مواضع أخرى، وإن لاح لي فيه لائق كتبت غير مستبعد أن يكون الأول قد

(١) انظر د.عسيلة: حكمة أبي تلم وشروحا دراسة وتحليل، ص ١٧٤ - ١٧٦، حيث لورد كثيرا من المواضع التي نقل بها الطبرسي عن المرزوقي بن التصريح بنفسه في الجانب اللغوي والسموي في شرحه للحكمة.

(٢) انظر: نفسه، ص ١٧٦ - ١٧٨.

(٣) نفسه، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) هو أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيد الله الراوندي الحنفي المعروف بحسبه الدين الراوندي، طبر، إسمي، شاعر من أهل كابل، وراود من قراه، أمة عه محمد بن الحسن الطوسي، وله ديوان شعر، ومن مؤلفاته كتاب التلويح، والشعر الكافي في المروم والتواني، ولحسن الأنبياء، وتفسير القرآن، تولى بكتال في حدود سنة ٥٥٠ هـ، وقيل ٥٧٠ هـ.

أنشأ ترجمته: رصا كحالة: معجم المؤلفين (٧٥ / ٨)، والراوندي: الأعلام (١٥٢ / ٥).

(٥) من هذا الشرح نسخة مطبوعة في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ١٩٦٣، كتب بخط إسمي، وأصح، وعند أوراقها (٦٩٤) ورقة، وفي الورقة الواحدة (٢٠) سطرا، وتلصق الصفحة معص الأوراق من أولها، ويبدو أنها كتبت في القرن السادس الهجري، انظر د.عسيلة: حكمة أبي تلم وشروحا دراسة وتحليل، ص ١٨٠، وقدر كذلك وصف المسطورة في متن نفس الصفحة، وانظر د.عسيلة: نسخة تحقيق شرح ديوان الحكمة المسورة لأبي علاء الصوري، ص ٩٦.

وقد تم تحقيق نسخة تفقي من الشرح في رسالة تامل صول "شرح حكمة أبي تلم المعصم (الحكمة ذات الحواشي) لأبي الرضا الراوندي - موازنة وتحقيق لتسم تفقي (من أول كتاب الألب إلى نهاية باب الكتاب)"، عبد العزيز بن عبد الله الفضل، ومقتراب د.عبد الله عبد الرحيم عسيلة، رسالة ماجستير، كلية لغة العربية، جامعة الإمام، قسم الألب، سنة ١٤١٣ هـ، تم تخها رسالة لغوي لتسكيل تعلقون الشرح بحواش "شرح حكمة أبي تلم المعصم الحكمة ذات الحواشي لأبي الرضا الراوندي، دراسة وتحقيق لتسم الأول، من أول الكتاب إلى باب الرائي، صالغ بن عبد الله الشمراني، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام، قسم الألب، سنة ١٤١٧ هـ.

(٦) د.ر. حصار الصفحة التي ترجمت له، وانظر كلول بروكلمان: تاريخ الأدب العربي (٨٠ / ١).

ترك لأخر نينا، فلمعها في يدي فتاي ورديي، وسدي وحبيبي، الشيخ الأديب أبو جعفر محمد بن أبي نصر بن محمد الملقب للقي، تولاها لله بالحسن، فقلت نفس إليها، وهي توافة إلى أمثالها متتالة، وقل أنقل حواشيها ليكن شرعا يحصل منه المقصود، فنظرت فيما قل فوجدته متشعبة الأعطاف، أبتت الأطراف، بعدا من المعداد، إن جمع على ما أراد، فتليت عليه فلع، وفي المثل السطر: لع فحج، فلم يزل بي حتى استزلي عن رأيي وحرقي إلى رايه فتبعته على استغفانه، وأجته على ابتفقه، وهو بين يديك، والاعتماد في تغطية عورته عليك، وعلى الله توكلنا وإليه أنبنا إليه المصير^(١).

ويبدو أن الشرح مجموع من الشروح السابقة - كما أشارت المقدمة - إذ نجد فيه نقولا كثيرة عن الشراح السابقين، كما أنه يبدو مجرد حواش علقها صاحبها على نسخته من الحماسة، كما يشير عنوان الشرح.

وقد اعتمد صاحب الشرح أو بالأحرى صاحب الحواشي في تصنيفه على شرح المرزوقي، والإسرابلي، وأبي الحسن البصري، وأبي عبد الله الترمذي، وأبي الفضل الميكالي، كما نجد نقولا عن شرح أبي ريث، وشرح أبي الندى، وشرح الترمذي، ونقولا آخر عن أئمة اللغة والنحو، من مثل الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي حاتم، والمزني، وأبي إسحق الزجاج^(٢).

ويشهد المصنف الذي اتبعه أبو الرضا الراوندي في النقل عن الشروح الأخرى بالأمانة العلمية، وهو أهم ما يميز شرحه عن غيره من الشروح التي تشترك معه في كونه مجموعا من شروح أخرى. إذ نجد المؤلف قد "رجع غالبا في شرحه على أن ينسب القول إلى أصحابها، وقد نقل عن المرزوقي في مواطن كثيرة، وسبب النقل إليه. إلا في القليل النادر"^(٣).

وهو بصنيعة ذلك قد حفظ لنا نصوصا من "بعض الشروح التي تعد في عداد المنقود؛ إذ لم نجد لها أثرا، وفلك مثل: شرح أبي الحسن البصري، والإسرابلي، وأبي الفضل الميكالي، وأبي الندى، والبرقي؛ الأمر الذي يجعل لهذا الشرح قيمته وأهميته"^(٤).

ومن مميزات شرح أبي الرضا الراوندي تلك الحواشي التي تدل على حضور ذاته، حين يتصدى للرواية، أو يحلل اللغة، أو يتناول مسائل النحو، وحين يتصدى لتحديد المعنى وتجويز غيرها منها على أن هذا الشرح من ابتداعه، كما كتبت له نظرات نقدية صفيقة.

فلو الرضا الراوندي وإن غلب على شرحه كثرة النقل، إلا أنه كذلك كثيرا ما نسمع صوته مبديا رأيه ومعلقا ومناقشا لبعض القضايا التي ينقلها عن الشراح السابقين له، ففي جلب الرواية نراه مهتما بتوثيق الرواية، وتمحيصها، وإظهار الفروق بينها وبين غيرها من الروايات الواردة في الشروح الأخرى التي اعتمد عليها في تصنيفه، ولا أدل على ذلك رجوعه إلى نسخ كثيرة؛ كي يقف على أدق الروايات وأصوبها وأيقها بالمعنى الذي قصده الشاعر.

(١) انظر شرح للمصنف لأبي الرضا ورقة (١/٣)، مثلا عن د/صيلان: حملة أبي تمام وشروحه، دراسة وتحليله من ١٨٠، ١٨١.

(٢) انظر د/صيلان: حملة أبي تمام وشروحه، دراسة وتحليله من ١٨١، ١٨٢.

(٣) انظر: نفسه، من ١٨١، ١٨٢.

(٤) نفسه، من ١٨٢، مع بعض التصرف.

وفي جانب الشرح اللغوي والنحوي نجده مع نقله للكثير من قضايا الإعراب من الشروح التي اعتمد عليها من مثل: ابن جني، والإستبراذي، ... نجده كذلك يعقب عليها مدليا برأيه، مجرا عن مسلكه حول تلك القضايا.

أما جانب النقد فقد سار جنباً إلى جنب مع اجتهاده في تحليل النصوص، وتقييمها، مستشهداً بما جاء في أمثال العرب ومألفو كلامهم، وكذلك كلام العجم وبعض الفلاسفة^(١)، كل هذا إن دل على شيء فيلما يدل على واسع علمه، وسعة اطلاعه، وتعدد منابع المعرفة عنده.

٣١ - شرح أبي الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحكم البيهقي^(٢) (ت ٥٦٥ هـ):

نكره بقرت في معجم الأنباء^(٣)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٣٢ - شرح أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري^(٤) (ت ٥٧٧ هـ):

نكره نثر قليل^(٥)، لم ألق عليه.

٣٣ - شرح عبد الله بن إبراهيم الشيرازي^(٦) (ت ٥٨٤ هـ):

نكره صاحب كشف الظنون^(٧)، لم ألق عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

(١) للأضلاع على الشواهد المختلفة لكل جانب من تلك الجوانب، فنظر: صدق الله عبد الرحمن صيقلان: محمسة أبي تمام وشروحه: دراسة وتحليل، من ١٨٢: ١٨٨.

(٢) هو علي بن زيد بن محمد بن الحسن، أبو الحسن شهير الدين البيهقي، من سلالة غزيرة بن ثابت الأنصاري، ويقال له ابن هذيل، يلمت مورخ، ولد في لestone السيلوري (من نولس بيهي) وتلقه وتكلم واشتغل بطول العمدة والمصنف والمثلث، وتوفي في البلاد، وصنف ٧٤ كتاباً، منها: تمة دمية لتقصير، شرح نهج الملاحة، أصول الفقه، ... وغيره.

نظر في ترجمته: بقرت العموي: معجم الأنباء (٢٠٨/٥)، وصحفي خلية: كشف الظنون (٢٩٨/١)، والتركلي: الأعلام (١/ ٢٩٠).

(٣) فنظر: بقرت العموي: معجم الأنباء (٢٢٨/١٣).

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنصاري، من عظاما لثمة والألف وترويض الرجال، كل زاهدا عبدا، حثيث الجيش والملازم، لا يقل من أحد شيئا، سكن بدمشق وتوفي فيها، قرأ الفقه على محمد بن الزوزني حتى برع، ثم قرأ الألب على أبي منصور الجواليقي، ولزمه في الشرح حتى برع، له كثير من تصليفات أهمها: نزعة الأنباء في شذرات الأنباء، الإتصاف في مسائل الفلاس، الديال في غريب (إعراب القرآن)، شرح المسح للطوال ... وغيره، وتوفي عام ٥٧٧ هـ.

نظر في ترجمته: ابن شكر الكتني: فوات الوفيات (٢٦٢/١)، والصويطي: بنية الوعة (٨٦/٢)، وللتفتي: إسه الرواة (٢/ ١٧١)، وابن خلكان: وفيات الأعيال (٢٧٩/١)، والتركلي: الأعلام (١/ ٢٢٧).

(٥) أصله تنصلي: إسه الرواة (١٧١/٣)، والصويطي: بنية الوعة (٨٧/٢).

(٦) لم ألق على ترجمة أحمد بن إبراهيم الشيرازي ت ٥٨٤ هـ سوى ترجمة إبراهيم بن علي بن يوسف تهرورستاني، لشيرازي، أبو إسحاق العلامة المنقار ت ٥٧٦ هـ، ولعله أبوه، ولد في فيروز آباد بخراسان، وقتل إلى شيراز فقرأ على علقها، وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد (سنة ١١٥ هـ) فقام ما بدأ به من الترمس والسمت، ومن شيوخه: الحسن بن محمد تخلص لتخلصي أبو علي الطبري الرحلي، محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله البصائي، ومن تلامذته: يوسف بن الحسن بن محمد أبو القاسم أنزلي، أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس الجرجاني، وغيره، ترويه في علوم الشريعة الإسلامية لكل مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره، واشتهر بقوة العجة في العدل والشفاعة، وسى له الترويض نظام الملك المدرسة النطاعية على شغلان مجلة، فكل يدرس فيها ويدرسه، عاش تهررا صغرا، وكل حس المجلة، طلق الوجه، فصحا سافرا، ينظم الشعر، له تصانيف كثيرة، منها: التتبيه، والمذهب في الفقه، وطلقات الشفاء ... وغيره، مات بغداد وصلى عليه التفتي المصلي.

نظر في فقه: ابن خلكان: وفيات الأعيال (١/ ٤)، والتركلي: الأعلام (١/ ٥١).

(٧) فنظر حاجي خليفة: كشف الظنون (١/ ٦٩٢).

٣٤ - شرح أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي^(١) (ت ٥٨٤ هـ):

المسمى "إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التتبيه والمبهيج"، ذكره صاحب كشف الظنون^(٢)، وهو مخطوط أشرف بروكلمان إلى مكان وجوده^(٣)، وذكر داحسين نقشة وصفه^(٤).

والكتاب كما يبدو من عنوانه، ما هو إلا جمع بين كتابي ابن جنى - السلفي الذكر - التتبيه في شرح مشكل أبيات العمالة، والمبهيج في تفسير أسماء شعراء العمالة، ونفي أصل للكتابين عن كتابه.

أما عن المنهج الذي اتبعه في تصنيفه، فقد ذكر أنه "رتب فيه كتاب المبهج والتتبيه على حروف الفاقية، ثم يذكر ما تضمنه كتاب التتبيه من إعراب وغيره، وما تضمنه كتاب المبهج من ذكر اسم الشاعر، وجعل للمبهيج علامة وهي () وللتتبيه علامة هي (ت)"^(٥).

ومن مقنة الشارح يتضح لنا أنه قد نول كتابه على كتابي ابن جنى على العمالة، وصرف جل جهده للتنظيم والتتويب، للجمع بينهما، في حين أن الرجوع إلى أصل الكتابين قد عسبان عنه.

٣٥ - شرح علي بن الحسن بن عتار بن ثابت المعروف بشميم الحلبي^(٦) (ت ٦٠١ هـ):

سماء "اللمعة في شرح العمالة"، ذكره النقطي في إنباء الرواة^(٧)، ولعله شرح لعملة هو نفسه، فقد ذكر السيوطي في بحية الوعاة^(٨) أن له كتاباً سماء العمالة، جمعه من نظمه مرتباً على أبواب العمالة لأبي تمام، ولعله كتبه الذي لعله لعمه كما ذكر السيوطي، لم لقف عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة التي لم تصل إلينا.

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عتار بن محمد أبو إسحاق بن ملكون الحضرمي، أسكنه لعمري جليل من أهل إشبيلية مولداً وولداً، روى عن أبي الحسن شريح وأبي مروان بن محمد، وأما له أقلام من يفي، روى عنه ابن حوط الله، وابن خروف، والثوري. من كتبه شرح الملح الرحمي، والفتك على التسمية للصميري ... وغير ذلك.

اسطر في ترجمته السيوطي: بحية الوعاة (٤٣١ / ١)، والزرزكي: الأعلام (٦٢ / ١).

(٢) حلمي خليفة: كشف الظنون (٦٢٢ / ١).

(٣) أنظر بروكلمان: تاريخ الألب العربي (٨٠ / ١)، حيث ذكر أنه موجود بمكتبة الإسكوريال ثل تحت رقم (٣١٢).

(٤) أنظر: داحسين نقشة مقنة تحقيق شرح العمالة المنسوب لأبي تمام للعلاء المصيري، ص ٢٠، حيث أورد في المخطوط بنع في (١٢٤) ورقة، ويحتوي على باب العمالة، ويرتب حسب حروف الهاء، وفي كل ورقة وجه، وفي كل وجه (٢٢) سطراً، مخطوطة عربية، كتب سنة ٧٠٠ هـ.

(٥) داحسين نقشة: مقنة تحقيق شرح العمالة المنسوب لأبي تمام للعلاء المصيري، ص ٢٠.

(٦) هو علي بن الحسن بن عتار بن محمد بن الملك بن شميم الحلبي، ويعرف بالملك بن شميم الحلبي، ويكنى بأبي الحسن، أصله من الحلة الموصلية وتشبهه بشيخه وتلقى فيها علومه وأخذ على أبي محمد بن الخليل، وكان شاعراً، ولها، فيها، صنفت للكتب، وقد سافر إلى الشام وبها سكر. ومدح الأكرار وأخذ حوائزهم، واستولى للموصل لغيراً وفيها وفاته ٦٠١ هـ. وفي سبب تتبيه بشميم قبل يقرت للمصيري. مسألته لم يسميت بشميم؟ قتال أبي لست مدة من صوري لا أكل إلا الطين لتتشف الرطوبة، فكتبت أبي لستاً لا ألقطت فإذا فغولت كل بشمه السفة من الطين، فكتبت أنول لم أنسب إليه شته. وفيه لا راتمة له، فكتبت ذلك. وقيل لك بذلك مدة إلى الشتم، لأنه إذا ترك شيئاً من الأكل لتصا حليته فحين يرجع له ثقة يشمه. من أسقته. أو بعد مدة قد اس الفشف، أو المنع اس الشيب العنقادي، له تصفيف كثيرة، منها منقلب الحكم ومنقلب الأسماء، المنفرد في شرح الجمع، المنفرد في المدايح ... وغيره.

أنظر في ترجمته: ابن حلكان: وفيات الأعيان (٣٤٤ / ١)، يقرت المصيري: معجم الأسماء (١٢٩ / ٥ - ١٣١)، وابن الصلح الحلبي: شذرات الذهب (٦ / ٥)، وروما كحالة: معجم المؤلفين (٢٥٧ / ٣)، والزرزكي: الأعلام (٢٧٤ / ٤).

(٧) أنظر: أنظر الرواة (٢١٧ / ٣).

(٨) السيوطي: بحية الوعاة (١٥٦ / ٢).

المسمى "شرح الحملة للعلامة عبد الله بن الحسين أبي البقاء العكبري" وهو ليس شرحاً للمعنى المفهوم للشرح بقدر ما هو إعراب لقسم كبير من أبيات الحملة^(٢)، ذكره عبر واحد^(٣).

وقد ذكرت بعض المصادر التي تناولت العكبري أن له "كتاباً حول حملة أبي تمام بلسم" شرح الحملة^(٤) وإن ننكر غير ذلك، وبعضها لم يذكر من مؤلفاته حول الحملة سوى كتاب واحد ولكنه بلسم "إعراب شعر الحملة". بينما نجد من المصادر من يذكر الكتابين معاً، فهل يعني هذا أن للعكبري كتابين حول الحملة، أحدهما في شرحها والآخر في إعرابها، أو أنهما كتاب واحد^(٥).

والذي يظهر لي - وأميل إليه - أنهما كتاب واحد باسم "شرح الحملة"؛ لأن هذه التسمية متواترة عند المؤرخين، ولا يعير من ذلك ما ذكره صاحب "تكت الهميان" من أن للعكبري شرحين أحدهما بعنوان "شرح الحملة" مختص بشرح الأشعار وتعليقها، والآخر بعنوان "إعراب شعر الحملة" مختص بإعراب أشعارها؛ إذ ليست هناك مسافة كبيرة بين الشرح والإعراب، فشرح أشعار الحملة يحمل في طياته إعراب الكثير من أشعارها.

كما أن ما ذكره صاحب "تكت الهميان"؛ ليس له سند يقويه عند من ترجموا للعكبري - وهم كثرة - ولوردوا مؤلفته

وما أرححه وأميل إليه، يقويه قول د/صيلان - وإن اختلف في تسمية عنوان الشرح - "والذي يظهر .. هو أنهما كتاب واحد اختلف اسماءه وظني أن للنسخ دوراً كبيراً في هذا الخلط وذلك لأن السحرة التي بين أيدينا من الكتاب عنوانها "شرح الحملة"، إلا أن مصمونيها - كما ذكرنا سابقاً - بدّل دلالة واضحة على أنها مجرد "إعراب للحملة"؛ وليست شرحاً لها بالمعنى المفهوم للشرح، ومن هنا كان ورود الكتاب لدى بعض أصحاب التراجم باسم "إعراب شعر الحملة" أوفق والصق بمصموني الكتاب^(٦).

لكن هذا لا يمنع كون العكبري له شرحان على ديوان الحملة، خاصة إذا علمنا أن بعض العلماء قد صنف أكثر من كتاب أو شرح على ديوان الحملة نفسه من قبله، ففتنيريزي (ت ٥٠٢ هـ) يروى - كما ذكرنا سابقاً - أن

(١) هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين صاحب التيسير أبو الفداء العكبري ثم الخدياني الأرحي المصري النحوي العلوي الترمذي صاحب التلخيص، عثر مشهور من أغلام لغة والأدب والفتنة، أصله من عكبر؛ باسم التيسير وسكون الكف وفتح الماء، وهي بلدة على نهر، وقد ولد في بغداد، وبرع في علوم اللغة والنحو. فرأى الفروغية على أبي بكر عسكر البطلمي، والحريّة على أبي العباس، وأبي البركات بن نجاح وفتنه على القاضي أبي بكر الصيرفي محمد بن أبي خازم وأبي حكيم النعماني، وبرع في اللغة والأسول، وحاز لقب الحق في العربية، وسمع من أبي الفتح ابن الطائي، وأبي روعة النعماني، وأبي بكر بن الفتور، وحامدة، وفخر بن الفسحة، أسرى في سبيل من الصديري قبل أن يملك داراً إلى يصعب كتاباً مع عدة مصنفات في ذلك الفن، ففرت عليه، ثم بلى بعد ذلك، فكان يقال: أبو الفداء تلمذ تلامذته يعني هو تلميذ لهم فيما يقرمون له ويكتولونه، ومن مصنفات أبي الفداء: استدل في إعراب القرآن، شرح ديوان المتنبي، شرح التلح لاين جنى، إعراب الحديث، الاستيعاب في علم المصباح ... وغيره. توفي العلامة أبو الفداء في ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وست مئة وكنى داخداً من بين وتعد وأوراد قتل في ترجمته، من ملكن: وبلغت الأصيل (٦٦٦/١)، والسيوطي: سيرة الوعاة ٢٨١، وتلطي. بيه الرواة (١١٦/٢)، وابن النعماني: شمعوت الذهب (١٦/٥)، والسيوطي: سيرة الوعاة (٤٠: ٣٨/٢)، والرواكي: الأعلام (٨٠/٢).

(٢) من هذا الكتاب نسخة مطبوعة باسم شرح الحملة، وهي محفوظة بكتبة كوس في تركيا تحت رقم ١٢٠٧، وقد كتبت بمطبعتي مهمل الأعلام في خمس الكلمات، وبعد أوراقها ٢٠٨، وفي الوجه الوراء ٢٧ سطراً، وقد بصفت في المصوم من سنة (٧٢٤ هـ) ومنه نسخة أخرى أيضاً في المكتبة المطبعية بتركيا، وقد مقطعت منها الصفحة الأولى التي تحمل العنوان، ومنه نسخة أيضاً في ليدن بلاتلور (١٩٤١)، فمشر بروكسلي: تاريخ الأدب العربي (٨٠/١)، ود/صيلان: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، طبع من ١٩٨٠، وداخسني: نسخة مقصدة شرح الحملة لشمس الدين أبي الفداء المصري، ص ١٤.

(٣) انظر: المصادر التي ترجمت له، وانظر كذلك: حاجي خليفة: كشف الظنون (٦٦٢/١).

(٤) د/صيلان: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، ص ١٩٠.

(٥) د/صيلان: حملة أبي تمام وشرحها دراسة وتعليق، ص ١٩٠.

له أكثر من شرح^(١)، وكذلك ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)^(٢)، وغير هذا كثير. ومن هنا فبدأنا لا نستفيد - أيضاً - أن يكون للمكبري شرحان على ديوان الحماسة، الأول هو "شرح الحماسة"، والثاني "إعراب شعر الحماسة".

وصوماً فإن هذا للكتاب تناول فيه المكبري - كما قل د/صولان^(٣) - جل قضاها النحو والصرف وأهمها، واعتمد في ملغته العلمية على لغة اللغاة والنحو المشهورين من مثل سيدييه، والأخفش، والمازني، وابن الأعرابي، وابن السراج، وأبي زكريا القزويني، والمبرد، وأبي علي الفارسي، وابن جني، والزمخشري، كما أخذ عن شيخه أبي محمد الخليل، مستهدداً بالآيات القرآنية، وبشعار العرب، وبشيء من الحديث النبوي، ويبدو أن المكبري قد اطلع على شرح الحماسة للمرزوقي، ونقل عنه في مواطن كثيرة بعض ما يتعلق بالأعراب. ونجده أحياناً يتصدى لمناقشته في بعض مما نقله عنه، موجهاً الإعراب حسب المعنى حيناً، والمعاني على حسب الإعراب حيناً آخر، متعرضاً خلال الإعراب إلى شيء من البلاغة.

ويبدو لنا أن ديوان الحماسة قد صلف في نفس المكبري هوى - وهو العالم النحوي - أشبع فيه رغبته العلمية النحوية، فحاول من خلال شرحه أن يقدم لنا صورة واضحة المعالم لمذهبه النحوي، وطمه وآرئه، وما يتصل بذلك من مذاهب النحويين، والأخوين. وإن لم يخل من بعض اللغات البلاغية، واللفظات الخاصة بالمعنى، مما يضفي على الشرح بعداً فنياً وتحليلياً إلى جانب البعد النحوي.

٣٧ - شرح أبي نصر قاسم بن محمد الواسطي^(٤) (ت ٦٢٦ هـ):

ذكره صاحب كشف الظنون^(٥)، وهو من الشروح المفقودة، التي لم تصل إلينا.

٣٨ - شرح أبي يوسف بن الفضل بن نظير الجذري^(٦) (عاش في النصف الثاني من القرن السابع

الهجري) :

يوجد مخطوطاً، بخط المؤلف، في المتحف البريطاني^(٧) في (٢٦٠) ورقة.

(١) لطر: ص ١٤٠ من البحث.

(٢) لطر: ص ١٤ من البحث.

(٣) لطر: د/ص ١٤٠ من البحث. دراسة وتحليل، ص ١٩٠ : ١٩٤، منها أراءه بقشود والأشعة.

(٤) هو قاسم بن نصر بن منصور أبو نصر الواسطي ثم البغدادي الشافعي، عالم بالعربية، ولد بواسط سنة ٥٥٠ هـ وتقل بالبلاد حتى برز مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها، ولقد عه إليه الحسن طاهر بن أحمد ابن باشة وبه تخرج وزوجته من لفته، وكان ابن باشة يسميه وبه انتفع. وصلت بمصر سنة ٦٢٦ هـ من تصانيفه: كتاب شرح التلخيص، كتاب في النحو رتبته على أبواب الجمل، وشرح من كل باب مسألة ... وغيره، وله شعر لو رد بقوت فمادح حسنة منه.

تظهر في ترجمته: محمد بن شمس التتيمي: لوات الوفيات (١٢٨ / ٢)، والمصنوعي: بنية الروعة ٣٨٠، وبقوت المصري: معجم الأدباء (١ / ١٨٥ - ١٩٦) ترجمة رقم (٩١٢)، ورضا كماله: معجم المؤلفين (١٢٢ / ٨)، والذوق: الأعلام (١٨٠ / ٥).

(٥) علمي حيلة: كشف الظنون (١ / ١٢٢).

(٦) لم نقل له على ترجمة.

(٧) لطر: لواء مسكونة: لفتح التراث العربي: ص ٢ / ج ١، ص ١١٦، حيث أشار إلى أنه موجود بالمتحف البريطاني، مخطوطات شرقية، تمت ولم (٢٧١١).

المسمى (مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة)^(٢)، لم يشر إليه أحد ممن ترجم له أو غني بفكر شروح الحماسة، من مثل صاحب كشف الظنون، سوى أن بروكلمان أشار إلى مكان وجوده^(٣). وهو مختصر من شروح أخرى أشار إليها في مقدمته، التي نحتت فيها بإيجاز عن "فصل اللغة العربية، وترجم بلمختصار لأبي تمام، وعند بحور الشعر مع لسان سريفة حول البحور وتعليل أسمائها، وتبع ذلك حنيث موحز عن الفواهي، كما نقل عن أبي ريش ما بعد أن عند أبيات الحماسة ثلاثة آلاف بيت وسبعمائة، ونقل ذلك أشار إلى الاسم الذي اختاره للشرح، وأصبح عن مسئلة فيه"^(٤). أما عن مصادر هذا الشرح أو بالأحرى المختصر، ونوافعه وأسلوبه والعناية منه، نجد في مقدمته التي صتر بها شرحه حيث يقول: "وبعد لأن طلبة من الأدباء وصيارفة من العلماء، كلهم هلال العسكري، وأبي ريش، وأبي الحسن السهمي، وأبي عبد الله النمري، وأبي محمد الأعرابي، وأبي علي المرزوقي، وأبي ألاء المعري وغيرهم، صرفوا على العناية إلى شرح كتاب الحماسة، واحتجوا من غير فلسفة، فأخذوا وأحباوا بحر أنهم منوا لطباب الإطباب، وأسباب الإسهاب... وخير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيخل، فاستغرت الله تعالى في تحريده هذا المختصر، وحملته من الاختيارات كالمختصر، وأتيت به كامل الرويق والزي، وطهرته بما يتعلق به من صحاح أبي نصر الجوهري، وسميته "مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة"، إذ أبلغ سلس الكلام وبند زمانه، لأنه أبو عشرة، حلوه ومره، وقمت قبل الشروع فيه فصولاً، جعلتها لتقرير قواعده أصولاً، ومن الله تعالى أطلب التوفيق لإتمامه، والتحقق من إنكائه إلى ختامه"^(٥). (إن فشرحه هذا مختصر من شروح أخرى، مثل غيرها الإطناب والإسهاب؛ مما دعا إلى اختصار تلك الشروح في شرح موجز مختصر، لا هو بالكتاب المثل ولا بالتأويل المثل، وإلى جانب اعتماد في الشروح اللغوي على كتاب الصحاح للجوهري كما أشار إلى ذلك في المقدمة، نراه كذلك "يبتل عن بعض أئمة اللغة" والنحو، من مثل الخليل بن أحمد، والأحفش، والزجاج، وابن السراج، والفراء، والجواليقي، وعن شخبه أبي اليمس الكندي، ونقل عن تاريخ ابن عسكرو، كما أحتل إلى كتابه مرآة الرمان في الحديث عن بعض الشعراء"^(٦). وسبط ابن الجوزي في شرحه لم يلزم في نقله واقتبسه نسبة الأقوال إلى

(١) هو شمس الدين أبو المعز يوسف بن قراو غلي التركي المغناطي، كل والده حسن الدين قراو غلي من مملوك الورور عون الدين يحيى بن هيرة، موضح من الكتاب الوسيط وقد ولد سبط ابن الجوزي بمصر عام ٥٨٤ هـ. ونشأ بها في كنف أحد أمه العفد أبي الفرج أبي الجوزي، وقد تلقى العلم عنه وعن غيره حتى برع في علوم كثيرة، وقدم بحث وأصولها، ودرس بها والفن، وكان في نسبه خطبه ثم تحول إلى مذهب أبي حنيفة، له كثير من المصنفات، من أشهرها كتابه في التواريخ والترجم (مرآة الزمان في تواريخ الأئمة) وصحة صاحب النجوم الزاهرة بده من أجل التفت إلى مصنفه، وأشار إلى أنه أحد من كتبه، ومن مؤلفاته أيضاً تفسير القرآن في (٢٩) مجلداً كما قال بلقيس، وشرح الجليل الكبير، وعرف سبط ابن الجوزي بلمفئته وعروة وعطية، وبالمنظومة لدى الملوك والسيما تلك المصنف يحيى بن أبيوب، وتوفي عام ٦٥٤ هـ. نصر في ترجمته أبو المصنف الحسيني: شيرات الذهب (٢٦٦/٥)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٣/٩٤، ١٤٥)، وابن نمري: بردي الأشجعي: النجوم الزاهرة (٢٩/٧)، وابن شكري الكندي: لؤلؤة الوفاة (٢٥٦/٤)، وابن خلدون: فيهايت الأصيل (٢٥٠/٢)، ورمسا كعانة معمم الوثائقي (٢٢٤/١٣)، والبركلي: الأعلام (٢١٦/٨).

(٢) وقد أورد د/عبدالله في كتابه: حماسة أبي تميم وشروحها دراسة وتأويل، فخر من ١٢٥. في من هذا الشرح نسخة مطبوعة محفوظة في مكتبة جامعة استنبول تركيا تحت رقم ٧٧٨، وكنت بمحض نصفي، وعدد أوراقها (١٩١) ورقة، ومقبس الورقة (٢٥٠ ١٢٥) والصفحة بقصة من آخرها وقد جاءت إشارة في آخر الجزء الذي أطلع عليه نيل علي إلى الجزء العاشر قد انتهى ونثوه الجزء الحادي عشر حسب تقسيم انتماء اشكاف الزاهد إلى أجزاء صغيرة كل جزء يرب من (١٩) ورقة، ونظر وصفه للمخطوط في متن من ٩٥ من نفس الكتاب ما بعد من حصة منه إلى سبط ابن الجوزي وأن لم يرد اسم مؤلف هذا الشرح في صفحة المخطوط من المخطوطة وإنما ورد فيها اسم الكتف بنقل قلنا: "لا" أما لا يفت إلى بعد في عيون الكتف ما يشير إلى أنه من تصليف سبط ابن الجوزي، ذلك لأن الشرح قد تعرض لابي تمام بترجمة موجزة هي مقدمة الشرح، ثم عقب عليها بقوله "ولد أسنوفيا أمراء في كتابا المسمى بمرآة الزمان في تواريخ الأئمة"، ومن المعروف أن هذا الكتاب من تنوير سبط ابن الجوزي. وهو من أشهر كتب التلخيص، وقد طبع في جزء منه في حيدر أباد والهند، وعلى هذا الأسلوب يدرك ما لا يقلل الشك أن هذا الشرح الذي بين أيدينا بعد أحد مصنفات سبط ابن الجوزي، ومن هذا الشرح نسخة خطية في معهد المخطوطات تحت رقم (٧١٠) لب، مسورة من نسخة جامعة استنبول شقيقة، انظر د/حسين بقنة: مقدمة تحقيق شرح الحماسة للمصنف النمري، من ٢١٠، ٢٠٠، وانظر كذلك: شرح بروكلمان. تاريخ الألب العربي (٨٠/١)، حيث أشار إلى مكان المخطوط بالمكتف البروطي (١١٨).

(٣) خزل بروكلس: تاريخ، "ألب العربي" (٨٠/١)، وانظر كذلك: د/عبدالله: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتأويل، من ١٩٦، د/حسين بقنة: مقدمة تحقيق شرح الحماسة للمصنف لأبي العلاء النمري من ٢١٠، ٢٠٠.

(٤) د/عبدالله: حماسة أبي تميم وشروحها دراسة وتأويل، من ١٩٦.

(٥) سبط ابن الجوزي: مقتضى السبله في شرح نكت الحماسة ورقة ١٢، نقل عن د/عبدالله: حماسة أبي تمام وشروحها دراسة وتأويل، من ١٩٦.

(٦) د/عبدالله: حماسة أبي تميم وشروحها دراسة وتأويل، من ١٩٦.

أصحابها في "كثيرا ما يعمل سبط ابن الجوري نسبة الأقوال إلى أصحابها، الأمر الذي يجعل من الصعب أن نميز ما قرره هو من مخزون فكره لتبيين مسلكه فيه، مما نقله عن الآخرين، لكي نتجاوز به على اعتبار أنه لغيره، ويصعب من غير المجدي أن نتبين منهجه فيه وهو من نتاج أحد الشراح السابقين له"^(١). وربما يكون مرد ذلك إلى أن اهتمامه بتلخيص الشروح السابقة له، واختصارها في شرح موجز، قد طغى على اهتمامه بجلب التوثيق ورد الأقوال الواردة في شرحه إلى أصحابها. وأيا ما كان الأمر فإن حرص سبط ابن الجوري على التنصريح بالشروح التي بقى عنها، وكذلك المصدر التي اعتمد عليها، تشهد له بالأمانة العلمية، وإن دخل عن اتباع المنهج العلمي في التوثيق والنقل. لقد جاء شرح سبط ابن الجوري - كما أسلفنا - مختصرا من شروح أخرى موجرا، احتل فيه الحقب المعري والتحتوي نصيب كبير، حتى أصبح يمثل الاتجاه السائد في شرحه، كما ظهر الحقب التاريخي في شرحه متأقلا يبرز فيه نجمه كمؤرخ معروف، وله قلم راسخ في التاريخ. لذا نحدد في الحقب التاريخي يعرض أحيانا لبعض الأخبار التاريخية المتعلقة ببعض الشعراء والشعر، متصديا بالمناقشة لبعض ما أورده الشراح السابقون من أخبار تاريخية، أما باقي الجوانب الأخرى للشرح مثل: روايت الشعر، والمعاني، وجلب النقد والأدلة، جاءت قليلة لا تعدو أن تكون مجرد إشارات سريعة وخاطفة، لم تقل ما ناله الحقب اللغوي والحقب التاريخي من الاهتمام^(٢). وعلى العمدة فإن هذا الشرح لا يدخل من فائقة خاصة في الحقب اللغوي، والتاريخي، لكن يؤخذ على الشراح - كما أسلفنا - عدم التزامه برّد الأقوال إلى أصحابها؛ مما أدى إلى صعوبة تمييز آرائه واستنباطها من الشرح، ومرد ذلك - في ظني وكما أسلفت - إلى طغيان اهتمامه بجلب التلخيص - الذي هو هدفه من الشرح - على جنب التوثيق والتحري.

٤٠ - شرح أبي الحسن علي بن مؤمن المدعي بابن عصفور^(٣) (ت ٦٦٩هـ):

ذكره ابن شلكر الكتبي^(٤)، لم أقف عليه، ويبدو أنه من الشروح المفقودة.

٤١ - شرح الحسن بن أحمد الأستراباذي^(٥) (ت ٧١٧هـ):

ذكره غير واحد^(٦).

(١) د.عبدالله حسانة في تلمذ وشيوخها دراسة وتحليل: ص ١٩٧.

(٢) التبريد من شواهد والأدلة، قطر: نفسه: ص ١٩٨ : ٢٠١.

(٣) هو علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الأشعري، أبو الحسن المعروف بابن عصفور: كان لواء العربية بالأندلس في زمانه ولد بطنسيفيا في عام السيل الكبير بونشاً في بقلعة بولقد عن عظمائها الأحملة وفي أشوليا داغ صيته وعلا ذكره وانتسبت شهرته. قال عنه ابن الزبير: أخذ عن الرباج والشلوبين بولازمه منذ، ثم كلف بينهما منفرة ومقطعة وتصدر للاشتغال مدة ما قبل عليه الطلبة وكان أصغر الناس على المطالعة. لا يقل من ذلك، ولم يكن عده ما يؤخذ عنه غير الجوري لا تأمل لغير ذلك بولد بطنسيفيا و توفي سنو سنة ٦٦٩هـ. من مصنفه: "الفقرب" المجلد الأول منه في الشعر والتمثيل في التصريف والفتاح واللباس والمصنع والسنن والعدا والشرح الجمل والشرح المتنبى والشرح الشعراء لغيره في ترجمته ابن شلكر الكتبي: فوات الوفيات (٩٣ / ٢)، وابن الصلح الصبلي: شذرات الذهب (٣٠ / ٥). وأخرى: الأعلام (٢٧ / ٥).

(٤) ابن شلكر الكتبي: فوات الوفيات (٩٣ / ٢).

(٥) هو الحسن بن أحمد أبو علي، الأستراباذي، سمي في بلد لمراند، الحوي، اللخوي، الأديب الفاضل، وقد اختلف في اسم الأب هل هو أحمد أم محمد، وكذلك هل هو أبو علي أم ابن علي، فقد جاء في كشف الظنون ابن علي، ولكن في معجم الأديباء وبيعة الوعة الحسن بن أحمد الأستراباذي أبو علي لشعري الأديب لوجه رمله، وكلاهما سب إليه شرح الحسانة والظاهر أنه هو المذكور في كشف الظنون وفي حروب أبي علي دار عتي والصواب الحسن بن أحمد، واستمر له مدونة كثيرة مشهورة في شمال فارس، من أصل طنوسيل، تتلمذ على مصر الدين الطوسي، وسبب الدين الأدي، ومن تلامذته تاج الدين الأديبي. وكان الأستراباذي فحوا، صريفا، لمويا، فقيها، يضاف إلى ذلك أنه كان عالما في لسانك والطب وعلم الكلام، وله تصنيف مفيدة في كل هذه المجالات منها: شرح التصحيح، وشرح الحادي الصغير، شرح المطالع في السطوح، وغيره. لم تذكر لنا كتب التراجم التي ترجمت لذكر الدين شيئا عن والده ويبدو أن والده لم يكن من ذوي الحد والمسلط والسكينة العلمية المرموقة ليزكر وتتناوله الكتب وكذلك لم تمتدح من السنة التي ولد فيها، ظهر ما جاء في بعضها على سبيل التلميح لا التصريح وقد كتبت "مؤرخون حول السنة التي توفي فيها الأستراباذي. وكذلك حول الشهر الذي توفي فيه، إلا أن صاحب كشف الظنون ذكر وفاته في ٧١٧هـ.

فتنر في ترجمته: بياض العموي: معجم الأديباء (٥ / ٨) ترجمته رقم (٣٠٧)، والسيوطي: بحية الرعدة (٤٩٩ / ١)، وابن الصلح الصبلي: شذرات الذهب (٢٥ / ٩) تحت وفات سنة ٧١٥هـ، وابن عمري: بردي الأديبي: نجوم الزاهرة (٢٢١ / ٩)، ورضا حكمة: معجم المؤلفين (١٩٦ / ٣)، والزرزكي: الأعلام (٦١٥ / ٢)، ولواء سر كين: تاريخ التراث العربي: مع ١ / ج ١ ص ١١٥.

(٦) قطر: بياض العموي: معجم الأديباء (٥ / ٨)، ومجدي: حياة: تحت الظنون (١٩٩ / ١)، والسيوطي: بحية الرعدة (٤٩٩ / ١)، ورضا حكمة: معجم المؤلفين (١٩٦ / ٢).

أشار فؤاد سزكين إلى مكان وجوده^(١)، فذكر أنه كان ضمن مقتنيات إحدى المكتبات في حلب، في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، ويحتل وجود هذا الشرح في الجزائر.

٤٢ - شرح إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بـ ابن الحاج الفرنطلي^(٢) (ت ٧٦٨ هـ):

ذكره صاحب الإحاطة^(٣)، وذكر أنه لم يكمله، وهو من الشروح المفقودة.

٤٣ - شرح محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد للشهير بـ ابن زاكور الطليسي^(٤) (ت ١١٢٠ هـ):

المسمى "عنوان النقلة في شرح ديوان الحماسة"، ويوجد مخطوطا في دار الكتب الوطنية التونسية (القسم الثاني) تحت رقم (٦٤٤٤) وأصله من مكتبة حسن حسني عبد الوهاب كما هو منصوص عليه. ويقع في (٢٢٨) ورقة، وكل ورقة من وجهين، وفي كل وجه (٢٥) سطرا، بخط مغربي رديء، والقسم الأخير منه مطموس، لم يعرف للنسخ ولا تاريخ النسخ، كما أن هناك نسخة خطية في المكتبة الظاهرية بدمشق (القسم الأول) تحت رقم (٨٦٨٩)، وهو يقع في (٢٣٤) ورقة^(٥).

وهذا الشرح يقوم على "شرح الألفاظ وإعراب بعض الكلمات"^(٦)، فهو بذلك يندرج تحت لواء الشروح النحوية واللغوية التي تعرضت لديوان الحماسة بالتفسير والتحليل.

٤٤ - شرح سيد علي المرصفي^(٧) (ت ١٣٤٩ هـ):

المسمى "أسرار الحماسة"^(٨)، ويبدو أنه لم يتمه، إذ لم يخرج منه سوى الجزء الأول، وهو عبارة عن شرح موجز لمقطوعات من باب الحماسة فقط تبلغ عدتها (١٢٣) مقطوعة، فلم يشرح ديوان الحماسة كاملا، متبعا تصنيفا جديدا لم يعده عند غيره ممن تعرض للحماسة، وهو ما يبدو لنا من خلال مقدمته التي صدر بها كتابه، واضحا معالم واضحة لمنهج الذي لخصه لنفسه حين قال: "ولذلك رأيت أن أرتبه خلاف ذلك للترتيب، مراعيًا في كمال تهذيبه أجمل تهذيب، فقسمت أشعالي باب الحماسة لخمسين، وجعلتها محصورة في اثنين، أولهما رسمته

(١) انظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ٢ / ج ١، ص ١١٥.
(٢) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم المبري، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أديب أندلسي من كبار الكتّاب. ولد بمرغطة، ثم رحل إلى المغرب، وعاد إلى البرقية، وانتهى بالقبول إلى الأندلس، فاستقل في السفارة إلى الطول، حتى أسره الفرنج، فقدمه السلطان بمال كثير. له شعر جيد وتصانيف منها: المساهلة والمسماحة في تبين طرق الدعاية والمزاينة، تنعيم الأضياع في محادثة الأرواح ... وغيره.
انظر في ترجمته: أبو الحسن أحمد بن محمد المكناسي: جنود الأندلس في نكرو من حل من الأعلام مدينة فاس، طبع دار المنصور، الرباط ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٢ م، ص ٨٧، وأحسن الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه / محمد عبد الله غزالي، مكتبة الفخري بالقاهرة، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٢ م، ص ٢٤٢، ولم يذكرنا وفاته، والزركلي: الأعلام (١ / ١).
(٣) انظر: إسماعيل الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة (١ / ٣٤٧).
(٤) هو محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد، ابن زاكور الطليسي، أبو عبد الله، كتيب فاس في صر، مولده ووفاته فيها، من مناصبه: إمامهم من لامية المصم، نشر زاهر البستاني فوس أمزازي بالجزائر وتطوان ... وغيره. وديوان شعر.
انظر في ترجمته: بقوت المصم: معجم الأديباء (٧ / ٢٣٠)، والزركلي: الأعلام (٧ / ٧).
(٥) انظر: داهمين نشأة مقنة تحقيق شرح الصلوة للمصم، ص ٢٢، انظر كذلك: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، مج ٢ / ج ١، ص ١١٦.
(٦) داهمين نشأة، مقنة تحقيق شرح الصلوة للمصم، ص ٣٢.
(٧) هو سيد من علي المرصفي الأزهرى: عالم من علماء اللغة والأدب في الجيل الأول من العصر الحديث، وكل من صناعة كبار علماء الأزهر الشريف وتولى التدريس فيه، إلى أن لاقى منه الشهوة، وكسرت سلطه فاعتكف في منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب فكلل بهند لهم حلقه لدرس، إلى أن توفي عام ١٣٤٩ هـ. ومن أشهر مؤلفاته رغبة الأمل من كتاب الكلام، وقد كان مولدا بالأدب كذا بالشرح في مقله وأثره، ومن هذا المنطلق عمد إلى شرح مولاه من كتاب الكلام للبرود، كما حرص على نشر في حماسة أبي تامل، لفت حولها كتبه الذي بعد موضع حديثنا هنا.
انظر في ترجمته: الزركلي: الأعلام (١٤٧ / ٢).
(٨) طبع من هذا الكتاب الجزء الأول ببطمة في اليوم بمصر، الطبعة الأولى ١٣٣٠ هـ، ١٩١٢ م.

موضوعات أدبية، وتلقيهما رسمته بشعراء الوقت الجاهلية الإسلامية، مقاما الشاعر الجاهلي على الإسلامي، والأمري على العباسي، ملتزما إيراد التصديقة متى عثرت عليها بالتمام، منها في أثناء ذلك على ما صنعت يد أبي نعلم، ولست في تنوير معانيه، وبين مغايرته، متبعا لقوم مدوا أيديهم على ذلك النيوان بالكتابة، وظنوا أنهم يوفقوا سهام الصواب وقد أخطأوا غرض الإصافة فكثيرا ما يخلطون في أوضاع اللغة ولا ينتبهون، ويخطئون في بيان ما تقتضيه لسان الشعر وما يشعرون، ملأوا كتبهم ببضاعة الإعراب والبناء، وتحقق ما نساء ابن خروف أو انتحاه الفراء، رحمهم الله تعالى وهذا بحمد الله قد أنعمت فيه النظر، وأمنعت الفكر، وسهرت فيه طوال الليالي، حتى أحسنت الصنيع فيه على ما بدا لي (وما أبرئ نفسي) معتمدا في رواية الشعر على صدق الرواية، وفي نقل اللغة على ثقة النراية، نظرنا لوضع الكلمة مع صاحبيتها في التراكيب، وحملها على ما يناسب من المعاني شهادة الأساليب، وربما كررت معنى الكلمة حيث وقعت، تقتضت أو تأنرت، قاصدا ألا يحار الألباب في معانيها إذا هو نظر منهاها، وغلبة ما أتمناه نفع الأمة بما جمعه أبو نعلم^(١).

ويبدو أن المرصفي في تصنيفه "مقتدر بالبحراني الذي صنف الشعر في حملته حسب موضوعات متعددة بلغت (١٤٧) موضوعا، وقد انتزم المرصفي في تصنيفه الذي تحتها أنه ينكر الشعراء حسب الترتيب الزمني، بلنا بالجاهليين، فالإسلاميين، فالأمويين، فالعباسيين"^(٢).

وفي شرحه الأبيات، يهتم كثيرا بالجانب اللغوي بشكل واضح حتى طغى على جوانب الشرح الأخرى، كما كان يلتزم أقرب المعاني مع الإيجاز في أدائه لحقيقه، أما في جانب الرواية فنرى فيها منه لما يراه غير ملائم أو صحيح من الروايات التي يذكرها أبو نعلم أو غيره، معتمدا على أساس من النحو^(٣) أو من اللغة ومعاني الشعر^(٤)، أو على أساس تاريخي^(٥)، وفي بعض المواطن تحده بصوب للرواية نقلا عن رواية اللغة والأدب المشهورين^(٦)، وقد تعرض المرصفي - كذلك في شرحه - إلى بعض المسائل البلاغية: كالاستعارة^(٧)، والمجاز^(٨)، وقد يتعرض لشيء من ألوان اليباع ويعرف به كالاستطراد^(٩)، أما في جانب النقد فتجده أحيقا بجبر عن استحسانه واستجفائه لبعض أبيات للشاعر، ويوضح وجه الاستجادة^(١٠)، وفي تنويعه للجانب التاريخي أبرز ما تجده هو تعرض المرصفي لتراجم الشعراء بشكل موجز، وغالبا ما يقتصر في ذلك على ذكر اسم الشاعر ونسبه، وتعيين زمنه، وأهم ما يحدد شخصيته^(١١)، وقد يتعرض أيضا خلال ذلك إلى تصحيح نسبة الأبيات إلى تقليدها^(١٢).

هذا وبعد شرح المرصفي من أهم شروح الحنفية في العصر الحديث، إذ أن أغلب الشروح الأخرى - اضي الشروح الحديثة - لا تعدو أن تكون مجرد تلخيص لشروح قديمة، أو إضافة صياغة لها بلباس جديد، مع إضافات - إن وجدت - قليلة، لذلك سنكتفي بالإشارة إليها دون الخوض في محتواها وتفاصيلها، نلبس من المعدي أن نتيين منهاها، في حين أننا نعلم أنها مأخوذة من غيرها، ومن هذه الشروح:

- (١) نظر مقدمة لسرا المصنف في الصفحة للمرموز لها بحرف (ز).
- (٢) د. صليبي. حسانة أبي نعلم وشروحها دراسة وتحليل، ص ٢٠٤.
- (٣) نظر: المرصفي: أسرار المصنف ص ٥٧.
- (٤) قطر: نسه: (٧٧/١) ونظر ما يمثل ذلك (١٧٠١/١).
- (٥) نظر: نسه: (٧٤/١).
- (٦) نظر: نسه: (٩٦/١)، ونظر ما يمثل ذلك (١٦/١) حيث نقل عن أبي عمرو بن العلاء.
- (٧) نظر: نسه: (٩٩/١)، ونظر (١٢٠٣٩/١).
- (٨) نظر: نسه: (١٢/١)، ونظر ما يمثل ذلك (٢١٠٢٠/١).
- (٩) نظر: نسه: (١٢٤/١).
- (١٠) نظر: نسه: (٦٧/١)، ونظر ما يمثل ذلك (٢١/١).
- (١١) نظر: المرصفي: أسرار المصنف: (٣٨/١) حيث يتزم قلب شعراء، ونظر (١٢٧٠، ١٢٧٠، ١٢٧٠).
- (١٢) نظر: نسه: (٣٨/١) حيث يصحح نسبة شعر إلى كرويس بن نفاة.

٤٨ - شرح حديث منسوب إلى الألبوب "محمد عبد القادر سعيد الرافعي، بينما يرى بعضهم أنه" للمفلور له أستاذنا الشيخ إبراهيم النجفوني"^(١).

ولقد طبع هذا الشرح عدة مرات^(٢)، وهو عبارة عن اختصار لشرح التندريزي، وهو مطبوع معه، وقد غني الرافعي بتصحيحه.

وهناك شرح باللغة الفارسية، هو:

٤٩ - شرح للأحمدي باللغة الفارسية:

يوجد مخطوطا في طهران^(٣)، في (١٢٠) ورقة، نسخ عام ١٢٥٠ هـ.

٥٠ - شروح مجهولة:

أشار إليها بروكلمان، وفزاد سزكين وغيرهم، ونبهوا على نسخها المخطوطة^(٤).

وبجانب هذه الشروح نجد من الأدباء من يتلمس خطي أبي تمام في حملته إما معارضا، أو محاكيا، مثل ما نجده من الطبيب المعظفر بن أحمد الأصفهاني. حيث نظم ديوانا عارض فيه ديوان الحملة بيتا بيتا، وذلك في عهد ملكشاه السلجوقي، الذي تولى الملك (٤٦٥ هـ : ٤٨٥ هـ)^(٥)، وكذلك ما كتبه أبو حفص عمر بن منقّر بن عبد السلام الصنفي، في منحنى "حملة أبي تمام" فكان مؤلفا حسنا أفاد به^(٦).

وبعد لهذا قليل من كثير خلفه لنا يد الزمان من شروح لديوان الحملة، والتي استطاع الباحث التعرف عليها، ولا زالت بطون الكتب تحوي الكثير والكثير من تلك الشروح، التي تحتاج لكثير من الجهد واللبذل للوصول إليها، وكشف اللثام عنها، إلى جانب ما يرتد منها مخطوطا كاملا أو مجزأ في مكتبات العالم المختلفة.

وما تزال عجلة المطابع تنور؛ لتخرج لنا شروحا جديدة لديوان الحملة، الذي شغل الناس في المشرق والمغرب، حتى أن للحملة كانت "من أوائل الكتب التي طبعت في أوروبا، أو العالم الإسلامي، أو العالم العربي، فقد طبعها إفريقيا في بون، في جزين عام ١٨٢٥ م - ١٨٤٧ م، وطبعت لأول مرة في مصر، في مطبعة بولاق عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٧٠ م، ثم توالى طبعها بعد ذلك، ولما ترقفت حتى يومنا هذا"^(٧).

ويمكننا من خلال العرض التاريخي السابق أن نقف على بعض الملاحظات، هي:

(١) انظر: عبد السلام هارون، مقدمة تحقيق شرح ديوان الحملة للبرزوقي: ص ١٥.

(٢) سها مطبعة مطبعة التواقيع، مصر سنة ١٢٢٢ هـ.

(٣) لؤاد سزكين، تلويح لتوقف العربي، مع ٢ / ج ١، ص ١١٧.

(٤) انظر: كارل بروكلمان: تلويح الأدب العربي (٨٠ / ١)، ولؤاد سزكين: تلويح القوافل العربي، مع ٢ / ج ١، ص ١١٦، د/حميد تقي:

مقدمة تحقيق شرح الحملة المنسوب للعري، ص ١٦.

(٥) انظر: كارل بروكلمان: تلويح الأدب العربي (٨٠ / ١)،

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأصفهاني الأوسي المراكشي، الديل وتكملة لكتفي التوسول والسلة، تحقيق/إبراهيم صلي، دار

التقفة، بيروت، ١٩٦٥ م، (٤٢١ / ٥)،

(٧) د/الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصنف الأدب العربي، ص ١٢٧.

١ - هذه الكتب المشار إليها ليست كلها شروحا بالمعنى المفهوم للشرح، لكن منها - أيضا - ما هو قلم على يد بعض الشروح.

٢ - عندنا من هذه الشروح صنت عليه الأيام، فضاع مع ما ضاع من تراث أمنا العربية والإسلامية، مثل: شرح أبي رياش، وشرح أبي العلاء المعروف باسم "الرياشي المصطنعي"، وشرح أبي هلال العسكري، وشرح أبي الندى.

وعندنا آخر مخطوط، وهو على نوعين: أحدهما: مجهول الهوية، والآخر: معلوم الهوية والنسب، ولكنه بحث إلى من يرسل عنه غبار الزمن، مثل: شرح أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني، وشرح الفسوي، وشرح الأستراباذي.

أما الأخيرة، فهي تلك الشروح المطبوعة المتداولة، بين الدارسين والقراء، مثل: شرح المرزوقي، وشرح النبريتي، وشرح أبي عبد الله النمري... وغيرها مما سبق ذكرها.

٣ - يمكن تقسيم هذه الكتب والشروح قسمين رئيسين:

القسم الأول: هو تلك الشروح التي - إن شاء الله - ساعتمد عليها في هذه الدراسة؛ لقيمتها الفنية أولا، ونبرتها ووفوي عليها ثانيا، ولأنها تنتمي إلى حقل الدراسة المنوط بها البحث نلثا. هذه الشروح والكتب هي:

- شرح أبي عبد الله النمري. ورد أبي محمد الأعرابي الملفت بالأسود العنجداني.

- شرح ابن جني: انتبيه على شرح مشكل أبيات الحملة.

- الشرح المنسوب إلى ابن فارس.

- رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة لأبي هلال العسكري.

- شرح المرزوقي.

- شرح الأعلم الشنتمري.

- الشرح المنسوب إلى أبي العلاء المعري.

- شرح الخطيب النبريتي.

- شرح سيد علي للمرصفي.

- شرح الشيخ بهاء الدين بن لقمان.

أما القسم الثاني، فهو خاص بتلك الكتب والشروح التي تجاوزتها، ولم أعتمد عليها في هذه الدراسة؛ إما لأنها مفقودة - أو هكذا يظن - وهي: شرح أبي بكر الخسولي، وشرح أبي جعفر أحمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي المعروف بابن النحاس، شرح أبي ريش، شرح النيمرني المنقود، شرح الأمدني، شرح الشمسلي، شرح أبي هلال العسكري، شرح أبي الندي، شرح الهروي، شرح الخطيب الإسكلي، شرح ابن سيده، شرح الميكللي، شرح الساملي، شرح أبي عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخبزي، شرح أبي بكر عاصم بن أبوب اللوي البطلوسي، شرح أبي العلاء المعري المعروف باسم "الرياسي المصطنعي"، شرح ابن الدميك، شرح أبي المحسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس البيهقي، شرح أبي الحسن علي بن الإسلام أبي القاسم زيد بن الحارث البيهقي، شرح الشيرازي، شرح علي بن الحسن بن عترة بن ثابت المعروف بشميم الحلبي، شرح الواسطي، شرح ابن عصفور، شرح إبراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الحاج الفرنطلي.

وإما لأنها ليست لها من القيمة الفنية ما يضطرني للبحث فيها، وخير دليل على ذلك ما ذكره د/حسين نقشة عن شرح عبد القادر الراقي إذ يقول "لا يوجد فيه كبير فائدة"^(١)، وهذه الشروح - إلى جانب الشرح السابق - شرح سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغي.

وإما لأنها خارج حقل الدراسة المنوط به البحث - كما يرى الباحث - كشرح الهمذاني.

وإما لأنني لم أستطع الوقوف عليها كشرح النيمرني المخطوط وشرح أبي الرضا الراوندي، وشرح ابن الأثيري، وشرح أبي إسحاق إبراهيم بن ملكون الحضرمي الإصبلي، وشرح أبي إتيقاء العنبري، وشرح أبي يوسف بن الفضل ابن نظر الجزري، وشرح ابن عصفور، وشرح الاستراباذي، وشرح ابن زاكور القلي، وشرح مولوي كبير الدين أحمد، ومحمد غلام رباعي، وشرح المولوي فيض حسن، وشرح للأحمدني باللغة الفارسية.

لوائك الشروح المجهولة.

٣ - الشروح التي ستعتمد - إن شاء الله - عليها هذه الدراسة، متفاوتة للقيمة الفنية، فمنها ما هو عالي الطبقة كشرح المرزوقي، ومنها ما هو متوسط الطبقة كشرح التبريزي، ومنها الذي تأخرت رتبته مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس.

٤ - تفوت أحجام هذه الشروح بين كبير ضخم مثل شرح ابن سيده، ومتوسط مثل شرح التبريزي، وصغير مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس، وكذلك تفاوت مناهج أصحابها، ومناهجهم الأدبية، ومن هنا اختلفت القيمة الفنية لهذه الشروح.

لكن الملاحظة الجديرة بالتوقف عندها هي اهتمام النقاد والأدباء بصفة عامة بشرح المرزوقي لديوان الحماسة، وإقبالهم عليه منذ ظهوره، حتى تعددت الدراسات القيمة على هذا الشرح دون غيره، فكان التركيز الأكبر للباحثين المهتمين بديوان الحماسة بل والمهتمين بالفن القديم منصبا عليه، إلى جانب مكافة الشرح الكبيرة، وقيمتها الفنية العظيمة، تأتي مقامه المهمة، التي أثرت الدراسات النقدية، وأسلت للعديد من المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالقرن القديم، ولعل هذا ما دعا الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن يقول، وهو بصدد الحديث عن الحماسة:

(١) د/حسين نقشة: مقامة تحقيق شرح الحماسة المنسوب لأبي العلاء المعري، ص ١١.

"وأكثر هذه الشروح تداولاً بين الناس هما شرحا التبريزي والمرزوقي، ولكلا للشرحين مميزاتهما الخاصة، وإن كان الميل إلى تفصيل شرح المرزوقي، فشرح المرزوقي - وإن كان أقدم وأسبق - هو أوفى الشروح، وفيه يتصدى المرزوقي بالتأني لبيان المعنى واستقصائها، معتمداً في هذا على ذوقه الأدبي المربى، وخبرته الواسعة بالشعر العربي. هذا في حين يخلب على شرح التبريزي طبع التحليل اللغوي، والاهتمام بمسائل الانتقال والتصرف، مع العناية بالخلفيات التاريخية التي تشرح منسلة النص الشعري، ويبقى بعد كل هذا لشرح المرزوقي لصيغة المقدمة النقدية الرائدة التي تصدره، والتي نالت فيها المرزوقي كثيراً من فضلياً الأديب، وحده - للمرة الأولى - مفهوم عود الشعر ونصل القول في عاصره"^(١)، بل ودفع بعض الباحثين بالقول عن شرح المرزوقي للعمامة بأنه "شرح لم يحظ بما حظيت به مقدمة المرزوقي به"^(٢).

وبعد كانت تلك هي الشروح التي اعتمدت عليها وسوف أتناولها - إن شاء الله - بالشرح والتحليل في الأبواب والفصول التالية.

...

(١) د/ع شبيب إسماعيل: المسافر الأدبية والحرية في التراث العربي، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠ م، ط ٢، ص ٩٦.
(٢) د/ع صبرة: شرح المرزوقي الطرية والإجراءات، المصنفان لشعر والإعجاز، التمهيد، ص ١١.

الباب الأول

القضايا النقدية في الشروح

- الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى
- الفصل الثاني: قضية الأخذ بالأبهي
- الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى

الفصل الأول: قضية اللفظ والمضى

لقد شغلت هذه القضية - ولا تزال - حيزاً كبيراً من اهتمام النقد القدامى والمحدثين على السواء، وهي تعد "نتيجة حتمية من نتائج التفكير النقدي والعقدي الذي ساد في القرن الثالث الهجري، وهي صورة حتمية من صور التفكير المنطقي الجامد والنظرة الشكلية للشعر"^(١).

حيث خضعت هذه القضية منذ ظهورها لأراء النقاد وتباين آرائهم، حتى "إن العلماء، من قدامى ومحدثين - على كثرتهم، وعلى طول ما عالجوا هذه القضية - لم يتفقوا على رأي واحد، تطعن إليه النفوس المتطرفة إلى معرفة الحقائق على وجهها الصحيح الصريح"^(٢)، وأن هـاك من انتصر لللفظ على المضى، ومن انتصر للمضى على اللفظ، وهناك من رضي بالمسواة بينهما^(٣) "لقد فصل القنماء بين اللفظ والمعنى، وكذلك فصل بينهما بعض المحدثين، وكثت أكثر عبارات القنماء نذل على أن المتكلم يستحضر المعنى في ذهنه - أولاً - ثم يبحث له عن لفظ يؤديه به"^(٤). وفي عن اليان أن الاهتمام بهذه القضية امتد إلى الشراح أيضاً، ولما لا وهم يعنون من نقاد الشعر ومحلّيه على كلفة مستويقه الفنية والأدبية ... إلخ.

وتعد اشعار حملة أبي تمام مجالاً خصباً لإثراء هذه القضية سواء على الجانب النظري أم التطبيقي، وقد تصدى شراح ديوان الحملة بقدر لبيان أبعاد هذه القضية في النصوص الشعرية وتعليلها، معتمدين في هذا على فوهم الأدبي المدرب، وخبرتهم الواسعة بالشعر العربي، ولعل المرزوقي هو لبرز من يتخلّى فيه هذا الاتجاه ويمثله، خاصة والذي يتأمل شرحه لتبيان الحملة "بروحو من الرجل السعي وراء تجلية مضى النص عن طريق اللغة والنحو، يبعثاً منه - كما يبدو في صنيعة - بأن النص عبارة عن مجموعة من العلاقات والطرانق تنتظمها اللغة، وما دام الأمر كذلك وجب على الناقد ألا تغرب عنه تلك الحقيقة، وأن يدرك - إلى جانب ذلك - أن لمس صل لديه في تقويم العمل الأدبي أو النص الشعري أن يلحّيه من باب، فالركيزة الأولى - إذاً - لشوح النص، وكشف القناع عنه أن يجتهد العالم أو الأدب في إزالة ما يغشى النص من ضبابية تكتمفه أو يحوم تلبده حتى يبدو مساقراً أمام الذهن، ويمكنه - بعدئذ - أن يطير إلى حيث يرجو من مسلح، أو أن يضفي على النص من رواء ما يزيد جمالاً أخفاً، وروعة أسرة ..."^(٥).

وللمرزوقي رأي في بنية النص الشعري أتته إليه مقارنته بين النثر والشعر وتخصّصه خواص الشعر الشكلية القلقة على الوزن والقافية ووحدة البيت الذي ينتج عنه حصر المضى الشعري في حدود المدى الذي يسع بنيته، مما مكّنه من الوعي بتلازم خالصتي التكثيف والقموض في الشعر "لذلك وجب أن يكون للنص في أكثر الأحوال في المضى، وأن يبلغ الشاعر في تلطيفه، والأخذ من حواشيه، حتى يسع اللفظ له، فيؤديه على غموضه وخفقه، حدّاً يصير المدرك له والمشرّف عليه، كالقفز بخبرة اختتمها، والظفر بدقينة استخرجها"^(٦).

(١) د. العربي حسن درويش: النقد العربي القديم "مقاييسه واتجاهاته وإنشائه وأعلامه ومصنفوه" مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١ م، ص ٦٧.

(٢) د. محمد طلي حسن المصري: قضية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكبي، القاهرة، مكتبة ودية، ١٩٢٠هـ ١٩٩٩ م، ص ٢٠.

(٣) تشر: د. يوسف حسين بكار: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، ص ١١٢، ص ١٢٨، في حديثه عن مناهج نقد في أسبعية فننظ والمضى.

(٤) د. محمد علي حسن المصري: أسبعية اللفظ والمعنى وأثرهما في تدوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكبي، ص ٢٠.

(٥) د. هادي محمد أبو عيسى: تضاداً الأدبية والفنية في شرح المرزوقي ديوان الحملة، دار المعارف بمصر، ١٤٠١هـ ١٩٨٠ م، ص ١٠٩، ١١٠.

(٦) انظر: مقدمة شرح المرزوقي لديوان الحملة، ص ٥.

ولعل ما يضيف إلى المرزوقي وزناً بالإضافة إلى هذه النظرات التي كانت خلاصة للاستيعاب العميق لنتاج سلفيه من النقد، صياغته نظرية عمود الشعر العربي الصياغة النقدية، كما أصبحت فكرة مشكلة اللفظ للمعنى في حد ذاتها أصلاً مهماً من أصول عمود الشعر عند العرب^(١).

قد عكست شروح ديوان الحماسة - جميعها - هذا الاهتمام بالفاظ شعراء الحماسة ومعانيهم، وهو ما سيأتي لنا من خلال العرض التالي:

المبحث الأول: اللفظ:

اهتم البلاغيون والنقاد العرب باللفظ ولا يعني ذلك أنه الأسس ولا قيمة للمعنى، بل الأصل "إصالة المعنى" و"تحسين اللفظ" واللفظ والمعنى مرتبطان^(٢)، وقد انعكس هذا الاهتمام - أيضاً - بصورة واضحة على شراح الحماسة، فكانت اللغة في شروحهم، من أهم الوسائل التوضيحية لتحديد ماهية اللفظ ومنلوله، فهي من العوامل الأساسية في فهم الشعر وتفسيره معاً، لذلك وجنناهم نشاطاً في تحديد "الرواية" لغوياً، ذلك التحديد الذي كان فرصة للدخول إلى علم اللغة بكل أبعاده، ومن جميع أبوابه، ولقد كتبت روايتهم المتعددة مجالاً للقول لا من حيث الرواية وتحديدها فحسب، ولكن مجالاً رحباً لتحديد أصل اللفظ وتوضيح ما طرأ عليه من تغييرات؛ لإتاحة الدقيق في أداء المعنى، والبيد الذي لم يوفق الشاعر في اختياره، لبؤد المعنى الذي أراد، وذلك وفق منبج واضح يتيبه الآن فيما يلي:

أولاً: البحث المعجمي:

لقي هذا اللون من البحث عند الشراح عناية كبرى، فهم يبدأون بالجزء وينتجون إلى أن ينتهوا إلى الكل، ويتوصلون بالجزئيات للوصول إلى الكليات، وهذا هو المنهج الذي حار عليه معظم من تصدوا لشرح شعر الحماسة من العلماء كابن جني، وابن فارس، وأبي هلال العسكري، كما نال حائلاً مهماً من اهتمامات المرزوقي والتبريزي والأعلام الشتمري.

ولننظر - مثلاً - في قول أبي النشيت:

ونثيئة الأرجاء طابمة الصوى فنت بأبي النشيت فيها زغبية

فقد نشره ابن فارس معجماً قتلًا: "النثية: البعيدة. الأرجاء: النواحي، واحداً: رجا. والصوى: الأعلام. والطامة: أثى لا يهتدى لطريقها. يقال: طريق طامس، وطلم: إذا طمسته الريح. خنت، تخدي، خدياً، ووخنت، تخد. اخنت تخدي، مثل: ووخنت تخد، مثل: وعدت تعد، فإذا أمرت الناقة من الوخدان، قلت: تخدي، كما تقول من الوعد، عدي. وإذا أمرت الناقة من الخدبان، قلت: اخدي. كما تقول للمرأة: امضي إذا أمرتها بالامضي. والركتب: جمع ركوبة: وهي النوق التي تعد للركوب"^(٣).

(١) انظر: ترح المرزوقي لديوان الحماسة: ٩٠ - ٩١.

(٢) أبو هلال العسكري: الصناعات الكتابية والشعر، بتحقيق / محمد علي الجبوري، محمد أبو النخيل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧١ م، ص ٦٩.

(٣) ابن فارس: المعجم، فهرس لى تلم، تحقيق د. هادي حسن حمودي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، ص ١٠٦، ١٠٧.

الفصل الثاني: الأصل الأول: كسبية اللفظ والمعنى

"الهم: ما تحيل لفظه وإيقاعه فكرك. والهمة: اسم للحالة التي تكون عليها في ذلك. ويقال في المنزل لمن يحير بطول الأمل: "هم وبهم بك". ومنه المهمات، وهذا بخير عن نفسه بقه يتبع الرأي الأول. وهذا طريقة الفتح لأن الرجوع عن الرأي إلى غيره طريقة من يتدبر العواقب فيترك الشيء إلى الشيء لما يرجوه من حسن الملب. قال: إذا هم هذا الرجل بشيء أنفذ عزيمته ولم يردعها، ولم يفل ما يقطعه خفقا. ومثله قول الآخر: (الوالد)

جَمْعُ مَنْزِلٍ لَا يَزُولُ عَنْ دِفْعَةٍ وَلَا يَنْبُشِي عَزِيمَتُهُ أَتْلَاءُ

ويقال: رددته فارتدع، أي كففته ورددته ردعا. ومنه الرداع في العلة وهو النكس، يقل ردع ردعا وردعا. والهيئة تكون من الذعر ومن الإجلال جميعا، ويقال للجان حبوب وهوية، وللهاء للمبالغة، وللمحتشم مهبب، وفي الحديث: "الإيمان هبوب". ويقال: تهيبت الشيء وتهييني بمعنى، لما كان لا يلتبس، ومثله من المقلوب كثير^(١). وغير ذلك من الشواهد الفورية.

أما الشواهد الشعرية فكانت حاضرة بكثرة في كافة اللشروح، وإن تقلوت معدلاتها بين الشراح، أتتهم أبو هلال العسكري والتمري، وسأكتفي هنا بنموذج أو نموذجين.

يقول أبو هلال العسكري في تفسير كلمة (نكر) في قول الشاعر:

وَلَا الذُّخْرُ مِمَّا يُخْبِثُ الضُّوْثَ مُقْتَبً وَلَا الْغَيْثُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْخَبِيْثُ ثَائِبُ

"يقول: إن صدر الحي، أو لم يصبر، فإن الميت لا يبعث، بعد الموت، في الدنيا. بحث على الصبر، ورواه هذا الشيخ: (ولا الحي إن لم يصبر الحي نكر)، وهذا أعجب شيء سمعناه؛ لأن الحي لا يحتاج إلى الشور، وإنما الميت ينشر، يقال: (أنشر الله الموتى ونشروا هم)، وقال الأعشى:

حَتَّى يَفْـوُزَ الثَّامَنُ مِمَّا رَأَى يَا عَجَبًا لِلْغَيْثِ الثَّائِبِ^(٢)

وفي قول العرند أحد بني أبي بكر بن كلاب:

هَيْثُونَ فَيْثُونَ إِيْمَانُ نُوْوَ غَزَمَ
إِنْ يُسْمِنُوا الْغَزَمَ يُظْفِرُوهُ وَإِنْ خَبَرُوا
وَأَنْ تَوَقَّعْتَهُمْ لَأَنُفَا وَإِنْ شَهِدُوا
مُسَوَّانَ مَغَزَمَةٍ إِيْمَانُ دَاءُ أُنْمَرِ
فِي الْجَهْدِ أَنْفَ مَتَهُمْ طَيْبُ أَخْبَارِ
خَشَفَتْ أُنْمَارُ شَرِّ غَزَمَ أُنْمَرِ

يقول المرزوقي: "والأيسار: جمع اليسر، وهم الذين يجتمعون في العيسر على الجزور عن الجذب والتعط فيجبلون القذاح عليها، ثم يفرقونه في الفقراء وأرباب الحاجة والضراء. ويقال: يسر إذا أجل قنحه، فهو يسر ويسر. قال:

إِذَا نَحَرُوا لَمْ يُوْرِثِ الْيَسْمَرُ بِيَتَهُمْ لَوَاجِشٌ وَتَفِي بَفَزَمَا بِالْمَصَابِقِ

وقال أبو ذؤيب:

لَمَسَا أَتَى بِبَابِمْ وَأَكْسَمَهُ يَمَرُ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْنَعُ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ج ١ ص ٧١، ٧٢.

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: ص ٢٠٠، ٢٠١.

والمعنى أنهم يرجعون إلى سجنفة خلق وسلامة طبع، موقرون في مجالسهم، متكبرون في عاداتهم وشؤونهم، متعطفون على الفقراء زمن الجذب بميسرهم، يمسسون المكارم ويمسرونها بعد ابتساقها، ولا يفتنون عنها؛ وإن هذا الخصال لم يورثوها عن كلاله، وأن آباءهم على ذلك درجوا وتقصوا. ثم قال: إن يسألوا الخير يعطوه، ويريد منهم لا يتقاعدون عن البذل في الحقوق والتواضع، ولا يحجون إلى استخراج ذلك منهم بالنعف والاستقصاء بل يخرجون منها إلى أصحابها، والمطلوبين بها؛ وإن جربوا عند جهد البلاء، واشتمل الشدة والبلاء، وحملوا أكثر مما يلزمهم، وأثقل مما ينهض به حالهم، طابت أفعالهم، وحسنت ألبابهم، والأحاديث عنهم. ومن اتقى يتقرب إليهم، أو تودد لهم، لأنوا له، واتقوا لما يريد من حبهتهم. وإن أودوا وأخرجوا انتشغوا عن أنصار شر. وهو جمع النفس، وهو الشد لا يطلق. وإن كانوا في أنفسهم وسجلاتهم غير أشرار، إلا أنهم إذا جنبا إلى الشر والحوا زابوا على الأشرار. وقوله شهروا أي هيجوا. ويقال: فرس شهيم، أي حديد نشيط بكر؛ ومنه الشهيم. ويقال شهيم الرجل، إذا دعر أيضاً، ويرجع في المعنى إلى الأول^(١).

ومن أمثلة ما ساقه الشراح في تصوير المفردة اعتماداً على عادة العرب في استخدامها، أو على ما قصص من أحوالهم، ما أورده المرزوقي في شرحه لقول زفر بن الحارث الكلبي:

فَلَمَّا فَرَّغْنَا التَّبَسُّعَ وَالتَّابِعَ بِنَفْسَةٍ بِنَفْضٍ أَيْبَتْ جِذَاءُ أَنْ تَفْشُرَا

"الشاعر اعترف بأن أصل أولئك نبع، كما أن أصلهم نبع، النبع خير الأشجار التي يتخذ منها القسي وأصلبها، كما أن الغرب شرها وأرأهاها، فجعلت العرب تضرب المثل بهما في الأصل الكريم والنتيم، حتى إن بعض المحققين قل:

هَهِهِاتِ أَبْنَى الْبَقِيَّةِ مِنْ مَسْقُوتَةٍ وَإِنَّ نَبْعَ الْفَخَّارِ مِنْ غَيْرِهِ

فيقول: لما قرعنا أصلهم بأصلنا أبت الميدان من التكسر. والمعنى أن كلامنا أبقى أن يتيزم عن صاحبه. فالعبدان مثل للرجل، والنبع مثل للأصل^(٢).

- وقد يستعين الشراح ويستشهد في إطار بحثه المعجمي بالملاحظات التفسيرية لأصحاب اللغة، فـ (المنبح)

في قول عروة بن الورد:

مُطَبَّلًا عَلَى أَعْدَائِهِ وَيُخَوِّثُهُ بِمَنَاحَتِهِمْ يُخَوِّثُ الْمُنْبِحَ الْمُشْهُرَ^(٣).

"قال الحليل: هو الثامن من الفداح. وقال أبو عمرو: المنبح والسفوح والوحد فداح لا انصباء لها، وإنما يكثر بها للفداح فهي تجل أبداً، وقال الأصمعي: للمنبح الذي لا يعتد به^(٤).

- وفي إنشاء تلك قد يورد الشراح اختلاف العلماء فيفصل بينهم ويرجع بين أقوالهم، من تلك مثلاً ما

أورده المرزوقي في تفسير لفظة (أبى) في قول بعض بني قحسب (مرة بن عاء):

فَهَلَّا أَعْمَدُونِي بِبَيْتِي تَفَافُونَا إِذَا الْخَصَمُ أَهْزَى مَنَابِلَ الرُّؤُوسِ أَنْتَبَ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ١٥١٤).

(٢) نفسه: (١٥٦ / ١).

(٣) نفسه: (٢٢٣ / ٢). يقول: ولكن لتتبر الرضن الوجه، الذي يبدل جهده ويبتذل نفسه في طلب غناه، ويقصر سعيه على ما يبلغ به عنده.

المتبر على اعتقه عقلاً ومغوراً، وهم لا جبرونه حالاً بعد حال، ويكره عليهم وقتاً بعد وقت يزر هذا التذبح في خروجه ومع ذلك يرد.

(٤) نفسه: (٢٢٣ / ٢).

"قوله: تتلقوا دعاءه، وقد اعترض بين أول الكلام وآخره، ولكنه أكد معلقته فصلح لذلك. يقول: ملا جعلوني عدة لرجل مثلي، فقد بعضهم بعضاً وقد جاءهم الخصم متأخر العجز مثل الرأس منحرفاً ... وقال الأصمعي: البزي: تأخر العجز. وقال غيره: هو إشراف وسط الظهر على الإمت. والبيت يشهد للأصمعي"^(١).

- وفي بعض الأحيان كان يكتبي بأن يورد اختلافاتهم دون تفصيل أو ترجيح بين أقوالهم، كما جاء في تفسير لفظة (تنهسه) في قول عاتكة بنت عبد المطلب:

فَإِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا
وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا

"والنهن: أخذ الشيء بمتم فبك. ويرى: تنهسه بالثين معجمة. وكان الأصمعي يقول: النهن والنهن سواء، وهو أخذ اللحم بلفظ. وخالفه أبو زيد فقال: النهن بالسين أخذك الشيء بمتم فبك. والضمير في قوله ضباغه يعود إلى القاع"^(٢).

وقول آخر في ابن له (محرز بن المكبر):

لَا تَعْلَمُ فَمِثْلَ خُمَا وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا

"يخاطب لائمة عاتكة في التوفر على ابنه حنذج واختصاصه إياه واستخلاصه ... فيقول: لا تلومني في أمر حنذج، إن حنذجاً وليت هذه المساعدة متساويان عدي. وقد قيل في ليث عفرين: إنها هي التي تصيد الذباب وثباً، فشبهه في كيدته ومكره به، وقد وصف الخبيث المنكر بالفر والعفوية وعفري، ويقال أيضاً للأسد عفر وعفري. وقيل هو أشد عفارة واستعفر فلان. وحكى الأصمعي أن ليث عفرين دابة كالحرباء يتحدى الراكب ويضرب بشفه. وقيل عفرين: موضع نسب إليه، وقيل عفرين: فعلين من العفر، وهو التراب، لأن عافة الأسد أن لا يصيب من فريسته حتى يعفره، يشهد لذلك قول الآخر في صفته:

وَلَا تَأَلَّ فَمِثْلَ خُمَا وَأَمَّا إِذَا مَا لَقِيََا فَمِثْلَ خُمَا

ونذكر بعضهم أن ليث عفرين كقولهم: ليث ليوث، لأنه يقال للمنكر الداهية عفر، ويوصف به الأسود والرجال. ويكون على هذا عفرين جمع جمع السلامة كالأثوريين، ومر به أن قولهم ليث عفرين يستعمل في المدح والتم وسواء: مصدر في الأصل وصف به"^(٣).

فالشراح - في كل ما سبق - "يخصص تحليله المعجمي لمقولات صرفية متواضعة عليها يسمي إلى أن يتعرف من خلالها على الوحدة المعجمية في انتمائها المقولي"^(٤).

(١) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (٢١٤ / ١).
(٢) الرجاج: ملة شمس وسقطهم وقال المليل: الرعاية: الرجل الذي لا لواء له، ومنه رجاج الشمس.
(٣) المحفل: المصروع على الحذلة، وهي الأرض. والتنازع: المستوى من الأرض.
(٤) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (٧٤٣ / ٢).
(٥) ذكر الحليل في حذلة في الكلمة ملة طيبة تنبت الثوم من لسان.
(٦) العروكي: شرح ديوان الحماسة. (٢٦٩ / ١).
(٧) دالمند العروكي: شرح الشعر عند العرب، من الأصول إلى القرن ١٤ هـ / ٢٠ م "مراسة صفحومية"، دار الكفاف الطبعة الثانية، ليبيا، ط ٢٠٠٩، ص ٦٤.

• وقد ينقص الشارح دلالة اللفظ على مختلف الروايات التي جاء بها لما في ذلك من أهمية بالغة في فهم الشعر وتحديد المعنى وتوضيحه، وهذا أمر سبقت الإشارة إليه.

فقد اتفقت الشراح إلى اختلاف دلالة اللفظ وبالتالي المعنى الإجمالي للبيت لاختلاف الرواية في قول أبو حذابة التميمي:

خاض الرزدي في العذي فحنا بمنصليه والخنيل تغلغل فيسني الضوئ بالئج

"يقول: دخل قديماً في مكتشفة أعدائه الهلاك بميفه، لا ينقبض ولا يحجم، والخنيل عراض على لجها، تملكها في أثناء الموت. والعلك: المضغ. ويقال: في لسهه عولك، أي مضغه ... يقال: ثنيت الشيء ثنياً، ثم يسمى المثنى نياً ... كقوله قال: والويل تمضغ مثنى الموت، أي مضاعفه، ملجمة. وهذا حسن. وبعضهم روى والخنيل تملك تن الموت، وإنش: حطام اليبس، والمضغ ما تنمته. وفي هذه الطريقة قول الآخر:

خضنا إليه الغنوت في أيما نينا خنزل الشفار خلوئئ الأزوس" (١)

• والشواهد والأمثلة التي يأتي بها الشارح بغرض رفع الإبهام والغموض عن ألفاظ شعراء الحماسة، قد يستطرد فيتعرض لبعض الألفاظ بالتحليل والتفسير، ويسوق عليها الشواهد المختلفة أيضاً.

ولنأخذ مثلاً - صنيع ابن جني في تفسير قول عتبة بن ربيعة المازني:

فقالوا: غريب طارق طوخوت به مشون الغنافي والخطوب الطوائغ

"ويروى: طرحت له، والطوارح: وكان قبيله: المطارح، وذلك أنه جمع مطوح، وتكسیر مفعول - مفاعل بحذف أحد العينين ونقر الميم في أوله، لكنه جاء على حذف الزائدة من عمله فكأنه جاء على طاح فهو ططح، فكسر ططح على طوائغ كقول الله تعالى: "وأرسلنا الرياح لواقح" (الحرر / ٢٢)، أي: ملاتح، لأنها تلقح السحاب. وقيل: لا، بل هي تفتح أي تجن بالماء، فكأنها هي الحامل" (٢).

ولم يقتصر جهد الشراح عند مجرد الكشف عن غريب الألفاظ والمعاني، بل تجاوز ذلك ليأخذ شرح معاني الألفاظ عند بعض الشراح بعداً تأويلية خاصة وهم "علماء موسوعو العلم والثقافة، غزيرو للتأليف والتصنيف، جمعوا بين علوم شتى، وثقافات عذقة وكثفت حصيلتهم رائعة. في مختلف العلوم الدينية والندبية، والأفكار الكلامية والفلسفية، إلى جذب اهتمامهم الواسع، وشغفهم العظيم بعلوم اللغة والأدب، ومحصولهم الوفير من الشعر العربي على اختلاف عصوره ومناهجه، وموضوعاته، وتعدد شروحه وتباين اتجاهاتها ومناهجها" (٣)، مما أمكن على شروحيهم التي "أظهرت مدى تعمقهم في اللغز والتذكير" (٤)، فالشارح منهم في سبيل تفسيره الألفاظ "يقلب اللفظ قلباً دقيقاً .. وينقله في أحيان كثيرة من وضعه الحقيقي إلى وضع مجازي .. وينكر معانيه المختلفة حسب أوضاعه في الكلام" (٥)، في سبيل الوصول إلى المعنى المراد وتحليله وتوضيحه.

(١) للمزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢ / ٦٨٨ - ٦٨٩).

(٢) ابن جني: انتبه على شرح شكل أبيات الحماسة: من ٣٨١، حمولة رقم (٢٢٢).

(٣) دأحمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي، دار المعارف بدمشق، ط ١، ١٩٨١ م، (١ / ٢٩٨).

(٤) نفسه: (١ / ٢٩٩).

(٥) نفسه: (٢ / ١١٢).

ولقد أخذ هذا التلويل اشتكلاً عدة^(١) يمكن إيجازها في الآتي:

أ- تلغى الدلالة على المراد دون تعيين أو ترجيح، مما يشير إلى أن معنى البيت يحتملها جميعاً، كما في (القوانس) في قول حبل بن سحج:

بَنَطَرِدْ لَنَذْنِ صَخَاخِ فُغْرُنِيْهِ وَبِيْ زَوْنِيْ عَضْبٍ يُّقْدُ الْقَوَابِيْمَا
وَيَنْضَاءُ مِنْ ثَمَجِ ابْنِ دَاوُدَ ثَقْرَةٍ نَخِيْزَتُهَا زَوْمُ الْفَقَامِ الْغَلَابِيْمَا

الذي فيه "القوانس: أعلى البيض؛ وقونس الفرس منه، وهو العظم الذي تحته العصفوران. هكذا قال أبو عبيدة. وقال الأصمعي: هو والعصفوران سواء"^(٢).

ب - الدلالة على المراد باستقصاء وجوهه المحتملة مع التفصيل والاختيار دون تعليل؛ فـ (قريع الدهر) في قول تالط ثرا:

فَإِذَا قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا غَائِبٌ خَوْفٌ إِذَا مُدُّ مِنْهُ مَنْجَرٌ جَائِبٌ مَنْجَرٌ

"يحتمل وجهين: يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكون من فرعت الشيء أي اختارته وخصصته بقرعني، ويقال هو قريعهم وقريعهم بمعنى واحد. ويجوز أن يكون بمعنى من قرعه الدهر بنواتيه حتى جرب وتبصر. ويكون قريع في الوجهين فعلاً في معنى مفعول. ولا يمتنع أن يكون المراد بقريع الدهر لحل الدهر، ويكون لي هنا الوجه قريع في معنى فاعل، لأنه يقرع الناقة أي يضربها. وما تنعم أحسن"^(٣).

و (النجوم) في قول بعض بني أسد:

وَلَوْ أَنِّيْ أَشَاءُ لَكُنْتُ بِئْسَ مَكَانَ الْفَرَقْدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

"يقول: لو شئت لأطلقت عنان فرسي فنجوت، وكنت بحيث لا يوصل إلي، ولا يقدر علي. وقوله "مكان الفرقدين من النجوم"، قال قوم: أراد بالنجوم منازل القمر ومسيرها في المحرّ، والفرقدان بمعزل عن المجرى وعن القمر، ولا يلتقي أبداً الفرقدان والقمر.

قال أبو ريشة رحمه الله يقول: لو شئت لكنت مكان الفرقدين من صالحي، وكذا قال: "من النجوم"، فميز بها، لأنه يقال لولد البقرة الوحشية "فرقد"، قال طرفة:

فَمَنْخُولَتِيْ مَذْعُورَةٌ أَمْ لَزِقَتْ

وهذا القول لحب إلي"^(٤).

(١) نقل عن دهمسطن عريان صد الرحيم: تيارات لثقل الألبني في الأندلس في تقويم الشمس الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٧٩ : ١٨٠ خلا الشواهد، ونشر كمال: د/المصدر حمدان: تصانيف البلاغة والنقبة في شروح التمام على شعر في الملا، ٢٥٦، ٢٥٩.

(٢) لسانوكي: شرح ديوان الصائغ: (٥٦١/١).

(٣) لسانوكي: (٧٦/١).

(٤) شعري: معنى لبيت الصائغ: ص ٥٠، ٥١، الصائغ رقم ٣٩.

"هذا البيت يحتاج إلى فصل تملأ، فإله لم يرد بقوله: "على الموت أصبراً" إلزاماً بالشجاعة لهم، ولكن يقول: استمر القتل فيهم فصبروا عليه. فهذا وإن كان مدحاً لهم، فللذي فعل بهم هذا أولى بالممدح، وأحرى أن ينسب إليه الصبر، ولو أن فئة قتلنا فئة، وكان القتل في إحداهما أعم، لكن لنا أن نقول: هؤلاء أصبر على الموت. والخرص أن تلك اللفظة أنكج وتشجع.

فإن قال قائل: كيف يسوغ أن يدعى أن القتل فيهم أعم، بعد أن سلوى بينهما في قوله: "ستقناهم كلنا مستقونا بمثلها"؟ قيل له: "الكس" ها هنا القتل والموت، فيقول: قتلوا منا وقتلنا منهم، كقولك: "ضربت وضربت"، فلا بدري أي الضربين أكثر. فلما قال: "ولكنهم أصبر على الموت"، علم الخرص ولهم المقصد^(١).

"ومن التحليل: تخليص المعنى، خاصة إذا كان اللفظ من المشترك الذي يدل على معنيين فأكثر دلالة متسوية"^(٢)، كلفظ (المنيع) في بيت عروة بن الورد:

فطبلا ظلى أغتايه يزجرونه بمناعتهم زجر المنيع الغنم

إذ أن "المنيع" ها هنا، قدح مشهور بالغوز، يستعمل فيضرب به، ثم يرد إلى صاحبه، و"المنيع"، المعاربة، ولذلك سمي "منيعاً"، وهو "مفعول"، في قول "فعل"، قال عمرو بن قميئة:

يغول بالزئالي الجيالي منيعها

و"المنيع"، في موضع آخر، قدح تكثر به القذاح لا غم له ولا غم عليه، وفيه يقول الشاعر: (البيط)
تغر لميهم يمشاخ الخط مناجية كز المميص منيخا بين أفسام
و"المنيع"، لا حظ له، وكما برز رده شبه تكرير الطعن به، وقوله: "يزجرونه بساحتهم"، أي: يغزوه في عقر دارهم وحر بلادهم، فهو أبدا يزجر ويصاح به، كما يزجر القدح إذا ضرب به^(٣).

وقد يكتفي الشارح بالإشارة - مبالغة - إلى المعنى الواحد المقصود، ويحصر عن هذا بقوله: "والمعنى ها هنا"، أو "المراد ها هنا".

من ذلك - مثلاً - تفسير الشري للفظ (الإمد) في قول دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية: (الطويل)
وثغريج منة ضنرة القوم ضنفا وطول السمنى ذؤن غنظ منها
بقوله: "أراد بالإمد ها هنا، الظلماء..."^(٤).

وكذلك تخليص المعنى إذا كان اللفظ المفسر من الأضداد، مثل لفظ (الجلل) في قول الحارث بن ولة الذهلي الوطة:

فلين غنظوت لأظنوزن جلا وإلن منطوت لأهمن غنظي

(١) الشري: معاني أبيات النجاشية: ص ٤٠، ٤١، صافية رقم (٢٨)، وقنار لحننا: ص ١٣٢، صافية رقم (٣٢٠).

(٢) دلمصحنى طهين: تبارك الله الأبدي في الأتلس في تون الفلس: ص ١٨٢.

(٣) الشري: معاني أبيات النجاشية: ص ٨٨، ٨٩، صافية رقم (١٤٧).

(٤) نفسه: ص ١٦١، صافية رقم ٢٧٤.

"و" "الحال" هنا العظيم وقد يكون الحثير، وهو من الأضداد^(١).

ولفظ (الجون) هو الآخر من الأضداد، فهو يعني الأسود في قول ملحمة الجرمي: (الطويل)

وَبَاتَ الْخَبْرُ الْجَوْنُ يَنْهَضُ مُفْبِغًا مَنَهَضِ الْمَذَى قَرْنُذُ الْفُجْعِ السُّفْضِ

"والجون ١ الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتوته وكثرة مقه " (٢).

"ولحق بالتحليل ما نص عليه الشراح من طريقة العرب في استخدام بعض الألفاظ"^(٣)، والشواهد على ذلك

كثيرة أكتفي بما سبق أن أوردته منها^(٤).

أما التوجيه فإيه "يتصد إلى الإيالة عن المعنى المحدد والقيق للكلمة، وتوجيه معنى الشاعر في ضوئه

سلامة أو عدم صحة"^(٥). فقد استخدم أبان بن عجة بن العيار لفظ (البيض) التي بمعنى السيوف استخداماً

غير دقيق، في قوله: (الطويل)

بِيضٍ خَفَّالٍ مُزَفَّاتٍ قَوَاطِيعٍ بِسَاوِدٍ فِيهَا أُنْجَرُ وَخَوَاتِيمُ

لأن "دارد عليه السلام إنما سرد الدروع لما لئن الله العديد له معجزة لا السيوف ... وقبل فيه إته قدر أن

الأمر في نسبة السيوف والدروع إلى دارد على مواه، لعله"^(٦).

وس التوجيه كذلك ما قل به الشراح من تصويب ما ذهب إليه غيرهم من الشراح واللغويين السابقين "لما

وتعوا فيه من خطأ في تفسير بعض ألفاظ البيت على نحو يؤدي إلى اضطراب المعنى"، ويبدو ذلك واضحاً عند

شرح لمظة (الوفر) في قول الأثير النخعي: (الكامل)

بَقِيَتْ وَفَرِي وَأَخْرَفَتْ عَنِ الْفَلَاحِ وَلَقِيَتْ أَضْيَافِي بِوَجْهِ غَبُوسٍ

يقول الثمري: "الوفر" المال. وفي كتاب النيمري: "الوفر، ها هنا شعر البدن"، وهذا بطل، لا الوفر

شعر البدن، ولا ذا موضعه إن كان لغة. وهذا قسم لا إخبار"^(٧).

هذه هي أهم المسائل التي عرض لها الشراح في أثناء بحثهم للمعجمي في الألفاظ وهي تعكس مدى ما

يتمتع به الشراح من فهم واع مدرك لأسرار الكلام، مكنهم من التعبير عن آرائهم وتوجيهاتهم بأسلوب رصين

مشرق، وعبارات دقيقة، وألفاظ مختارة منتقاة.

(١) الأظم للشمري: تبلي حرر المعنى، ص ٣٢٠.

(٢) المروني: شرح ديوان الحماسة (١٨١٠ / ٢)،

(٣) دلمسطيني طبلي: تيارات النقد الأدبي في الإنجليز، ١٨٢.

(٤) قطر الرسالة ص ٧٦ وما بعدها.

(٥) دلمسطيني طبلي: تيارات النقد الأدبي في الإنجليز، ١٨٢.

(٦) المروني: شرح ديوان الحماسة (١٨٣٥ / ١)،

(٧) شمري: معنى أبيات الحماسة ص ٢٢، التسمية رقم (٢٥)،

ثانياً : تنقو ونقد لفظ شعراء الحماسة وتراكيبهم:

توسع شراح الحماسة في تناول الألفاظ بالشرح والتحليل، حتى شمل إلى جانب الألفاظ التراكيب التي وردت في نصوص الديوان، والكشف عما تنطوي عليه من دقائق تعبيرية، وتذللها والحكم عليها من خلال:

١ - التأريخ لبعض الألفاظ والتراكيب^(١):

وهي لون من الإحالة المرجعية، يلجأ إليها الشارح أثناء تناوله للفظ أو تركيب معين، بغرض تبسيطه، واستبصار ما به من دلالات. ومن التراكيب والمفردات التي استوقفت للشرح، تلك "التي كان يستخدمها القدماء ثم أقر الشعراء الاستخدام نفسه بعد الإسلام واستعملوها على حلقها"^(٢)، كعمالة القدماء - مثلاً - في نكر (المهامة والصدى)، ولننظر في تعليق الموزوني على نكر (الهم) في قول مسقع العسري: (الطويل)

سلام بنى عمرو على حيث هانم جنسان النوى والقنما والستور
أولاد بنو خير وشعر كتبهنا جيفنا ومعروف ألم ومنقبر

"ونكر الهم على عادة العرب، في زعمهم أن عظام الموتى تصير هامة تطير"^(٣)، إذ أن "العرب تزعم أن الرجل إذا قتل فلم يثر به، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة والصدى، ويزعم بعضهم أنه يتولد من الشماغ، فلا يزال يصيح: اسقوني، اسقوني إلى أن يثار، وقال ذو الإصبع العنواي:

ينا عنزو إلا تدع شئبي ومنقمتي أضربك حيث تقوئ الهامة اسقوني

فيذا متعارف عليه عند العرب، إلا أن الدين يبطله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا حمة ولا عرى ولا صفر"^(٤).

ونكر (الصدى) في قول نوبة:

ونؤى نياى الأختىة نلئت غسى ونؤبى قزنة ومنسناخ
نمتئت نلليم البشاشة أو زقبا إليها صدى من جالب القبر منسناخ

بقول النعمري: "قوله: "سلمت تسليم البشاشة"، أي لمرئي سلامها ورد إلي الروح فرددت السلام عليها، أو رده عليها صدي، إن لم لنشر فارده أنا. و"البشاشة"، الطلاقة. و"الصدى"، نكر اليوم. والعرب تزعم أن الرجل إذا قتل خرج من رأسه طائر يصيح "اسقوني، اسقوني"، إلى أن يدرك ثراه. وهذا يطل على ما ذكرت لك قبل"^(٥).

وهناك تراكيب على عادة العرب في الاستخدام ووردت في أشعار الحماسة، مثل وصف الفاعل والمفعول بالمصادر، كما نلاحظ في بيت سعد بن نضب بن مازن بن عمرو بن تميم:

إذا هم ألقى بنين عتيرهم غزومة ونكسب عن نكر العواجب جتيرنا

(١) د/السيد حذاف: المضاهة البلاغية والتعبية في شروح القدماء على شعر أبي الملاء، ص ٢٥٧.

(٢) نفسه: ص ٢٥٧.

(٣) الموزوني: شرح ديوان الحماسة: (١ / ١٩٠).

(٤) النعمري: معاني أبيات الحماسة: ص ١٦٦، ١٦٧، المعجمة رقم (٤٦٣)، وقدر لمسة: ص ١٤٢، معجمة رقم (٢٥٢).

(٥) نفسه: ص ١٧٧، المعجمة رقم (٥١٩).

"قوله: 'اللقى بين عينيه عزمه"، أى جعله بمرأى منه لا يعقل عنه ... والمعنى أنه إذا هم بالشئ جعله بحسب حبيبه إلى أن ينفذ فيه ويخرج منه، ويصير في حجب من الفكر في الحواف ... وسمى المعروف عليه عرما على عادة العرب في وصف الفاعل والمفعول بالمصادر"^(١).

٢ - تلصيل التعبير وتحقيقه^(٢):

يعد الشراح أيضا إلى تاريخ التعبير وتلصيله، في محاولة للربط بين ملثور التعبير وواقعه، بغرض "إسطة الثلم عن مقاصد الشاعر ومراميه، واستكناه ما قد تتطوي عليه مشاعره"^(٣).

وترخر شروح الحماسة بالكثير من التوضيحات لما يعترى الأنفاظ والتعبيرات من تخيرات، بلجا إليها شعراء الحماسة تما لأنواقهم وحالتهم النفسية ومذهبهم الفني، فجاءت تعليقات وتبريرات الشراح - أكثرها - متوافقة مع ما ذهب إليه الشعراء، فكثيرا ما نجد من الشراح من "يتلمس لهم الأعذار ويدافع عنهم، وقد يخترع لهم الأساليب النفسية والعسية التي تشع لهم قصورهم وتمسح تقصيرهم، ويحوز لهم الاحتمالات التي قد تخرجهم من نطاق الصعف، ومصادر الرلك كما أنه لا يدافع عن الشعراء نظريا - بالقول - بل عمليا وقليبا مستشهدا مجوزا لما يمكن أن يقدم ويقف في هذا الصدد، ثم يقدم الحثيثات النفاعية التي تبرنهم من هذه المألوق الفنية التي وقعوا فيها"^(٤).

ولعل "حرص الشراح على التذكير بالقاعدة التي يزكها قول "الحماسة" من أهل اللغة وإحفظه بلشاعر المحدث وهو يجترئ على تلك القاعدة أوقعا في التناول، إما محثدا ما اتفق له من قرآن تشهد على براعته في الحجاج والمساخلة، وإما بتحمل أعذار وإهبة مصطنعة قلقة على الشك والتفخيم"^(٥).

هكذا دافع الشراح عن شعرائهم، وخلصهم من ملثورهم، وما خالفوا فيه عرف اللغة والنحو، فنهضت قرآن الحجاج لدى الشراح على آلية القياس حينئذ، والسماع حينئذ آخر، فما لم يصح على أحدهما صح على الآخر، وغاية تلك المرواحة هي "تبرنة ساحة الشاعر من الخطأ"^(٦)، وقد سلك الشراح في سبل ذلك عدة مبل، عمدوا فيها إلى وصف المعيار ثم سوق الاستعمال ثم تذييل هذا أو ذاك بالتبرير، والتي يمكن استعراضها في^(٧).

أ - السماع:

بلجا الشراح إلى القرينة السماعية التي يزكها للتواتر لتبرير ما ذهب إليه الشاعر مما قد يظن أنه مخالف القياس اللغوي، مثل الإبقاء على ما حقه الحذف، في قول بعض شعراء بلعنوا واسه فربطين أبى (السط)

لا يَمْنَلُون أَخَاهُمْ جَمِينٌ يَتَلَبَّسُهُمْ فِي الثَّأْبَاتِ غُلَى مَا قَالَ يَزْهَتَا

يقول التبريزي: "والمرهق البيئة قال بعضهم برهان فعلان من الدرء وهو القطع، وقال أبو الفتح: برهان صيدا فعلان كقراطس وقرنلس وليست نونه زائدة يدل على ذلك قولك: برهنت له على كذا، أي أمت النيل

(١) العمروفي. شرح ديوان الحماسة (١ / ٧٣).

(٢) د/تسديد حمداي. اقتصاد البلاغة والنقدية في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٩.

(٣) د/احمد لث عد فزهم عيلان. حمداي أبي فام وشروحا، دراسة وتحليل، ص ١١٠.

(٤) د/احمد حمداي المصري. شروح اشعر الحاملي، ص١٤٢ فتراخ (٢ / ٢٢٥).

(٥) د/احمد الزبرني. شرح الشعر عد العرب، ص ١٨٥.

(٦) لث ص ١٨٦.

(٧) حمداي لثسايا البلاغة والنقدية في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٩ ٢٧٣. العناصر فقط خلا فتاوام والتطبيق حليا.

عليه، ونظيره دهقان هو فعلال بذيل قولهم: ندهقت وأيس في الكلام تفعلان وقد كان القيلس في نون برهان ودهقان أن تكونا زائفتين حملا على الأكثر، ولكن ورد السماع بما أرغب عن القيلس، فتروك لذلك ومعنى البيت: أنهم إذا دعوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين من دعاهم لها ولا باحثين عن سببها؛ لأن الجبان ربما تعامل بذلك فتبطلوا عن الحرب^(١).

ب - القياس:

ولما الشارح إلى القياس عندما نغوزة القرينة السماعية، وذلك "إما باعتباره مبررا في حد ذاته .. وإما بعد مقارنات بين الصيغة المنكرة سماعا وصيغ أخرى يجمعها بها القياس"^(٢)، مما قد يظن احتراء على قاعدة اللغة، مثل وضع المستقبل موضع الماضي، في قول جابر بن حريش:

ولقد أرتنا بما سُئِمَ: بخائبٍ نزعى القبرُ فقامبنا فالأضمرُ

يقول المرزوقي: "قوله "أرانا" حكاية الحال، وما يستمر ويتصل من الأفعال إذا أريد فيه الإخبار عن الماضي قد يأتى بلفظ المستقبل فيوضع موضع بناء الماضي، على ذلك قوله:

ولقد أُنْزِرُ غنى اللبسيم نسبي

ألا ترى أنه قال امرؤ، ثم قال لمضيت تمت قلت، كذلك هذا قال ولقد أرتنا، ثم جاء في آخر البيت قل: إذ لا يخلف حدودنا كف النوى"^(٣). وفي بعض الأحيان يتلادى الشارح في طريق الاعتذار لشعرانه، فيكلف هذا القيلس، فلا لذلك الزال من هؤلاء الشعراء ونبروه، بتضع هذا بالمثل التالي الذي يقول فيه اشعري عن بيت نوبة: (الطربل)

نلوؤى نللى للى السمنام نلصنفت بطرللى نلى نللى الغلوىن الفواشخ

"الكشاحة"، العداوة، و"كرواشح" "فواعل"، وهذا جمع لم يأت للمذكر إلا في أحرف ثلاثة منها: "قارس وفوارس، وهالك في الهواك"، إلا أنه جمعه على لفظ العيون وتثنيها، لا على معناها في هذا الموضع وتكبره"^(٤). وهذا تكلف من الشارح في القيلس حتى يتلمس للشاعر عزرا في استخدام هذا الجمع على هذه الصيغة، ولعل هذا ما قصده بقوله: "وإن أراد بالعيون التي هي الرقباء، تساء برأقبته، أو عيوننا على الحقيقة، كان حتمًا، ولم يحتج إلى تحمل حجة لفواعل"^(٥).

أما إذا خالف الشاعر القيلس فإن الشارح يتلمس له الأعذار والمبررات، ومن أهمها:

ـ الضرورات الشعرية:

تعد الضرورة الشعرية من المصطلحات التي لقيت عناية من اللغويين أكثر من النقاد والبلاغيين، فنكروها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) فون أن يسميها^(٦)، وذكرها ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)^(٧)،

(١) التنري: شرح ديوان العمسة: (٥ / ١)، وانظر. ابن حنر: شرح منكل أبوت العمسة: ص ٢٠، حلبية رقم (١).

(٢) دالعم الربونى: شرح الشعر عند العرب، ص ١٨٥.

(٣) المرزوقى: شرح ديوان العمسة: (١ / ٥٩٢، ٥٩٣).

(٤) التنري: معلى أبوت العمسة: ص ١٧٧، ١٧٨، العمسة رقم (٥١٩).

(٥) بعسة: ص ١٧٨، العمسة رقم (٥١٩).

(٦) تخر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق/أحمد شكر، دار المعرف بمصر، ١٩٨٢ م، ص ١٠١.

(٧) لطر: ابن عد ربه: السد الثريد، تحقيق/دمهد مسمد لعمبة، دار للكتب للعمبة، بيروت، ط ١، سنة ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣ م، (٥ / ٣٥٤).

الفضايا التقليدية ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== اللفظ

وابن وهب (ت ٣٣٨ هـ)^(١)، والمرزباني (ت ٣٨٤ هـ)^(٢)، والقاضي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ)^(٣)، ورأى العسكري (٣٩٥ هـ) أن الضرورة تشيخ الكلام وتذهب بمقته ويؤني أن تجتنب، وإن جاءت فيها رخصة من أهل العربية^(٤).

وتلح شراح الحملة أسلافهم من اللغويين والنقاد في مفهوم الضرورة، ففصلوا القول فيما يجوز للشاعر في الضرورة من الفروج عن قواعد اللغة والنحو والصرف؛ إذ كثيراً ما يعمد إليها الشاعر لتبجح له احتراف قوايين الشعر، والاجترار على قواعده، فيفتح من خلالها "باب التجويز" ويتسرب الشك ويستحكم^(٥).

وقد نعتت أشكال وأنواع الضرورات الشعرية التي لجأ إليها الشاعر لتبرئة ساحته من العطب؛ بالعتف لم الزيادة أو بشعر، كتلك الضرورة التي سمى الشاعر إلى رفع ما حقه النصب، مثل ما وقع في قول سعد بن مالك: (مروءة لكلل)

مَنْ مَنَعَهُ غَنْنَ فَيَرَاهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْنٍ لَا يَسْرَاحُ

فقرله لا يراح، الوجه فيه النصب، ولكن الضرورة دعت إلى رفعها. وقال سيوريه: جعل لا كليس هاها فرفع به الشكوة، وجعل الخير مضمرًا. ومثله: (الرجز)

بين الجعيم حين لا تستمرخ

كأشياء قالاً: حين ليس عندي مستمرخ ولا يراح عندي في الحرب. وهذا يقل في الشعر ولا يكثر. وجعل غيره يراح مبتدأ والخبر مضمر؛ وإنما يحسن ذلك إذا تكرر، كقول القائل: لا درهم لي ولا دينار. ولا عبء لي ولا أمة. إلا أنه جور للشاعر الرفع في النكرة بعد لا وإن لم يكرر، لأن أصل ما ينفي بلا الرفع، فكأنه من باب رد الشبهة إلى أصله. ويقال ما يرحت من مكن كذا، أي ما زلت يراحاً ويروحاً. وما يرحت أفعل كذا يراحاً، أي أقمت على فعله، مثل ما زلت أفعله. واليراح الأول في المكن، واليراح الثاني في الرمان، ولا بد له من خبر^(٦).

أو تحريك ما حقه البناء (يجل) في قول ابن رالان للسبسي: (البسيط)

لَسْنَا رَأَتْ مَفْشَرًا قَلْبَتْ خَنَ وَلَثْنَهُمْ قَالَتْ مُغَاذُ أَهْمَاذُ نَسَالَتُمْ بَجَلَا

"والأصل في بجل البناء على السكون، ودعت الضرورة إلى تحريكه فحركة بالفتح، وكان الواجب إذا حرك الكسر فيه. ومثله قول الآخر: (البسيط)

ونعم إن قُتُنم نضنا

لأن نعم أيضاً مبني على السكون فحرك آخره للضرورة بالفتح كما ترى^(٧).

(١) فطر أبو العباس إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكلابي: الرمان في وحوه البيل، تقديم ونسب/بعضي محمد شرب، مكتبة النجيب، القاهرة، ١٩٦٩ م، ص ١٦٣.

(٢) انظر: المرزباني للوشح في ملحة العلماء على الشعراء، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، ١٣٤٣ هـ، ص ١٤٤.

(٣) انظر: القاضي الجرجاني: الوسيلة بين المتشي وخصومه، تحقيق/علي محمد الجلاوي، محمد أبو القاسم إبراهيم، طبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١ م، ص ٤٥٢.

(٤) انظر: أبو هلال العسكري: المنتقى من ١٥٠.

(٥) دأحمد الوبراني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٨٦.

(٦) المرواني: شرح ديوان العمارة، (٥٠٦/١).

(٧) نفسه، (٦٠٨/١).

أو سأنيت ما حقه التذكير، كقول جواس:

جَئْتُم مِّنَ الْخَجَرِ الْبَصِيدِ نِيَابِطَةً وَالشَّامُ تَكْرُرُ كَهَلْهَا وَفَتَاهَا

نجدته قد "لئت الشام للقفية"، وإنما هو ذكر^(١).

وليس استخدام الشاعر للضرورة الشعرية - دائما - دليل على قصوره وضعفه، بل إنه قد يدل - في بعض الأحيان - على قوته ونبوغه، وإبداعه وانتكاره، وهو ما تتميز به جامع الحملةة نفسه، فلقد "شعر المعري والتبريزي أن هذا الابتكار والشعر على القوالب والعبارات العربية الجاهزة المألوفة جلبت مميزات شعر أبي تمام، وركن أسلي من أركان ما يسميه أبو العلاء "مذهب الطائي" ^(٢).

ومن هنا يمكننا أن نفهم لماذا استحسن المرزولي صورة اللفظة التي ركب فيها الشاعر الضرورة. انظر إليه يقول عن بيت المعدل بن النرخ المعجلي "القصيدة من المنصفات":

أَمَّا تَرْجِيَانِ الثَّأْرَ فَمِى إِيَّاسِ أَبِيكَمَا وَلَا تَرْجِيَايَ إِيَّاهُ فَمِى جُنَّةِ الْغَاثِ

"وقطع همزة ابني نزار ضرورة، كما قل الآخر:

إِذَا جَاوَزَ الْأَثْنَيْنِ سِرًّا فَثُبَّةً بَنِيَتْ وَإِثَارُ الْوُثَاةِ قَمِيْنٌ

ويركبن هذه الضرورة في الأكثر الأعم إذا كتبت الألف في اسم، وذلك أن أنفث الوصل عليها الأفعال دون الأسماء حتى يمكن حصرها إذا لم تكن في مصدر، فإذا كان كذلك فالمعتاد في ألفات الأسماء التقطع، فعلى ذلك يستحسن قطعها فيها، وإن كتبت في الوصل للضرورة" ^(٣).

- التعليل:

وهو "أن يغلب الأرجح من جهة الفصاحة أو البلاغة لفظاً أو معنى" ^(١). "وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره. وقيل: ترجيح أحد المظروبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما؛ إجراء للمختلفين معنى المتقنين" ^(٢). وقد لحا إليه الشراح كثيراً لجزء شبيهة المخالفة عن لفظ شعراء الحملةة وتراكيبهم فنزل الشاعر:

وَلَا نَقْرُ الْوَرَحْمَنُ يَوْمَئِذَا وَلا يَلِيْسُهُ مَلَأَتْكَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةً الْبَسْرِ

فحسب البيت "... غلبة الليلة على اليوم، ولذلك وقع التأريخ على الليالي دون الأيام من حيث كتبت أثيلة

أول الشهر، هذا مذهب العرب، وإن كان غيرهم مخالفاً فيه" ^(٣).

وقول آخر:

فَلَمَّا مَنَتْ بَنِيَّائِي إِلَّا الْفُتُتْ بِزَيْبِي أَوْ خِيَالَتْهَا الْكَذُوبُ

(١) ابن حسي: التنبيه على شرح مشكل ليلى المسامة، حاشية (٢٢٢)، ص ٣٧٤.
(٢) الهادي المجلد: مقال بحول خصائص الشروح العربية على ديوان أبي تمام، مجلة لصور، القاهرة، ترشيد النقي ج ١ (مع ١/١٤)

١٩٨٥ م، ص ١٤٦.

(٣) المرزولي: شرح ديوان لعمامة: (١/٧٣٨، ٧٣٩).

(٤) حزام انطون: مناهج البلاغة وسراج الزمان، تحقيق د. محمد الصوب بن حوجة، تونس، ١٩٦٦ م، ص ١٠٣.

(٥) نوري: شرح ديوان أبي تمام، تحقيق د. محمد الصوب بن حوجة، بيروت، ط ٢، د ٢، ٢٠٢٣.

(٦) ابن حسي: التنبيه على شرح مشكل ليلى المسامة، ص ٤٤٤.

د "أنت الخيال لأنه تجبه بها ، فلكد الشبه بينهما بتقوئه ليكون مثلها مؤثراً" (١).

- وجود نظائر للاستعمال في القرآن الكريم:

فمن ذلك استعمال شبيب بن عوانة (وراء) بمعنى (قدام) في قوله: (الطويل)
فَوَيْتَنُ فِي الْأَرْضِ الْفَضَاءِ لَعْنَتُهَا وَلَكِنْ أَكُنْتُ أَبْوَابَهُ مِنْ زِيَارَتِهَا
"وراء بمعنى قدام هنا، ومثله في القرآن: "وكان وراءهم ملك" (الكهف / ٧٨) " (٢).

ج - التأويل:

وهو منحى يتخذه الشارح في اتجاه نوع من التفسير لما بعد خروجاً بالنص من مجل المستعمل
المشهور. حتى "يكتب الشرح طبعاً تويرياً بجمل الشارح لا يلو - وهذا في الحد من "تسيب" النص و"اعتباطيته"
بررر نور المطبق في حفايه من خلال رصد "الأهلة" وحشد "القرائن" قصد الإقناع، ووسائله في ذلك (التفسير)
(والتعريف) (والتعريف) (٣).

من ذلك التفسير الذي لورده الشارح لحمل شاعر الحملة اللفظ مستقلاً وإن أراد المعنى. في قول ابن
رأون أبي

إِنَّا تَرَى مَا نَمَّا أَتَمَحَى بِهِ خُلُقٌ فَقَدْ يَكُونُ قَسِيماً يَرْتَقِي الْخُفْلَا

بالتوّل. "وقوله "فقد يكون" جعل اللفظ مستقلاً وإن أراد المعنى، لاستمرار الحال على طريقة واحدة
وقد مضى مثله. ويحور أن يكون حكى الحال. كتوله تعالى: "وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد" (الكهف / ١٨) " (٤).

د - كون الاستعمال المخالف في القافية:

فقد يضطر الشاعر مع التقنية إلى استعمال لفظ بعينه نون غيره من الأنماط مع أنها جميعاً من واحد
واحد (٥). وهو ما يعول عليه الشارح لتبرير اضطرار الشاعر إليه مثل "خيرها بلاء" في قول آخر: (الطويل)

فَأَغْنِيَنَّكَ الطُّوْلِي مَنْ أَمَّا وَخَيْرُهَا بَلَاءٌ وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا يَخْتَرُ

إذ "كان الواجب في مقابلة الطولي أن يقول والخوري بلاء، لو خوارها بلاء، فعلى أنه الوزن عن تخير المتغلبه" (٦).

هـ - كونه يحقق الإيجاز وعدم التكرار:

وهو ما نلاحظه في تعليق المرزوقي على بيت صلم بن عبيد الله: (البسيط)
وَأَمَّا غُفْرٌ وَقَبْرٌ فَكُنْتُ أَفْرَضُهُمْ مَبْتَلًا وَأَيْقَضُهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ

(١) من حني التشبه على شرح مشكل لمبات الحملة - ص ١١٢.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٢٤ / ١).

(٣) دالعة الزهرى: شرح الشعر عند العرب، ص ٣١.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٦٠٩ / ١).

(٥) انظر: دالعة محمد بن الصلابة اللغوية والتقنية في شرح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٦٩.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة - حماسة (٧٢١) (١٦٤٨ / ٢) (١٦٤٩).

فقد قل: قوله: (لو عد قبر وقبر) المراد به والأصل فيه: لو عدت القبور قبرا قبرا، إلا أنه اختصر الكلام وحذف القبور ورفع قراً على أن يقوم مقام الفاعل، فلما رلعه وأزاله عن سنن الحال في نحو قولهم: بعثت الشاء ثلثة ثلثة، وقضت المال درهماً درهماً، وصمت رمضان يوماً يوماً، رد حرف العطف، وإما قلت هذا لأنه من مواضع العطف، لكنهم اتسعوا في الحال لعلم المخطئ. وقال سيبويه: إن الغالب على هذا الباب كله أن يكون اتصاله من إحدى الجهتين: الحال أو الظرف، لأن الاتساع مذهب على هذا الحد والجواز لم يكن إلا فيهما. والظرف كقوله: لقينه يوم يوم، وصباح مساء، وملجأتها. قال: والإفراد في هذا الباب لا يجوز حماية على المعنى الذي يتضمنه التكرار. وإن قيل: هل يجوز على ما بينت: لو عدت القور قبر وقبر، على البذل. وكذلك بين حسابه باب وباب؟ قلت لا يجوز ذلك، لأن التصد والغرض من الكلام، وقد أجرى على مقدم، للتفصيل والتلغيع، ومن الإبدال على ما ذكرت لا يثبت ذلك. ومع ذكر القبور يحذف من الاسمين المترجمين عن الحال بعده. لا يجوز بعث الشاء ثلثة ثلثة، فذلك هذا، على أن يلبى الحال والظرف يحتملان من التوسع ما يضيق عنه أكثر أبواب الإعراب وبمعجز، وإذا كان كذلك لم يجوز تجاوزهما بالاتساع فيهما إلى غيرهما. إلا ترى أنه لو قال: لو عد قبرا كنت أكرمهما ميتاً، لم يحز، ولم يثبت منه ذلك المعنى، وإن كان المعطوف والمعطوف عليه إذا قلت جامعني رجل ورجل بمثالية جاءني رحلتين. ومعنى البيت: لو عدت القبور متنوعة مفصلة - وإنما يعني أعلام من قدم عليه في الآن والفحول خذولة وصومة - لكنك أكرمهم أباً، وأشرفهم بيوتاً^(١).

و - كون الاستعمال المخالف قد أجازه بعض علماء اللغة:

فلو القول الطهوي قد استعمل (فوارس) لجمع (فارس) في قوله: (الوافر)
فَمَثَلٌ نَفْسِي وَمَا مَنَعَتْ يَبْرِيَنِي فَوَارِسٌ ضَمِدُوا لِي بِهِمْ ظَنُونِي
"وفوارس مثلاً في الجموع عند سيبويه، لأن فوارس إنما تكون جمع فاعلة في صفت ما يعقل دون فاعله واستدرك على سيبويه هالك في الهولك. وبيت للفردق:
وَإِذَا الرُّجْمَالُ رَأَتْ رَأْسَهُ رَأْسَهُمْ خُضِعَ الرُّقَابُ لَوَائِمِ الْأَبْصَارِ
وبيت عتيبة بن الحرث:
(الوافر)

ومثلي في غوانيكم قليل

وقال أبو العباس المبرد: هو الأصل في جميعه، ويجوز في الشعر^(٢).

ز - كون الاستعمال المخالف يحل في التخالف في التطق:

وهو ما يمكن أن نلحظه في أكثر من موضع، من ذلك مثلاً ما وحموا به قول العباس بن مرداس: (الوافر)
وَنَضْرِبُهُ الْوَارِدُ دُهُ الْهَرْدِي لَمْ يَغْرِزْ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ

(١) المروزي: شرح ديوان الصمدية: (١١٢٢ / ٢).

(٢) نفسه: (٣٩ / ١).

المقضايا النحوية ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== التعليل

"وقوله (الهراوي) جمع هراوة، وورنه فعلل هراشي، لأن فعلة وفعالة يشتركان في هذا البناء من التكسير . تقول : صحيفة وصحائف ، ورسالة ورسائل ، إلا أنهم فروا من الكسرة وبمدها باء إلى الفتحة، فصار هراء، فاجتمع همزة وألفان فكله قد اجتمع ثلاث ألفات أو ثلاث همزات، فلبدلوا من الهمزة واءاً فصار هراوى. فلن قيل: فلا أختلف منه البناء، كما فعلته في مطايا وما أشبهها؟ قلت: أراونا أن يظهر في الراو كما ظهر في الواحد ليميز بنت الياه عن بنت الواو" (١).

ح - كون الاستعمال المخالف لغة جائزة أو جيدة أو لصيقة أو خاصة:

يقيم الشراح تحليله لتعامل الشاعر مع اللغة على "محورين أساسيين هما المعيار والاستعمال: المعيار بما هو سمة أو مجموع السمات التي تمكن من تمييز عنصر ما عن سائر العناصر الأخرى على نحو من الضبط دقيق؛ والاستعمال بما هو متكون من مجموع السمات غير المميزة التي تند عن القاعدة. ومن ثم أمكن اعتبار المعيار ما تواضعت عليه المجموعة الشعرية والاستعمال ضرباً من التعامل مع اللغة قد لا يراعى فيه بعض ما أجمعت عليه تلك المجموعة من مقاييس وضوابط . فيكون "الخروج" الذي قد يثير حفيظة المتشددين وقد يدفع بالبعض الآخر إلى تكويله وتبريره" (٢).

ومن هذا المطلق دافع الشراح عن لغة شعراء الحماسة، وردوا كثيراً مما قد يتوهم أنه قد يواخذ عليهم، فـ (مكعب) في قول رجل من تميم:

أَبْنَيْتُ الْفُحْنَ فِي مَنْغَابٍ عِظْفِي نَفْسِي لَا تُفْهَازُ وَلَا تُفْهَاجُ

"إذا أعربته منعه الصرف، لأنه علم، فلحصول التعريف فيه والتثنية مع كثرة الحروف يمنع الصرف. والشاعر تعميماً، وهذا لغة قومه. وإذا بنيته على الكسر أجربته محرى حذام، لأنه مؤنث معدول معرفة، فلمشابهته بهذه الأوصاف حرك ونزال يبنى، وهذه اللغة حجازية. واشتقق مكعب من سكبت إذا صبيت. ويقال في صفة الفرس: هو بحر ومكعب" (٣).

(و) (الفتى) في قول سعد بن مالك:

إِلَّا الْفَتَى الْمَصْطَبَازُ الْمَسِي الْفُحْنَ وَالْفُحْنَ وَالْفُحْنَ

"ارتفع على أنه بدل من التخييل، وهذا لغة تميم، ولغة سائر العرب للنصب فيما كان استثناءً خارجاً وإن كان جاكياً بعد النفي، لأن كونه ليس من الأول يبعد البديل فيه. والنصب كان جاكياً على كل وجه" (٤).

فـ (الفتى) يجوز أن يرفع على أنه بدل من التخييل ، ولكن المشهور أن يكون منصوباً على الاستثناء على لغة سائر العرب، وكلتا اللغتين مقبولتان.

(١) المبرورني: شرح ديوان الصفة. (١١٥٥ / ٢).

(٢) دالعمد الوبرلي: شرح الشعر ضد العرب، من ١٨٤، ١٨٥.

(٣) المبرورني: شرح ديوان المعصية (٢١٠ / ١).

(٤) تسمه: (٥٠٢ / ١).

ط. كون الاستعمال المخالف قد جرت به عادة المتكلمين:

كما يتضح من تعقيب انثريزي على قوله (عام أولاً) في قول آخر: (الكامل)
 وما ألبها العام الذي فُتِرَ أبني أي أتت البداة ليُفترَ عام أولاً
 "وقوله عام أولاً مما ألف منه كثرة الاستعمال فوصف بصفة لم توصف بها نظيره على التعارف،
 والمراد بهذا أنه لم يقل شهر أولاً ولا حول أولاً ولا سنة أولى وإنما خص هو بذلك لكثرة الاستعمال ولأن دلالة
 الحال وتعارف المتكلمين سوغ الأجراء على ما ألف فيه"^(١).

ي - كون الاستعمال المخالف قد كثر تردده في الكلام:

كما في لفظ (تدبراً) في قول جابر بن حريش: (الكامل)
 إذ لا يُغافُ خُفُوجُنَا فُذُفُ الثُّفُفِ قُبُلُ النُّفُفِ إقامَةً وَثُفُفَا
 فالقياس فيه أن "يقال ما بالدار ديار، وداري، ومنه قوله :
 لَبِثْتُ قَلِيلًا وَلَقَدْ لَدَارِيُونُ

والأصل في تدبر الولى ولكنه بنوه على ديار، لأنهم له بكثرة تردده في كلامهم"^(٢).

كذلك ما وقع في جمع (مصيبة) على (مصائب) في قول آخر: (الطويل)
 وَإِنْ خَدَعْتُ كَاتِبَ جَبْرِعَ مَصَابِبِ فَوَقَرَةً تَأْتِي بِالْمَصِيبَةِ الظُّهْرِ
 "المصائب: جمع مصيبة، وهي مفعلة، وشبه مدتها بمدة لفعلة، وجمعت جمعها، والقياس مصلوب وقد
 جاء ولكنه في الاستعمال دون مصائب. وهذا مما شذ في القياس، أعني مصائب. ومصلوب شاذ في الاستعمال
 مطرد في القياس"^(٣).

٣- التطور المجازي لبعض الألفاظ^(٤):

للمجاز عند العرب قاعدة، عدها المقاربة والمناسبة في التشبيه والاستعارة، وهي ما قد أشار إليها
 المرزوقي بقوله: "وبذلك الأمر نقرّب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يكتفي فيه بالاسم
 المستعمل لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعمل له"^(٥).

ولقد أغاض الشراح النظر في أشعر الحملة، تشقيقا وتأويلا، وتوقفوا كثيرا عند أصل المعنى وما
 صار إليه؛ فالوهي، وهو الحرب في بيت عمرو بن الإطلبية:
 وَالْقَاتِلِينَ لِيَذِيَ السَّوْغَى أَقْبَرَهُمْ نِيُ الْمُنْيُفَةِ مِمَّنْ فُزَاءَ الْوَالِيَلِ

(١) انثريزي: شرح ديوان الحملة: (١١١ / ٣).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (٥٩٣ / ١) ، ٥٩٥.

(٣) نمرة: (١٨٧٦ / ٢).

(٤) د. السيد حمدان: تصانيف اللغوية والنغمية في شرح شعراء على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٤.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: ص ١١.

أصله "الجلبة والصوت، ثم كثر استعماله فصار كناية عن الحرب..."^(١).

وبغيرها من الشواهد المتواترة في كثير من الشروح.

ومن صور التطور المعاصري كذلك التي لقيت عناية بعض الشراح، ظاهرة التغليب، وإن لم يتم التصريح بها في بعض الأحيان - خاصة تغليب الصفات على الأسماء - في قول زينب بنت النخعي ترضي أخاها: (الطويل)

مَضَى وَزَيْشَادُ نَزِيمٍ مَفَاضِلُهُ وَأَبْوَضُ هُنْدِيًّا طَوِيلًا خَمَاتِلُهُ

صعدت على السيف، بقول المرزوقي: "وأبيض، أي وسيفاً... وجعله طويل الحمل للطول قوامه"^(٢).

٤ - وجه الخصوصية والعفة في اختيار بعض اللفاظ والتعبيرات دون غيرها^(٣):

شعر الحماسة ببيع المعاني متفق العاطفة، علم بالرفقة والحلوة، مستوفي الجمال الفني، وقد دعا هذا الشراح إلى الإعجاب به، وندقة اختيار الشعراء اللفظهم وتعبيراتهم، فجنحوا لتقلدهم الأدبية في سبيل الكشف عما تطوي عليه اللفاظ والتعبيرات من جملة تعبري في الصور الشعرية والمضمون.

وحيث يريد أن يتلمس العناصر والمعاني التي اعتمد عليها الشراح في تحديد معالم الخصوصية والاختيار وتغليب، بعضها تتمثل في:

- نوقم الفني، على نحو ما نجد من قول المرزوقي في أثناء شرحه هذا البيت: قال آخر، ويقال إنها

تأبطت^(٤) (الطويل)

يَنْقُلُ بِمَوْمِئَةٍ وَيَنْصَبِي بِغَيْرِهَا جَحِيثًا وَيَنْزُورِي ظُنُوزَ الضَّهَائِكِ

"إنما قل بمسي بغيرها ولم يقل بيت، لأن قصده إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نهاره مفارقة، ولو قل بيت لم يبين منه ذلك"^(٥).

والبراء بن ربيعي الفصيح في قوله:

فَتَائِيَهُ كَانُوا ذَوَاتِيَهُ فَوَيْهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أَغْيِي مَا أَشَاءُ وَأَمْتَعُ

"إنما قل ذوبة قومهم ولم يقل ذائب قومهم، لأنه عدم شيئاً واحداً، لتلصصهم واتفاق أهرانهم"^(٦).

- حسنهم اللغوي مثل ما نلحده في قول المرزوقي عن بيت قيس بن ربيعة السبسي: (الطويل)

عَسَى طَيْسٌ مِنْ طَيْسٍ يَغْدُ هَذِهِ مَتَطَلَّى غُلَّتِ الْكَلَى وَالْجَوَائِحِ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١٣٤ / ٢).

(٢) نفسه: (١٠٨ / ٢).

(٣) انظر: د. السيد حسنة: القضايا البلاغية والفنية في شروح النماذج على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٥، ٢٨٢، العناصر فقط خلا الشواهد وشطرنج عليها.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٩٥ / ١).

(٥) نفسه: (٨٥٠ / ١).

"عسى لفظه وضعت للترجي والتأميل، إلا أنها تؤخذ بأن الفعل مستقل مطموع فيه، فيجب أن يستأني له، وإن كانت من أفعال المقاربة. وبهذا يبين عن لفظه كاد لأن كاد لمشاركة الفعل فهو يلي الفعل بنفسه تقول كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، بذلك على هذا أنه كاد زيد يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل أن، بذلك على هذا أنه قل ستطعن ثلاث الكلى والجوانح. لما كان من شرط عسى أن يجيء بعده أن إيذاناً بالاستقبال جعل هذا بدل أن السين، لأنه أشهر في الدلالة على الاستقبال، وإنما قل عسى طين من طين لأن الجذاب الذي أشار إليه والقتال، كان بين بطنين منهما" (١).

خيرتهم للخصه مثل ما أورده التبريزي عن خصوصية (الصفاء من الجراد) في بيت آخر: (الكامل)
فَقَاتَمَا طَارَاتٍ بِأَيْسَى بَغْدَدَ صَفْرَاءُ عَارِضَتَهَا زَعِيمُ جَرَادِ
"إنما خصى الصفاء من الجواد لخفتها في الطيران وهو ذكر الجراد وإنما تنقل الأنثى لما فيها من السرور وهو بيضها يقل سرات تسرا سرا إذا أنثرت وأسرأت تسريه قبل أن تنتثر لهاذا هنا نثره ورز الجراد وعزز" (٢).

كما بين التبريزي السر في اختيار شهري جمادى والمحرّم في بيت المتوكل اللبني: (الطويل)
فَإِنْ نَسَّأَلِ اللهَ الشُّهُورَ شَهَادَةً تَشْبِي جُمَادَى غَنَمٌ وَالْمَحْرَمُ
وهو أن "جمادى من أشهر التحط والضرر والمحرّم من أشهر الحرم" (٣).

- ثقافتهم ومعرفتهم بالأخبار والمشهور وكذلك الأمتل والمقور ومذاهب العرب.

فمن أمثلة اهتمامهم على المعرفة بالأخبار والمشهور خصوصية (المعجم) في بيت ملحة الجرمي: (السطوي)
كَمَلْنُ فُجْرَادِي زُفْرَةَ طَبَقْتُهُمْ بِطِينِ مِسِّ الْجَمُولَانِ كُتَابُ أَغْنَمِ
فالشاعر "خصهم لأنهم حينئذ كانوا أحق بالكتابة وأسبغها" (٤).

ويبرر لنا أهمية اختيار اللفظ المحدد، ومدى ملاءمته للسباق الوارد فيه، من خلال تعليق المرزوقي على قول
فَإِنْ بِنِ الْحَطِيمِ الْأَوْسَى:
يَهْوُونَ غَلِيٍّ أَنْ تُرَوِّجَ جِرَاحُهَا غَيَّوْنَ الْأَوَاسِي إِذْ خَبِثَتْ بِلَاعُهَا
حيث بين المر في خصوصية: (الأواسي) (النساء)، و سر اختياره لها دون الرجال، بما يشير بثقافته الواسعة ومعرفة الأخبار والمشهور عن العرب، فقلنا: "الأواسي: النساء المداويك للجراح، والقمل منه لسوت. ويقال للرجل الأسن والأسمة. وإنما ذكر النساء لأنهم يلغون من الصناعات، ويعلمونها العبيد والإماء وحرائر النساء أحياناً، إذ لم يكن في غلبة عبيد من الشرف" (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٩٦).

(٢) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٣ / ٦٥).

(٣) نسي: (٤ / ١٤٤)، والمرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ١٧٧٩).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧٨١)، (٢ / ١٧٤٩).

(٥) نسي: (١ / ٦٨٥).

وتعليق النمرى على قول آخر: (الطويل)
رَبِّعْتُ إِذَا لَمْ تَرْزَمْ الْبَازِلُ ابْتِهَاجًا وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمَنْزَمِينَ مَدْخَلٌ
حيث يقول: "إنما خص البازل لتجربتها، وكثرة ولائتها، وتواتر حنينها، ولذلك قالوا: "لا أفعل كذا وكذا
ما حبت النيب"، وهي المسان من النوق، وهي ها هنا التي ولدت ولدا واحدا، وهي أتل رنمقا، وأتل إشفاقا، ولولا
عجز البيت، لساغ أن يريد بالبازل ها هنا المرأة المسنة" (١).

أما ما اعتمدوا فيه على معرفتهم بالأمثال فيُضَح من قول المرزوقي عن خصوصية (ربح الأعاصير)
في قول زبلد الأعجم: (الطويل)
وَمَنْ أَتْنُمُ إِذَا لَمْ يَنْمِمْ مَنْ أَتْنُمُ وَيَخْنُكُمُ مِنْ أَنْ رِيحَ الْأَعَاصِيرِ
"وقوله من أي ربح الأعاصير، والأعاصير: جمع الإعصار، وهو الغار الساطع المستدير، وفي المثل "إن
كنت ريحا فقد لا حيت إصصا". وإنما خصها بالذكر لأنها تسوق غيثا، ولا تدر سحابا، ولا تلقح شجرا، لضرب
المثل بها لقلة الانتفاع به. وهذا كما قال الآخر: (طرفة)
وَأَنْتَ عَلَى الْأُنْفَى شِمَالُ عَرِيَّةٍ شَامِيَةٍ تَزْوِي الْوُجُوهُ بِلِيلِ
وهم يجعلون الريح كلية عن النوبة، فيقال: فلان هبت له ريح، فكأنه جعل مولتهم لا تجدي ولا ترد نفعاً، بل
تتوى وتحر شرا" (٢).

ومما اعتمدوا فيه جريا على عادة العرب: تعليق التبريزي على قول مرة بن محكان النخعي:
(البسيط)
يُؤْمِنُ النَّحْمُ عَنْهَا وَفِي بَارِكَةٍ كَمَا تُؤْمِنُ غُلَا قَاتِلِي مَنْفَا
"قال أبو محمد الأعرابي لو قال قتل لمن قال فشنش الجلد عنها وهي باركة ولم يذكر وهي مضطجعة وليس
شيء من الحيوان يسلخ إلا مضطجعا قيل له من عادة العرب أنهم إذا نحرروا الفاقة وخشوا أن تضطجع رلدها
الرجل من جفتها حتى تموت وهي باركة وذلك أن جزرهم لياها وهي باركة مسقوية هو خير من جزرهم لياها
وهي مضطجعة على جنبها فإذا ماتت جزلوها والجزل أن يحزوا أصل العنق ما بين المنكبين حتى تسترخي العنق
ولم يقطعوه كله وقد فصلوه ثم يكتنفها الرجل فيكتنف السنام رجلان وذلك أن يكون أحدهما من جنبها من شق
والآخر من الشق الآخر وأخران من قبل الكتفين وأخران من قبل المعز فتلاثة من جانب وثلاثة من جانب والمالغ
واحد وهي باركة" (٣).

وكذلك المعرفة بمعادات الشعراء وأساليبهم، حيث تلغ آخر، الشعراء في مخاطبة المرأة قللا: (الطويل)
مَنْبِي الطَّارِقِ الْمُعْتَرِ بِمَا أَمْ مَا لِي إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِزْبِي وَمَجْزِي

(١) النمرى: معنى ابوات الصلصة، ص ١٥٥، ١٥٦، حلبية زلم (٤٣٥).
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصلصة، حلبية (٦٦٦)، (١٥٣٦ / ٢)، (١٥٤٠).
(٣) للتبريزي: شرح ديوان الصلصة (٦٢ / ٤).

القضايا الثلاثة ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== اللفظ

أَبَسَلُ وَخَيْرُي أَنَّهُ أَوَّلُ الْقَبْرِ وَأَبْذَلُ مَعْرُوفِي لَهُ ذَوْنُ شَتْرِجِي

وهو "إنما خاطب امرأة على عاقبتهم في نسبة الملامت بسبب التنذير والإعراف والتوسع في الإنفاق إليهم، وإقامة الحجاج والجدال في الانصباب إلى جوانب الخسارات معهم. ويجوز أن يكون التبعج عندهما بما يحمده من خصاله، وتلك خصها بالخطاب"^(١).

- حتمهم البلاغي، والاستدلال على صحة الاختيار بالمذهب الفني للشاعر، وما تسفر عنه لمصائب الشاعر من فصاحة وبلاغة.

وقد تعرض الشراح خلال ذلك لمختلف ألوان البلاغة وفنونها من بيان ومعان وبديع، على نحو من تناولهم للتشبيه، أشاروا إلى أطراف من تعلق خصوصية بعض الألفاظ والتراكيب، مبرزين بذلك مواطن الجمال في تعبير الشاعر وأساليبه. يقول المرزولي في معرض شرحه لقول ملحمة الجرمي: (الطويل)
فَلْيُشَارِخِ الْأَوَّلَى مِنْ صَبِيرِهِ شَتَارِخٌ مِنْ بُتَانٍ بِالطُّولِ وَالْقَرَضِ
"اشماريخ: الأعلى. والصبير: السحاب الأبيض. ولبنان: جبل. شبه أعلى السحاب بأعلى هذا الجبل وأنوفه التي تتقدم منه، وقال "الأولى" تخصيصاً لما كان من صبيره خاصة، وقال "بالطول والعرض" ليبين وجه التشبيه"^(٢).

- وقد يكون اللفظ أو التركيب المختار أبلى في الدلالة على المعنى أو الغرض؛ نعم أن (خصوم) في بيت
صَارَ بِنَ عَقْلٍ
وَأَمَّا إِذَا أَتَيْتَ لَنْتَاءً وَبِغْوَؤُفٍ فَأَتَمَّكَ يَنْفَرَنْسِي الْأَدُ خُصُومُ
بناء للمبالغة منه شلى (خصيم) إلا أنه "أبلغ من خصيم، لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين"^(٣).

٥- المقم والمقنن من الألفاظ^(٤):

إن اهتمام الشراح بتحديد خصوصية بعض الألفاظ والتعبيرات، لم تكن لتقف عند حدود التعليل ومن ثم التفسير والتوضيح، بل كان الأمر يتطرق بهم - في بعض الأحيان - للدخول في مسائل أخرى، خاصة بتقييم أداء الشاعر ومدى توفيقه في اختيار الألفاظ والتراكيب، وما عليه من ساذج وعيوب؛ زيادة في الإيضاح والتفسير.

ومن أهم المسائل التي أشار إليها الشراح وحثوا على أهمية توافرها في الألفاظ ما يلي^(٥):

(١) المرزولي: شرح ديوان الحماسة: جملية (٦٨١)، (٢/ ١٥٧٦، ١٥٧٥).

(٢) نفسه: جملية (٨١٩)، (٢/ ١٨٠٨).

(٣) نفسه: جملية (٥٩٧)، (٢/ ١٤٣٣، ١٤٣٤).

(٤) د. السيد حمدان: القضايا البلاغية والنقبة في شروح قصائد علي بن أبي حمزة، ص ٢٨٢.

(٥) اتلا من د. السيد حمدان: تصانيف البلاغية والنقبة في شروح قصائد علي بن أبي حمزة، ص ٢٨٢: ٢٩٦، فخلص قسماً منها.

أ- خفتها في النطق:

استرعى انتباه الشراح المواضع التي كان يلجأ فيها شعراء الحملة إلى التخفيف عن طريق حذف بعض الحروف؛ توخها للتسهيل، كحذف الهمزة من (اسالي) في قول آخر: (عبد الله بن العمينة) (الطويل)
سلى البائسة القضاء بالأجرع الذي به البائن هل خيئت أطلال داريك
"سلي، أصله اسالي فحذف الهمزة تخفيفاً وأقيت حركتها على السين فصار اسلي، ثم استعنى عن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فحذفت فصار سلي. وهذا كما نقول في الأحمر إذا خفته: لحرمر. ومن قال الحرمر يقول: اسلي فبقي ألف الوصل"^(١).

أو عن طريق إسقاط بعض حروف الكلمة - غير الهمزة - استقلالاً لها، هذا الاستقلال في الطق قد يكون بسبب اجتماع حرفين متشابهين، فـ (تشوقيني) في قول رجل من بني كليب:
وخئت نائبي طرنا وثنوقاً إلى من بالحنين تشوقيني
"حذف ثونه استقلالاً لاجتماع بونين، والأصل تشوقيني. ومثله في الحنف قول الآخر: (الوافر)
يسوء اللغيات إذا فليتي

يريد فليتي"^(٢).

أو قد يكون استطراداً للاسم بصلته، كما في قول العنيد بن الفرخ العجلي "القصيدة من المنصفت":
فما كنا الأرض الأذا لو تزعزعاً تزعزع ما بين الجنوب إلى السد
"وقوله اللذا لو تزعزعاً حذف النون استطراداً للاسم بصلته. وعلى هذا قوله: (الأخطل) (الكلث)
أبسمي كليب إن غممي الأذا فتلا التألوك وفكنا الأغلا"^(٣).

ب- الدقة في الاختيار:

وذلك بأن "يختار للمعنى اللفظ الذي هو به لخص وأحرى بأن يكسبه نبلاً يظهر فيه مزية"^(٤)، وقد تعرض الشراح - أثناء إضاءة هذا الجانب - لتوضيح مواضع الكلم، وتحديد محلها الدلالي والبلاغي في لءاء المعنى، مما يعكس "حسا لنديا في الإفصاح عن أسرار الأنفاهل والكشف عما تتطوي عليه من دلفق تعبيرية"^(٥)، مثل ما نجد في شرح المروزي لقول جعفر بن عليّة الحارثي:
فقتنا لهم بتلغم إذا بغد غيرة ثقابن صزعى نوعها مثخمانيل .

(١) المروزي: شرح ديوان الصنعة حماسية (٥١٠)، (١٣٠٧/٢).

(٢) نفسه، (٢٩٤/١).

(٣) نفسه، (٧٣٨/١)، (٧٣٩)، (٧٤٠).

(٤) عبد التاهر المرحلي، دلائل الإعجاز، قرطه وعلق عليه/محمود محمد شكري، دار المعنى، حدة، ط ٣، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٣٥.

(٥) ج. ح. حمزة أبي تمام وشروحها دراسة ونمط، ص ١٠٦.

حيث يقول: "واحتار أن يقول "مُخالف" لأن هذا البناء يختص بما يحدث شيئاً بعد شيء، على ذلك قولهم تداعى البناء، إن كان أجزاء النهوض وبخل بعضها بعضاً فلا يكمل، وكله أكر عليهم الاشتراط والتحكم والإلحاح منهم إلى ذلك" (١).

وخصوصية الاختيار تلك، تعتمد على دعائم تقوي من أحقية اللفظة المختارة في أداء المعنى دون غيرها من المفردات والألفاظ منها حسن التعبير الموجز والتركيب الشديد في المعنى الذي يدور في خلجات الشاعر، وكذلك مدى مناسبتها للسباق الواردة فيه "وهل يتصور أن يكون بين اللفظتين تعاضل في الدلالة حتى تكون هذه أفل على معناها الذي وضعت له من دلالة صاحبها على ما هي موضوعة له حتى يقال إن رجلاً أفل من فارس، فلذا لا تتفاضل الكلمتان المفردتان إلا بالنظر إلى الممكن الذي تعمل فيه من نظم الكلام، ولا تجد أحداً يقول هذه الكلمة فصيحة إلا وهو يعتبر مكتبتها من النظم وحسن ملازمة معناها لمعنى جاراتها" (٢).

ف (القرارة) التي يعني بها القبر - مثلاً - هي قول الضبي:
أُنْصِيْ بِأَنْ تُصْبِحَ زَيْهِيْنَ قُبْرَانِيْ زُلْجِ الْجَوَابِبِ قَفْرَهَا مُخْشَوَةٌ

هي والقرار واحد إلا أن "نحول الهاء وسقوطها في أسماء المواضع كثير نحو دار ودارة ومكان ومكة ومرقب ومرقبة فإذا دخلت الهاء كان أخص" (٣).

ولكن الشراح في الوقت ذاته، علبوا على شعراء الحماسة في بعض المواضع عدم دقهم في بعض ألفاظهم، لأن هناك ما هو أدق منها والليق بالسباق.

تلفظ (نزوع) في قول آخر:
لَا يَمْتَنِعُكَ خَلْفُضُ الْفَيْشِ فِي سِي دَغِيْةٍ نُّزُوعٌ نُّلْمِيْ إِلَى أَهْلِي وَأَوْطَانِ
"بروي نزاع نفس وهو أجود لأن للنزوع اشتهاؤه في الكف عن الشيء والنزاع في الشوق وإن كان جلقاً ولوع أحدهما موقع الآخر في الشوق" (٤).

ومما يعاب على شعراء الحماسة استخدامهم المشترك دون قرينة، فـ (تكلفاً جمعهم) في قول قلعة بن مسلمة الحنفي:
فَأَتَتْهُمْ حَتَّى تَعَاظَى جَمْعُهُمْ وَالْخَيْلُ فِي مَنَاحِلِ الدِّمَاءِ تَغْوِمُ

قد تحتمل "تكفؤوا لهزموا، وهذا من الكفاء: إليك الشيء لوجهه، ومنه تكلف الإناء، إذا قلبته، ويجوز أن يكون من الكفاء: التظير والمثل، ويكون المعنى تكاثروا في مدافعتي ومقاومتي، أي تساموا حتى لم يفضل أحد منهم على الآخر في ذلك، وعلى هذا ما روي في الخبر: "المسلمون تكلفاً ملازمهم" (٥).

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٤٦، ٤٧).

(٢) عبد القاهر المرحلي: دلائل الإعجاز، ص ٢٥.

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ١٠٤٦).

(٤) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ١٤٧).

(٥) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٧٦٧).

وكذلك كلمة (سخلمي) في قول ابن السلمي:
نغمري لأذ كانت لججاج غريضةً ونزل منطامي الجناحين أذهم
قد تحتمل الأسود وقد تحتمل الريش اللين تحت الجناح، فهي لفظة متحركة استعملها الشاعر دون قرينة، ولكنها على الوجه الثاني أرجح "لأن قوله أذهم قد دل على الغلظة"^(١).

ج- الوضوح وعدم الغموض:

إن وضوح الكلمة وعدم غموضها أمر ضروري كي يتلقى المستمع النصوص الشعرية، ويستجيب لها بسرعة، بإدراك ووعي واستباه، دون وجود صعوبة في التلقي والاستيعاب، إلا أن بعض الشعراء يجنحون - إما عن قصد أو غير قصد في بعض الأحيان - إلى الغموض والإبهام في أشعارهم، مما يشدد أمر تبسيط النص الشعري وتسهيله على السامع ومن ثم على المتلقي ذاته.

ومن هنا وجدنا شارحاً كالمرزوقي "لم يفسح المجال للحديث عن الغريب، ولم يكن يهتم كثيراً بشواذ اللغة، ولم يجنح إلى الإسهل في المسئل اللغوية العويصة، لأن هدفه هو التقريب والتسهيل من جهة، ولأنه كان يحرص على المتعة الفنية الناتجة من قراءة الشعر"^(٢).

وبعض شعراء العمالة كلوا بضمون أشعارهم بعض الغريب من الألفاظ على الرغم من إثارةهم لوضوح الألفاظ والتراكيب، مما أوقع الشراح في الحيرة والتربد من تحديد معنى الشاعر، ومقصده.

مثل ما ورد في قول أوطاة بن سهبة:
وتخفنن تكمو غم غلى ذاب يميننا زرايسمي، فيتنا بغضنة وتناقم
يقول النعمري: "وقال أكثر أهل العلم: لا ندري ما الزرايسمي ها هنا"^(٣).

د - أن تكون جارية على العرف العربي الصحيح والمشهور:

يعتمد الشراح إلى ما تواضع عليه العرب في الاستعمال، كمقياس لصحة الكلمة، وفصاحتها، فالشراح "يخضع تحليله المعجمي لمقولات صرفية متواضع عليها يسعى إلى أن يتعرف من خلالها على الوحدة المعجمية في انتمائها المقولي"^(٤)، وبذلك نجد أن "التحليل المعجمي يتم وفق مقولات الصرف المعروفة مما يدل على أن البحث في معنى الكلمات مشروط بمدى التطبيق والضوابط الصرفية. فالشرح هو في وجه من وجوه عمل علمي ضابط يحد من تسبب المعنى المعجمي، وذلك بتقييده ببنية الكلمة وما تقتضيه من خصائص شكلية وقوالب اشتقاقية"^(٥).

(١) المرزوقي: شرح ميوز الصلحة: (١ / ٧٦١).

(٢) دليمند جمال الصري: شرح الشعر الجاهلي، صامع لتتراخ (٢ / ١٧٠).

(٣) شعري: معاني أبيات المعجمة: حاصلة رقم (١٣٧)، ص ٨١.

(٤) دليمند الوملي: شرح الشعر عند العرب، ص ٦٧.

(٥) نفسه: ص ٦٧.

وشراح شعر ديوان الحماسة كقوا - في الغالب - يأترون المسموع المشهور وما عليه الجمهور، ويرفضون ما سواه، والتقليد يأتي في المرتبة الثانية بعد السماع. وقد احتكم الشراح إليه واحتجوا به في مواضع كثيرة سبقت الإشارة إلى نماذج منها^(١).

وقد تحقّب الشراح شعراء الحماسة في ما خالفوا فيه هذا العرف فيما يخص^(٢):

- ضبط الكلمة:

مثل تحريك دال (قدي) في قول رجل من كلب: (الطويل)
فَأَنْتِ لَآ أَمْسَى عَلَى إِبْسَرِ هَالِكٍ قَدِي الْآنَ مِنْ فُجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي
"والأجود إذا أضفيت قد إلى الياء أن يقال قدني فتزاد النون ليمسكون الدال كما قالوا عني ومنى
فشدوا النون رغبة في بقاء السكون وقال زيد الخيل: (الوالر)
وَلَوْلَا قَوْلُهُ مَا زَيْدٌ فَنَدَنِي إِذَا قَامَتِ نُصُورَةٌ بِالْمَالِي" (٣).

- تصريف الكلمة:

دافع المرزوقي عن الصمة بن عبد الله التبري في اختياره لفظة (ريا) بدلا من (روى) في قوله: (الطويل)
خَنَنْتُ إِلَى زِيَا وَتَلَمَّكَ بِاعْذَتْ مَرْزَاكُ مِنْ زِيَا وَتَشْفَاكُنَا مَخَا
"ريا اسم امرأة، فإن قيل: هل قيل روى، لأن فعلى إذا جاء اسما من بنات الياء بقلب ياءه واوا، على هذا
الفتوى والشروى والتقوى والبقوى؟ قلت: إنه سمي به منقولاً عن الصفة، وفعلى صفة يصح فيه الياء، على هذا
قولهم: خزيا وصديا وربا كلفه تليث ريان في الأصل، كما يقال عطشان وعطشى، ثم نقل من باب الصمات إلى باب
لسمية بها فترك على بنقه" (٤).

- إعراب الكلمة:

وهو مما لولاه الشراح اهتماما كبيرا حتى ليعد من أبرز المجالات التي جالوا فيها، وتتبعوا فيه الشعراء،
من ذلك - مثلا - ما علق به المرزوقي على هذا البيت لمزيد بن حمل، وقيل زياد بن منقذ: (البيوط)
لَيْسَتْ خَلِيَّتُهُمْ إِذَا يَفْطَنُونَ أَرْبُوزَةً إِلَّا جِنَادُ قِسْبِ التَّيْسِ وَالنَّجْمِ
بقوله: "وقوله إلا جناد رفعة والوجه الجيد التصيب، لأنه منقطع مما قبله، لكن بني تعميم يرلمعون مثل هذا
على البذل. وهذا يشبه بدل الغلط لهذا ضعف في الإعراب" (٥).

(١) انظر ما سبق في الحديث عن تامل السمع.

(٢) مثلا عن د. تيسر حنظل: قضايا البلاغة والخطبة في شرح قصائد علي بن أبي العلاء، ص. ٢٩٢ - ٢٩٦. المنصر قد خلا لتواضع.

(٣) التبري: شرح ديوان الحماسة: (٥٧ / ٣).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، حاشية (٤٤)، (١٢١٦ / ٢، ١٢١٦ / ٢).

(٥) نفسه (١١٠٢ / ٢).

- دلالة الكلمة:

فَتَزُومَةُ بْنُ الْمُطَوَّلِ لَمْ يَوْفُقْ فِي قَوْلِهِ:
لَفْزِي بِزِيمٍ جَدَّ بِسَابِ إِبْسَنِ مُخْبِرِي أَغْنَى غَالِيهِ الْيَازُفَانِ شُثُوفُ
لأن "الزيم" الظبي الخالص البياض وأغن في صوته غنة والخفة صوت يخرج من الأنف وهو صفة للزيم لا
للمرأة شبه المرأة به ثم نعتة والمشوف المجلو وهو من صفات الزيم أيضاً وكان الأجود أن يكون من صفات البارق
وهو فارسي معرب أصله بارة وهو السوار^(١).

- لغة الكلمة المشهورة:

لقد تعرض شراح الحماسة كذلك لللفاظ التي استخدمها الشعراء وهي مرفوضة في الاستعمال، أو غير مقبولة.

له "المعنى" في قول آخر في امرئتين تزوج بهما:
بَتَّيْتُ فَلَمَّ زِلْمٌ أَنْزَلْنَا قُتْرِي وَلَمَّ تَبَكُّ الْمُنَاقِي
"هو جمع الموزني على وزن للمعنى ، وهو طرف العين الذي يلي الأنف، وهو مخرج النسيم. فلذلك جعل
الفاعل لها. وفي هذه النقطة غنة لغات:

ملق على وزن المعق وجمعه أمق، وملق على زنة قلح والجميع مواق. وحكى أبو زيد ملق والجمع
مواق. وقال لمرؤ القيس في المعنى:

شَقَّتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَخْز

وحكى يعقوب "في المنطق" عن الفراء أنه ليس في كلام العرب مفعل بكسر العين إلا حرفان: ملكي
العين، وملوي الإبل وهذه اللفظة على اختلاف اللغات قد صارت مسألَةً، وتكلمت في وجودها، وبينت خطأ من وزن
ملكى العين بمفعل بكسر العين^(٢).

حيث نجد الشاعر قد خالف العرف الفصيح والمشهور في استخدامه قِياس غير صحيح، قد أخطأ في الوزن عليه.

وكذلك ما أورده الموزوني في تعليقه على بيت الشاعر:
لَنْ يَنْفُزَ مِنْ بَيْتِي إِنْ بَيْتِي لَفَقِيرُ

الذي عد فيه "أفقر" مبني على "فقر" المرفوض في الاستعمال، معللاً ذلك بالقول: "وإنما قلت هذا لأن فقيراً
كان حكمه أن يكون فعلة على فقر، ولم يجز منه إلا افتقر. وشرط فعل التعجب وما يتبعه من بناء التفضيل إلا

(١) الموزوني: شرح ديوان الحماسة: (١ / ٧٠٣).

(٢) نصح: (١٨٦٨ / ٢ ، ١٨٦٩).

وجيء إلا من الثلاثي في الأكثر، وما كان على فعل خاصة، وإذا كان كذلك فافتقر لا يصح أن يكون مبنيًا على افتقر ولكن على افتقر" (١).

- بنى الكلمة:

مثل حنّف عمرو بن كلثوم نون (ن) في قوله:
فَمَا أَهْلَبَ الْإِسَامُ بِلَفْعَالٍ عَشْدَنَا بِمَوْزٍ جُنْمٍ أَذْوَابٍ مُعْدَرٍ لَمَسَةِ الثُّمَلِ (الطويل)

"وقوله "لمعل" أراد من المال، فجعل الحنف بدلاً من الإذعلم لما التقى بالنون واللام حرفان متقابلان، الأول متحرك والثاني ساكنٌ سكوناً لازماً" (٢).

ومثله ما جاء في قول ابن ميادة:
وَمَا أَسْنَمَ مِلَّيْنِ أَشْيَاءَ لَا أَسْنَمَ قَوْلُهَا وَأَسْنَمَهَا نُسْرَيْنِ خَشَوَالِهَا
تَمْتَنِعُ بِهَذَا الْبُزُوعِ الْفَصُورِ فَإِنَّهُ زَهْرَيْنِ بِالْإِسَامِ الشُّهُورِ الْأَطْوَالِ (الطويل)

فـ "قوله مل أشياء أصله من الأشياء، وجعل الحنف بدلاً من الإذعلم لما تعذر إتيانه في المتقاربين، وقد مر مثله مستقصى" (٣).

ولقد نزع الشراح في تحليلهم أشعار الحملة إلى إزالة ما يوجب استعمال الشعراء للحنف مما خلفوا فيه التقياس، لما لم يصح من أشعارهم على التقياس فهو يصح على كثرة الاستعمال، مثل حنف (اللام) و (الهمزة) من أصل الكلمة في قول:

وَيْلَهُمْ لِيَذَاتِ الشُّبَابِ مَعْرِشَةٌ مَعَ الثُّمْرِ يُظَاغُ اتْفَتْسِي الْعُثْبَلُفُ الثُّبِي
وَلَدَ وَيَقْبَلُ الثُّمْلُ الثُّمْسِي ثُونُ هُنْهِ وَقَدْ كَانَ لَوَلَا الثُّمْلُ طَلَاغُ أَنْجَدِ (الطويل)

حيث يعلق المرزوقي على هذا الحنف بقوله: "لفظه (ويل) إذا أضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب، تقول: ويل زيد، والمعنى ألزم أنه زيداً ولاءً، فإذا أضيفت باللام فويل: ويل لزيد، فعكسه أن يرفع فيصير مع ما بعده جملة، مبتدئ، بها وهي نكرة لأن معنى الدعاء منه مفهوم. والمعنى: الويل ثابت لزيد. كنه عند محصل له، كما يقال: رحيم لله زيداً فيجعل اللفظ خبيراً. وإذا كان حكم ويل هذا وقد ارتفع في قوله (ويلم لذات الشباب) فمن الظاهر أن أصله ويل لام لذات الشباب، فحنف من أم الهمزة، واللام من ويل، وقد أبقى حركة الهمزة على اللام الجارة، فصار ويلم. وقيل: ويلم، كما قيل: الحمد لله والحمد لله إتياعاً إحدى الحركتين الأخرى، وقصد إلى مدح الشباب وحمد لذاته بين لذات المعاش وقد طع لصلحيه الكثر، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشباب له وهو سخي مفرز فيما يكسبه نكراً جميلاً، وصيغاً عالياً" (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصفة: (١٣٥٥ / ٢).

(٢) نفسه: حاشية (١٦٠)، (٤٧٦ / ١).

(٣) نفسه: حاشية (٥٥٢)، (١٣٥٥ / ٢).

(٤) نفسه: حاشية (٤٤٨)، (١٦٠٢ / ٢).

ومثله تعليقه على قول فراد بن حنش الصاعري:

لَقُومِي أَزْعِي لِلْفَلَسِ مِنْ عَصَابَةٍ مِنْ النَّاسِ يَا خَارِي بْنَ غُضِيرٍ وَتُؤْذِي
وَأَنْتُمْ سَعَاءُ يُفْجِبُ النَّاسَ بِزَهَا بِأَبْدٍ تَجْجِي شَبِيدٍ وَنِيْدَهَا
تُظْطَغُ أَطْطَابُ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ وَأَكْثَبُ شَيْءٍ يَزُقُّهَا وَزَعُودَهَا
فَوَيْلُنْهَا خَيْلًا بِهَاءٍ وَشَارَةً إِنَّا لَأَقْبَتِ الْأَعْدَاءُ لَوْلَا صُدُودَهَا

"وقوله فويلها خيلاً انتصب خيلاً على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله ويلها لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هنا بقياس. والنقطة تفيد التعجب" (١).

أو حذفت (الياء) و(الألف) في قول عمرو بن حكيم:

خَلِيلِي أَنْمَنِي خُبُّ خَرْقَاءَ غَابِيْدِي فَبِئْسَ الْقَلْبُ بِئْسَةً وَفَرْقَةً وَضَ
وَلَوْ جَاوَزْتَنَا الْغَامُ خَرْقَاءَ لَمْ تُبْزَلْ عَلَيَّ جَنْبًا أَلَا يَصُوبُ زَيْدِ

"وقوله لم يزل جزءه مرتين لأنه كان نبالي، فدخل الجازم عليه فحذفت له الياء فصار لم يبال، ثم لم بعد أن طلب تخفيفه لكثرة في الكلام، فالتقى ساكنان: الألف واللام، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار لم ومثل هذا لا يقل" (٢).

هـ - فصلحتها:

لفصلحة الكلمة شروط وقواعد تواضع النقاد عليها، وأسهبوا في الحديث عنها (٣)، ومخاها "سلامتها من تنافر الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة قواعد اللغة المستقراء من استعمال العرب" (٤)، ومع ذلك نجد أن "لنصحاء المتلين في أفعالهم ما لم يسمع من غيرهم" (٥)، فـ "مع هذه الصرامة التي سادت أوساط اللغويين والنحاة الأوائل، نرى - في إعجاب - من نادى منهم بعدم الالتزام الحرفي بقواعد اللغة وما إليها كعلي بن الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) فضلا عن بعض الشعراء، كعلي الطيب المتنبّي" (٦)، معنى هذا أن لفصلحة الكلمة معيار وضوابط قد يجتأ عليها الشاعر لا للاضطرار إليها، بقدر ما هو يقصد الاتساع والزيادة، لم بمعنى آخر "قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار إليه، ولكن للاتساع فيه، وتفاق أهله عليه فيحدثون ويبدون" (٧).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: مجلد (٥٩٦)، (١٤٣٠ / ٢)، (٢).

(٢) نفسه: مجلد (٥٩٠)، (١٤٣١ / ٢)، (٣).

(٣) انظر: ابن حبان الخليلي: من النسخة، صححه وعق عليه عبد المتعال الصمدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٧٧ هـ، ١٩٥٣ م، ص ١٠٠-١١٠، وعبد المتعال الصمدي: بنية الإحصاء لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لجمال الدين ترموزي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١٢٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، (١٠/١)، والتكشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية للعلمة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ووزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٤ م، (٢٠٤/٢)، ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٤٨، (٤).

(٤) محمد الطاهر ابن عاشور: شرح المشمة الألفية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م، ص ٣٢، (٥).

(٥) نقلي الجرحي: الوسيلة بين المتبني وخصومه، تحقيق/علي محمد الحاروي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥١ م، ص ٤٥٢، (٦).

(٦) دبلنحي محمد أبو عيسى: تصانيف الألفية والنية في شرح المرزوقي لديوان الحماسة، ص ٩٩٦، (٧).

(٧) نقلي الجرحي: الوسيلة بين المتبني وخصومه، ص ٤٥٠، (٨).

أ- تجنب التكرار:

وانتكرار من الألوان البلاغية التي تعرض لها البلاغيون قديما تحت مسمى التكرير أو التكرار^(١)، والتي لم يستحسنها كثير من الشراح سواء أكان هذا التكرار باللفظ أم بالمعنى؛ لذلك يراهم يعيرون على الشاعر تكراره لذات المعنى في النص، مما دفع بعضهم إلى أن يختار أو يقترح رواية تتلافى التكرار الذي لا يؤدي إلى زيادة في المعنى. ولنتأمل على سبيل المثال بيت بعض شعراء بلعبر:

(البسيط)
 إِذَا لَقِيتُكُمْ بِمَعْنَى مَفْشَرٍ خُشْنٌ عِنْدَ الْخَيْطِظَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَأَسَا

فقد قال عنه المرزوقي: "وقوله إن ذو لؤثة تعريض منه بقومه ليغضوا ويهتاجوا لنصرتهم. وهو في البعث والتهيج أحسن من التصريح، كما أنه في الذم والهجو كذلك. وهذا بعض الناس رواه إن ذو لؤثة وزعم أن ذو لؤثة ليس بجيد لأن الضعيف أبداً مهين، والواجب أن يقول إن القوي لأن، واللؤثة هي القوة. والرواية الصحيحة هي ضم اللام من اللؤثة. واللفظة ما ذكرت من التعريض بقومه. ولأن يكون طرفا البيت متناولين بمعنىين متقابلين، أحسن من أن يكونا مبينين لمعنى واحد"^(٢).

أو قد يقترح توجيهها كما جاء في تعليق المرزوقي في بيت آخر:

(الطويل)
 وَبَيْنَ مَنْ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلْ نَأْسَنُ لَيْلَى شَفِيفِهَا

يقول المرزوقي: "معنى البيت: خبرت أن ليلى أرسلت إلى ذا الشفاعة في بلها، تطلب به جاهاً عندي، مستكنية عن ذكرها في الشعر وعن إتيلها وما يجري مجراه. ثم قال: هلا جعلت نفسها شفيعاً. فتقوله (بشفاعة) حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، الفعل الذي يقتضيه هلا دل عليه شفيعها، أو قال: هلا نفسها شفيعها. ولكن أقرب في الاستعمال، إلا أنه قصد إلى التخييم بتكرير اسمها"^(٣).

وتد ينزع الشارح - أيضاً - في التفسير إلى ما قد يحنب النص تكراراً لا فائدة منه، فـ (ما) في قول شاعر

الحماسة:

(الطويل)
 وَلَقَبْنُ غَرْثِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٍ كَمَا كُنْتَ الْفَيْ مَبْكَ إِذَا نَسَا مُطْلَقُ

"الأحود أن يكون "ما" موصوفة غير موصولة، لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة وفي تقدير الذي، والقصد إلى تشبيه صبابه مجهولة بمثلها، والتقدير عرت صبابه تشبه صبابه كنت أكلفها فك في ذلك الوقت. كله شبه حاله ليها بعد ما مني به بحاله من قبل"^(٤).

(١) انظر: انفراد: معلى لوران، عالم الكتب، بيروت وأثر المصرية لتأليف والترجمة، مصر، دت (٢٣٤/٣ ، ٢٨٧/٣)، وأبو عبيدة: محقق القرآن، خلق طبعه دلفراد مزكي، ط٢، مطبعة الفقهى، مصر، ١٩٨١م (١/ ١٢)، والجلند: البيان والشبين، تحقيق/عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (١٠٤/١)، وابن كتيبة: تلويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الشرا، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣ هـ (٢٣٢ - ٢٣٥)، والبالاني: إعمال القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٧م، ص ١٦٠.
 (٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (٢٦ ، ٢٥ / ١).
 (٣) نفسه: (٢ / ١٢٢٠ ، ١٢٢١).
 (٤) نفسه: (٥٥ / ١).

فقد اختار الشارح تفسير (ما) وتوليها على الوصفية بدلا من الوصلية حتى لا تكون بمعنى الذي فيقع في البيت تماثل في التشبيه، ويكون هناك تكرار لا لفائدة منه، ولا يضيف جديدا للمعنى.

ونحو ذلك تفسير التبريزي كلمة (النقع) في قول قتادة من مسلمة الحنفي: (الكامل)
لَمَّا تَلَّيْنَا الصَّلَاةَ وَاخْتَلَفْنَا الْقَلَا وَالْفُؤْلُ فِي تَلْعِ الْعَجَاجِ أَرْوَمَ

"النقع الأجود أن يكون مصدر نقع الشر والصوت والموت إذا كثر وارتفع، وأن عدل به عن العبار، ومعنى رمح الخبار ما أثر منه، قال أبو هلال: النقع والعجاج واحد فأصلف لاختلاف اللفظين، وأحود من هذا أن يقل النقع ما كُتِف من الخار وثبت، مأخوذ من قولهم ماء نقع وسم نقع أي ثابت، وللعجاج ما يستطير منه فأضاف أحدهما إلى الآخر لاختلاف المعنى" (١).

ب- تجنّب الحشو:

اصطلح البلاغيون على أن الحشو هو "الكلام المملوء بالادعاء، والمبالغة التي لا تتطلبها الفكرة" (٢)، أو "هو الزائد الذي لا يعتمد عليه ولا لفائدة منه" (٣)، وقسمه العكري (ت ٢٩٥ هـ) على ضربين: مضموم وآخر محسود، والمضموم هو "إحداك في الكلام لفظا لو أستطنته لكان الكلام تاما" (٤)، وأما الضرب المحسود، فهو حشو ملبح، وهو ما أطلق عليه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام (٥).

وفيد الشراح من إنجازات أسلافهم وتصوراتهم لمصطلح الحشو وأثره في المعنى، فإبراهيم بن وهب بهذا الحشو المحسود في أكثر من موضع، من ذلك مثلاً تعليق المروزي على بيت آخر: (الطويل)
وَتَقَرَّرُ عَنْ كُلِّ عَيْبَةٍ حَدِيثُهَا وَعَنْ جِبَلِي طَرِي وَعَنْ فَرْزَنِي مِصْر

"وقوله "عدمت حديثها" دعاء لنفسه وعليها، وهو من الحشو الحسن. ومثله في الدعاء وحسن الموقع قول الآخر:

إِن التُّمُوتَيْنِ وَيَلْقَهُنَّ _____ قَدْ أَخُوَجْتَ نَنِي إِلَى تَرْخُصَانِ" (٦)

كما أضح الشراح عن تأثير هذا الحشو في المعنى، وبيان مقاصده، والأسلوب المتوخى في ذلك، فلفظ

(فاعلن) في قول المرار بن سعيد :
إِذَا شِئْتَ بَوْنَا أَنْ تَمُوتَ عَشِيرَةً فَبِالْجَنِّمْ مِنْذُ لَا بِالنَّعْرِ وَالشُّنْمِ
وَلِلْجَنِّمْ خَيْرٌ فَاغْنِ مِنْبَةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَقْتُمْنَ مِنْ ظَلَمِ

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٣٨ / ٢).

(٢) فطر: محدي وهبة، وكفل المهنس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتة لبنان، ١٩٨٤ م، ص ١٥٠.

(٣) سطر: جبر عبد البره، معجم الأبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩ م، ص ٩٤.

(٤) أبو هلال العسكري: الصناعين، ص ١٨.

(٥) فطر: نفسه، ص ١٩.

(٦) المروزي: شرح ديوان الحماسة: حطية (٨٧٤)، (١٨٧٧ / ٢).

"حشو. فإن قيل: كيف اختير هذا البيت بهذا الحشو، والمتكلم إذا استعمل في كلامه مع المخاطب أعظم وأسمع وما يجري مجراها، عد ذلك منه صيغاً قلت: إن هذه النظرة في هذا المكان محتاج إليها في عمدة المعنى المقصود، وإن ما أشرت إليه إنما يكون زوائد وفضولاً لا يحتاج إليه، فإذا وصل المتكلم بها كلامه مستمعين بها عد منه خطأ وعيباً، وهو في هذا المكان وصاء بلفظك فيما أورده والتبيين له، وبمعرفة الحلم ووقته حتى يدري كيف يأخذ به. فقله: فاعلم، فاعرف، ومفعوله محذوف، والمراد فاعلمن الحلم ومغيبته، فاطلق. رجع فيما أشار به مطلقاً، واستثنى في كذمه فقل: إلا أن تغر من ظلم بركبك، وحضيصة تتالك، فإن الجهل في ذلك الوقت أرجع في الاختيار من الحلم، إذ كان صمم الشر بالشر أقرب، ونفع الجهل بالجهل أحلم" (١).

ج- الإيجاز:

والإيجاز هو "أن يكون اللفظ أقل من المعنى، مع الوفاء به" (٢)، كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والإسهاب، ويعتبر الإيجاز هو البلاغة (٣).

وهو على قسمين: إيجاز قصري، وهو "تلييل الألفاظ، وتكثير المعنى" (٤)، ويسمى كذلك إيجاز البلاغة، والقسم الآخر: إيجاز الحذف، ويكون "بحذف بعض الكلام، تخفيفاً لقوة الدلالة على معناه" (٥).

ولم يخرج الشراح عن دائرة من سبقهم في تحديد مفهوم الإيجاز، عند قولهم على بعض أنواعه بالشرح والتحليل، ونظراً لأن الإيجاز يتلخص عنه علاقة تركيبية جديدة، تحتاج مسلماً تكويلاً ملتويًا، وفق حلقتين "حلقة" فهم "تخص الشراح، وحلقة "إفهام" ترتبط بالمتكلم" (٦)، توجه الشراح إلى بسط المعنى الشعري للمتلقى، موضحين موضع الحذف فيه والفرص منه، متقنين عن الشعراء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، مفسحين عن المعنى الذي قد تتخفى وراء الحذف.

من ذلك - مثلاً - اتجاه الشاعر نحو الاختصار في الكلام، بحيث يعبر قليلاً عن كثيره، وتقدير الجمل المعنوية، ولتأمل قول المرزوقي - في شرحه - في بيت شاعر الحمالة: (حسان بن نسيبة) (الطويل) منمنماً نقو قنولي الفؤوم يبتزوؤنؤ - بأسيالهم خنؤى فؤؤ فؤنؤنؤرا "في الكلام اختصاراً، كنهه قال: ابتزوه بالأسياف وضربوه حتى سقط لحنؤ ضربوه" (٧).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحمالة، حماسة (١-١)، (١١١٩/٢).

(٢) دالعمد مطلوب، ودالعمد حسن المعنى: البلاغة والتحقيق، حلقة النور، مطبع دار الكتب، الموصل، ١٩٨٢ م، ص ١٧٩.

(٣) دالعمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢ م، (١/ ٢٤٤).

(٤) أبو حلال العسكري: الصنائع، ص ١٧٥.

(٥) بدر الدين بن مالك: المصباح في المعاني والبيان والمبدع، حققه وشرحه ووضع فهرسه د/ حنلى عبد الجليل يوسف، القاهرة، مكتبة الأديب، ١٩٨٩ م، ص ٧٤.

(٦) دالعمد الزمرني: شرح الشعر عند العرب، ص ٣٥.

(٧) المرزوقي: شرح ديوان الحمالة، حماسة (١١٢)، (١/ ٣٣٩، ٣٣٨).

ولا يتألى اهتمام بالإيجاز وتغييرهم له، اهتمام كذلك بالإطناب، وليس أدل على تقدير الشراح لقيمة الإيجاز والإطناب معا في الكلام، من قول المرزوقي في معرض حديثه عن الفرق بين الإطناب والإيجاز "من عرف الفرق بين الإطناب والإيجاز، وبين التطويل والتقصير، وعلم أن الإطناب تخدم وتكمل، كما أن الإيجاز تخلّص وتهذيب، وأن التطويل زيادة على الكفاية، وذهب عن غاية الحاجة، كما أن التقتصي قصور عن الحد المرتد، ووقوف دون مدى المراد، حمد الإطناب والإيجاز لما نالهما من سهل البلاغة، ونم التطويل والتقصير بما فقهما من أقسام النفاضة"^(١).

د- سلامة اللفظ وحسن الطبع:

نأى يكون الكلام سهل اقتضاه ميسر الإدراك. وفيه جانبية الصنق والبساطة وموافقة الفطرة واستحبة الطبع، إلى جانب "السلامة من التعقيد المعنوي أو السلامة من الخطأ في استعمال اللفظ: إما لتصور في معرفة اللغة وإما لفظة كاستعمال اللفظ الدال على الأعم في حين إرادة الأخص"^(٢)، فإذا ما خالف اللفظ تلك المواصفات خرج عن شروط الإحاطة عن البلفاء "كان يكون اللفظ وحشا، أو غير مستقيم، أو لا يكون مستعملا في المعنى المطلوب، فقد قل عمر رضي الله عنه في زهير: لا يتبع الوحشي ولا يعطل في الكلام، أو يكون فيه زيادة تعسد المعنى أو نقصان، أو لا يكون بين أجزاء البيت إلتئام..."^(٣).

وقد أثنى الشراح على ذلك الملمع فيمن تعرضوا لهم من الشعراء، بتضح ذلك في تطبيق المرزوقي على

قول المقفع الكندي: (الطويل)

ولا أخصب الجفد الفليم غفيلهم ولئس تميم القوم من نخيل الجفدا
لهم جل مالي إن شائع لبي غفلى وإن قل مالي لم أفلقهم بفدا
والسي لغيد الضرب مادام نازلا وما شيومة لبي غزيرها ثنية الفدا

"أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت. والمعنى أنه متى استطفوه عطف عليهم، وإن استقلوه أقالهم وأسرع الهيئة لهم، غير حامل الضغن واللجاج معهم، ولا معتداً انتهاز الفرص فيهم، لما اكتمن من عرادي الحقد عليهم... فليتأمل الناظر في هذا الباب وفي مثل هذه الأبيات، وتصرف قفلها فيها بلا اعتماد لا تكلف، وسلامة ألفاظها، وصحة معانيها، فهو عفو الطبع، وصفو القرض"^(٤).

ومثله قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحرثي، ويقال إنه للسموه بن عليا اليهودي: (الطويل)

غلونا إلى خير الظهور وخطنا لوقت إلى خير البطون نزلون

حيث "يصف ترددهم في شرف المصعد والمنحدر، وكرم العنصر والمتحول، كما ذكر طهارة المنكح والمولد، وجلالة المعلى والمستقر، فيقولك غلونا في خير الظهور، أي حصلنا في أعلى المراتب من ظهور أكرم

(١) المرزوقي: شرح ديوان المصنعة (٢٢ / ١٨٨٥).

(٢) محمد الطاهر بن عثمان: شرح النعمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان المصنعة لأبي تمام، ص ٧١.

(٣) المرزوقي: نعمة شرح ديوان المصنعة، ص ١٥.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان المصنعة - حكمة (١٢٨)، (٢ / ١٨٨٥).

القضايا التقليدية ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== اللفظ

الأبناء، وحذرنا منها لوقتٍ معلوم - يشير إلى وقت الأظهر - نزولاً إلى خير البطون من أشرف الأمهات. والمعنى لنا كرام الأطراف. وهذه الأبيات إذا توصلت أدى التكامل منها إلى سلامة للفظ والمعنى من كل معيب. وحصول الغفلة والجلالة لها في كل جانب وبإيجاز^(١).

هـ - ملامحة الألفاظ للغرض المقصود:

وهو ما عبر عنه الثعالبي بقوله: "ولا أمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحداً، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل أرى لك أن تقم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون عزك كلفخورك ولا منيحك كوعبك، ولا هزلوك كاستبطائك، ولا هزلك بمنزلة جنك، ولا تعريضك مثل تعريضك، بل ترتب كل ما مرتبه وتوفيه حقه، فخلط إذا تغزلت، وتغلم إذا انتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعها، فإن المدح بالشجاعة والبأس، يتميز عن السبع باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والهدوء، ولكل واحد من الأمرين نهج هو أمك به، وطريق لا يشاركه الآخر فيه"^(٢).

لما شارح يكشف عن اهتمام الشاعر بالتلازم بين الألفاظ وموضعها؛ طلباً للتانسجم المعنوي، "إن الراوي / الشارح لم يركّز نظره عند الزاوية اللفظية المعجمية بل فطن للقصد الذي رمى إليه الشاعر؛ لأن هذا الشاعر يتعامل مع العلامات اللفظية باعتبارها رموزاً ذات سياق يخلق عليها معاني من عنده، فيزعزع الثابت ويؤسس شعرياً للمتحول اللفظي. إن الشعر هو فعل في اللغة بلغة وعلى الشارح أن يتقن حط تلك السيرة في نظامه واسطه"^(٣).

وقد نبه الشراح على ذلك في أعمار شعراء الحماسة، فلقنوا عليهم لأنهم نلسوا بين الألفاظ والغرض المقصود منها، كما علوا عليهم مغاللتهم هذه الملامحة. يتضح ذلك من تطبيق المرزوقي بالشاء على بيت آخر: (البسيط)
يَوْمَ ارْتَدَّيْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْزَخِي وَالْفُؤْلُ مَثْبُتٌ وَالْقَلْبُ شَقُولُ
ثُمَّ تَصَرَّفْتُ إِلَى بَضْوَى الْأُفْطَى لَيْزُ الْخُنُوجِ الْفَوَابِي وَهُوَ مَعْقُولُ^(٤)

إذ يقول: "قوله (ثم تصرفت إلى بضوى) تنميه لبيان حاله فيما انعكس عليه من قصده، وفسد من همه، فقال: ثم رجعت إلى بعيري لأخبره في إثر الظفان الباكرة، وهو مشهود بعقلة لم أحله. وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة، واسترخاء الممكة، وسوء الضبط وتقلب القلب ... وقد سلك أبو تمام هذا الملك فقال: (البسيط)

أَضْمَتْنِي بِبَرْزَخِهِمْ أُولَامَ فَرْقَتِهِمْ هَلْ كُنْتَ تَفْرِقُ بَرْزُخِي وَثَوْرِي الصَّمْعَا
نَاوَا فَتَلَّيْتُ نَوْشَكَ الْبَيْنَيْنِ مَثْبُتُهُ تَذَى نَجِيحَا وَيَتَذَى جِسْمُهُ مَتَقَا
أَظْلَمَهُ الْبَيْنِ حَتَّى إِذَا رَجَلْ كَوَمَاتٍ مِنْ شَفِيهِ الْبَيْنَيْنِ مَا غَلَا"^(٥)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: (١١٩/١).

(٢) الثعالبي: بنية الدهر في محلى أهل العصر، شرح وتحقيق د. محمد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص: ٤٠.

(٣) دارلمد التونسي: شرح الشعر عند العرب، ص: ٩٩.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٥٨)، (١٢٢٦/٢)، ومعنى أبهة أهله، والضر: الدهر المهزول، والمخدوح: مراكب ضياء الظلمة.

(٥) نفسه: حاشية (٥٨)، (١٢٢٦/٢).

وفي موضع آخر وجه ابن جني ألفاظ أحد الأبيات بما يتلائم مع الفرض المقصود الذي قصده الأعرج
المعنى وهو قوله:-

لا جزع اليوم على قرب الأجل

إذا "لا يجوز أن يكون معنى على هنا معناها في قولك جزعت على كذا، أي أشقت عليه، لأنه غير
الفرض المقصود. ألا ترى أن معناه لا جزع اليوم من الموت، على أن الأجل قريب منا ، فإذا قرب منا ولم
نجزع منه لما ظنك بنا إذا بعد عا" (١).

و - المزاخاة بين الألفاظ:

وهي من شروط حونة الأسلوب، ويريدون بها المناسقة من طريق الصيغة "ليست القيمة الصوتية للكلمة
في سماتها الذاتية بل فيما تحته من علاقات انجاء مع غيرها" (٢).

وقد حمد الشراح في إطار سعيهم إلى توضيح هذا الجانب إلى التعامل مع المعنى تحييناً بسيطاً وكشفاً
من ذلك تعليق المروزقي على قول رويث بن كثير الطائي:

يَأْتِيهَا الرَّكْبُ الْمُرْجِي مُطَيَّرٌ سَائِلٌ بِشِيْءٍ أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

"وإنما قال ما منه الصوت، والصوت منكر، لأنه قصد به إلى الصيغة واللغة. وهنا كما قال حاتم: (الطويل)

لَمَّا بَوَّيْتُ قَد طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ وَقَدْ غَضَّيْتُ فِي بِلَالٍ فَمِ الْغَدْرُ

يريد المصدرة. وكما قال الآخر: (الطويل)

وَمِمَّا حُجِّلِي دُونَ مَنْ قُتِلَتْ أَنْفُسِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ قَابِلَانِ وَمُغَصِّرُ

فلت الشخص لأن قصد بها إلى النفوس. وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع بعضهم يقول: جاءته
كتبي فلحقها. قال أبو عمرو: قتلت: أتقول جامته كتابي؟ قال: نعم، أليست هي صحيفة؟ وقد قيل: لما كتبت
للشخص شخصاً لشخص النساء لثت العدد" (٣).

وقول غلاق بن مروان: (الطويل)

فَأَضْحَتْ زُفَيْرٌ فِي السَّمْتَيْنِ الَّتِي مَضَتْ وَمَا بَعْدَ لَا يُذْعُونُ إِلَّا الْأَسْبَابُ

"أنت الفعل لأن المراد بذكر زهير الثقيلة بلرها" (٤).

(١) ابن جني: اتبته على مشكل أبيت لمصلحة ص ١٠٨.

(٢) د. أحمد الزواوي: شرح أسرار عبد العرب، ص ٦١.

(٣) د. روافي: شرح ديوان المصنعة / ١٦٦، ١٦٧.

لذلك وجدناهم حيناً يثنون على شعراء الحملة لأنهم التزموا هذا العرف بصورة أو بأخرى، كتكبير (دنيا) - مثلاً - في قول الماتم بن رباح المري:

بُنِي مُفْلِمُنْ مِمَّا مَلَفَسَتْ فُجَا عِلْلٌ أَجْرًا لَأَجْمَسَةِ وَتَنْزِيًا تَنْفَعِ (الكمال)

"كان الواجب أن يقول ومنفعة لدنيا حتى يكون لفظاً لدنول ودنيا فعلى وحققا أن لا تستعمل إلا مضلفة أو مألوف واللام كقولك الصغرى وصغراهن، إلا أن العرب استعملتها نكرة وهي تليق بالأنثى وسميت لدنوها" (١).

وليس التزم الشعراء بهذا العرف وحده ما يلتفت إليه الشراح، بل مخالفته كذلك، فكما أثروا عليهم فقد علوا عليهم أيضاً في مواضع خالفوا فيها هذا العرف الفصيح؛ من ذلك قول رجل من بني أسد: (الطويل)

وَمِمَّا أَنَا بِالتَّكْمِ السَّدْبِيِّ وَلَا السَّدْبِيِّ إِنَّا صُنْدُ عَظْمِي نُو الْعَوْدَةِ أَخْزَبُ

"كان يجب أن يقول: ولا الذي إذا صد عنه نو المودة بحرب، حتى يكون في الصلة ما يعود إلى الموصول، لكنه لما كان القصد في الإخبار إلى نفسه وكان الآخر هو الأول، لم ييل برد الصمير على الأول وحمل للكلام على المعنى، لأنه من الإتيان. وهو مع ذلك يبيع ضد السحوبين، حتى إن أبا عثمان المازني قال: لولا اشتها مودة وكثرته لوددته، ومثله: (الرجز)

أَنَا الَّذِي مَخْتَبِي أُمِّي خَيْزَرُ" (٢).

وغيرها الكثير من الشواهد التي تعرض لها الشراح بالنقد والتحليل، منوهين عن كيفية تعامل الشاعر مع اللغة على محورين أساسيين هما المعيار والاستعمال، والوقوف على ما وافقهما وخالفهما من المفردات والتراكيب التي ساقها واستخدمها الشاعر في أشعاره، والتي تم التطرق إلى الحديث عن أشكال منها مسبقاً قصد: الضرورات الشعرية والسماع والقليل، وتوضيح آراء الشراح فيها، وتعليقهم عليها.

ج - فصلحة التركيب:

يقول المرزوقي في مقدمته النقدية النفيسة التي صدر بها شرحه لنبويان الحملة: "فمن اللغاء من يتول قتر الأنفط وغررها كجواهر العقود ودررها فبنا وسم إغفالها بتحسين نظومها وحلي أعطائها بتركيب شذورها، فراق مسموعها ومضبوطها، وزان مفهومها ومحفوظها، وجاء ما حرر منها مصفى من كدر العمى والخطأ، مقوما من أود اللحن والخطأ، سالما من جنف التأكيد، موزونا بميزان الصواب، يروج في حواشيه رونق الصفاء لفظا وتركيبا - قبله الفهم والتذ به السمع. وإذا ورد على ضد هذه الصفة صدئ الفهم منه، وتاذى السمع به تاذي الحواس بما يخالفها" (٣).

(١) الشيرازي: شرح ديوان الحملة (١٦ / ٤).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (١ / ٢١٧).

(٣) ناه الله ص ٩.

وهو ما نفهم منه أن فصاحة الكلام حاصلة بالتبع من فصاحة اللفظ فللكلام لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته وفصاحة تراكيبها عند اجتماعها، "فلما فصاحة الكلمات فلأنها أجزاء الكلام فمن أن تكون الأجزاء فصوحة ليكون مجموع الكلام فصيحاً" (١)، ومعنى هذا أن ما ينطبق على اللفظ من شروط ينطبق كذلك على التركيب مع بعض الإضافات التي تميز الكل عن الجزء، والمجموع عن المفرد.

وقد أشرنا نفاً إلى فصاحة الكلمة وشروطها (٢)، أما عن فصاحة للكلام وتراكيبه فيقول عبد القاهر الجرجاني: "من المعلوم أن لا معنى لعبارات البلاغة والتصاحبة والبيان التي ينسب فيها الفضل والمزية إلى اللفظ دون المعنى غير وصف الكلام بحسن دلالة وتامها، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين وأحق بأن تستولى على هوى النفس وتتل الحظ الأوفر من ذل القلوب؛ ولا جهة لاستكمال هذه الخصال غير أن يوتي للمعنى من الجهة التي هي أصح لتأنيته ويختار له اللفظ الذي هو به أخص، وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية" (٣).

وقد كشف الشراح عن فصاحة التراكيب التي استعملها شعراء الجملة، وأظهروا إعجابهم بها وتقديرهم لها كما يتبدى لنا من خلال تعليقاتهم وتحليلاتهم؛ فـ (نستوفد النبل) في قول بعض بني بولان من طيبي: (المسرح) نستوفد النبل بالحق طيب ونص طاء نفوسنا بتث غلى الفزم "من نصيح للكلام، كله جعل خروج النار من الحجر عند صدمة النبل استيقاداً منهم، والوقد، توسعوا فيه حتى قيل قلب وقاد، فلن قيل: ملا قل نستفدح النبل، فكان أصح؟ قلت: الذي قاله أفصح؛ وقد قيل زدت مبقاد، إذا كان سريع الوري" (٤).

وقول عمرو أيضاً:

ونلفذ أجنتع بجنتي بهنا . خنثز الخنوث وإنسي نلفزود

"هذا كلام من جمع إلى شجاعته وإقدامه حنثراً وحنامة، وإلى حرأته وتهوره رفقا وأصالة، ثم يكون عارفاً بولت كل منها، وبالحالة المرجبة لاختياره بعضها. وأجمع رجلى، أي استحث فرسي. وهو من نصيح الكلام، ومن الصارة التي تصور المعنى" (٥).

وفي قول النكت الكلابي (أملت له) في بيته:

فلثنا رنث أنة غنر منثني . أملت لنة كفسي بلذني مقنوم

"أي من أحله كفى بلذني، من فصيح الكلام، ويليق الكناية" (٦).

(١) محمد الطاهر بن عقرون: شرح النعمة الألفية لشرح المرزوقي على ديوان الصلابة لأبي تمام: ص ٣٢.

(٢) انظر: ص ٩٠ من الكتاب.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وحلق عليه بهمود محمد شكري، دار المدني، جدة، ط ٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، ص ٢٥، وللمزيد عن فصاحة التركيب وشروطه، انظر: في مثل المعلمي: ص ١٢٠-١٨٧، وبعد التمثال الصديقي: بعة الإيضاح: ١٤/١ وما بعدها، والتفتتني: صبح الأعشى: (٢٥٤/٢، ٢٥٥، ٢٦٠).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الصلابة: حمالية (٣١)، (١٦٥ / ١).

(٥) نثمة: حمالية (٣٥)، (١٨١ / ١)، (١٨٢).

(٦) نثمة: حمالية (٤٣)، (٢٠٢ / ١).

كثفت هذه هي أهم الحواش والمسايل الخاصة باللفظ وتراكيب شعراء الحملة، التي تعرض لها الشراح بالنقد والتحليل.

وهكذا خلق الشراح في أجواء النصوص الشعرية لديوان الحملة، وأظهروا عن عمق ثقافتهم، وتبحرهم وفهمهم للكثير من الخصائص الفنية الدقيقة التي تشمل عليها اللغة بمفرداتها وتراكيبها، وليس أدل على ذلك من تحليلاتهم وتعليقاتهم التي كشفت عن كثير من خفيا معاني الشعر وأسرار الكلام. منوهين عن مظاهر تميز شعراء الحملة على المستوى الفني، معبرين عن ذلك الإعجاب والترحيب بتعليقات وعبارات مختلفة.

المبحث الثاني: المعنى:

اهتم الشراح بتوضيح معنى البيت الشعري، وحرصوا على ذلك كل الحرص حتى لا يبدو وكأن معنى البيت هو الهدف النهائي الذي يحشد الشراح من أجله كل طاقاتهم اللغوية والدلالية والبلاغية، بشكل جعل معه شراح كالمرزوقي يزخر شرحه - بالإضافة إلى ما سبق - "بالتفقت كثيرة إلى المعنى الثقوية في الألفاظ والتراكيب، أو ما يسميها الحرحقي (معنى المعنى)، وهذا المعنى الثقوي هو الذي يعطي للشعر مذاقه الخاص، فالمعنى الأول أو أصول المعاني قد تصلح أن تكون مفتاحاً نلج من خلاله إلى عالم النص، لكن الاكتفاء بها قد يبيت للنص كما فعل المرزوقي أحياناً مع بعض القصائد، وإن قل دور أصول المعاني أن نقودنا إلى معنى المعنى، ثم إلى إحياءاته لتستج هذه العناصر الثلاثة معاً شكل المعنى الذي يتميز به الشعر عن النثر" ^(١). هناك عناصر قارة في شرح المعنى عثرنا عليها عند الشراح جميعاً، الذين قامت عليهم الدراسة، وأبرز تلك العناصر اهتمام الشراح بتوضيح معنى البيت الشعري، وميلهم إلى سلخ البيت عند تفسيره، بنثر معنى البيت الشعري، ورد المعنى إلى أصله و هي أسباب "تاريخية موصولة بالقول الشعري على محور العلاقة المرجعية ولكنها مبعصلة عنه على محور العلاقة الإتشقية" ^(٢)، إلى جانب العديد من العناصر التي سيكشف الحديث التالي إحاطة اللثام عنها، والتي من أهمها:

أولاً: نشر المعنى:

عند معظم الشراح إلى نثر معنى البيت حتى "يتاح فهمه في إطار منحى تبسيطي واضح، وليس له من فضل إلا المحاكاة بعبارة تبدو أحياناً أطوع من عبارة الشاعر. وهي محاكاة للمعنى بالتلخيص والتوسيع" ^(٣)، وغالباً ما يستقون ذلك بقولهم: "والمعنى"، أو "أي"، أو "معنى البيت"، أو "المراد"، أو "يريد"، أو "كأنه يقول"، أو "يقول"، أو "معناه"، إلى غيره من كلمات وصلاوات تؤدي نفس المعنى.

كما جاء في شرح بهاء الدين عبد القادر بن لقمان في بيت بعض شعراء بلعبر واسمه فروط بن أنيف: (السبب)
لَكِنَّهُ قُوْمِي وَإِنْ كَانَتْهَا ذِيْءٌ غَثِيْبٌ لَيَسُوْنَ مِنْ الشَّوْءِ شَيْءٌ وَإِنْ هَانَا
"والمعنى أن الشاعر بسف قومه بالجن أي ليسوا في شيء مع كثرتهم إذا دعى الأمر السارل وإن كان هيباً" ^(٤).

وفي نثرهم للمعنى يحول الشراح - في كثير من الأحيان - على الجانب المعجمي، فتراهم يمهّدون بتفسير الألفاظ وتراكيب البيت معجمياً، ونظراً لأن "التعويل على الجانب المعجمي وحده قد لا يتيح تطويق المراد من المعنى" ^(٥)، فليهم قد يكتفون - في بعض الأحيان - بنثر معناه فقط.

(١) د/أحمد صبرة: شرح المرزوقي النظرية والتطبيق، ص ٩٩.

(٢) نفسه: ص ٩٤.

(٣) د/أحمد الوبزني: شرح الشعر عند العرب، ص ٩٤.

(٤) بهاء الدين عبد القادر بن لقمان: الرسالة النقدية وبتصويرة لبني الماسية، ص ٥.

(٥) د/أحمد الوبزني: شرح الشعر عند العرب، ص ٩٩.

القضايا النكفية ===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== المعنى

وإذا كان البيت مزجج البنية، تختلف بنيته السطحية عن بنيته العميقة، اتخذ منحى التحليل المعنوي طبعاً نكولياً "إذ يحتمل الشاهد أو النص أكثر من قراءة. ولكن الشارح ينصص على واحدة دون أخرى وفق قاعدة القصيدة". لذلك لا محيد للشارح عن الانطلاق من المبنى لاكتشاف المقصد مما يدل على أن اعتماد الأبنية التحيرية هو وحده الذي يؤمن السبيل إلى المقاصد و بقي الشارح عثرات الفهم"^(١)، بهنق الوصول إلى مستوى الكشف عن المقصد. وهذا الأمر التزم به النمرى بخاصة، فترن عده شرحه لكثير من الأبيات معاماً على المستويين السطحي والعميق.

ومثل واحد هنا يكفى للدلالة على المراد: نقول الهذيل بن مشجعة: (الكامل)
وإذا تشبعت الجلابجف من ألبه قرئت من حيثنا إلى جزائبه

شرح النمرى البيت السليق قائلا: "الجلابجف"، السنون، و"السنة" عند العرب العذب. وقوله: "قرئت مسجعتا إلى جربته"، أي شنتا في قرى، وهو حل يلقى في عتقي البعيرين فيكونان معاً، والعرب إذا حارب البعير عدهم أجود وبعده، فلما بعدى الإبل على مذهبهم. يقول: نحن لا نفرق ناقة ابن عمنا الجربى من نقتنا الصحيحة، مشاركة له واحفظاً. وهذا مثل، وإنما المعنى: أنا نخلط فقره بخلفاء، وعنه بسمينا، وطالعه بصالحنا"^(٢).

ويمكن أن نلاحظ من هذا الشرح بعض الملاحظات التي تميز بها شرح النمرى بشكل خاص، وهي:

- إن النمرى مقتصد جداً في التفسير المعجمي للألفاظ البيت وتراكيبه.
- عرض المعنى مثلاً بعد الانتهاء من التفسير المعجمي، وقد يقدم التفسير المعجمي في أثناء ثرة المعنى.
- تلم المعنى السطحي للبيت مسوقاً بقوله: "يقول"، وقد حاكى فيه البيت الشعري، وسائر الشاعر في كثير من ألفاظه وتراكيبه. ثم أتبع المعنى السطحي بالعميق، مسوقاً بقوله: "وإنما المعنى".
- أجرى النمرى على المعنى لونا من التوسيع، وهو ضرب من التوليد الدلالي ينطلق معاً يمكن تسميته بالمعنى النواة، في اتجاه أشكال من التوسعة تتمثل في معان فروع هي الوحدات المعنوية الدنيا التي تؤثت فضاء الدلالة مضمعة متضقرة^(٣).

- اهتم النمرى اهتماماً كبيراً بنثر المعنى مقارنة بالتفسير المعجمي للألفاظ.

وإذا كان النمرى قد حرص في تفسيره للمعنى إبراز المستوى السطحي والعميق له، وما يتصل به من تأويلات، فإن من الشراح من لم يبعد كثيراً عن ذلك المملاك سوى ما قد تجده من التوسع في بعض القضايا اللغوية، أو البلاغية، والأخبار، مع بعض اللمحات التي تقصع عن مقصد الشاعر، أو تشير إلى بعض العيوب المتصلة بشعره من حيث الألفاظ والمعاني، ومنهم من لم يلزم نفسه بتقديم تفسير سطحي أو عميق للمعنى، وانصب جل اهتمامه على الجائب المعجمي في تفسير الأبيات والنتصوص الشعرية.

(١) دألمعد الوردني: شرح لشعر عبد العرب، ص ٩٨، ٩٩.
(٢) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٧١٥)، ص ٢٢٦.
(٣) نظير - لأحمد الوردني: شرح لشعر عبد العرب، ص ٩٨.

إن تعامل الشراح مع المعنى على هذه الصورة، قد اتخذ "بعدها تفسيرياً تعليمياً سعى الراوي / الشارح بمقتضاه إلى محلكة المعنى بطريقته الخاصة"^(١).

ثانياً: توضيح المعنى:

إن عرض المعنى بأساليبه المختلفة هو عبارة عن روافد شتى تبرز فيه شخصية الشارح ومدى إدراكه لمعاني الشعر، ولكن مصيها هو المعنى "فالشرح الذي يقف دون المعنى وإن أسهب صلحيه في التوابعات الفنية يظل محدد استعراض لغوي محلي معزول. إن المعنى هو قلب الشرح ومداره فعليه ثمة الإفادة وينى المتصد"^(٢).

إن عين الشارح لا تسد عن المعنى الشعري وأساليبه توضيحه، وإن ضن - في بعض الأحيان - على تلك الأساليب بالوقفة الوئيدة، إلا أنه يضمها شرحه - أحياناً - دون الإشارة إليها، فهي عنه في حكم النديمي أو الصمني.

ومن أمثلة تلك الطرق والأساليب التي لجأ إليها الشارح - بالإضافة إلى الجلب المصممي الذي لا يتيح تطويق كامل المعنى - في توضيح المعنى:

أ- التمهيد للمعاني بليضاح الجو العام للنص من خلال ذكر مناسبات القصائد وسبب قول الشعر^(٣). وذلك بالبحث فيما وراء النص، وما حوله، والاستعانة بهما في توضيح معنى الشاعر ومقصده، وهو ما حرص عليه الشراح حرصاً شديداً، فكثروا يتكرونها على رأس كل قصيدة مناسبتها وسبب إنشائها. وربما فعلوا ذلك في أثناء شرحها، كما فعل ابن فارس - مثلاً - عند شرحه أبيات الحمصية رقم (٥٠)، إذ قال: "وقال رجل من بني تميم، وهو جد النضر بن شميل، وطلب منه ملك من الملوك فرساً يقال لها: سكب، فمنعه إياها"^(٤).

وقال شعري مثيلاً إلى مناجاة الحمصية رقم (٦٨) في أثناء شرحه لها بقوله: "وقال بعض بني أسد في بنو أقتلوا عليها"^(٥)، أو قوله في الحمصية رقم (٢٦٥) في أثناء شرحه لها بقوله: "وقال أبو خراش يرثي أخاه، وينكر نجة ابنه خراش"^(٦).

وقد يكون هناك إشارات ولمحات كثيرة في الأبيات لا يستطيع فهمها من داخل القصائد نفسها، وإن لا مناص للشارح من اللجوء إلى التاريخ لإضاءة هذه الإشارات واللمحات والكشف عما غرض فيها. فالشارح من خلال ذلك "يحاول فك رموز النص التاريخي، وكشف ما غرض فيه من إشارات، وهذا يساعده في النهاية على تقديم إضاءة كافية للنص"^(٧).

(١) د/لمعة الوبري: شرح الشعر عند العرب، ص ١٠٠.

(٢) نفسه: ص ٨٩.

(٣) د/السيد حسان: تنقيح البلاغة والفنية في شروح التمام على شعر أبي الملاء، ص ٣١٩.

(٤) ابن فارس: كتاب المعنى: ص ٧٣.

(٥) شعري: معاني أبيات الحمصية: ص ٦٦.

(٦) نفسه: ص ١١١.

(٧) د/لمعة صيرة: شرح المروزي النظرية والإجراء منه: ص ٣٩.

من ذلك ما شرحه المرزوقي، والتبريزي، وابن فارس، من ملايات يوم الهرير^(١)، فكشف الشراح عن بعض أحداثه.

وفي ذلك شرح المرزوقي قول الربيع بن زياد العبيسي:
 وَكُنَّا فَوَارِسَ زُفُوعِ الْهَرِيرِ ————— بِرْ إِذْ مَالِ سَرْجِكَ قَامَتْ تَقْنَمَا
 "يوم الهرير، معروف، وإنما قل: كنا فرسان هذا اليوم، لما كان عرف من جميل بلاتهم، وحسن ثيابهم فيه ووفاتهم، ولينكر بتريزهم حين نكسوا على أعقابهم، وقصروا من شلوهم، ونكر ميل السرج مثل، وقول "حرير" يشهد لنكس ويكشفه حين قل:
 (الكامل) قُلْ لِلْجَنَّةِ إِنْ إِذَا تَأَخَّرَ مَنْزِلُهُ هَلْ أَتَتْ مِنْ شَرْجِ الْمَنْشَةِ نَاجِ
 والمراد: اضطراب الأمر وقتل الراي، وتمكن الخوف والدهش من المنهزم ونزوله عما بهم بركوبه"^(٢).

فالشرح لم يكتف برصد ألفاظ الأبيات وتركيبها معجمياً لو تفسير معانيها، بل امتد تحليله ليشمل ما ارتبط بهذه الأبيات من أحداث شكلت معانيها، فكشف عن علاقة هذه المقطوعة - وعددها ستة أبيات - بلحدث هذه للموقعة، حيث حمل ما سبق ذلك من أبيات تمهيد لها حين ذكر نار الفتنة التي أشعلها قيس بن زهير حتى إذا استعرت وتأججت، هرب وترك الشاعر يصطلي بها، ثم وصف شجاعة الشاعر وقومه وإقدامهم، ولينكر بتريزهم حين نكسوا على أعقابهم، وقصروا من شلوهم، بما يوضح معالم هذه الأبيات ويجسد خلفيتها الحربية والعسكرية.

ب- إيضاح الجوّ الخاص لكل بيت^(٣).

كما فعل أبو ريش في شرح هذا البيت: (جري بن كلب)
 فَلَا تَغْلِبْتَنِي يَا ابْنَ كُوَيْلٍ فَإِنَّهُ غَذَا الشَّامِ مَذْ قَامَ الثُّبِيُّ الْجَوَارِيَا
 إذ قال: "هذا رجل سأل ابن كوز أن يزوجه ابنته في سنة و"السنة"، الجنب، فرده وقال له: قد غدا الناس البنات مذ قام النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أيضاً أغزو هذه، ولولا ذلك لكتبت أُندها كما كتبت الجاهلية تفعل"^(٤).

والمرثي في بيت هشام أخو ذي الرمة:
 تَغْرُبُ عَنْ أَوْقَى بِفَيْلَانَ بِفَدَا عَزَاةً وَجَفْنُ الْغَيْنِ مَلَانٌ مَشْرَعُ
 "هشام هذا فجع بأخيه أوفى، ولقي عليه زمناً مقسماً لألام الفجعة به، ثم أصيب بعده بفيلان - وهو ذو الرمة -..."^(٥).

(١) "يوم الهرير" هو لند أيام مولدة صيف، مل وأعلمها، اقل فيه خلق كثير من أصحاب مموية رضى له عنه، للربيع نظر محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجواليقي: أيام العرب في الإسلام، دار الجول، بيروت، ١١٠٥ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣١٣ وما بعدها.
 (٢) المرزوقي: شرح ميوول المسألة: ٤٨٦ / ٢
 (٣) د. مصطفى عليان: ثبوتات اللغة الأندلس في تترن الفخاس البحرى: ص ١٨٥.
 (٤) الترمي: معاني أبيات المعاني: ص ٦٤، حاضرة رقم (٦٢).
 (٥) المرزوقي: شرح ميوول المسألة: ٨١٣ / ٢ وما يليها

وما ذكره المرمضي عن قول ثعلب شراً:
 القول للخزيان وقد صغرت لهم وطايي ويومي ضيكن الخضر مغسور .
 (الطويل)

من حديث بالقول: " أقول للحيان " يريد لبني لحيان بن هذيل بن مدركة ابن إلياس. وهذا حديث جرى بينه وبينهم يوم رصده. وكان يشتر عسلا في غار لهم بكتيه كل عام حتى إذا ما جاء هو وأصحابه وتلى في الغار أغاروا عليهم فافغروهم ووثقوا على قم الغار. فحركوا الحبل ثم قالوا له اصعد. فقال ألا أراكم. قالوا بلى. قد رأينا. قل فعلام اصعد. أعلى الطلقة أم على الفداء. قالوا لا شرط لك قال: فأراكم قتلتي وأكلتي حناني. لا والله لا أفعل. وكان قبل ذلك قد أعد لذلك المضيق مخرجا نقب في الغار نقبا من خلفه. فجعل يصب العمل في ذلك النقب حتى بلغ منتهاه. ثم عمد إلى زق فشد على صدره. ثم لصق بذلك العمل. فم يروح يتزلق عليه حتى خرج سليما لم يصبه شيء. وكان بينه وبين موضع الترم مسيرة ثلاث ليل ففلك حيث ما مضى في قوله (أقول للحيان. وقد صغرت لهم وطايي)^(١).

والبكاء والمرأة في قول لؤد بن زمعة منكراً:
 أتبكي أن يمشي لها بصير
 فملا تبكي على بغير وفاء
 ألا قد ساد نفوذهم رجلا
 ولمن لا يؤم ينذر لم يؤمنوا
 (الوافر)

أبان عنهما المرزوقي بما يوضح معالم الآيات وما اتصل بهما قتلان: " كان السبب في قول الأسود هذا الشعر أن فريشاً كتبت حرمت البكاء على أنفسهم لقتلى بدر. فلما شمت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم، وكان الأسود قد فجع بابنه زمعة، إذ كان من قتلى ذلك اليوم، فلفتني بالناس في ترك البكاء عليه، ففقت أن كتبت له مثنياً فتتزه ومضى إليها فسمع بكاء امرأة فقال لأصحابه: انظروا فإن كان البكاء قد حلل. حتى تبكي نحن أيضاً زمعة، فرجع إليه وقيل: إنه بكاء امرأة ضل لها بعور. فقال هذا الشعر منكراً لبكتها ومستعظماً " ^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فمن الأهمية بمكان بيان مناسية الآيات لأثرها في إيضاح المعنى وإلا " فكيف يتلقى فهم هذه الآيات - وما مثلهما - ما لم يكشف عن مناسيتها !!! أحب أن هذه الآيات بصورتها العلة دون تحديد قد تنبس على بعض الأقدام . ولعل هذا ما دعا "المرزوقي" إلى تهيتها للعقول قبل أن يعضي إلى المعنى على النهج الذي يترسمه ويقو أثره " ^(٣).

مما يؤكد بدوره أهمية إيضاح الشراح للإشارات والتلميحات الخاصة بالآيات في إزالة اللبس والغموض الذي قد يعترى معاني بعض الآيات، ويحق المتلقي في فهمها واستيعاب محتواها.

(١) المرمضي: اسرار المعنى، ص ٦٥ .
 (٢) المرزوقي: شرح ديوان للمعلقة: ٧ / ٨٧٣ وما يليها.
 (٣) فتم محمد أبو عيسى: تشنبا الآية والنقبة في شرح المرزوقي لديوان المعنى: ص ١٧٢.

د - الاهتمام بالبنية بوحدة المعنى في الأبيات الشعرية موضوع التحليل، فقد قرن المحللون من القلائد البيت في حالة شرحه بما يتصل به من الشعر من قبل ومن بعد ، جلاء للمعنى وإعراجا عنه بدقة^(١).

فتجد الشراح يقول - مثلا: هذا البيت تفسير ما قتمه، أو هذا تفسير قوله، أو يبين من البيت الثاني معنى البيت الأول، أو هذا كإيهان لما تقدم، والكشف عما أجمل ... إلخ .

وقد أكثر من هذا النهج المرزوقي في شرحه، وكان وسيلة من وسائل دفاعه عن كثير من أبيات الحملة ضد ما يشوبها من أشكال التجني والالتباس.

من ذلك - مثلا - دفاعه عما قد يعزري بيت عروة بن الورد من شبهة تكرار معنى ما قبله: (الطويل)
 قلتُ لِقَوْمٍ فِي الكَيْفِ تَرَوْنَهُمْ غَشِيَتْهُمُ بَقَا عَنَدَ مَاوَانَ رُح
 تَنَالُوا البَقَى أَوْ تَبَلَّغُوا يَنْفُلُوبِقُمْ إِلَى مُسْتَرَجٍ مِّنْ جَنَامٍ مُّبْنَح
 لِيَتَلَبَّغَ غَشِيَتْهُ أَوْ يُصِيبَ زَغِيْرَةً وَمُنِيْلُغٍ نَفْسٍ عَفْزَهَا بِئْسَ مُنْجِح

يقوله: " قوله "يلبغ" تفسير ما قتمه، ويشير بقوله "عزراً" إلى قطع الموت لأن المجتهد في طلب الشيء إذا حال أجله دون أمله فقد أعزره، إذ كان قد فعل ما عليه، وقوله "أو يصيب زغيرة" إشارة إلى نيل الغنى. ولترغب: امتناع الشيء، ومنه بطنٌ رغيبٌ. وقوله "ومنلغ نفى عزها مثل منحج" أي من أعزها فيما يطلبه، أصله أو فقه، فقد انجح. وهذا الكلام وإن كان ظاهره وظاهر صدر البيت الأول أنه يتكرر به المعنى الذي قدمه فيه، فليس الأمر كذلك، لأنه ذكر في الأول لبلاغ النفس من الموت حداً يربحه، ولم يبين من فعل ذلك: هل أنجح أو لا. وفي الثاني بين أن المعنى في طلب الشيء كالمنحج، وأنه إذا استغرق وسعه في طلب ما بهم به ثم حال موته حقلٌ قد أعدر " (٢).

وهو ما نجد صداه عند كثير من الشراح الآخرين الذين اعتمدوا هذه الطريقة في توضيح وتفسير الكثير من أبيات شعراء ديوان الحملة، في إطار أدراكهم للوحدة المعنوية بين الأبيات، ويمكن مطالعة ذلك في هذا المثال التالي الذي شرح إليه التبريزي البيت الثاني من قول آخر (وهو إسحق بن خلف) وعلق عليه: (البسيط)
 تَهَوَّى خِيَابِي وَأَفْوَى مَوْتَهَا شُفْقَا وَالْمَوْتُ أَفْزَمَ نُزُلًا عَلَى الْخُزْمِ
 أَخْطَى فُتَاظِلَةً عَمَّ أَوْ جَفَاءً أَخ وَكُنْتُ أَبْقَى غَلِيْهَا مَنَ أَدَى الْكَبْمِ

يقوله: "هذا تفسير قوله أهوى موتها شفقاً، يقول: أشفق من مفالظة عم لها، أو جفوة أخ تلحقها، والكلم جمع كلمة، ومعنى أذى الكلم: الأذى الذي يلحق من الكلم أي: ما كنت أسمعها كلمة تؤذيها، فضلاً عن اللفظة والجفاء"^(٣).

وفي قول بعضهم:
 لَقُلْ غَارًا إِذَا ضَمِيَتْ ضَمِيَّتِي مَا كَانَ عِثْرِي إِذَا أُعْطِيَتْ مِنْهُوْدِي

(١) دلمطلي طه: نبرات الشعر الأبي في الأندلس: ص ١٨٦.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (١٦٥ / ١).

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحملة: (١٥١ / ١).

جَهْدُ الْمُتَقَبِّلِ إِذَا أُعْطِيَ ثَابِتًا وَمُتَقَبِّلٍ فِي الْبَقْيِ سَيَّانٍ فِي الْجَوْدِ
يقول المرزوقي: "وقد تبين من البيت الثاني معنى البيت الأول، واعتداه من التثنية الذي يعطيه إذا صاف صافاً"^(١).

والمرزوقي كذلك شرح بيتاً قبيصة بن جابر:
تَنَا الْجَمْعَانِ مِمَّنْ أَجْبَلْ وَسَلَفِي وَتَنَزَّاهَا غُرٌّ تَنْجَالِي
وَتَنْجَاءُ الثُّمَى مِنْ عُسْدٍ غَالِي جَمِيَّتَاهَا بِأَطْرَافِ الْفَوَالِي
بقوله: "هذا كالبیان لما تقدم، والكشف عما أجمل، لأنه أتبع ما وصف من أخلاقهم وعزم، نتحصن بلادهم وتمنع حبالهم، فقال: لنا جبلاً طيباً أجاً وسلمى، وبواحي الشرق منهما، دعوى صحيحة لا يضعفها انتحال، ولا يوهنها كذاب"^(٢).

هـ - توضيح المعنى بالإشارة إلى ما يرتبط به من أمثال العرب وعاداتهم ومذهبهم وأساطيرهم^(٣)، فالشراح في سبيل كشف المعنى وفسره قد "لحقا لحظة مكاتفته للبيت النعري أو الأبيات إلى الاستشهاد بما هو خارج عن النص .. يلوذ بشواهد متباينة المشارب تجسم بجلاء تنوع الأطر المرجعية التي تدير تعامله مع الشعر"^(٤)، وغير ذلك من المرجعيات الثقافية والمعرفية، والتي تحتاج من الشارح إضافة إلى ضرورة التسلح بمعين العارف والاطلاع، أن يعاثر بحس أنبي مرهف، وألوب في راق، يصل إلى الذهن والقلب والإحساس معا. وقد تميّز في هذا الجانب كلٌّ من النعري والمرزوقي على وجه الخصوص.

نمّا يتصل بالأمثال، ما علق به التبريزي على قول الشماخ يروى عمر من الخطاب، وقال أبو ريش الذي عدي أنه لمزود أخيه وقال أبو محمد الأعرابي هو لجزء بن ضرار أخيه:
(الطويل)
لَمَنْ يَمْنَعُ أَوْ يَزْكِبْ جَنَاحِي نَعَانِي لِيُنْزِلَ مَا قَدِمْتُ بِالْأَنْصِبِ يُمْنِي
"أي من يكلف لحاقه كان مسبوقاً وضرب جناحي نعلماً مثلاً لأنه يضرب به المثل في خفة العدو فيقولون أعدى من الظليم"^(٥).

ومما يتصل بعادات العرب ما وضع به النعري - وغيره - قول ابن أخت تليط شراً:
(المنيد)
خَلَّيْتُ الْخَمْرَ وَقَاتَلْتُ خَزَائِنَا وَبَلَّيْتُ مَنَا أَلْمَسْتُ تَجِلُّ
"كانت العرب إذا قتل لها قتل ندرت أن لا تشرب خمرًا، ولا تمش طيباء، ولا تغسل رأساً، ولا تقنع امرأة، حتى تفرك أثار. يقول: فقد أدركت ثأري، فعلت لي الخمر بعد أن كنت حرمتها على نفسي. وهذا كقول لمرى اللتين:
(السرير)
خَلَّيْتُ لِي الْخَمْرَ وَقَاتَلْتُ أَنْزَعَا عَنْ شُرْبِهَا فِي شَطْلٍ شَاغِلٍ"^(٦)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة. حمصية (٧٩٤)، (١ / ١٧٦٢).

(٢) نمرة: (١ / ٧٩٠).

(٣) د. السيد حمدان: القضايا شاعرة وشعنية في شروح استمارة على شعر أبي الفداء المعري، ص ٣٢٢.

(٤) د. الحمد الوبدني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٠١.

(٥) أندريه: شرح ديوان الحماسة (٣ / ٦٥).

(٦) النعري: معاني أبيات الحماسة. الحمصية رقم (٦٦٦)، ص ١٢٢ / ١٢٣، وانتظر: نفسه. الحمصية رقم (٢٤٨)، ص ١٣٨.

وقول عارق الطائي:
وَقَدْ يَتَرَكُ الْغَسَنُ اللَّحْسَ وَطَفَانَهُ إِنْ هُوَ أَسْنَى خَلْبَةً مِنْ نَمِ الْقَصْدِ
"كثرت العرب إذا أجنبت وقل زادها، صمدت إلى البعير فضمدته، واستخرجت من دمه بقدر الحاجة، ثم أسنته إلى النار ليجمد وينضج فتأكله، إلى أن حرمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وقل الأعشى وقد لحق الإسلام: (الطويل) فَلَا تَأْخُذْ مِنْهَا جَبِيذًا بَلْغَبًا"^(١).

ومما يتصل بمذاهب العرب التي تعكس صورة حقيقتهم وعاداتهم وتقاليدهم، أو أساليب خطبتهم، أو استعمالهم اللغوية، أو تعبيراتهم وصورهم الشعرية، ما نجده في شرح قول آخر: (الطويل)
وَأَنَا تَنَجُّفُو الضَّيْفِ بَيْنَ غَيْرِ غَمَزَةٍ مَخَافَةَ أَنْ يَضْرِبَ بِنَا فِيْهِمُودُ
وَتُثْنِي عَلَيْهِ الْفَلَكُ عَزْجُ حَبْلِهِ وَتُثْبِدِي لَهُ الْجُرْثُمَانِ ثَمَمُ ثَرِيدِ

"قال أبو العلاء: هذا البيت يروى لحكم الطائي ويقال أنه أراد بالضيف الأسد وهذا لا يمتنع من مذاهب العرب لأنهم يسمون كل طارق ضيفاً حتى جعلوا الأسد كالضيف وكذلك الهم قال الشاعر: (الطويل)
تَضِيْفِي وَهَذَا فَقُلْتُ أَسْنَابِي إِلَى الرَّيْذِ شَتُّ بَيْنَ يَذِي الْأَسْنَابِغِ
فَلَسَمْتُ تَلَفٌ لِلْمُخْدَى ضَيْفًا بِفَقْرَةٍ مِمَّنِ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ غَرْثَانِ جَانِغِ

وقال المرقش:
وَلَنَا أَضْنَانَا النَّازَ عَزْجُ شَوَاتِنَا غَرْثَانَا عَلَيْهِمَا أَطْلَسَ الثُّوْبُ بَاتِنَا
نَبْنُتُ إِلَيْهِ فَلَمْدُ مِنْ شَوَاتِنَا خِيَاءَ وَفَا فُخْشِي عَلَى مَنْ أَجَالِنَا
فَإَضْ بِهَذَا جَذْلَانِ سَتَفَضُّ رَأْسَهُ قَنَا آبَ بِالثَّوْبِ الْقَنْصِي الْمَغْزِ الْبَسِنَا

وقال الفرزدق:
فَبِيتُ قَمَدُ الرَّيْذِ نَيْبِي وَيَتِيَّة عَلَى ضَمُودٍ ثَابِرٍ شَرَّةٍ وَثَغَانِ
وسموا المال ضيفاً لأنه يجيء ويذهب ومن ذلك قول القائل:
وَقَنَا نَثْلِي الضَّيْفِ إِنْ جَاءَ طَارِئًا مِنْ الضَّيْفِ إِنْ كَانَ الْمُصْخِخُ الْمُتَمَلِّمًا"^(٢)

إن وضع التشارح الإصبع على طرائق العرب اللغوية وأساليب خطبتهم خطوة مهمة لاستشراف عوالم الدلالة وأفق المعاني العلمية، وفي أشعار ديوان الحملة خاصة، كما اتضح من المثال السلق وينضح لكثير من المثال التالي الذي شرح فيه المرزوقي قول المرار النقصي: (الطويل)
فَيَا مَوْلِدِي نَسَارِي أَرْفَعُهَا لَعْنَهَا تُطْبِئُهُ بِسَنَائِ أَجْزَلِ اللَّيْلِ مُقْبِرِ

"وإنما قال فيا مولدي ناري على علاتهم في جمل مزاولي الأمور الشين لتئين. على ذلك قول الآخر:

قَرَى جَاوِزِيَه بَرْغَدَانِ "^(٣).

(١) التمر: معنى لبيت الحملة: الصلبة رقم (٦٢٢)، ص ١٩٨.

(٢) التمر: شرح ديوان الحملة: (١٧١، ١٧٠ / ٤).

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: (١٧٢٢ / ٢).

وقول المثلث بن رباح:
 منى فتيك على سنننا رسالة
 نكليك جتبي وضيفة ووسادة
 وأغضب إن لم تغضب الحق أنجفا
 (الطويل)

"يطلب في نفسي أن الشاعر قال وأغضب إن لم تغضب الحق أشجعاً، لأنه بني الرسالة على أن تكون متوجهة نحو اثنين: سائر وشحنة. ومخطئته من بعد أحدهما في قوله ساكتيك، على عاتقهم في الافتتان والتصرف، لا يمنع من الرجوع إلى ما بني كلامه عليه من نكر الاثنين. وهنا ظاهر لمن تأمله" (١).

وهذا التفتن والتصرف في فنون القول الذي يقصده الشارح هو الانتقال بين الضمائر، أو ميعرف بلاغياً
 "الانتفات"، مثل تعلينه على قول عبدالله بن الحشرج:
 ألا تكتب شؤنيك أم سلفي
 ولجئ من اللوم أنكس للسمد
 وبنا بسلفي بسلفي دون عرضي
 بياض سراقب، أم سلفي، ولا فسمنا
 (الوارث)

يتناول "خطب نعه في البيت الأول، ثم يقل الخطاب إلى الإخبار، على عاتقهم في كلامهم" (٢).

أما عن توضيح المعنى بالإشارة إلى ما يتصل به من أساطير العرب وأبطالهم فهو كثير، يتقن منه بشرح
 الشعري - وغيره - لقول قرادة بن حوية:
 ألا ليت شعري ما يكونن فخاري
 إذا جأؤب الهام المصنخ هامي
 (الطويل)

"مخاري"، ابن أخيه، والعرب تزعم أن الرجل إذا قتل خرج من نره طغر يدعى "الهامة"، و"الصدى"،
 فلا يزال يصيح. اسقوني، حتى يترك بئاره. وهنا من أبطال العرب. فيقول: ما يقول ابن أخي إذا قتلت
 وقرني؟ أطلب بئاري؟ يحضضه على طلب ثاره" (٣).

وشرح أبي هلال العسكري لقول الآخر:
 فلا تغمنن الخزيت في الهام هامي
 ولا ترميها بالتبيل ونفخنا بغدي !!
 (الطويل)

"وكتت العرب نزع أنه يحلق من دماغ الميت طغر، يقال له: (الهامة)، ينف على الأحسان، ويعرف الميت" (٤).

وهنا الكثير من الشواهد والأمثلة - يزد بها ديوان العملة - يضيق البحث عن أن يتسع لذكرها جميعاً،
 والتي تتناثر فيما بينها لتشكل جلياً مهما من جوانب التفسير، ومرجعية مهمة من مرجعيات التأويل التي كثيراً ما
 يعول عليها الشارح في تفسيره المعنى الشعري.

(١) حمزوي: شرح ديوان العملة: (١ / ٢٨٢).
 (٢) نفسه: حماسة (٧٧٣)، (١ / ١٧٣٧)، (١٧٣٨).
 (٣) شعري: معنى أبيات المثلث: المثلث، لم (٣٥٢)، من ١٤٢.
 (٤) أبو هلال العسكري: رسالة في سطوة - مؤلف من العملة: من ١٧٢، ١٧٣.

و- توضيح المعنى بالإشارة إلى بعض اللمحات التفسيرية لأصحاب المعاني^(١)، كما يتضح من شرح بيت آخر: (بعض بني تميم الله)

وَنُطَاعِجُ الْأَيْطَالِ عَنْ أَبْنَانِنَا وَعَلَى بَنَاتِنَا وَإِنْ لَمْ تُصْبِرْ
" معنى البيت: إنا بدافع عن حرمانا وحرماننا، وعلى ما يعترض في الوقت، نفعل ذلك وإن لم نبصر عاقبة الأمر، ولم نتبعها بالفكر فيها، وتأمل نتائجها، لنعلم موانعها، وهذا شأن الفلك فيما يمشونه من أحكام الحرب وينفونهم، ويقتلونهم من أسباب الحذاب والنزاع ويدرمونه ... وسمعت بعض أصحاب المعاني يقول: المعنى إنا نقاتل الأبطال حرياً على عادة الناس عند نظركم لأدبياتهم وبينهم، في التنب عن الحرم والعشيرة والشرف، وعلى الألبان والاعتقادات والبصائر، وإن لم نصر وحياً واحداً من هذه الوجوه نقاتل أيضاً، لأن هذا القتل والقتل " (٢).

وما رواه الثوري في قول عبد الله غمة الضبي يرثي بسطاماً:
لَكَ الْمَرْزَاقُ مِنْهَا وَالصَّفَا وَخُفْنُكَ وَالْأُشْبَةُ وَالْفُضُونُ (الوافر)

" حكى ابن السكيت عن الأصمعي في المعاني أنه قال: "المرباع"، ربع الخيمة، و"الصنبل"، جمع "صنبل"، وهو أن يصطفي الرئيس لنفسه شيئاً دون أصحابه، مثل الفرس، وما لا يستقيم أن يتم على الجيش. و"المسول"، نقلاً من العيمة، مثل معبر أو معبرين أو فرس، والجيش كثير، فلا بدري كيف يقسم ذلك عليهم " (٣).

ثالثاً: تعنى المعنى:

شغل هذا الموضوع حيزاً كبيراً في شروح ديوان الحماسة، بحيث تملئ تلك الشروح بعشرات الأمثلة التي انتبه فيها الشراح إلى احتمالات المعنى في البيت الواحد في سبيل تعمق المعنى وإبرازه. إن عمل الشراح لا يقتصر - على هذا المملاك - على نسخ الصورة ومحاكاتها، بل يتجاوز ذلك إلى تفكيكها، ومن ثم تحليلها، وصولاً إلى المعنى المتخفي وراء حجب المعجزة، وانطلاقاً من ذلك نجد أن "الراوي / الشراح يحلل الصورة فيردها إلى ضربيين من المواضع الأولية والطارئة رمداً لمدى العنول بغية إزاحة الغطاء عن المعنى. ويبدو الراوي في ذلك أحد شارحين: شارح يحلل بقلة متناهية العلاقة بين المواضعين فيبدو المعنى شغافاً بترأى، وشارح يتجاوز تحليل تلك العلاقة إلى رصد وجه الشبه كشافاً للمعنى بعد أن لاح بُخفاً عبر شفيف. وفي الحالتين يفتني للشرح بضروب القراءة فتنبسط المعاني وتوسع" (٤).

(١) د/المجد حمدان: لتضاهي الملاحة والقضية في شروح الحماسة على شعر أبي الملاء المعري: ص ٣٢٥.

(٢) المرواني: شرح ديوان الحماسة حطبة (١٩)، (١١ / ١٣٤، ١٣٥).

(٣) الثوري: معاني أبيات الحماسة: المسند رقم (٣٥٦)، ص ١٤٦.

(٤) د/المجد الوافرني: شرح أشعر عبد العرب ص ٨٨.

١- وقد سلك الشراح سبلا مختلفة من الاحتمالات والتأويلات في ظروفهم لتحديد المعنى الصحيح ومثله. منها (١):

أ- ما كان فيه التأويل معقداً قريباً مجاوزاً لظاهر العبارة إلى الفحوى والقصد مباشرة، ولهذا المنحى طلع تأويلي قريب الموضوعة، يبدو فيه المعنى - كما سبق أن ذكرنا - شغيفاً يتراءى. وهذا الجلب تميز به النمرى بخامسة. ويمكن التوقف عند شرحه قول الأقرع بن معاذ، بصف إبلا: (السيط)
ثُمَّ لَقِيَ الْجَبَّازَ شَرِيًّا وَفِيهِ خَائِنَةٌ وَلَا يَبِيْتُ عَلَى اغْتَابِهَا فَمَنْ

"الشرب"، الماء بعينه، ويرد به ما هنا اللين، و"الحاتم"، العطشان الذي يحوم حول الماء. يقول هذه الأبل تروي الحار وهي عطاش، تسلفه الذي قبل ربه. وقوله: "ولا يبيت على اغتاقها فم"، أي لا يتم عليها أن لا تنحر، و"القس" البير، يقول: نحن نسقي لبنها وننحرها ولا يمنعنا هذا عن هذا" (٢).

فهو بغوص على القصد: فـ "الشرب" يعني "الماء بعينه"، لكن الشاعر استعار ذلك للدلالة على "الشيء" ليتق مع ما رمى إليه الشاعر من قصد، فطن إليه الشارح وأوله تأويلاً قريب الملتخذ، سهل الإثراء، يتناسب مع معنى البيت "نحن سقي لبنها وننحرها ولا يمنعنا هذا عن هذا".

ب- بما كان فيه التأويل متحذاه، ولديه استقصاء لوجوه المعنى المحتملة، ولكن من غير ترجيح ولا تفضيل.

قد يحتمل البيت الواحد معنيين أو ثلاثة أو أكثر، أو قد يكون البيت في مستواء السطحي غير مستواء العميق. فما يحتمل معنيين قول محمد بن عبد الله الأزدي: (الضويل)
لَا أَنْفَعُ ابْنَ الْعَمِّ يَنْشِي عَنِّي شَيْئًا وَإِنْ يَلْغَبْنِي بِسُنِّ أَذَى الْجَنَّةِ دَاغٌ

"الشعاع، حرف الشراء. وبمشي في موضع الحال. والبيت يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون المعنى إذا أشفى ابن عمي على بلاه وشي يحاف عليه منه، وبخشي عطيه فيه، فبقي لا أنفع في صوره تحاملاً عليه ليحقه، ولا أزع به فيه لأخوه. ويجوز أن يريد: إذا انحرف عني مهلاً لي ومشي على جقب من المزاومة معي لا أخره، ولا لقم استحاشه بما لثير من كوامن غيظه، وإن بلغني الدواهي عنه، فلبست الشدائد من أشدني به. أي لا أنتهز الفرصة في مكاشفته وإن اتصل بالسوء تعرضه، ودام فيما يمن اعتراضه" (٣).

وقول رجل من بني عقيل: (الوافر)
فَفِيهِمْ يَوْمَ الزُّلْعِ غَنَمٌ وَإِنْ خَالَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ الشُّبَّالِ

"قوله معنيين أي مصرفين. ويقال: عد لهم عندك، أي اصرفه. والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى مصروف السيوف عنكم إبقاء عليكم، وكرامية لاستئصالكم. وإن خالت نصالها قد تقلت من كثرة ما مقارع بها الأعداء. ويجوز أن يكون المعنى: مصرفهوا إن تكلمت بكم وفيكم، لأن القدرة تذهب الحفيظة، ولأن ما يجمعنا يدعو إلى التقيا، والأخذ بكم بالحسن" (٤).

(١) دلمستني عابن: نبرات اللغ الأس في الأمثل: ١٩٨-١٩٩. الخامس فقط خلا الشواهد واشتقاق عليها.

(٢) النمرى: معلى أبيات القصيدة المعاصرة رقم (٧٧٤)، ص ٢٣٥.

(٣) الموزوني: شرح ديوان الحفصة: حاشية (١٣٧)، (٤٠١/١).

(٤) نعمة: حاشية (١٢)، (١٠٠/١).

ومما يحتمل ثلاثة معان قول أعرابي يخطب امرأته: (أنيف بن قتره) (الطويل)
شربت فمّا إن لم أرعك بضرة بضرة بضرة منوى القزط طينة الشمر

"قوله: "شربت فمّا"، قسم يحتمل ثلاثة وجوه: إحداهما: أن الدم حرام في الإسلام، فكأنه قال: أتيت حراماً، "إن لم أرعك بضرة"، أي أزعك. والوجه الثاني: أن العرب كانت إذا انتطح رادها واضطرت، فصنت البحر فأخرجت من دمه بمقدار الحلجة، فلحنه إلى النار واكلته ... والوجه الثالث: أن يقول: أخذت الدية فشربت من ألبانها، فكأنني قد شربت دماً" (١).

ومما يحتمل أكثر من ثلاثة معان قول شاعر الحماسة: (موسى بن جابر) (الطويل)
فما نفرت جنى ولا فلى مبردي ولا أضبحت طيرى من الخوف وقفا

"وهذا يحتمل وجوها: يجوز أن يريد لم ينخرل لما أتيت وأخبرتم أصحابي الذين هم كالحن، ولا هل لسقي الذي هو كالمرد، ولا دعر جئني لمار طيرى والمعنى. ويكون الأول كقول الآخر: (الطويل)

عنيّ جنان فجنّة عقر

وتشبيه اللسان بالمرد وحد السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد. وقد قيل في "نفرت جنى" إنه مثل لفلنقه وبدراته، ويكون هذا كما وصف امرؤ القيس فرسه بالمرح وحدة القلب قل: (الطويل)

به طائف من جنّة غير منتعب

وإن نكره المبرد مثلاً لصلاحه، وإن نكره الطير مثلاً لصيته ونكره الذاهب في الناس. ويجوز في هذا الوجه أن يريد به نكاهه ونشأته وشهامته، فقد قيل في ضده: هو ساكن الطائر، وكان على رءوسهم الطير. ويجوز أن يشير بالجن إلى ما يدعيه الشعراء من أن لكل واحد منهم تبعاً من الجن يستعين به فيما يحز به، ويجعل المراد بالمرد في هذا الوجه للسان لا غير. ويجوز أن يريد بالطير سراياه وطوائف خيله التي يطيرها للغارات والارتقاء، وتجس الأخبار وغيرها" (٢).

ومما معناه في المستوى السطحي غير معناه في المستوى العميق، قول بشر بن الخيرة: (الطويل)
هيا غم منهل وأثبثني لثوبية ثبم هبلن السدفر جم نوابه

"قوله "مهلاً" معناه رفقاً ودع المجلة ... وفي هذا بعض التواعد والتطنز وإن كان ظاهره أنه يستعطف المهلب ويعرفه أن الدهر ذو غير وذو ألوان فلا يضمن بولنقه؛ وأنه قد يحتاج إلى المستقى عنه لحادثة تحدث. فيقول: انخروني لثوبية تنزل، وهي المصيبة أو النكبة، ولا تطرحني اغتراراً بالأمن، فإن الدهر كثير التوالف، وشوك التحول" (٣).

(١) النمر: معاني أبيات الحماسة: الحماسة رقم (٨٧٢)، ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٢) النمر: شرح ديوان الحماسة: ص ١٢٨، (١٢٨/١) ص ٢٧٤.

(٣) نمر: ص ٧٣، (٧٣/١) ص ٢٦٦.

وإذا كان البيت يحتمل أكثر من معنى، فلن الشارح يدير معانيه على احتمالاتها المختلفة، على مختلف الروايات، كما في شرح قول حبيب سبيح:

(الطويل)

فَمَا زِلْتُ خَشْيَ جَنَّتِي الْفُؤَادُ عَنْهُمْ أَطْرَفَ عَظْمِي فَارِيسًا ثُمَّ فَارِيسًا

"يقول: لم أزل يلبس ذلك اليوم أدفع في جوانب مجالي وأطراف أرضي، الفارس بعد الفارس، إلى أن تغشى الظلام فحل بيني وبينهم، وستر كلاً منا عن صاحبه ... ومن روى "أطراف فرساً والحق فارساً" فالمعنى أسوق فرساً وأزودهم عني، وقد الحق في الطرد الواحد بعد الواحد فاصيبه"^(١).

ومن خلال ذلك يمكن ملاحظة أن الشارح "يستثمر معرفته اللغوية في إدراك الفروق الدقيقة التي تكون عليها الكلمات في الأبيات، واللغة العربية كلفة لغة أخرى تضيق اللفظها أمام محال الدلالات المتعمق يوماً بعد يوم، فيمكن للفظ الواحد أن يحوي من المعاني ما قد يكون متعارضاً في بعض الأحيان"^(٢). وقد تكون احتمالات المعنى لدى الشارح قلقة على "أسس من القرائن النحوية، أو من التطورات الدلالية التي تطرا على اللفظ، أو من فترة بعض الصور على الإيهام بمعان مختلفة"^(٣)، وكل هذا يساعد في كشف شغوض المعنى، وأمن اللبس والخلط.

ج- ما كان فيه التأويل متعدد الاحتمالات مرجحاً دون تعليل، مثل ما نجده في تأويل قول بعض بني قيس

(البسيط)

بِـبَيْضٍ مَفَارِقَ نَفْسِي مَرَايَئِي نَأْسُو بِمَوَالِينَا أَثَارَ أَيْسَبِينَا

"هذا البيت قد فسر على وجوه، أما ذاكر منها ما خطر ببالي: قيل: "ببيض مفاييقنا"، أي: لا ننس فيها، والعرب كلها سمر، فلما وصفوا بالبياض، فلما يراد به شقاء والطهارة. وقيل: أراد لنا لنا عيداً سواداً، وإذا كان للمفرق أبيض، فكتلك الجسد. وهذا وجه لا يحسن إلا أن يكون معرضاً يقوم. فيقول: لنا عيداً مثلكم. وقيل: بل يزعم أنهم قد شابوا وحكتهم انتحارب. وهذا وجه مشهور، ولكنه ضعيف جداً، فإن فيهم الأشيب والأمرء، على أن له أن يغلب الشيب على المرء، إذا كانوا أكثر عدداً وأكبر عقولاً ... وقيل: يريد بقوله: "بيس مفاييقنا"، يريد من الطيب والذي اختاره من هذه الوجوه قول من قال: إنه لا ننس فيها"^(٤).

د- ما كان فيه التأويل متعدد الاحتمالات مرجحاً ومقللاً، فيعد أن يشير الشارح معاني البيت على احتمالاتها المختلفة، ويرجح منها ما يعتقد أنه أليق بسبق النص ومثامه. ومن الترجيح والاختيار من أوجه الاحتمالات المعنوية المختلفة التي يطمح للشارح إلى أحدها مع ذكر سبب الترجيح، ما نجده في تأويل قول بشر بن أبي (الطويل)

مَنْ يَنْتَعِ بِمَنْكَ السَّمِيقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقًا وَتَقْتُلُ إِنْ زُلْتُ بِكَ الْفَسْنَانُ

"هذا يحتمل وجهين: أحدهما أنه جعل الخطب لصاحب الفرس على المجاز والسعة، والمقصود الفرس، فيقول: تمنع من سبق إن سبقت - وهذا إشارة إلى ما كان منهم من لطم دلهب. وقد لم تذكره - فإن خفت تمك بك

(١) الرزولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٨٤)، (٥٧١ / ١) .

(٢) د. محمد صبرة: شرح الرزولي، التطرية والإجراءات، ص ١٠٨ .

(٣) نفسه: ص ١١٢ .

(٤) حمزة: معاني تلك الحماسة: الصافية رقم (١٤)، ص ٢٤، ٢٥، ٢٦ .

وبرزت ثقباً أني طيك. ويكون قوله "زلت بك القمان" على ما فسرناه من قولهم تدح رلول، إذا كان خفيفاً. فهذا وجه. والتلقي أن يترك الخطاب على ظاهره وحده، فيكون المعنى: سمع منك المتفق عليه من الخطر بسبق فرك، فلن لم يثبت قنمك عند التقاضي به، وفي النفاذ عن نفسك فيما براد من ظلمك وبرام من هضمك قنلت أيضاً. وهذا لقرب وأشبه بالتصمة^(١).

وقد يستند الشراح في استشفاف إحياءات المعنى، ومن ثم الميل إلى ترجيح أحدها إلى معطيات شعر الشاعر في مذهب العرب وما حوت به العدة، أو غرض الشاعر.

فمن الترجيح والتعليل بمذهب العرب وما جرت به العدة في أشعارهم، ما ذهب إليه الشريزي في قول
الحرث بن وطة الذملي:

أَنْ يَأْبُوا نَحْلاً بِغَيْرِهِمْ وَالشَّيْءُ تَحْجُزُهُ وَقَدْ بَثَّيْ

"يقول إذا ظلمتهم فلا تأمنهم أن ينتقموا منك فتشتفي أعدائك منك فتكون كمن أصلح أمر غيره وهو كقولهم فلان يحطب في جبل غيره ... كله قل لا تأمن أبر قوم ظلمتهم نحلاً لغيرهم يقال أبرت النخل وأبرته إذا ألقت، وقال بعضهم معناه إن ظلمتمونا تحولنا عنكم فلا يكون لكم بعثنا مقام فتحوّلوا أو يملككم العنز فيكون ما أبرنا نحن وأنتم ليم دوننا ودونكم، وقال أبو العلاء قد اختلف في معنى هذا البيت فقيل أراد أنه يدارقهم ويهبط هو وقومه أرضاً ذات نحل كان لغيرهم فيفدونهم عنه ويلجونه كأنه يتهدمهم بترحله عنهم لأن ذلك يؤديهم إلى النحل واستدلوا على هذا الوجه بقوله في القصيدة:

فَوَضَّ خِيَانَتَكَ وَالشَّيْءُ بَثَّيْ بِأَيِّ عَنِ الْغَائِبِيكَ بِأَلْظَمِ

وقيل بل يريد أنه يحاربهم فيصلحهم لغيره فيجلبهم كالنخل التي قد أبرت إذ كان عنوهم ينال غرضه منهم إذا أعلته عليهم، وقيل بل عني أنه يسبي نساءهم فتوطأ فيكون ذلك كالآبار الذي هو تلقح النخل، وهذا الوجه أشبه بمذهب العرب مما تقدم لأنهم يكتنون عن النخلة بالمرأة قال الشاعر يخطب امرأة:

أَلَا نَا نَحْلُةٌ مِّنْ ذَاتِ عَزْزِي غَنِيكَ وَزَخْخَمَةُ اللَّهِ السُّلَامِ
مِنَائِلِ الثَّمَانِ غَنِيكَ فَخُزُونِي هِنَا مِّنْ ذَاتِ يَغْرِفَةِ الْكَرَامِ
وَالْوَسْنِ بِضَا أَخْضَلُ اللَّهِ نِجَاسِ إِذَا فَوَ لِمِ يُخَالِطُهُ الْخِرَامُ^(٢).

وقد يبينون توجبهم للتأويل، وتعاضلهم للتعليل بمعيار المشهور المطروق من المعنى، كما في قول بعضهم:

أَكَلْتُ نَمَا إِنْ لِمِ أَرْغَبُ بِضَرَةٍ بَيْدَةٍ مَهْزُوزِ الْفَرْطِ طَبِيعَةِ النَّشْرِ

"أكلت نمأ بجري مجرى اليمين وإن كان لفظه لفظ الدعاء وأكل الدم يسوغ عند الإشفاء حلى الهلكة والمعنى إن لم أفرغك بمرأة حقة السالفة طيبة الراححة فلبتلاني الله بما يحل معه أكل الدم وبروى أن قتل هذين البيتين أعرابي وكان تزوج امرأة فلم يوافقها فقيل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فحملها إلى دمشق وقال

(١) للمزدلفي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٥٣)، (١٥٣/١)، (١٥٤)، وفتن: الشريزي: شرح ديوان الحماسة: (٣/٢).
(٢) للشريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٥٨، ١٥٧/١).

القضايا التقنية الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى

'البيات وقيل أبو العلاء يحور أن يريد بقوله شربت مما أي إن لم أر عك بضرة فشربت مما لأن الدم لا يشرب ولا يمتنع أن يضي بقوله شربت مما أن يصبه جنب وحاجة فيفتقر إلى شرب الدم كما كتبت العرب في الجاهلية إذا أشد عليهم الزمان فصنوا النوق وشربوا نساء ما وخطبوها بغيرها فأكلوها ولا يبعدان يضي بالدم دم الحبة لأنه عندهم كالسم قل الشاعر:

أَسْوَدُ وَغُيٍّ لَأَقْتِ أَسْوَدُ خَلِيَّةٍ ثَنَانُوا عَلَى سَرْدِ نَمَاءِ الْأَسَاوِدِ

وأحد الوجوه أن يكون الغرض بقوله شربت مما أي قتل لي قتيل فأخذت الإبل في ديتة فشربت ألبانيا فأنشأ شرب دم ذلك القيل وهذا المعنى كثير في أشعار العرب قل الشاعر:

أَبَا الْعَوَفِ إِنَّ الْإِبِلَ يَنْقُضُ رِمْلَهَا وَكَأَنَّ دَمَ الثَّارِ الثَّمِيرِي أَثَقَّهَا
ثَبَّكَ عَلَى رِيسَا إِذَا الْخَيْسَلُ أَضْمَضُوا وَتَتَرَكُ رِيَانُ الْقَتِيلِ الْمُضِيغَانِ الشَّيْخُ قَانُزِبِ بْنِ دَمٍ
إِذَا صَبَّ مَا قَسَى الْوُطْبُ فَاغْلَمَ بِأَقْطَعِ الشَّيْخِ أَوْدَعُغَا^(١)

ومن الترحيح والتعليل بغرض الشاعر، ما أول به المرزوقي قول الراعي:

فَبَاتَتْ تَفْعُ الثَّجْمُ فِيهِ مُسْتَحِيرَةٌ سَرِيحٌ بِأَيْدِي الْأَكْلَابِ جُنُودُهَا

"قوله فباتت تعد اتجم إخبار عن أم حنزر بن أكرم. والمستحيرة: المتحيرة لامتلائها أي في مرقاة أو تركد تحيرت، فهي من صعابها وكثرة سمها ترى فيها نحوم السماء. وقيل: شبه الراعي الفاخخت التي كتبت على رأسها من كثرة النسم بالنحوم، ويحور أن يكون أراد أن هذه القنور مرتفعة الشلل، عالية الأمر، لجمه كتبت تعد النحوم فيها لما لطمت منها كفتها بلغت النحوم في شوها، لأنها لم تر مثلها قط. وهذا هو الوجه عدني، لكون قد غض من لمة جراه على ما قلناه ونكره"^(٢).

وقد يستحسن الشارح في ترحيحه للمعنى المختار على معطيات شعر الشاعر في معانيه، كما في قول

حصين بن حمام المري :

وَلَمَّا رَأَيْتَا الْحَمِيرَ قَدْ حَبِلَ دُونُهُ وَإِنْ كَانَ يُؤْمَأُ ذَا خَوَائِبٍ مُظْلِمًا

"قوله ذا كراكب هو مأخوذ من قولهم أراد الكراكب نهارة وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول بريدون شدة الأمر وعظم الخطب قل طرفة:

إِنْ تَوَلَّيْتُ فَقَدْ تَمَتَّعْتُ بِهِ وَتَرَبَّيْتُ بِهِ الثَّجْمُ نَجْزِي بِمَا نَظَّهَرُ

وقل الفرزدق:

لَعَنِي نَفْسُ سَازِ بْنِ يُوسُفَ مَسِيرَةً لَرُبَّكَ ثَجُومُ اللَّيْلِ مَظْهَرَةٌ ثَجْزِي

وادعي بعض الناس أن ذلك ما قيل في يوم حلومة لأن الغبار ثار حتى حجب الشمس فظهرت الكواكب وهذا كذب ظاهر لأن الغبار إذا ستر الشمس فهو للنجم أستر ويجوز أن يكون ضربهم هذا المثل مأخوذاً من كسوف

(١) التبريزي: شرح ديوان الصانع: (١٧٦ / ٤).
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصانع: جملة (١٣٩)، (٢ / ١٥١٠، ١٥١١).

الشمس لأن الناس في كل زمان يعظمون ذلك وإذا كثفت وذهب ضوءها رؤيت النجوم ويحتمل أن يكون أصل ذلك في الحرب وهو أشبه ما يقال لأن الألسنة تشبه بالنجوم قال الأفوه:
(الرمل)
جَحَفْتُ أَنْ أُزِقَ فِيهِ قَبْرُؤُهُ وَنَجَّوْهُ سَنَظْرِي وَتَسْبِيحِي^(١).

كما أن الشارح قد يستند في ترجيحه إلى ملائمة المعنى للسباق الدلالي للبيت، ومدى معرفته بالسباق العلم للنص الشعري، أو على ذوقه الفني وحسه النقدي.

فمن التأويل اعتماداً على المعرفة بالنص الشعري متكامل لا إلى البيت بمفرده، ما ذهب إليه المرزوقي في قول عقيل بن علفه:
(الوافر)
وَلَمَّا سَمِعْتُ بِسَنَابِلِ جَارَاتِ بَيْتِي أَغْشِيَا بَرْجَانِي أَمْ شُـهُؤُهُ

"يحتمل وجهين: أحدهما أن يتجح بتعنه في جاراته، وأنه لا يتطلب مفارقة القيمين بهن، بمرصداً للتمكن منهن، فيكون ذلك باعثاً للسؤال عن رجالهن، ليفتم الخلوة بهن. والثاني أن يريد رفع الطمع عن جبرته، وقلة الفكر في تتبع أحوالهن، عند حضورهم وغيبتهن، إذ لم يكن همه في التول منهم، ومشاركتهن فيما يتجدد لهن من خير، فعل المسف للمطلع الدنية. ويكون هذا كما قال الآخر:
(الكلل)
وَإِذَا أَتَيْتُ مَنْ وَجْهَهُ بِطَرِيقِهِ لَمْ أَطْلُبْ مِنْهُ نِزَاةَ خَبَائِصِهِ

وهذا أوجه. لأن ذكر العفة قد جاء من بعد.
(الوافر)
وَلَمَّا سَمِعْتُ بِصَاحِبِ عَيْنِ بَيْتِ جَارِي صُفُوْزِ الْفِيْرِ غُشْرَةَ السُّؤُؤِ

هذا يشهد لما اخترناه في تفسير ما قبله، فيقول. وإذا دعيت الجار إلى بيتي بكرمني ببره، ومشاركتي في خيره، لا أنصرف عنه والتمع فيه بحاله، والامتياز للحير من ماله وطعمه على حده، أنصرف الحير عن الماء وقد عمره الورود"^(٢).

وما جاء في شرح النمرى لبيت آخر:
(الطويل)
أَلَا قَالَتِ الْفَصْنَاءُ نَوْمٌ لَيْثُهُمَا فَكَبُرَتْ ، وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعَا

" قال أبو ريثان رحمه الله: قالت له: كبرت، ولم تجزع المصماء من الشيب مجزعا، أي: لم تجزع حين الجزع، فلمي ثبت في وقت المشيب، وهذا عندي: كقولك للرجل وقد رأى رأيا مخطئاً: "لم تر رأياً". وكما قال امرؤ القيس:
(الطويل)

نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِحَيَاتِكَ مَنْظَرًا

وجاز أن تكون المرأة قالت له: كبرت، ولم تجزع ليها الرجل من الشيب، أي: ما أيسره عليك. والبيتان اللذان يليه يقولان هذا"^(٣).

(١) التبريزي: شرح ديوان العمسة: (٢٠١/١).
(٢) المرزوقي: شرح ديوان العمسة: حماسة (١٣٦)، (١٠١/١)، (١٠٢/١).
(٣) نمرى: معاني أبيات العمسة: الحماسة رقم (١٠٦)، ص ٧٥.

وكما جاء لبحثنا في شرح النمرى لقول آخر: (مجنون ليلى) (الطويل)
فِيَارَبِّ إِنَّ أَهْلَكَ وَلَمْ نَرَوْكَ مُهَيِّئِينَ بِذُنُوبِنَا إِنتَ لَا تَحْزَنُ أَعْطَشَ مِنْ قَبْرِي

"الهلمة"، ها هنا هلمة الرمس. يقول: إن مت ولم أرو من ليلى بما يروى به المحب من الحبيب، من قلة أو نظرة أو عدة، لا يكن قبر أعطش من قبري وجعل "المعش"، للقبر لحلوله فيه وهو عطشان، كما نقول: "هذا بيت كريم"، وأنت تريد صاحبه ... وقد فسر قوم هذا البيت تفسيراً آخر لا وجه له ها هنا عندي. قلوا: "الهلمة"، نكر اللوم، والعرب تزعم أن الرجل إذا قتل نلم يثلم به، خرج من رأسه طغر يسمى الهلمة والصدى، ويزعم بعضهم أنه يتولد من الدماغ، فلا يزال يصيح. استقوني، استقوني = إلى أن يثأر ... وهذا التفسير لا يحتمل البيت، من أجل أن الشاعر لم يرد أن تقتل به ليلى كما قتلته، وبقي الأبيات يدل على ما ذكرته. والتفسير هو الأول لا غير^(١)، وهو ما يؤكد أن الشراح وضعوا في اعتبارهم خلال توجيههم للمعنى وحدة الأبيات وترابطها.

ومن ترجيح الشراح وتعليله اعتماداً على قوله النسي. وحسه النقديها أول به للنمرى قول عبيد بن الطيب (الطويل)
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسٌ بَيْنَ غَاصِمٍ وَزَخْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَزَخَّمَ
"قال علي بن سليمان الأحفش في هذا البيت: أي عليك سلام الله ورحمته أبداً، من أجل أن الله عز وجل إذا يشاء الرحمة، فجعل مشيئة الرحمة ظرفاً، وقال ثعلب قريباً من ذلك. والذي عدي أن هذا كقولك: "أصلنا من العيث ما شاء الله أن يصيننا، ورأينا من الخير ما شاء الله أن نرى"، وأنت تريد الكثرة والمبالغة. أي عليك سلام الله كثيراً، وكذلك تقول للرجل: "أصفا من كدة ما شئت"، وإن كان لا يشاء أن يصيب لك، قال لوس بن حجر (الطويل)
وَلَمْ تَلْهَبْهَا بَنُوكَ التَّكَلِيفُ أَتْهَبَا فَمَا شِئْتُ مِنْ أَقْرُوبَةٍ وَتَخْرُودِ
وقال أبو الرمة: "ما رأيت لنفس من أمة بني فلان، سألتها عن العيث قالت عثا ما شئت". فهذا مذهب العرب"^(٢).

وقد بني الشراح توكليهم للمعنى، وترجيحهم له على أساس صحة المعنى أو استحسانه، أو مدى مراعاة الشاعر جفت الصلغة، فمن الأول قول عروة بن أذينة:
(البسيط)
إِلْفَانِ يَهْمُهُمَا لِلْبَيْنِ فَرْقُهُمَا وَلَا تَحْتَلَانِ طُغُولُ الدَّهْرِ مَا اجْتَهَمَا
"البين يقع على وجوه: أحدهما أن يكون مصدر بلى بين وبينونة. والثاني أن يكون ظرفاً، نقول: بين اندوم كذا، وهو لشبين يتبين أحدهما عن الآخر فصاعداً. والثالث أن يفيد معنى الوصل، على ذلك قوله تعالى: "لقد تقطع بينكم" ألا ترى معناه تقطع وصلكم، ولا يصح أن يكون المراد تقطع افتراقكم، لفناء المعنى. وعلى هذا قولهم: سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق. والذي في البيت هو الثالث، لأن المعنى: هما متحابان قد ألف كل منهما صاحبه، والذي يهمهما ويظهرهما للوصل ما يخشى تحقه له من الشرقة، فخولها منها وفكرهما فيها. ولا يكتسبان ملاً من اتصال طول الدهر"^(٣).

(١) لحري: معاني لبيت الصلغة: الصلغة رقم (١٦٣)، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٢) نسخة الصلغة رقم (٢٦٦)، ص ١١٤، ١١٥.

(٣) السردولي: شرح ديوان الصلغة: ص ١٩٩، (١٩٩٤ / ٢).

رابعاً: نقد المضى:

سار الشراح خلال تصديهم لمعاني أبيات الحماسة وفق مجموعة من القواعد والمعايير التقنية التي كتبت سبيلاً لهم في الكشف، ومن ثم للحكم على مدى إجادة الشاعر وإخفائه في استخدامه لتلك المعاني.

وأهم هذه القواعد يمكن إدراجها فيما يلي:

أ- تلصيق المعاني^(١):

من خلال تحديد أصل المضى، وما طرأ عليه من تغييرات، لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقول إنه للسمردي ابن عديا اليهودي في قوله:

(الطويل)

وما ضاكَ مِنَّا سَكَيْدٌ خَشَفَ أَتَقِيهِ وَلَا طُلُفٌ مِنَّا حَيْثُ كَمَانٌ قَتِيلٌ

" يقول: لم يمت رتيبٌ منا على فراشه، بل مات ميقّةً كريمةً في الحرب تحت ظلال السيوف والرماح، ولا

أبطل دم قتيبٍ منا حيث كان، وعلى يد من اتفق. وهذا غاية ما يتحمد به الفتك وأبناء الحروب، حتى إن بعضهم

(الطويل)

اعتذر عن مات على فراشه فقال:

بَخْمَسِيٍّ مِّنْ مِّبْنَاتِكَ لَا يَهْنُ أَهْبَا فَرَّانٍ مَبْتُ عَطَى مَبَالٍ

(الخفيف)

وفي هذه الطريقة قوله:

كُنْسَبِ النَّفْسِ وَالْقَسَالِ عَلَيَّهَا وَعَلَى الْغَائِيَاتِ جِرُّ السُّبُولِ

وقوله: مات حتف أنفه يقال إن أول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم، وتحقيقه: كان حتفه بأنفه، أي

بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزوع الروح، لا دفعةً واحدة. ويقال خص الأنف بذلك لأنه من جهته ينقضي

الرمق. ويقال: ظل دمه يطل بطلاً، إذا أهدر^(٢).

كما أبان الشراح عن المعاني المشهورة المطروقة ونهوا عنها، كما في قول آخر:

(البسيط)

إِلَّا يَكُنْ زَرْقِي غَضّاً أَرَاخَ بِهِ لِلْمُتَحَبِّينَ فَاتِيَةً نَبِيْنُ الْغَوْدِ

" ... الورق المال من الإبل والورق الكثير الورق يقال رحت له أراح أي ارتحت وقيل الأريحي

(البسيط)

أنعني من هذا ونكر الورق كناية عن المال في كلامهم كثير قل زهير:

وَلَيْسَ مَاتِعٌ ذِي فَرْقِي وَلَا زَجِيمٌ يُّؤْنَسَا وَلَا مُفْلِمٌ مِّنْ خَابِطٍ زَرْقَا

لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تحسباً لكلامه وكذلك هذا لما كنى عن معروله بالورق وصله

بالعود وإذا الآن المراد احتز وعن الاحتزاز للخير وحصل الندى^(٣).

(١) داللسيد حماد: اقتضابا البلاغة والتقنية في شروح التسماء على شعر أبي قلابة، ص ٣٢٧.

(٢) الميزوري: شرح ديوان الحماسة: (١٥)، (١١٧/١).

(٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٦٨/٤).

وقد يناقش شعراء الحماسة غيرهم من الشعراء في تداول المعنى؛ هذه المناقشة قد تكون بالمخالفة، أو التضاد، أو العكس، أو النقل، أو القلب، أو التفصيل ... إلخ .

لمن المخالفة قول آخر: (بلعاء بن قيس)
بِضْرَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مَخَالَسَةً وَلَا تَعْلُثُهَا جَبْتَا وَلَا فَرْقَا

" يقال تعجلت الشيء، أي تكلفته على عجلة. ويقال أيضا أعجلته واستعجلته وتعجلته بمعنى. والخلص: أخذ الشيء مخالطه، وقيل الاختلاس أرحى من التخلص. ويقال هو لك خلسة، كما يقال نهزة وفرصة، يقول: عشيتة سيفاً بان ضربته ضربة هكذا. فلما قوله لم تكن مني مخالسة، فهو خلاف قول الآخر: (الفند الزماني) (الهزج)
وَلَقَدْ أَخْضَرْتُ لِي خُضْرًا لَا زَنْدِي لَهَا نَسَبِي

وقول الهذلي:

وَبَطْنٌ خُلِمَ فَمَا طَعَتْ مَرْثَةً

لأن قصد الشاعر هاهنا إلى أنه تناول من خصمه ما تناول بثنت وقوة قلب لا كما يفعل الجبان. وتم يتكرر تمكنه من خصمه على شدة احترازه منه حتى تناول ما تناول خلساً. وقد وصف الشجاع بالمخالس والخبليس. وكذلك المصارع. ومن منحه خصمه ثم ذكر غلبته له كان أبلغ في الانتخار به، فأعرف فرق ما بين الموضعين. وقوله: "ولا تعجلتها جيناً ولا فرقاً" يؤكد ما ذكرناه. وانتصاب "جنباً" على أنه مفعول له، وهو الذي يسمى مصدرأ لعله والمعنى: ولم تكلف عجلتها لضعف قلبي ولا لخوفي من صاحبي. وضربة الجبان أرحل وأسرع " (١).

وقول الكروم بن زيد:

لَسْتُ فَرَحْتُ بِبِي مَخْبَلٍ عَزْدَ ثَنِيَّتِي لَقَدْ فَرَحْتُ بِبِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

" يقول: إن كلفت هذه القليلة سرت بي عند كبرتي، واستكمال رأيي وتجربتي، لحق لها ذلك، فقد استشرت بي عند ولادتي، وحين هنتت بقممتي. والقوالب: جمع القبلّة، وهي التي تقبل الولد عند الولادة. واللام من قوله لنن دخلت موطنه للقمم، وجواب القسم المنوي لقد فرحت. وهذا خلاف قول الآخر: (الطويل)
وَفِي بِي قَوْمِي وَنَا إِنْ قَالَتْهُمْ وَأَعْنَيْتُ لِي قَوْمِي وَلِئَسْنَا بِشَيْءٍ (٢)

وقول آخر:

إِذَا مَنَزَ الْفُؤْمَ لَمْ أُنْصِرْ طَسْرِيْلَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ

قوله لم أنصر طريقهم يريد أنه لا حدة لي بلادهم وهذا خلاف قوله: (زهير بن أبي سلمى) (البسيط)
قَدْ جَعَلَ الْمُتَبَغُّونَ الْخُوزَ قِي هَرِمٍ وَالْمُتَأَلِّونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طَرْفَا

(١) المروقي: شرح ديوان الحماسة جملية (١)، (١/٦٠، ٦١).
(٢) نسخة حموية (١٠)، (١/٦٢).

كأنه عهرهم للكنز في كلامه^(١).

ومن التضاد قول سعد بن نقيب بن ملز بن عمرو بن تميم:
وَأَهْلُ غَنٍّ نَارِي وَأَجْفَلٌ فَخْهَا لِمَرْبُوعِي مِمَّنْ بَأَقِي الْمُنْمَةِ خَاجِنَا

الذهول. ترك الشيء متعلية له ومتساليا عنه، ومنه اشتقاق ذهلي. يقول: إذا ضلقت المنزل في حتى يصير دار الهوان
تفتتت عنه، وأجمل خوله وقاية للنفس من العار البلي، والتم اللحق. وهذا قريب من قوله: (مجزوء الكامل)

وإذا فبايك متزول فتخول

وهو ضد المعنى الذي يقصدونه بالثبات فيه والصبر عليه، من الإقامة في دار الحفظ والانتخاب به. لأن
الانتقال ثم هو الجالب للعار، كما أن الإقامة هنا هو الحالب. فمن تلك قوله: (الحادرة) (الكامل)
وَنَقِيمٌ فَمِي دَارِ الْجَفَاظِ يَنْوِيثَا زَمْتَا وَيَنْظَعُ دَنْ غَزْنَا بِلَاغِزِ

ومنه قوله: (سلامة بن جندل)
يَقَالُ مَخْبِ مِنْهَا أَنْتَمِي لَمَرْبُوعِي وَإِنْ تَعَادَى بِيَانِي قَسْلُ مَخْفُوبِ

وفي ضده قوله: (سعد بن خفاف)
ذَا الْهَيَّوَانِ لِيَنْزَنَ رَأْسَا ذَاوُ أَفْرَجِلَ عَنْهَا كَمَنْ لَمْ يَزَلِ

وقول الآخر: (سعد بن نقيب)
وَلَسْتُ بِمَخْتَلِّينَ ذَا ذِي حَسْبِيَّةِ مَخَالِفَةٌ مَوْتِ إِنْ بَنَا ثَبِتَ الدَّارُ^(٢).

وقول أبو خراش يرتي أخاه، وبتكر نجاة ابنه خراش:
بَأْسَى، إِنِّهَا تَغْفُو الْفُكُومَ وَإِنَّمَا تَوَقَّسُ بِالْأَتَى وَإِنْ جِلُّ مَا يَفْضِي

" قوله. " وإنا نوكل بالادنى "، أي نحن موكلون بالحد من أصبا قبله، وهذا ضد قول أخي
ذي الرمة:

فلم تشبني أولى المصينات بخذه^(٣).

وقول بشر بن أبي جزيمة:
لَفِذٌ مَسْمُوتٌ جُفِيَتْكُمْ آلُ جُثِيمِ وَأَخْصَانُكُمْ فَمِي الْخَيِّ غَيْمِ مِسْمَانِ

" التعمدان، جمع "عمود"، و هو الفصيل. يقول: هي سمان من أجل لئلا تفرقنا بلقين على من يطريكم
من جبار وضيف، وعلى أنفسكم أيضا، فاحملكم هزلي لذلك، والحسب لا يوصف بالسمن والهزال، إلا على
الاتصاف. وهذا ضد قول الآخر:

(الوافر)

(١) التوزيد: شرح ديوان الصفة: (١٧٣ / ٤).

(٢) التوزيد: شرح ديوان الصفة: حاشية (١٠)، (١٠٠ / ١)، (٦٩٠ / ١١).

(٣) التوزيد: شرح ديوان الصفة: حاشية رقم (٢٦٥)، من ١١١، ١١٢.

فَمَا يَنْكَرُ لِي مِنْ غَيْبٍ لِي جَزَاءُ الْكَلْبِ مِنْهُ زَوْلُ الْفَصِيلِ

يقول: كلبى جبان لا ينزع ضيفاً، وفصيلى مهزول، لأنى أوتر صوفى عليه بلبلين، ويروى: "سمين الكلب"، يقول أندر أم الفصيل فيأكل الكلب أمها فيسمن" (١).

ومن العكس قول مسجاح بن مباح:
 أَفْذُ طَوْفَلَتْ لِي الْأَقْبَاقِي خَثَى بَلِيَتْ وَقَدْ أُنْصِي لِي نَوَ أَيْدُ
 وَأَقْبَاتِي وَلَا يَنْكُصِي نَهَارَ وَلَيْلَ كَلَمَا يَنْصِي يَفْوَدُ
 وَشَهْرَ مُسْتَهْلٍ بَقْدَ شَهْرٍ وَخَوَلُ بَقْدَ خَوَلُ جَدِيدُ
 وَمَقْلُودَ غَزِيرَ الْفَقْدِ نَاتِي مَتَيْتُهُ وَتَمَامُونُ وَلَيْدُ

"إذا تأمل الناظر ما اقتضه هذا الشاعر في هذه الأبيات على قبتها، من امتحانه بالكثرة والمن، وتراجع القوة بمأخذ الدهر، ومع التجوال في البلدان، ومقاسة الشقاء في الحل والترحال، والتقل في الأحوال، ثم مرور الأيام وكرورها بما لا يسر عليه، إلى أن رفع الطمع عما كان تجمعه يده ونفض اليد مما كان يشده قبضه، ثم المصطب في الكامل البارع، وتعلق الرءاء بالطفل الدارج وحده حيشه على العكس مما وصفه امرؤ القيس في قوله: (الطويل)
 أَلَا أَنْتُمْ مَسْبَاخًا إِلَيْهَا الطُّغْلُ الْهَمَالِي وَهَلْ يَنْصُضُ مَنْ كَانَ فِي الْفَصْرِ الْخَالِي
 وَهَلْ يَنْصُضُ مَنْ كَانَ أَقْرَبَ غَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا أَوْ ثَلَاثَةَ أَحْوَالِ
 وَهَلْ يَنْصُضُ إِلَّا خَلَصِيْ مَخْلُذُ كَرِيْلُ الْهَنْسُومِ مَسَا يَبِيْثُ بِأَوْجَالِ
 قَتَلَهَا فَبِهَا عَجِيْبُهُ" (٢).

ومن القلب قول آخر: (جثمة بن قيس)
 إِذَا لَقَيْتَ قَوْمِي فَمَسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَيْرًا

"تبحث قلقة عند المرأة التي خلعتها، بسهولة جلقه، وترك المناقشة في استخراج حقوقه، وسماحة نفسه بما يملكه، فيقول: إذا رأيت قومي فأرجعي إليهم سائلة عني، ومستخيرة حالي ومعتمدة على ما تسمعين من قصتي وأمرى، فكفى بقومي عالماً بي وبخلالكي. وقوله "كفى قوماً بصاحبهم" مقلوب وكان الواجب أن يقول: كفى بقومي خبيراً بصاحبهم، ويعني بصاحبهم نفسه" (٣).

ومن لثقل قول بعض شعراء بلعبر في وصف قومه: (كريط بن أنوف)
 يُخْبِرُونَ نَبِيْرَاتَهُمْ حَتَّى إِذَا خُذَتْ شَبِيْهُا لِنَوْفِدِ تَابِ الْخَرْبِ نَبِيْرًا

"وهذا المعنى هو مثل ما اختر به غيره في صفات نفسه فقل:
 أُنْبِرُ مِنْ الْمَشْرِقِ لِي يَفْوَدُ فَكَيْفَ الْفَرَارُ إِذَا مَا انْتَبَرِ

(١) التبري: معنى ليلت الحملة: حماسة راح (٦٠٨)، ص ١٦٣.

(٢) التبري: شرح ديوان الحماسة: (١٠٠٩/١)، (١٠١٠/١).

(٣) نفسه: حنيفة (٧١٤)، (١٦٣١/٢).

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا اهلجوا زادوا على كل هلع. ألا ترى أنه قال:

شَبُّوا بِمَوْجِ نَارِ الْحَرْبِ بُيُوتَنَا^(١)

أما ما فصله شعراء الحملة مما نجده عند غيرهم مجعلاً، فيمكن أن نقف عليه في قول آخر: (الطويل)
وَأَمْسَى لَأَسْتَحْيِي رَجُلِي أَنْ يُزَيَّيَ مَعَانٍ يَدِي مِنْ جَانِبِ السَّرَّاءِ أَفْرَغَا
وَأَتَكَ مِنْهَا ثَقِيبٌ يَطْنُكَ مَنْوَلُهُ وَفَرَجَتْ نَالاً مَنْتَهَى السُّنْمِ أَجْنَعَا
"وصف حسن أبيه في مواكلة رفيقه ولفه، وأنه لا يستأثر بما يعجب من الزاد، ولا تظهر منه نعمة وحرص، بل يستحي من أن يرى ما يلي يده من الزاد خالي المكان. وليس لأحد أن يقول إن إنقضاؤه يؤدي إلى انقباض أكله، وذلك مشروم، وإنما المحمود أن ينسبط في الأكل ويبسط من أكله وذلك أنه قد بين الغرض في البيت الذي بعده، لأنه قال:

وَأَتَكَ مِنْهَا ثَقِيبٌ يَطْنُكَ مَنْوَلُهُ وَفَرَجَتْ نَالاً مَنْتَهَى السُّنْمِ ...

فين أن إبقائه جفنه من الزاد مشغولاً ليس مع حاجة إليه، ولا عن إمساك يؤدي إلى ما ذكرته، فيصير ذلك سبباً في انقباض من يواكله، وإما يريد ما يحري به من علة التمس من إظهار الشراء والذهاب فيه إلى حد السرف، حتى يمد به إلى ما يلي غيره، ويحصى ليدي التمس. وهذا ظاهر ... وقد ألم بهذه الطريقة المرقش قتال في الغزل. (الطويل)
وَأَمْسَى لَأَسْتَحْيِي فَطِينَةً جَانِبَنَا غَمِيحَنَا وَأَسْتَحْيِي فَطِينَةً طَاعِعَا
وَأَمْسَى لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْخَسِرَ بَيْنَنَا مَخَافَةً أَنْ تَلْقَى أَخَا لِي لَا تَجَا
ألا ترى أنه لحمل ما فصله هذا الشاعر في قوله. استحبي طاعصاً، وحقماً. هذا مع اليمد بينه وبين صاحبه^(٢).

ومن التناصّل بالمثل، ما جاء في قول آخر: (البيسيط)
بُكْتُهُ خَوْضٌ مِّنْ أَوْذَى يَأْخُوتِهِ زَيْبُ الزَّوْجَانِ فَأَنْسَى يَنْضَةُ الْبَلَدِ

"هذا الكلام فيه تنية إلى شدة فاقته إلى من ينب عنه، وتأكد جزعه لما فقه من الصبغة بأحوته، فيقول لكنه حوض رجل فرق الدهر بينه وبين من كان يعثر به، ويدفع الظلم والهزيمة عن نفسه بمكافئه، فأمسى لا باصر له، ولا دافع يديه. كبسة البلد. وقد قيل في بيضة البلد: إنه أراد بيض التعلم، لأنها سينة للهداية، فتضع بيضها في موضع، ثم تتركه صلاباً عنه تصبغ، وربما تذهب وتمضن بيض غير ما تطن أنها يبيضها. وقد ضرب المثل بها قتيلاً: (المقارب)

كَثَارَةُ ذَهَبٍ يَنْضُضُهَا يَمْنَانُ الْغَزَاءِ وَمَنْبِئَةُ بَيْضِ أَخْزَى جِنَاخَا

وقد قيل: إن بيضة البلد هي الكلمة البيضاء تنشق عنها الأرض - وهي النقع - فتطزه الماشية، وتتقره العافية، ولذلك قيل: لعل من قنع بقاع. وكما ضرب المثل ببيضة البلد في الدل ضرب المثل بها في العز أيضاً. وقد مضى ذكرها. وانتظني بعضهم لأخت عمرو بن عبد ود قرني لهاها، وكان أسير المؤمنين طيه السلام فقله: (البيسيط)

(١) المرواني: شرح ميويل الحاملة: حملية (١)، (٢٥٠ / ٢٤ / ١).

(٢) نفسه: حمشية (٧٥٨)، (١٧١٤ / ٢ / ٢).

القضايا النحوية **===== الفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى =====** المعنى
 لو كان قاتل عن غير قاتله **بَيِّنَةُ** ما أقام الحُرُوفُ في جُدي
 لكن قاتله من لا يُعاب به **وكان يُدعى قديماً بيضة النبل**
 والمراد إذا مدح أنه لا نظير لها، ولا أخت معها، فالنعامة تطيف بها إسحاقاً عليها ... وبيضة الإسلام:
 جماعتهم. ويقال تفرى بيضة الأرض عن بني فلان، إذا تقللوا وكثروا. وبيضة الخدر قد تقدم القول فيه^(١).

كما "كلن وضوح المعنى وضوحها من التخييرات التي على بها نقدة المعاني لي تأصيلهم لها"^(٢)، كما
 في قول يحيى بن زياد:
 نَفَسًا بِكَ الْإِيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَ مُرِيدَكَ لَمْ تُسْطِغْ لَهَا عَنكَ مَدْفَعًا
 "يجوز أن يريد بالأيام نواب الأيمل وأحداثها فحقت المضاف وأقم المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد
 الأيام أنفس الأحداث، فسماها أياً كما تسمى الوقعت بها، وكما قال الله عز وجل: "تلك الأيام نداولها بين الناس"^(٣).

"وكذلك لما تصعب المبالغة حتى حد الإفراط كان وجهاً يتنا من وجوه اهتمامهم بالتغيير الطارئ على
 المعنى الأصلي"^(٤). فشاعر الحملة في قوله:
 أَيْمًا أَنْ يُبَيِّخُوا جَارَهُمْ لَمَدُومٍ وَقَدْ ثَارَ نَفْعُ الْمَوْتِ حَتَّى تَفُوتُوا
 (الطويل)

"بَلَّ" الفعل لبني النيم. بقول: امتنعوا من أن يخلوا بين جيرانهم قبيلة كلب وبين أعدائهم حمير، وقد ارتفع
 غبار الموت حتى التفت في الحور. وأراد بالجار والمعو الكثرة، إذ كان المراد بهما القبيلتين، وإنما أضاف النفع إلى
 الموت تهويلاً، ويجوز أن يريد بالموت الحرب. وتكثر: تنوع من الكثرة، يريد تراكم الغبار والتلفه. وهذا الذي
 أشار إليه بقوله تكثر من اتراكم، جملة بمنهم كالسحاب، وجملة بمنهم سد عين الشمس حتى ظهرت له الكواكب، وحتى
 صار النهار بسببه كالليل. وتجاوز المتبني جمع ذلك، حتى بلغ حداً من الإفراط مستتبناً فقال:
 عَفَسَتْ مَنَابِقُهَا عَلَيَّهَا جُتُورًا لَوْ تَوَفَّيْتُ عَفَا عَلَيْهِ أَمْنًا
 (الكامل)

عَفَسَتْ مَنَابِقُهَا عَلَيَّهَا جُتُورًا لَوْ تَوَفَّيْتُ عَفَا عَلَيْهِ أَمْنًا
 وإذا أردت بالموت السبية يكون المراد: كان الموت تار الرج في سلب الغوس حتى كلف في الهواء. وهنا مثلاً^(٥).
 وهكذا يتضح لنا أن الشارح يعتمد في أغلب مواضعه على "فكرة الأصل المعنوي المشترك بين الأبيات،
 فلا يلتفت إلى التركيب المشتركة، ولا أشكال المعاني، ولا الصور، و قد تند عنه أحياناً إشارات عن التأثير المشترك
 للأبيات على المتلقي من خلال المبالغة مثلاً"^(٦).

(١) المرواني: شرح ديوان الحملة: حاشية (٢٦٧)، (٨٠٤/١)، (٨٠٣/١).
 (٢) د/مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ٢٠٨.
 (٣) المرواني: شرح ديوان الحملة: حاشية (٢٨١)، (٨١١/١).
 (٤) د/مصطفى عليان: تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ٢٠١.
 (٥) المرواني: شرح ديوان الحملة: حاشية (١١٣)، (٢٢٨/١).
 (٦) د/لمد صيرة: شرح المرواني، نظرية والإجرائية، ص ١١٦.

ب - النموذج الجمالي في الوصف^(١) :

عند الشراح في إطار عنايتهم الفارقة بالمعنى إلى الوقوف وقفة تأمل أمام الوصف؛ ليستشفوا ما وراءه من أسرار جمالية، وهو أمر نابع من إدراكهم لأهمية الصورة في إبراز المعنى المقصود، وتقريبه للمتلقي، "فالتصوير ركن أساس في الشعر ينهض على حركة تدير عائد من المحدد إلى المحسوس، فالشارح مدعو إلى اكتشاف تلك السيرة طلباً لمعنى القول وتيقظاً لمقاصده"^(٢)؛ لذلك نراهم يتقنون كثيراً عند صفات السيف، والحيل، والوحش، والرماح، والأسنة، وغير ذلك مما جاء في شعر شعراء الحملة، كما ننهوا على مدى مواضعها أو مخالفتها لما تعارف عليه العرب وأثر عنهم وورد في أشعارهم، فاستحسنوا الموافق، واستنبهوا المخالف.

فمما أشوا عليه لأنه وافق ما تعارف عليه العرب وصف الكتف بالكثرة في العند في بيت لبيد بن ربيعة انتهى من طين:

(الطويل)

أبى لهم أن يفرقوا الضئيم أنهم بشو ناتي كانت كثيراً عيالها

"هذا الكلام من صفة الكتف وأن يعرفوا في موضع المفعول لأبي وداعله قوله أبهم نوبق وقوله كفت من صفة الشق والحق المرأة الكثيرة الأولاد يقال ثقت ثقتاً وأصل الثق الاقتلاع كلها اقتلت ما في رحمتها اتلعا وفي القرآن "وإذ بقنا الحل فوقهم كنه ظلة" أي اقتلعنا من أصله فجعلناه كالمظلة على رؤوسهم وكثرة اعتد مما يفخر به يقول منع لهم معرفة لضيم كثرة عندهم أي أبى لهم أن يضاموا كثرة عندهم وحل العيال كناية عن الأولاد وهو جمع عيل كجيد وجيد"^(٣).

وكذلك وصف الرماح بالسمر في قول أبو عطاء السدي:

(الطويل)

نفرتك والخطم نغبطر بيتنا وقد نهلت بنا المنقطة المنز

"المنقطة، الرماح المقوسة، والشتاب، غلبة ترم بها الرماح، وجعلها سمرًا، من أجل أن الرماح إذا أحدث من الشدة وقد أدركت وتم بصحتها كفت سمرًا، وذلك أصلب لها وأحسن، وإذا عرجلت كفت سمرًا لا خير فيها"^(٤).

ومنه أيضاً وصف الفارس بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ في قول آخر:

(الوافر)

خفيف الحساب نسمال الفزالي وغنذا للصخاب غنيز غنيز

"يقول: خير الناعي بموت الزبير، فقلت معظماً لشوقي، ومغماً للتأثير بمكته: إنك تذكر موت قريع أهل الحجاز وأهل نجد ومختلريهم، ومن لا تحق القوة بالاتفاق إلا له. وقوله خفيف الحد وصفه بخفة العجز وقلة اللحم على الفخذ، وذلك مستحب من الفرس"^(٥).

(١) د/سيد حماد: اتصالاً للبلغة والشعرية في شرح لشماء على شعر أبي العلاء، ص ٢٤٥.

(٢) د/عبد الوهيد: شرح الشعر عند العرب، ص ٨٣.

(٣) شذري، شرح ديوان المعلى (١/ ٨٨).

(٤) شذري معلى بيت المعلى المعلى رقم (٧)، ص ١٧.

(٥) المرواني: شرح ديوان الحماسة حماسة (٢٤١)، (١/ ٩٨١).

وطول عنق الفرس وعظم البركة فيه مما يستحب منه، يقول الحرث بن حماد الشيباني: (السريع)
وَتَقْتَبِرُ بِسِيٍّ يَنْشُدُهُ بِسِيٍّ أَجْزَدُ - مُسْتَقْدِمُ الْبُرْكَ كَالرَّكِبِ

" زعموا أن الراكب هاهنا فسيلة لم تنقطع من أمها وبجوز أن يعني طول عنق الفرس وأنه يوازي الراكب على ظهره ويكون هاديه هو الذي يستند البركة فيكون الكاف من قوله كالراكب في موضع رفع بفعلها ولا يمتنع أن يكون الفعل للبركة والكاف في موضع نصب والبركة والبرك الصدر وقيل هو وسط الصدر وهو حيث انضمت اثنتان من أعاليهما وعظم البركة مما يستحب في الفرس وأراد أنها عظمت حتى كاثها قد استعمت أي تقامت وتقدم واستندم وتلخر واستأخر سواء وقال بعضهم معناه أنه مشرف الصدر أشراف الراكب وقيل كالراكب يقول هو من أشرافه كقوله راكب لا مركوب ومن هاهنا أخذ أبو تمام: (الطويل)
أَنَامَ إِذَا تُدْعَى بِرَّيْلٍ إِلَى الْوُغَى رُتِبَتْهُمْ زِدْنِي كَأَنَّهُمْ زَقَبُ
يصفهم بطول القامات " (١).

وكما امتدح الشراح الموافق من الوصف وأثنوا عليه، فقد علوا المخالف منه وأزروا عليه، كما جاء في وصف اتساع الطعنة بالنهر، في قول قيس بن الخطيم الأوسي: (الطويل)
مَلَفَتْ بِهَا كُلِّي فَاتَهَرَّتْ فَتَقَفْنَا يُسْزَى فَاتَبْنَا مِنْ دُونِهَا نَسَا وَرَاءَهَا
"المعنى شددت بهذه الطعنة كفى ووسعت خرقها حتى يرى الققم من دونها الشيء الذي وراءها ... ومعنى أنهرت: وسعته حتى جعلته كنهر سعة. والنهر نفسه سمي بذلك لاتساعه. ومنه المنهرة، وهي فضاء بين بيوت الحي يلتقون فيه كملتهم. وفي هذا الوصف صرف مستنكر وخروج عن القصد مستهجن" (٢).

هذا وتزخر شروح الحماسة بالعديد من الصفات التي الملح إليها الشراح في مواطن عدة، ونوهوا عن رأيهم فيها إما استحساناً أو استقباحاً، وذلك وفقاً لصفات النموذج والمثل في الشعر العربي الذي استضاء الشراح به في كثير من الصفات التي حرروها، والتحليلات التي أصنروها.

ج - تناسق المعنى (٣):

إن المتتبع لشروح الحماسة يدرك مدى اهتمام الشراح بوحدة المعنى في الأبيات الشعرية، فلم يكن ويكهم - كما أشرنا سابقاً - أن يجعلوا معنى البيت بمفرده هو غاية في ذاته، بل وسيلة ينفذوا بها إلى أهدافهم التي تتمثل في الكشف عن معاني الأبيات ككل، كوحدة واحدة، وبيان مقاصدها "حيث لا انفصام بين شرح بيت وآخر، وإنما شرح

(١) لترويز: شرح ديوان الحماسة (١ / ٧٤).

(٢) لترويز: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٦)، (١ / ١٨٤).

(٣) دلتهم حداد. التناسق اللفظي والنضبي في شروح الحماسة على شعر أبي العلاء، ص ٢٤٦.

البيت لبنة في بناء المعنى الكلي للمقطوعة أو القصيدة^(١)، بحيث توشك أن تكون القصيدة "كاثيبت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقالنا"^(٢).

وكما أشار الشراح إلى الأبيات التي تلتمح فيها المعاني بحيث تصبح وحدة متكاملة، أشاروا كذلك إلى تلك الأبيات التي فقدت هذا التماسك والتواصل في المعنى، من خلال تنويهم - خاصة المرزوقي - ببعض المسأخذ والصيوب التي إن وقعت في شعر الشاعر أدت إلى ذلك الانفصال والانفصال في المعنى، أهمها^(٣):

١- التناقض وعدم استواء المعنى:

بدعم الأسلوب الأدبي مجموعة من الصفات الإيجابية التي يجب أن يتحلى بها العمل الأدبي؛ لتتسم المعنى، وتثير الشعور، وتبعث في النفس أفكاراً تتناسب الموضوع، مثل "مطابقة الصوت للمعنى، وتناسب أجزاء الكلام، وتطبيع الجمل وتقبلها، واستيفاء معانيها إلى غير ذلك..."^(٤)، لو ما يمكن أن نعبر عنه بالقول: استواء المعنى وعدم تناقضه.

وعدم التزام الشعراء باستواء المعنى وتناسقه، من الصيوب التي أخذها النقاد عليهم، لاسيما إذا أتى بمعنى آخر يخالف روح واتجاه المقطوعة أو القصيدة التي ينظمها، مما يولعه في التناقض وعدم الاستواء في المعنى.

ومن أجل ذلك كان قول سنان بن القحل:
وقبلك زينة خضعت قد تنالنا ظلي لما هيئت ولا دعوته (الوافر)

سليماً من التناقض والفساد حيث يرى المرزوقي أنه "تبه على حسن ثباته في وجه الخصوم، وتمرنه بمجانبتهم كنيماً وحديثاً، وتحككه بهم على احتفال منهم في مناولته مالأف وأفأ، فيقول: وقد بلبت قبلك قوم لدر نالوا على وتعاونوا، فلم أجزع لما منيت بهم جزعاً فلحشاً، ولا استصرت عليهم عيري ضد دفاعهم لمتنصرأ مكرهاً. والهلع: انحنس الجزع. وتماوا: هو تقاطعوا من قولهم هو مليء بكذا، فلن قيل: كيف قل هلمت، وقد قل فيما قبله: فكنت أبكي من الظلم المبين أو بكيت وهل الهلع إلا البكاء والجزع؟ قلت: إن الهلع هو الجزع الفلحش الذي يظهر فيه الخضوع والافتقار، فهذا هو الذي انتضح منه، وزعم أنه لا يظهر عليه. والبكاء الذي ذكر أنه شاركه أو كاد يشاركه قد بينا أنه كان منه على طريق الاستكفاف والامتعاض؛ فإذا كان كذلك فإنه لم يكن عن تخشع وتذلل، ولا انقياد واستسلام، وسلم الكلام من التناقض والفساد"^(٥).

(١) د/احمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢٣٢).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، مقدمة الشرح ص ١٠.

(٣) د/مصطفى عزالدين تهرات انتقد أركسي في الأندلس، ٢٢٢، مع إضافة بعض المفسر من قبل الباحث.

(٤) د/احمد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢٣٩).

(٥) - - - - - شرح ديوان الحماسة حاشية (١٩٢)، (١ / ٥٩١).

٢- عدم استواء الترتيب المنطقي للمعاني:

لذلك نوه المرزوقي بمرعاة عمرو بن معد يكرب هذا الترتيب، ولتلي عليه، ووجه به تفسير بيته: (مجزوء الكامل)

مَا إِن جَزَيْتُهُ مِثْلَ وَلَا هَلْكَ _____ مِثْلَ وَلَا يَكُونُ بِغَيْبِي زُنْجِدَا

"وقد أعطى الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى، إذ كان قوله ما إن حزعت وإن كان مستصلاً لجميع لتوابعه مفيداً للأدب، وقد جاء بعده ولا هلك ... ^(١) لمعرو بن معد يكرب في البيت السابق تصاعداً في حزنه من الأدنى إلى الأعلى، عندما جعل الجزء أولاً الذي يمثل درجة أعلى من اللعل، فكأنه قال: ما حزنني حزنًا هيناً قريباً، ولا فظيماً شديداً. وهذا نفي للحزن رأساً" ^(٢).

وعدم مراعاة هذا الترتيب قد يؤدي إلى إفساد الرواية، والتنبية على عدم صحتها، وهو ما أشار إليه المرزوقي في معرض تعليقه على بيت سعد بن مالك:

(مجزوء الكامل)

وَالْفَرُّ بِغَيْبِ الْفَرِّ إِذْ _____ كَمِثْرِ الثُّغْرِ دُمٌّ وَالتَّطْطَاخُ

"بين ما يحتاج إليه الصيار من الأفعال في الحرب، كما بين الآلات التي من شرطه استحصالها فكأنه قال: ويبقى لجاحمها الكر بعد الفر في وقت يكره فيه الإقدام والتقدم، والتطاح والتجرد. وبعضهم يروي هذا البيت في غير هذا الموضع، والصواب هذا الترتيب" ^(٣).

وقد لا يبالي الشاعر بمرعاة الترتيب المنطقي للمعاني إذا أمن الالتباس، كما جاء في قول المساور بن هند: (الكامل)

وَأَنْتَ شَيْخٌ لَدُنِّي مِثْلُ _____ يَنْشِي لَيْثُفْنٌ أَوْ يَكْسِبُ فَيْضُ

"يقول: وأنت شيخاً منحنى الصلب، محدوب الظهر، يمشي مشية القمل إذا استمر في المشي، أو يتعثّر فيسقط لوجهه. وكان الواجب أن يقول: أو يطر فيكب، لأن العشار قيل المقوط للوجه، لكنه لم يبال بتغيير الترتيب، لأنه من الالتباس، وهذا دون ما يجري في كلامهم من التلبس، مثل قوله: (المنبد)

كَمَا أَمْلَنْتُ وَخَشَبْتُ وَهَذَا

وكقول امرئ القيس:

(الطويل)

كَمَا زُلْتُ الصَّفْوَاءَ بِالْمُتَزَلِّ ^(٤).

٣- عدم الإبراء المنطقي للمعاني:

يقول التبريزي معلقاً على قول شاعر الحملة:

(المنمرح)

خَيْسٌ شَيْسٌ الْبُرْءُ أَهْلُهُمْ _____ عَيْسٌ أَنْتُمْ قَبِي الْفَسْ وَالْخَيْسُ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (٢٤)، (١٧٩ / ١).

(٢) نفسه (١٧٩ / ١).

(٣) نفسه حماسة (١٦٧)، (٥٠٣ / ١).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (١٥٥)، (١٦٠ / ١)، (١٦١)، وتظهر كماله: اس جلي (انتبه على شكل أبيت الحملة) حماسة (٣٥٠)، ص ٣٩٢.

"قال أبو هلال هذا الشعر معيب المعنى ألا ترى أنه ذكر الممدوح فقال أنك تطلق الأسرى حتى تمنى الطليق أنك تلمسه ونطقه ولا أعرف كيف يتمنى الأسر ثم الإطلاق وهو مطلق معاني وأن أراد له يتمنى ذلك لأنه يجد عندك إحساناً فلم لا يتمنى الإحسان مع الإطلاق ويتمناه مع الأسار وبات يتمنى مفتوح يجوز أن يخلطه من كل وجه" (١).

٤ - عدم المقارنة في المعنى:

فَبَيْتِ السَّمَوَاتِ بِنَ عَالِيَا
لَمْ تُخْنِ قَمَاءَ التَّمَنُّيْنَ مَا لِي نَصَابِيَا كَهَامٍ وَلَا لَيْنَا يَنْفَدُ بِخَوَلِيَا (الطويل)

قال: "أبو هلال هذا البيت معيب لأن الكهوم والمضاء لهما من ماء المزن في شيء وكان ينبغي أن يقول ونحن كماه الزن صفاء أحلاق وبطل أكف أي ونحن سيوف لا يعثر بها كهوم ولا يشبهها كلول" (٢).

د - طرافة المعنى وغرابته (٣):

يقول المرزوقي في هذا المعنى: "ولد كان يتنق في أبيات قصائدهم - من غير قصد منهم إليه - اليسير النزر، فلما انتهى قرض الشعر إلى المحدثين رأوا استغراب الناس للنبيع على اختلتهم فيه أولعوا بتورده إظهاراً للاهتمام، ودهلها إلى الإعراب، فمن مفرط ومقتصد، ومحدود فيما يليه ومضموم، وذلك على حسب بهوض الطبع بما يعمل، ومدى قواه فيما يطلب منه ويكلف، فمن مل إلى الأول فلأنه أشبه بطرائق الإعراب، لسلامته في السبك، واستوائه عند الفحص، ومن مل إلى الثاني لدلالته على كمال البراعة، والانداز بالغرابة" (٤).

ويبين هذا بوضوح عند المرزوقي في شرحه، فقد تعرض لذكر نماذج من شعر هؤلاء الشعراء، يمثل فيها طرافة وغرابة المعنى عند كل منهم، مستحفاً إياها، معجبا بها. ويوضح هذا بالمثال التالي؛ يقول زفر بن الحارث الكلابي في الصبر على القتل والنزال:

مَنْ قَاتَلَهُمْ فَأَمِنَا مَنْ قَاتَلَنَا بِمَنْجِيهِمْ
وَلَكِنْهُمْ كَانُوا عَلَى الْغَنَوتِ أَصْنِيَا (الطويل)

"يقول: قبلناهم بمنل ما بدءونا به من سقي كأس الموت، لكن القتل كان فيهم أعم، ولهم أشمل. وحمل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه. ويقرب أن يكون قول الله تعالى: "فما أصبرهم على النار" على هذا الوجه. كان النار حقت عليهم ووجبت، بما كان منهم من المعصية، فجعل ذلك فيهم كالصبر منهم عليه، ولذلك قال بعض المفسرين في معناه: ما أصعبهم بعمل أهل النار. كان إصرارهم على ذلك العمل كالصبر منهم على النار. ورد الآية إلى البيت وإجراء القول فيها على هذا الحد غريب حسن" (٥).

(١) الشيرازي: شرح ديوان الحماسة (١/ ٩٢).

(٢) بضم. (١/ ٩٦، ١٠٠)، وانظر: أبو هلال العسكري (الخصائص): ص ١٤٦، حيث يقول معقلاً على البيت: "ليس في قوله: ما في نصابها كهام". من قوله: "كهام المرء" في شيء، إذ ليس بين ماء المزن والنصب والكهوم مقاربة، ولو قال: ومن لهوت الحرب، لو ألو الصرامة ولتعد ما في صلابتها لكن الكلام مستوي، لو لم يهام المرء صفاء لخلل ويصل لكف لكل جيب".

(٣) دالسيه حداد: التصانيف الثلاثة: ونقبة في شرح اهتمام على شعر أبي العلاء، ص ٣٥١.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، مقدمة لشرح، ص ١٢.

(٥) بضم. حاشية (٢٨)، (١/ ١٥٦).

وكما في قول رويته: (المتقارب)
فما فوق ذلك يتجنى فإنه ولا تخسست فوضف فمضف

"قوله لما فوق ذلكتم طبق تحت وفوق فيه، وهو غريب حسن يريد: لا مرتبة في الدل أعلى من مرتبتكم، فبها الغاية للتصوي؛ ولا موضع أشد تأخرأ وانحططأ في المز من موضعكم، فبه المنزل الأخس الأدنى. وقوله غير السداد، يريد به تنطق النطق غير السداد" (1).

إلى آخر مثل هذه الأمثلة والنماذج الشعرية التي تنتشر بين أرحاء شرحه.

هـ - التكرار (2):

يحرص شراح الحماسة كل الحرص على "توضيح نوعية الكلام وضروريه الفنية ووسائله المؤدية للمعنى، بما يتصل ومقتضى الحال" (3)، ومن تلك الوسائل والأماليب التكرار، وهو وإن لم يستحسنه كثير من الشراح - كما أسلفنا (4) - إلا أنه ليس كله معيب، خاصة إذا علمنا أن هذا الصرب يتصل في جانب ما ينوع من الإيقاع الدلالي، كانت العرب تستحسنه إذا حدث تغير في الصيغة أو الأسلوب، بشكل يعكس المعنى جديدا في كل مرة يتكرر فيها "فالتعلاؤد تجسمه المعاني بدل المباني إذ ينطق أن يدرج الشاعر في سلك النظم كلمات مختلفة علامتها متحدة معيتها حد التطابق. وقد كانت العرب تستحسن ذلك .. فكان الشاعر يوهم بالمختلف على مستوى الدال ليفاجئ المتلقي بالمؤتلف على مستوى المطلق في شكل عول لا منتظر، وهو ما قد يمثل سبب استحسان العرب لهذا الضرب من الإيقاع الدلالي" (5). وقد حاول كل من المرزوقي والتبريزي - وهما الشارحان اللذان عُنيا أكثر من غيرهما ببلراز هذه الظاهرة في أشعارهم - من خلال نظروتهما الفنية العميقة، تتبع المتغيرات وأوجه الخلاف التي طرأت على المعنى المكرر في مرثاته المتعددة، ومن أهم مظاهر هذا الخلاف:

— المخالفة: كنول تلطب شراً: (الطويل)
إذا فمؤة فمسي غفلمسم ثفللمست ثواؤف أفواؤ الفنايا الضواؤف

"قوله في عظم قرن إذان بقه لا يتعرض له إلا من يقاربه بلأا وشدة ونسبة التهل إلى التواؤد مجاز وسعة وهذا كما يقال سر فلان بكذا حتى صار لكل سن له ضحك وقد سمي ما ينو من الأسفل عند الضحك الصواؤك وقوله إذا هزه في عظم قرن أي إذا هزه وضربه به ضحك الموت وهو مثل فكأه قال إذا هزه لعظم قرن وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام بعض إذا لم يشك ويضلل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به ثب في عظمه فهزه فيه أي حركه ليخلص منه والتهل الضحك شبه بتهلل البرق ولمعه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر" (6).

(1) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١٩)، (٢ / ١٤٧٠ ، ١٤٧١) .

(2) دالالمد حمدان: لغضايبا ثلاثية والتقنية في شروح النماء على شعر أبي العلاء، ص ٣٠٢ .

(3) دالالمد جمال العمري: شروح لشعر الحماسي ، منافع الشراح (٢ / ١٨٦) .

(4) انظر: ص ٦٢ من الكتاب، حيث الحديث عن تحبب تكرار الأسطر

(5) دالالمد الوريني: شرح الشعر عند العرب، ص ٧١ ، ٧٢ .

(6) التبريزي: شرح ديوان الحماسة (١ / ٤٦)، ولطيف المقصود هو أول تلطب شراً: (١ / ٤٠) (الطويل)

الضواؤف ضواؤف لأن الأرض لم تغدج الأملا به كنعمة وهوؤث خروان ينظر

وكما توقف الشراح أمام معنى شعراء الحملة المكررة بين مقطوعهم وقصدهم المختلفة، فقد توقفوا أيضا عند المعنى المكررة داخل المتطوعة أو القصيدة الواحدة سواء أكان سابقاً أو لاحقاً؛ فالمعنى الذي أجمله آخر في قوله:

(الطويل)
وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرْفَكَ رَابِداً بِلِقَائِكَ نَوْمَا أَثْقَلَا مِنَ الْمَنَاطِرِ

مفصل في قوله:
رَأَيْتُ الَّذِي لَا قُلَّةَ أَتَتْ قَابِراً عَلَيْهِ وَلَا غَنَى بِنَظْمِهِ أَتَتْ صَابِراً

وهو ما عبر عنه المرزوقي بقوله: " وقوله (رأيت الذي) تفصيل لما أحمله قوله (أثقتك المناظر) " (١).

إن ما أشتت من معايير وأسس لمست إلا نبذا - تحفل الشروح بالكثير منها - على سبيل التعميل لتفعل الشراح مع المعنى الشعري، وقد بدا غرضهم الأساسي تطويع المعنى الشroud وترويضه، تبرز فيها تمكن الشراح - بفنل ما تويا لهم من واسع الدراية بفق اللغة وأسرارها - من النجاح في الدفاع عن الشاعر في بعض الأحيان التي لجأ فيها إلى تكرار المعنى، دفاع مقترن بالحجج والبراهين، عبر أسلوب منطقي معلل، يؤكد صحة ما ذهبوا إليه، بغيا عنهم شوبة الحباك عن الحق، أو تمحل لأعداد واهية، مثل تعليل المرزوقي لتكرير معنى الوعيد في قول كوال:

(الطويل)
قُلْ لِهَذَا الْمَرْءِ نَوْجَاءٌ مَنَاجِيَا فَلَمْ فَلْنِ الْمَشْرِقِي الْفَرِاضِ
وَإِنْ أَتَا حَنْظُلًا مِنَ الْمَوْتِ مُنْقَفَا وَتَكَ مَخْشَلٌ فَهَلْ أَتَتْ حَايِضُ
أَتَقُلُّكَ نُونُ الْعَسَالِ نُوْ جُنُتِ تَبْقِي مَسْطَلَقًا بِبِضْ لِلْفُوسِ قِوَابِضِ

"فإن قيل: كيف استجاز تكرير معنى واحد في بيتين على تقارب بينهما، وهذا اكتفى بقوله "هلم فإن المشرفي الفرائض"؟ قلت: إن قوله أظنك دون المال نو حنت تنغي، بما دخله من التهكم والوعيد، وتكشف فيه من الغرض المقصود، صر كنه أدى عبر ما اداه قوله هلم في المشرفي الفرائض. ومثله قول طعنة بن عيدة. (الطويل)
فَإِنْ تَمَسَّأَوْتِي بِالْأَسْمَاءِ فَمِثْنِي بِصَبِيرِ بِأَنْوَاءِ الشَّيْءِ طَبِيبُ
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قُلُّ مَائِلُ فَلَيْمِنْ لَهُ قِي وَذِيئُ نَمِيبِ
يُرِينُ نَارَ الْعَالِي خَبِثَ عَيْنُهُ وَنَزَحَ الشَّيْبَابُ جَدْفُ عَجِيبُ

ألا ترى أنه لم ير المعنى متكرراً في البيتين، لما كلن لحدهما يشتمل من الاستنفاء والبيان على ما لم يشتمل عليه الآخر" (٢).

وكذلك تعليله لتكرير المعنى في قول دريد بن الصمة:
(الطويل)
وَقُلْنَا إِنَّا مِنْ غُرَيْبَةٍ إِنْ عَمُوتْ غَوَيْتْ وَإِنْ تَرَشَّنْ دُ غُرَيْبَةٍ أَرْشَدْ

بالقول: "فإن قيل: إنه كرر معنى واحداً في هذه الأبيات مرتين، لأن قوله إن خوت عريت قد اشتمل عليه كنت منهم وقد أرى غواينهم وأنني غير مهتد. قلت: في الأول لقص الحال التي دار عليها معهم، وفي الأمر بقية،

(١) لحدولي: شرح ديوان الحملة. جمسية (١٦٥)، (١٢ / ١٢٣٨، ١٢٢٩).
(٢) منه، جمسية (٢١١)، (١١ / ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣).

وللنصح توجه، وأنه اجتهد في ردهم إلى ما هو أرد عليهم وأنفع لهم، فلما عصوه في ذلك أمسك عنهم جارياً في الطريق الذي يسلكونه وإن علم الخطأ فيه. وقوله وهل أنا إلا من غزية بئس لما دفعوا إليه بعد تبين الرشاد لهم، وابتلوا به من مقابلة سوء العاقبة لسوء اختيارهم، فقال: وما أنا إلا شريك لهم فيما أئتم لهم جهلهم وغوايتهم كما كنت شريكاً لهم لو رشحوا فيما كان يشر لهم وشلدهم. فهو في الأول ذكر اتباعه لهم بعد النصح نظراً من وراء رايه ما يظعون إليه ويمتنحون به، وفي الثاني ذكر انفصلهم معهم فيما أعقب لهم اختيارهم، ولنه شقي بعمل ما شقوا به في عقبى جهلهم أو بئس منه، وإذا كُنْ كذلك اختلف الحالتان والاتباعان^(١).

المبحث الثالث: التلازم بين الألفاظ والمعاني:

لقت قضية اللفظ والمعنى اهتماماً كبيراً من القدماء والمحدثين على السواء، وقد أفضت بكثير منهم إلى التأكيد بأهمية كل منهما للآخر، وحاجة أحدهما للآخر، طلباً للتسجيم والتوافق في سلك النظم، وهذا الكلام ما عناه أبو هلال العسكري بالقول: "إن الكلام ألفظ تشتمل على معان تدل عليها ويعبر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصالة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ .. لأن المدار بعد على إصالة المعنى .. ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان والألفاظ تجري معها مجرى الكموة ومرتببة إحداهما على الأخرى معروفة .."^(٢) . يربط بين الحدين اللفظ والمعنى وشيجة الإبداع الفني، وما ينتج عنها من وشلح وصلات أخرى تنري للعمل الفني، وهو ما يبنى "أن مفهوم الإبداع الفني لا يصل لحسب بين الحدين: اللفظ والمعنى، في قضية واحدة، لكنه أيضاً بصفتها بصبعته، فيجعل اللفظ ثارة مترا شغافاً، أو مرآة تعكس قوة الطبع المبدع، ويجعله ثارة أخرى أصابعاً تجمع"^(٣).

وقد نظر الشراح إلى هذه القضية - قضية اللفظ والمعنى - نظرة توافقية دون تفصيل لحد طرفيها على الآخر، وجامت تطبيقاتهم وتعبيراتهم مؤكدة لهذا الاتجاه، جامعة بين المذهبين حسن المعنى واللفظ.

للمرزوقي - مثلاً - توقف في مقدمة شرحه عند قضية اللفظ والمعنى، وأبان عنهما - تحت مبحث نظري - أفضل إيقاع، عندما يربط بين مدى التسلسب بين اللفظ والمعنى والبلاغة، بالقول: "مضى اعترف اللفظ والمعنى فيما تصوب به العقول فتعلقاً وتلابساً متظاهرين في الاتصراك وتوافقاً فهلك ولتقي ثريا البلاغة فيحطر روضها، وينثر وشبها، ويتحلى البيان فصيح اللسان نجيع البرهان، وترى رائدي الفهم والطبع متبشرين لهما من المسموع والمغفول بالمرح الخصب والمكرع المذب"^(٤).

وقد أسلمه ذلك إلى التأكيد على التصدي لـ "صود الشعر"، والمفهوم النقدي له، حيث يقول: "فكيف كان الأمر حلى هذا، فلواجب أن يتبين ما هو صود الشعر المعروف عند العرب، ليمتيز ثلث الصنعة من الطريف، وتقدم نظم القريض من الحديث، ولتعرف مواضع أئندام المختارين فيما اختاروه، ومراسم إقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوخ، وفضيلة الاتي السمع على الأبى الصعب، فنقول وبالله التوفيق: إنهم كتوا

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٧١)، (١/٨١٥).

(٢) أبو هلال العسكري: المختص، ص ٨٤.

(٣) محدي لحد توافق: مفهوم الإبداع الفني في شتد العربي لتتيم. الهيئة المصرية للعلمة للكتاب، ٢٠٠٧ م، ص ٣٢٠.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٧/١.

يحاولون شرف المعنى وصحته، وحزالة اللفظ واستقلته، والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب ثلاثة كثرت موانئ الأمل، وثوارد الأبيات - والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتنامها على تخير من لئيد الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضاهما للفاقية حتى لا منافرة بينهما - فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار" (١).

أما عن عيار المعنى فيقول عنه: "فيعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والعلم الثاقب، فإذا انحطف عليه حنبنا القول والاصطفاء، مستأنسا بقراءته، خرج واقفاً، وإلا انقص بمقدار شوبه ووحشيتة" (٢).

فالمعنى عند المرزوقي - إذا - "لا يكون صحيحاً شريعاً إلا إذا صانع العقل الناقد، والنوق المرفه، واستوى له من القرائن والملاسات ما يدعو إلى القول والأريحية والركون إليه، فبنا لم يسلم له ذلك انحدر عن مكنته السلبية إلى مراتب، يراها اتفاق أقل أو دون، وفقاً لمقدار ما داخله من إخلال بما يرتضيه العقل المتوهج من روائع المعنى في المعارض الشعرية المختلفة" (٣).

أما عن عيار اللفظ فيقول عنه: "وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال، فما سلم مما يهجه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم. وهذا في مفرداته وحملته مراعى، لأن اللفظة تستكرم بتفادها، فإذا ضامها ما لا يوافتها عادت الحملة هجيناً" (٤).

معنى ذلك أن "اللفظة - هي الأخرى - مواصفات خاصة، فكما تحتكم إلى طبع الشاعر تتوقف في الوقت ذاته على ترددها وشهرتها في الاستعمال والتعبير، أي أن اللفظ يستمد نبضه الشعري في الصورة أو كياته حيث جرى فيها دافقاً كلتنع الصافي ينبثق من مصدره، فإذا أعوزه الوارد ولم يجتمعوا إليه ويحتشدوا ليقتربوا منه ضاع أو اسن، فالعمول على طبع الشاعر وعلى تقل الأعراف العامة لهذا اللفظ ومدى تفاعلها معه، سواء أجهاد وحده في هيئة كلمة مفردة أم جاء في صورة من الشعر، على أنه إذا ورد في صورة وحيد أن تقوم بينه وبين جاراته في العبارة الشعرية الوثاق والروابط التي تضمه إليها، فلما إذا جاء اللفظ مجنوزاً أو مبتوتاً عن نظيره في العبارة عد الكلام هجيناً على حد تعبير المرزوقي" (٥).

ولمعل مفهوم عمود الشعر لدى المرزوقي وأثره في تحديد عيار اللفظ والمعنى بنكرنا بتقسيم ابن تقيبة للشعر عندما قال: "لنيزت الشعر فوجئته أربعة أضرب: ضرب منه خسن لفظه وجاد معناه... وضرب منه خسن لفظه وحلا فبنا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى... وضرب منه جاد معناه وفصرت ألفاظه عنه... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه..." (٦). وسبق الشواهد والأمثلة على كل نوع.

(١) المرزوقي: شرح ديوان المعجمة ٨/١، ٩.

(٢) مع. ٩/١.

(٣) دلائلي محمد أبو عيسى تصنيفاً الأدبية والغنية في شرح المرزوقي لديوان المعجمة ص ٢١٢.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان المعجمة ٩/١.

(٥) دلائلي محمد أبو عيسى تصنيفاً الأدبية والغنية في شرح المرزوقي لديوان المعجمة ص ٢١٢، ٢١٣.

(٦) ابن تقيبة: الشعر والشعراء / تحقيق / أحمد شافرة دار المعارف بمصر، ١٩٨٢م، ٦٤/١ وما بعدها.

والمصوص السابقة التي أوردها للمرزوقي تلخص وتعكس بوضوح موقف الشارح من قصة اللفظ والمعنى، وأنه كان من أنصار الفريق الذي مال إليهما معاً فلم يعلّب أحدهما على الآخر.

وقد اتفق بقية الشراح، بصورة أو بأخرى، مع ما ذهب إليه المرزوقي - وإن لم يفصلوا تفصيله نظرياً - من ضرورة الاهتمام باللفظ والمعنى معاً من ناحية، ووجوب التلازم والتناسب بينهما من ناحية أخرى.

وقد أسست شروحاتهم وتحليلاتهم عن الأموات التي سخروها في فهم النص الشعري؛ لتحقيق التلازم والانسجام بين اللفظه ومعنييه، من قبيل السيق، الذي اتخذ الشرح من خلاله مسارات ثلاثة "مساراً باتجاه اللفظ تحليلاً وفكاً، يعقه مسار باتجاه المعنى بيانا واكتشافاً وإظهاراً واستنباطاً وتوليداً واستقصاء وكشفاً، ومساراً بقاءه خطة النص وشرحه تركيبياً وبناءً" (١).

ولعل المرزوقي من أكثر الشراح النفعا إلى هذا الجانب، واعتصاماً به، فراه بنبه صراحة أو ضمناً على أهمية السيق ودوره في "فهم النص باعتباره ينهض على معان صيغت في اللفظ انتظمت وفق خطة في التكليف" (٢)، وهو ما نلناه جلياً من خلال اعتراضه على بعض شعراء الحماسة، لأنهم - من وجهة نظره - لم يضعوا السيق في حسنتهم، أو لم يقدروه حق قدره عند نظمهم لأشعارهم. ولنتأمل - مثلاً - تعقيبهِ على هذا البيت، واعتراضه على سيق الكلام في قول أبو حكيم المري:

وَقُنْتُ أَزْيَى مِنْ حَكِيمِ قِيَانَةٍ عَلَى إِذَا مَا التَّقْنُ ثَلَّ ارْتِدَانِيَا
لَقَدْ دُمْتُ قَلِيلِي مُفَاشَةً فَازَتْ: ذَنْبُكَ فَيَاوَيْحُ نَقَمِي مِنْ رِذَاءِ عَلَانِيَا

"يقول: كنت أؤمل في حكيم ابني أن يمهل وينفس من صغره، فيقوم على إذا مت، ويرتدى فعلى إذا حملت، ثم بعد ذلك يقضى فيما أخلفه عليه، واعتمد على كفايته وخلاته، فخاب أملِي وكفني ظني، ولم قبل فارتدبت لنا نعشه، فوا يلاه نفسي من رداء علاني بنعشه. وقوله "ارتدانيا" تفسير لقيامه عليه وقد وضع للماصي موقع المستقبل؛ أي يرتدني في ذلك الوقت. ولو ساق الكلام على تلازم لقال: قيامه على وارتداه لابي أنا ما اتعش زال ارتداليا، أي يرتدني، فيكون أنا ما اتعش زال ظرفاً، وارتداني مفعول أرحي. أي أرجوه يرتدني إذا ما اتعش زال" (٣).

كما أن المرزوقي وجه معاني الكثير من الأبيات اعتماداً على نظراته الكلية للمقطوعة أو القصيدة، وفي ضوء السياق العام للأبيات. ويتضح هذا من شرحه البيت الأخير من مقطوعة حُلَيْدِ مولى العباس بن محمد: (الولاء)

أَصَا وَالرَّيْقَصَاتِ بِهَذَاتِ عَزْزِي وَنَحْنُ صَنَعْنَا لِي بِغَنَانِ الْأَرْزَاقِ
لَقَدْ أَضْمَرْتُ خُبْرَكَ قِي فَؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ خُبْرًا مِنْ مِثْلِكَ
أَرْنَيْتَ الْأَمِيرُكَ بِصَنْزِمِ خُبْرِي مُرِيهِمْ قِي أَجْنَبْتَهُمْ بِوَذَائِكِ
فَبِإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ فَإِنْ غَامَسُوكَ فَاغْمِصِي مِنْ غَصَائِكِ

(١) د.الحمد الوبراني: شرح شعر عند العرب، ص ٢٥.

(٢) مسند: ص ٣٥.

(٣) البردولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣١٨)، (٢/ ١٠٥١).

"كان الواجب في قضية سبق الكلام أن يقول: وإن عاصوك فعاصيهم؛ فعلى عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الطاهر، ليبين فيه ما يشنع به عليهم، وليظهر السبب الموجب للإغراء بهم، والانتصاف عن رأيهم. ولو قال: فعاصيهم لم يبين ذلك فيه" (١).

وتزخر الشروح بالكثير من التوضيحات الجوهرية التي سلقها الشراح بين ثنائيا شرحهم على أشعار الحملة، والتي تربط بين دلالة الألفاظ في معناها العام أي ما تعلق بمضمون القول الشعري معاني ومقاصد، والسبق الواردة فيه، من قبيل: المشترك اللفظي والأضداد، مما مكّنهم من الوقوف على مقصود شاعر الحملة فتجدهم يقولون: "يريد به ها هنا"، أو "أراد ها هنا" ... إلخ.

فمن المشترك كلمة (الشرب) في بيت الأقرع بن معاذ، يصف ابناً:
يُسْتَفُّ الْجَارُ شِرْبًا وَفِي خَائِنَةٍ وَلَا يَبِيحُ غُلَى أَغْنَاهَا قِئَمٌ
"الشرب"، الماء بعينه، و يريد به ها هنا اللبن" (٢).

ومنه (النع) في بيت زفر بن الحارث الكلابي:
فَلَمَّا دَرَعْنَا النَّبْعَ بِالنَّبْعِ نَفَضْنَا بِبَفَضٍ، أَنْبَتْ عِدَانُهُ أَنْ تَفْعُرَا
"النع: الرماح، وأراد - ها هنا - الرجال" (٣).

أمّا الأضداد فمعناها كلمة (نهلت) في بيت أبي عطاء السعدي:
نَفَرْتُكِ وَالْخَطِيءُ يَخْطِئُ بِنَيْنَا وَقَدْ نَهَلْتُ مِنْهَا الْمُنْقَلَبُ السُّعْنُ
"والاسم من نهلت النهل. والمورد: المنهل: وقد عد الناهل في الأضداد، لوقوعه على الريان والطحشان، وكان حقيقة النهل أول السقي، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع فلذلك استعمل للناهل في الري والعطش" (٤).

وكلمتي (السجود ، قلص) في قول إيلس بن مالك بن عبد الله بن خيرى اللطفي:
بَجْنَعٍ نَظْلُ الْأَخْمِ سَاجِدَةٌ لَهُ وَأَعْلَامُ مَنْفَى وَالْهَضَابُ الثَّوَابِرُ
فَلَمَّا أَذْرَقْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَصَتْ بِهِمْ إِلَى الْخَيْ خُوصٍ كَالْخَيْ ضَوَابِرُ
"والسجود عندهم من الأضداد يكون في معنى الالتصاق والانحناء ... وقد يكون قلص من الأضداد يكون في معنى ارتفع وفي معنى قصر ..." (٥).

(١) ليزنوني: شرح ديوان الحملة، ج ١، ص ١٢٧، (١٣٧٦ / ٢)، (١٣٧٧).
(٢) المصري: معاني أبيات الحملة، الحملة رقم (٧٧٤)، ص ٢٣٥، واسطر للحملة رقم (٦٠٤)، ص ١٩١.
(٣) ابن فارس: تفسير كتاب الحملة، ص ١٢.
(٤) ليزنوني: شرح ديوان الحملة، ج ١، ص ١٢٧، (١٣٧٦ / ٢).
(٥) السعدي: شرح ديوان الحملة، (٧٥ / ٢)

وكلمة (عسس) في قول الفلاح:
 منلى جنتاً وازى أربب بن عمنض
 من الغنن غنث يمتيق الزغد وابنة
 "وعص من قولهم عسس الليل إذا قبل طلامه وإنا ولى وهو من الإضداد..."^(١).

وفظن الشراح - كذلك - إلى أهمية المبق في تحديد دلالة هذا الحرف أو ذاك، كما يتضح في قول العجبر السلولي:
 هو الظفر الميمون إن راح أو غدا
 به الركب والتعبانة المتجرب
 "والتعابة على بنقه التقالة والتقامة والهاء في آخره للمبالغة"^(٢).

وفي قول بعض بني عبد شمس بن قيس:
 لأث هالب بالأسعاف عالنة
 أن قذ أطاغت يذلي أمر غاويها
 "وهذاك ظرف ويكون للزمان والمكان جميعاً وزيادة اللام تكون للتأكيد فيه كان البعد فيما يشار إليه بهذا
 أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهذا وهذا على طريقة ما نقوله في ذلك وذاك"^(٣).

وقد وقف الشراح - كذلك - وقفة طويلة أمام الحروف وما يعترها من تغيرات دلالية ، نبهوا عليها وأشاروا إليها، وأرهبوا لها أمثلة تطبيقية من أشعار الحماسة، فدلالة الحرف قد تتغير إلى دلالة حرف آخر، ودلالة الأداة قد تتغير إلى دلالة أداة أخرى وقال "معابير دلالية تنظم وفنها الحروف التي عدت في تراثا المعرفي حقلاً أستاياً ينطوي مجالات شتى من المعاميم تتعلق بصيغة الحدث وزمانه وهياته، كما تتعلق بالمسند إليه ودلالة الخطاب بحسب نسقه"^(٤). والأمثلة على ذلك كثيرة، ولنقف عند تعليق المرزوقي على (إلى) في قول خلف بن خليفة: (الطويل)
 غنثت إلى فخر الغبيرة والهنوى
 إليهم وفي تعداد نجدهم شفق
 "والمعنى: وهوي معهم لأن إلى بمعنى مع ، كما يقال هذا إلى ذاك"^(٥).

ومثله قول قيس بن الخطيم:
 ولا يخطى الخريص غنى بعزب
 وقد ينبي إلى الجود الثراء
 "ولوله (إلى الجود) إلى بمعنى مع"^(٦).

ومما استعملت فيه (عن) بمعنى (بعد) قول زُرعة بن عمرو:

(الوافر)

(١) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (٤٢ / ٣).
 (٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جملة (٧٠٦)، (١٦١٦ / ٢)، (١٦١٨).
 (٣) التبريزي: شرح ديوان الحماسة: (١٤٢ / ١).
 (٤) منثور عن الجليل: علم الدلالة أصوله ومنهجه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتف العرب، دمشق، ٢٠٠١ م، ص ٢٠٤.
 (٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جملة (٧١٥)، (١٦١٨ / ٢).
 (٦) نعمة: جملة (٤٤٤)، (١٦٨٨ / ٢)، (١٦٨٩).

وتزييتي الصفير إلى حذاف وثأميلي هلالاً عن هلال

"وقوله وثأميلي هلالاً عن هلال، أي بعد هلال. ومما جاء فيه عن معنى بعد قولهم: سادوك كبيراً عن كابر، لأن معناه كبيراً بعد كبير. والمراد: شغله أمله بما يتاح له في مؤتلف الأيام من الخير، والتمكن من المراد"^(١).

ويكثر استناد الشراح على الدلالة بقصد تحديد موضع تعلق الحرف بغيره، كما في قول الأرقط بن رجيل

بن كليب العنري: (الطويل)

يَلُودُ أَنَسَامِي لَوْدَةً بِثَابِيهِ وَتَرْهَبُ عَنَّا نَبَقَةً وَيَنْتَابِي

"إناء في بطنه تتلوى بيلود ولا يحوز أن تتلوى بلودة لأن الفعل والمصدر إذا احتكما بالفعل بالفعل أولى"^(٢).

عند الشراح في إطار معيهم إلى تحقيق التلازم والانسجام بين اللفظ والمعنى إلى ربط المقام بالمقل،

إضافة إلى فضاء الإتيان والملاسل الحلقية بإنشاء القول، فعبة بن بجير الحارثي في قوله: (الطويل)

فَقَامَ أَبَوْضَيْبٌ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ وَقَدْ جَدَّ مِنْ فَرْطِ الْفَقَاةِ مَا زَح
إِلَى جَنِّ مَالٍ قَدْ تَهَنَّنَا سَوَانَةً وَأَعْرَاضُنَا قَبِيصَهُ بَنَوَائِي صَنَاحَتِ

نجد "قوله إلى جنم ما تعلق إلى بقام، ويريد بالقيام غير الذي هو ضد القعود، وإنما يريد به الاشتغال به بما

يؤنسه ويرحب منزله ويطيب قلبه. على ذلك قوله تعالى: "إذا قمتم إلى الصلاة"، لأنه لم يرد انتظام المضاد للقعود، بل أراد التهيؤ والتثمر له"^(٣).

كما تحدثهم بمعنون - أحياناً - في إطار معيهم لتحقيق التلازم بين اللفظ والمعنى إلى ذكر وجه

الخصوصية في اختيار هذا اللفظ أو ذاك دون غيره مع التعليل، وكذلك تنبيههم على تلك الأنفط والتراكيب التي لم يوفق الشعراء في وضعها ضمن سياقها المنسب الذي يقتضيه المعنى والأسلوب، وهو ما قد أشرنا إليه سابقاً أثناء الحديث عن نقد لغة شعراء الحماسة وتذوقها^(٤).

يرتبط بذلك المملك شروع الشراح في إيذاء أرائهم واقتراحاتهم في كل ما من شأنه يحقق جودة المعنى

وانتظامه، سواء أكل هذا بالإضافة أو الحذف. نكبد الحصاة المعجلي في قوله: (الوافر)

أَلَا هَلْ لَكَ الْمَنَاسِمُزُ لِمَنْسَمَزَاخَتْ خَوَائِي الْخَيْلُ وَالْخُصِي الْخَرِيدُ

"بصفه بأنه كان يبعد الغزو فلا يبقى على الخيل وأن حثيت وحي حريد أي منفرد ... وقال ليو هلال حوافي

الخيال التي كان يحفيها لكثرة غزوه عليها، والحيد هنا حفيات الخيل مخففة من حفي بحفي فهو حف إذا أعتك حاتره من كثرة السير، والحالي خلاف الساطل وليس له هنا موضع لأن خيل العرب لم تكن تتعل فيقال أن هنا للرجل وحده

(١) الثوروقي، شرح ديوان الحماسة (٧٧٦)، (٢ / ١٧٣٦، ١٧٣٧).

(٢) التبريزي، شرح ديوان الحماسة (١١٢ / ٢).

(٣) الثوروقي، شرح ديوان الحماسة (حماسة) (٦٧٥)، (٢ / ١٥٦١، ١٥٦٢).

(٤) انظر سابقاً في نقده شعراء الحماسة وتذوقها

كان يحفي خبلة لكثرة اشتغاله عن أسعائها أو لغير ذلك من الأسباب. والحريد المنفرد لو لم يقل الحريد كان أحمود للوصف لأنه لم يغز للمنفرد من الأحياء إلا لمجزه عن مجتمع الناس ...^(١)

ونراهم في أثناء ذلك يسلطون الضوء على جانب مهم من جوانب تحقيق القلاوم بين اللفظ والمعنى، إلا وهو مشكلة اللفظ للمعنى، وليس المقصود بالمعنى هنا الموضوع له اللفظ بل العرض المفاد من اللفظ التركيب، "فالمراد أن العرض الشريف تناسبه الأنفاظ الموضوعية لمعان حميدة، وأن العرض الخسيس تناسبه الأنفاظ الموضوعية للمعاني الخسيسة سواء كانت المعاني حقيقية أم كفت مجازية ومستعارة: فمقام المديح والثناء مثلا يناسبه المعاني الحميدة، ومقام الهجاء يناسبه المعاني الذميمة"^(٢)، وهذا ما اقتضاه قول المرزوقي فيما يلي بعبارة مشكلة اللفظ للمعنى "وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد دخل الأخص للأخص، والأخص للأخص، فهو البريء من العيب"^(٣).

وقد التفت الشراح إلى ذلك ونهبوا عليه، ونرى منهم من أبان عن معياره الذي ينظم مسلكه بالقول: "وعبر مشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقلانية بطول الترتبة وهوام المدارسة، فإذا حكنا نحن السبل بعضها ببعضه لا حقاء في خللها ولا بؤ، ولا زيادة فيها ولا قصور، وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني قد دخل الأخص للأخص، والأخص للأخص، فهو البريء من العيب"^(٤).

والمرزوقي من أكثر الشراح الذين مساوا هذا الجانب في اشعار الحماسة، وأشاروا إليه، وكشفوا عنه، أثناء تناولهم اشعار الحماسة بالتفسير، ونظرة متقنية للشرح تجعل من السير أن نعرف على تلك المواطن التي نبه فيها الشارح على هذا الجانب، وإن كفت قاصرة - على كثرتها قلما لغيره من الشراح - عن الإحاطة بكل ما في اشعار الحماسة من مواضع تلم بهذا الجانب.

ومن الأمثلة التي تؤيد ما أسلفناه ما عطف به المرزوقي على بيت الهذلول بن كعب الطبري حين رثاه امرأته يطحن للأضياف، فقالت: أهذا بعلي؟! (الطول)
وإني لأشرب الخمر أبقى زناخة وأثرك لربي وفوق خزيان ناعن
بالقول: "ولما استعمل الشري في اكتساب الحمد مجاباً للمعنى، استعمل الريح فيما يسبب منه وينتج. على ما ينعود في المتلجر، ويتطلب من البياعل ..."^(٥).

ومنها أيضاً تعقيبه على بيت أنيف بن حكيم التيهي:
ولما غصبتا بالمستوفى تظفثت وماتل كانت قبل ملأنا جبالها (الطول)

(١) شبريري: شرح ديوان الحماسة: (٥٣ / ٣).
(٢) محمد الشاعر في عشر: شرح النسخة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة، ص ٧٩.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: النسخة، ص ١١.
(٤) نفسه - النسخة، ص ١١.
(٥) نفسه: حماسة (٢٣٩). (١ / ٧٠٠).

"جعل اثبتات الواسل وانتطاع الأواخي عند استعمال السيوف لأن الأمر يشكك عنده، والقاع يكشف معه. ولهذا لما استوصف عمرو بن معد يكرب بأواع السلاح قل في السيف: عنده تشكك الأمهات. وقوله: كفت قبل سماً جبالها، يريد به أن جبال تلك الواسل كفت مقتولة على الصلح فتقطعت باستعمال السيوف، لأن كلاً منها صار وترأ وموتوراً، فسقط الملازمة من بينهم" (١).

وقد أولى الشراح - كذلك - جذب منفية المستعار منه للمستعار له شطرا من اهتمامهم مقلما أولوا حلف مشاكلة اللفظ للمعنى، وخصوه بجزء من غايتهم، ولما لا وهو يرتبط بربط وشج بالمعنى، وما يتبعه من دلالات.

فالمراد بالمنفية هنا قوة المشبهة، وهي تعد من الأسس المهمة - إلى جذب مشاكلة اللفظ للمعنى - التي بني عليها عمود الشعر عند العرب، وعبارها كما يقول المرزوقي: "الذهن والفتنة وملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتغلب المشبه والمشبه به، ثم يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له" (٢).

وهو ما يدفع بعض الشراح - أحيانا - بالتنبية عليها، إذا أغفلها الشاعر ولم يلتزم بها، كما في قول أبي القعقاع الأسدي:

منفأيا بظلمتك بالفخشي وبالسضحي وإنزدي مانك والميأه خمييم
... والنظ يكون للشجرة وغيرها بالعداء، والفرء بالعشى، فكان في الواجب أن يقول: سقيا لظلك بالعداء، وليذك بالعشى. ألا ترى قول الآخر:

فلا الظل من نرد الضحي نستطيع ولا الفيء من نرد العشي نذوق
إلا أنه سمى الفيء ظلًا لتشابههما في منظر العين والغناء. فلما تساويا وأجرى عليهما معاً لفظة الظل، وكان التواو يلبد الجمع من دون الترتيب - لم يبال أن يقول بالعشى والضحي، فيقدم بالعشى، وإن كان الظل ليق بلن يلبق بالضحي لو جرد. ولم يشبه هذا قول القائل: فلان أشعر الجن والإنس، لتركه فيما تقدمه من المعطوف والمعطوف عليه طلب المطابقة والموافقة. ألا ترى أن الوجه في هذا أن يقال: فلان أشعر الجن والإنس والجن ليصح لفظ الأول، ويضاف أشعر إلى ما هو بعضه ثم بجيء الثاني؛ وأن قولك: سقيا لظلك وقد نوبت إجراء الظل للفيء أيضاً صار حكمه حكم اللفظة الموضوعه لشئين، فإذا كان كذلك فأيهما أوليته من العشي والضحي فقد وقع إلى جنب ما يطبقه ويوافقه. فإن قيل: لو سلم لك ما قوله وتدعيه من الاستعارة لما سلم الكلام المتنازع من أنه جاء على غير حده، وذاك أن الظل يكون في الضحي حقيقة على المعجاز. قلت: إن الظل فيما حكاه الخليل ضد الضح، وقيل: أفاء الظل ونظياً. وفي القرآن: "يتكيا ظلاله عن اليمين والشمائل"، فهو ظل قبل التثنيز وبعده، وإنما نسخة للشمس هو الذي صار به فينا، وإذا كان كذلك لم يكن من دلب ما يكون حقيقة في شيء، ومجازاً في آخر. وهذا بين" (٣).

(١) الحريري: شرح ديوان الحماسة (١٣٢)، (١/ ١٧٣).

(٢) منه: السقمة، ص ١٠، ١١.

(٣) منه: حماسة (٥٦٨)، (٢/ ١٣٧٧، ١٣٧٨).

وهو ما أكد عليه ابن جني بقوله: "الظل للشجرة وغيرها بالغداة، والغية بالمعنى، فقد كان يجب على هذا أن يقول سقيا لغيرك بالمعنى، ولذلك بالضحى فيقيم في أول كلامه ما يطابقه، ويتناول لخلاف الثاني الآتي من بعده ليكون في ذلك كقولهم: فلان أشعر الإنسان والحن، فنقدم ذكر الإنسان لتطابق فلانا أعني زيدا أو جعفرا أو نحو ذلك ثم يأتي الثاني وقد صح لفظ الأول"^(١).

وإذا نظرنا في الشروح وجدنا اهتمام الشراح الكبير بالجانب النحوي وربطه بالمعنى، فنراهم يولونه عناية كبرى حتى لم يعد من أبرز المحالات التي جالوا فيها.

فالشراح في إسهامه في هذا الجانب "لا يفت عند حد التراث الموروث، بل يتسع لعنيت أرائه الخاصة واجتهاداته، خاصة حين يتسدى للأمور التي تحتاج إلى تحويز أمور لم يستطع السابقون الوصول إلى توصيحها، أو تعليلها"^(٢).

وهو ما يدل دلالة واسعة على أن النحو كان أحد الأعمدة الرئيسة التي ارتكن إليها الشراح في شرحهم، وهو ما يؤثر في المعنى تأثيرا مابترا.

حيث نجد الشراح يقولون على هذا الجانب في الكشف عن دلالة بعض المعنى، وكذلك قد يقولون على المعنى في تحديد الوجه الإعرابي لبعض المفردات، فالعلاقة بينهما قوية رصينة يؤثر كل منهما في الآخر، ويتأثر به.

فمن المواضيع التي تعرض لها الشراح - أثناء إضاءة هذا الجانب - لتوضيح مواضع الكلم، وتحديد محلها من الإعراب، بناء على دلالة المعنى والسياق الواردة فيه، كلمة (مُنِيَّة) في بيت آخر: (البيط)

تَرْفَعُ ضَرْفِي تَكُونُ الدُّنْبَ رَاجِعِيهَا وَأَنْهَا لَا تَرَابِي أَخِيرَ الْأَنْبِ
الضُّنْبُ يَنْظَرُهَا فِي الدُّفْرِ وَاجِدُهُ وَكُلُّ تَكُونُ تَرَابِي مُنْبِي بِيَدِي

"... ومنية بيدي نصب على الحال أي ترابي حاملاً منية لها وإن شئت رويت منية ويكون بدلاً من المضمر في ترابي وهذا البتل هو بدل الاشتغال أي ترى منية بيدي فلما وجه الرفع فالمضمر الذي في بيدي يحذف عن الواو المطقة للجمل بما بعدها وهي صلت أو أحوال لأن الضمير يعلق كما يعلق العلف ومن الوجه الثاني وهو البتل قول الله تعالى: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" وقال أبو العلاء منية الأجود فيها الرفع على الابتداء ويكون ما بعدها في موضع حل لأن الرؤية هنا رؤية العين والفعل يكتفي بالاسم الأول"^(٣).

وما حدثوا فيه للمعنى تبعاً لاحتمالات الإعراب، إعراب كلمة (قضاء) في قول سعد بن ناسب: (الطويل)

مَأْغَمِبٌ عَقِي الْعَازِ بِالْمُنْتَبِ جَالِيَا شَفِي قِضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِيَا

"أصل القضاء الحتم ثم يتوسع فيه فيقال قضى قضائك أي فرغ من أمرك فاستعمل في معنى الفراغ من الشيء، ويروي قضاء الله وقضاء الله بالرفع والنصب، فإذا رفعت فله يكون فاعلاً لجاليا علي وما كان جاليا في

(١) ابن جني: انتبه على شكل ليلت المعجمة: ص ٣٢٨، حاشية (٢١٧).

(٢) د. محمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج فتراج: (١٧٢ / ٢).

(٣) الشريفي: نوح ديوان المعجمة: (٦٣ / ٤).

الفضايا النحوية ===== للفصل الأول: قضية اللفظ والمعنى ===== المعنى

موضع مفعول ويكون التقضاء بمعنى الحكم. والتقدير: سأعمل العار عن نفسي باستعمال السيف في الإغناء في حل جلب حكم الله على الشيء الذي يجلبه، وإذا نصبت القضاء فله يكون مفعولاً لجلباً وفاعله ما كان جالباً ويكون التقضاء الموت المحترم، كما يقال للمصيد الصيد وللمخلوق الخلق، والمعنى: جالباً على الموت حاله^(١).

ومن خلال ما سبق يمكن التوصل إلى الأسس والمعايير التي وجه بها الشراح الإعراب والمعنى، وفق علاقة التأثير والتأثر بينهما، أهمها:

أ - صحة المعنى^(٢)، كما في قول الكرومر بن زيد: (الطويل)
أَلَا لَيْتَ خَطِّي مِنْ غَطَابِكَ أَتْبَسِي غَلِيثٌ وَزَادَ الزُّنْجُ مَا أَتَتْ صَنَائِعُ
"يقول: تمنيت أن يكون الذي حطيت بهمن عطيتك لي أسي علمت وأنا وراء الرمل ما أنت صلتهم وقد تمت عليك. فتولاه وراء الرمل ظرف لعلمت، وأنتي علمت خبر ليت، كفته ود أن يكون بدل حظه من العطاء علمه بما يفعله، فكان اختياره بحسبه. ولا يحور أن يكون وراء الرمل يتعلق بصنيع، لأنك إن جعلت ما موصولاً فالصلة لا تتقم هي على الموصول. ولا شيء مما يتعلق بها. وإن جعلت ما موصولاً فالصفة لا تتقم على الموصوف ولا ما يتعلق بها، وإن جعلت ما استهتاهما فما بعد الاستهتاه لا يعمل فيما قبله، وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلقه به على الوجود كلها، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى، فالصحيح ما قدمته"^(٣).

ب - إجابة المعنى، كما في قول سويد المرثد الحارثي: (الطويل)
لَفَنَرِي لَقَدْ نَادَى بِأَزْفَعِ صَوْتِهِ نَعْمِي سَوْدِي لِي فَاوْنِيكُمْ هَوِي
أَجَلٌ صَابِقًا وَالْقَائِلُ الْمَاجِلُ الَّذِي إِذَا قَالِ قَوْلًا أَتَبَطَّ الْعَنَاءُ فِي الثُّرَى
"وقوله "إن" صليكم، أراد بأن صليكم، فحنف الباء ووصل الفعل. ولتصب صلياً على الحال، والعامل فيه ما دل عليه الكلام من معنى قلت. والقلل الفاعل عطفه على صليكم، ويجوز أن ترفع، كنه قال: وهو التقلل الفاعل؛ والنصب أحسن وأحوط ... لأن هذا العطف لا يكون إلا على صليكم. فكه صنفه في الأمرين جميعاً، وزاده من بعد ما زاده"^(٤).

ج - الالتزام التحويلي^(٥)، فـ "العلاقات الإعرابية هي حصر إلى الفهم وتحديد المقاصد، بل إننا نزع أن المعنى المعجمي للكلمة لا يتيح فهم المقاصد إلا إذا انخرطت الكلمة في سلك النظم واتخذت لها وظيفة بعينها"^(٦)،
لَهَا هُوَ الْمُرَوِّفِي يَرُدُّ رَأْيِي تَمِيمٌ فِي إِعْرَابِ كَلِمَةٍ (حَبَاد) فِي قَوْلِ زَيْدِ بْنِ حَمَلٍ، قَبْلَ رِيَادِ بْنِ مَتْقَانَ: (البسيط)
لَيْسَتْ غَلِيثُهُمْ إِذَا يَفْعُدُونَ أَرْبُوزُهُ إِلَّا جَيْشًا ذُو قَبِيضٍ الثَّبَاعِ وَاللُّجُجِ

(١) انشوريز: شرح ديوان العميلة (٣٥ / ١).

(٢) داهمسطي: طليز: توارثت لثت الأبي في الأصلين: ١٤٢-١٣٨.

(٣) المروفي: شرح ديوان العميلة. (٢ / ١٤٨٨).

(٤) نسخة محمدي (٢٧٤)، (١ / ١٢٠) .

(٥) داهمسطي: طليز: توارثت لثت الأبي في الأصلين: ١٤٢-١٣٨.

(٦) داهمسطي: شرح شعر عبد العرب، ص ٧٤.

"وقوله إلا جيد رفعه والوجه الجيد النصب، لأنه منقطع مما قبله، لكن بني تعميم يرفعون مثل هذا على البطل. وهذا يشبه بدل الغلط لهذا ضعف في الإعراب"^(١).

فهناك ميل واضح من الشارح إلى رأي حمبور من النحويين القائل بأفضلية النصب مع جواز الرفع على البطلية، على اعتبار أن المستثنى المنتطع بعد "إلا" إنما هو منصوب بعامل قبلها؛ شأنه في هذا شأن المستثنى المتصل. فما بعد "إلا" عند سيبويه - مفرد سواء أكل متصلاً أم منقطعاً. وهي بمعنى: "لكن" العاطفة التي لا يقع المعطوف بها إلا مفرداً، غير أن "إلا" ليست حرف عطف"^(٢).

هـ - سباق النص ووحدة الأسلوب^(٣):

كما في قول عمرو بن مخلاة الكلبي:
(الطويل)
طُعْمًا زِيَادًا فِي شَيْءٍ وَهُوَ مُذْبِرٌ وَثَوْرٌ أَصَابَتْهُ السُّيُوفُ الْقَوَائِبُ
"وقوله وثور أصابته السيوف التواطع، رفع ثوراً لأن الفعل بعده شغل عنه، وإن نصبه طلباً للمطلقة إذ كان في الجملة التي قبله منصوب كان أحسن"^(٤).

بيد أن اهتمام الشارح بالتوافق بين النحو من جانب والمعنى من جانب آخر، لم يكن لينفج عند حدود الإعراب، بل كان الأمر يتطرق بهم - أحياناً - للدخول في بعض المسائل النحوية واللغوية، زيادة في توطيد هذه العلاقة المتبادلة بين الجنتين، وذكر ما تشتمل عليه من معلومات تفيد القارئ؛ لأنهم لا يقتنعون إلا بما يزيد الأمر وضوحاً وتوضيحاً.

وإذا نظرنا إلى اهتمامهم هذا، وجدناه يرتكز إلى مبادئ ومفاهيم رئيسة منها^(٥):

- التعريف والتكثير، كما يتضح في قول آخر:
(الطويل)
فَأَوْزَنْتَنِي حَسْبًا وَأَوْزَنْتَنِي قِسْرًا وَأَوْزَنْتَنِي بِخَنْدٍ كَانَ ثَمَانِيَةَ الْأَكْمَلِ
"وقوله كان كاسبه أكل جعل النكرة اسم كان، والمعرفة خبراً، وإبهام الحاصل من التكثير في هذا الموضع لبلغ في المعنى الممتداد"^(٦).

فقد اكتسب التكثير بلاغة للمعنى، و زاد في تفسير مكون البيت إيضاحاً، فهو في هذا السياق لحدود وبلغ من التعريف.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحمصي: (١٤٠٢/٢).

(٢) عباس حسن: النحو الوافي: دار المعارف بمصر، ط٢، (٢/٢٢٢)، ونشر كنگ: (٢٢٠/٢) وما بعدها.

(٣) د. السيد حمدان: الصياغة البلاغية والنقدية في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٢٧٨.

(٤) المروزي: شرح ديوان الحمصي: حمصية (٢١٤)، (١/٦٤٨).

(٥) أنظر: السيد حمدان: قضايا البلاغة والنقدية في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٣٧٩. ٢٨٣. العناصر شط خلافتراود وفتاوت

(٦) المروزي: شرح ديوان الحمصي: حمصية (١٧٦)، (٢/١٥٦٨).

وفد يتسوى التعريف والتفكير في الفكرة التي تعود على أداء المعنى المراد والدلالة عليه، كما في قول

علتكة بنت عبد المطلب: (محزوه الكامل)

سَأَلَنِي بِهَذَا لِمَ تَقُولُ فَوَيْدًا وَلَيْتَ كَفَّ مِنْ مَنُورٍ مَنَافَعُهُ

"أهل قيل: لم نكر قوله من شر، والذي يومي إليه يجب أن يكون معروفاً مشهوراً؟ قلت: إن لفظة المنكر مثل فائدة المعرف في مثل هذا الممكن، ألا ترى أنك تقول: فلان بلس حراً وقزاً والخز والنر، فلا يختلف المفهوم منهما"^(١).

- الموشعج بين كلمات الأبيات وربط تلك بالمعنى، فقد وجدنا في شروحه حديثاً عن الروابط والألفاظ التي تعتمد من الترابط والتلازم بين مكونات البيت الشعري على اختلاف عناصره داخل السياق.

فإنهم يستحسنون كثيراً من التراكم التي استخدمها الشاعر بدقة خدمة للمعنى، ووفقاً للسياق الواردة فيه، مثل استخدام شاعر الحماسة (جعفر ابن عتبة الحارثي) حرف العطف (ثم)، وتمييزهم بين دلالاته في عطف كلمة على كلمة، وبين دلالاته في عطف جملة على جملة، وصوره في إكساب بيت شاعر الحملة التي صنفه شعرياً، ووداء لمعوي له معنى ومغزى، حيث يقول:

لَا يَخْشِفُ الْفُتُوءُ إِلَّا أَهْلَ خُورٍ يَرَى خُضْرَاتِ السُّؤُوبِ ثُمَّ يَزُولُفَا

"أهل قيل: لم عطف الربابة على رؤية الغمرات بحرف المهلة، وهذا جعلها عقيب الرؤية؟ قلت: إن "ثم" وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدل على تراخي فبانه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك. ألا ترى قوله عز وجل: "وما أدراك ما العقبه، فكل ربة، أو إبطاعاً في يوم ذي مسغبة، يتيماً ذا مقربة، أو مسكيناً ذا مقربة، ثم كان من الذين آمنوا"، ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عدده وذكره"^(٢).

- ومن الموضوعات الجوهرية التي سلقها الشراح بين شأيا شرحهم على الشعر، وترز مدى اهتمامهم

بالتلغة وربطها بالمعنى، "موضوع التصغير" وتبنيهم على بعض مواضع استخدام شعراء الحماسة للغة في

التصغير، وأثره في المعنى، من ذلك تصغير (إرواد) في قول وداك بن نعيم المازني:

زَوَّدَا بَيْتِي شَيْبَانٍ يَفْضُضُ وَيَعْبِجُكُمْ ثَلَاثُوا غَدَا خَوْلِي عَلَى مَنَافِئِ

"رويدا: تصغير إرواد، وهو مصدر أرودت فلاناً، على طريق الترخيم، واتصل به بفعل مضمر دل عليه لفظة. وأكثر ما يحى تصغير الترخيم بحيء في الأعلام، وقد جعل رويداً اسماً لارفق، فيبنى حينئذ كما يبنى أخواته من أسماء الأفعال على ذلك ما جاء في المثل من قولهم: رويدا يعلون الجدد. وقد تزايد كلف الخطاب عليه فيقول: رويدك، على ذلك قولهم: رويدك الشعر بفت وقوله: بعض وعيدكم انتصب بفعل مضمر دل عليه رويد، لأن مع استعمال اللفق كفا عن بعض الوعيد، فكأنه لما قال أرودا يا بني شيبان قال: كنوا بعض الوعيد. وهذا تهكم ومسخرة"^(٣).

(١) الشروقي، شرح ديوان الحماسة، حماسة (٢٥٠)، (٧٤١/١).

(٢) نفسه حماسة (٥)، (٥٠، ١٩/١).

(٣) نفسه حماسة (١٧)، (١٢٧/١).

- أضف إلى ذلك أنهم كتوا أثناء تحليلاتهم اللغوية تلك، وعلاقتها بالمعنى، تراهم يمزجون الجلب البلاغي بها، ويوضحون أثر ذلك في أداء المعنى، ومدى توفيق الشاعر أو مخالفته في الوفاء به، فيحتمسون ما وافق ذلك، ويعيبون على ما خالفه، من مثل حديثهم عن العلاقة بين ترتيب الجموع وبين دلالة السياق الواردة فيه، فمراعاة الشاعر لترتيبه الجموع من الأدنى إلى الأعلى بلاغة، استوجب استحسانهم لبنت مطيع بن أبيه: (المنسرح)
يا أهل بلقيس القريح وللذنوع السواكب السطنج

وهذا ما نلاحظه من قول الشاعر: " قوله السواكب جمع ساكبة، ووصف الذنوع به على معنى ذات سكوب، كما قيل عيث ناصب، أي ذو نصب على النسبة، والسفع: جمع سفوح، والسكب والسفع يراد بهما الصب إلا أن السفع يبلغ من السكب، لذلك ارتقى من السواكب إليه. وحكى الخليل أن أهل المدينة يقولون: اسكب على يدي. ويقال رجل سفاخ للسماء، ولم يقل سكب، لأن السكب لا يبلغ حد السفع " (١).

فمراعاة ترتيب المعرر ها بهذه الصيغة ممكن في دلالاته على المعنى الذي يناسب البيت وسيلقه بكلفة مكوناته.

- أما المسائل الصرفية، فقد توقف أمامها الشراح، وكشفوا عن دورها وأثرها في شرح المعنى؛ فنجد منهم من "يحرص دائما على ذكر الميزان الصرفي للفظ بل يحمله حملا، ويقبله تقريبا، ذاكرا معناه في كل موضع .. وكيف اشق، وبم قيس، وكيف عومل إلى آخر هذه الأمور" (٢).

ومن هنا وجدنا بعضهم يعرض لصيغتي (فعل)، و(لعل) ودلالاتيهما (٣)، وكذلك صيغ المبالغة، والمصادر (٤)، وجواز استخدام مصدر بمعنى مصدر آخر (٥) بغرض المبالغة في المعنى، إلى غير ذلك من المسائل.

- ولم يفت الشراح - إلى جانب ما تقدم - التنبيه على وضع الكلام وترتيبه، وانتظامه، وتلعب أجزائه في الهيكل الأساسي للبناء اللغوي، وفقا للمعنى، ومن ذلك تعليقاتهم على التقسيم والتلخيص وأثره في المعنى، فتراهم استحسنونه في مواضع، وعابوه في مواضع أخرى.

فمن المواضيع التي استحسنوها فيها، ما نلاحظه في بيت الأثير النخعي: (الكامل)
عَيْلًا كَلْبًا لِي السَّمْعَالِي شَرًّا تَقْدُو بِبَيْضِ لَيْسِي الْكَبِيرَةِ شُوس

"تبه الخيل في ضمها وسرعة نفاذها بالجن ... والمعنى: خيلاً تشبه السعالي في حل شزوبها وضمها. وقوله: تعدو ببيض شرباً، إما لقوله شرباً، وإما للأول تعدو برجل كرام، متكررين في الحرب، ذوي أنفة. وإذا جمع بين مفردات وجعل في الوصف، فلترتيب المختار تقديم المفردات على الجمل، وقد جاء البيت على ذلك" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٧٨)، (١ / ٨٥١).
(٢) دالمند حمل الصري: شرح الشعر الجاهلي، منابع الترواح (١٦٣ / ٩).
(٣) تنذر - على سبيل المثال - في صيغة (فعل) ودلالاتها: المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧٠)، (١ / ٢٥٨). وفي صيغة (فعل): حماسة (٢٥٨)، (١ / ٢٦١)، وحماسة (١٧٦)، (٢ / ١٢٥٩).
(٤) قنطر - على منزل المثال - نفسه: حماسة (٩٠)، (١ / ٢٩١، ٢٩٥).
(٥) لطر - على منزل المثال - نفسه: حماسة (٢٨٠)، (١ / ٨٥٦، ٨٥٧)، حيث يقول معلقاً على قول الأنعم السلمي: (المذول)
وما كنت كاري ما قوامه من قوامه على قوامه حسي غنيمة للمفطح
"كلمة مصدرها معنى اضلي أو يضل".
(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥)، (١ / ١٥٠).

أما المواضيع التي لم يستحسنوا فيها التقديم والتأخير، وأخفوا فيها على الشاعر، فمنها قول النضل بن الأخضر بن هبيرة الضبي:

ألا أيها ذا الثأبغ السبيبة أنثي على تأيها مستعمل من ذبتها
ذبح السبذان السبيذ كانت قبيلة ثقاتن يوم السزوع نون بملها
على ذاك ذو أنثي فسمي زكينة شجذ فؤى أمبابها نون ما بها

"قال أبو هلال: تم وأخر وإساء، ووجه الكلام أن يقول: ألا أيها ذا النبل السيد دعها فبها كقت قبيلة تحوط حريمها وأنى مع منعها وحزتها مستقبل من ورائها أيضاً وهي على ذاك نود لي الهلاك وتغيب العوائل"^(١).

إن اعتناء الشراح إذا بالمعنى البلاغية للتقديم والتأخير، كان يقدر اعتنائهم بالظاهرة من جهة نحوية، فدراسة الشراح للبلاغة الكلمة في التقديم والتأخير إنما تعود إلى دراسة التركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للنصوص الشعرية، وهذا يتعلق بالبلاغة نسياء، وجعلوا من التزام الشاعر سياق البيت ونظمه، ومراعاة ترتيب نسقه معياراً للاستحسان أو الاستقاح، فما وافق سياق الكلام وراعى ترتيب أجزائه البيت نال استحسانهم، وما خالفه لم يزل القول منهم.

وهكذا ندرك مدى العناية التي أولاها الشراح لعنصري اللفظ والمعنى ومدى التلازم بينهما، وشحذ جل طاقتهما لتحقيق هذا الانسجام والتوافق، وفق معيار وأسس ميروا بها بين الخبيث والطيب من المعاني، أهمها مما قد سلطت الإشارة إليه: صحة المعنى، إيجازته، الالتزام النحوي، ... إلخ.

ومما يتقدم يتضح لنا مدى احتمال للشراح بقضية اللفظ والمعنى، تلك القضية التي كانت ولا تزال تشغل حيزاً من اهتمام النقاد حتى الآن، فأسهبوا في تناولها، وعرضوا من جوانبها المختلفة.

أما اللفظ فقد تعرض الشراح أثناء تناوله بالتحليل إلى تعزيز تفسيره بالتوجيه والتأويل، وتأصيله وما طرأ عليه من تعيرات، ومعايير وأسس تقديم بعض الألفاظ على بعض .. إلخ.

وأما المعنى فنال ما نال اللفظ من الاهتمام والرعاية، فشرعوا في توضيحه وتعمقه وتقديمه، والمعايير والأسس التي تميز معنى عن آخر، وما أصاب الشعراء في تناوله من معانٍ وما أخطأوا فيه .. إلخ.

ثم ربطوا بعد ذلك بين اللفظ والمعنى برباط رشيح، قوامه الإبداع، وسعوا من خلاله إلى تحقيق التلازم والتناسب بينهما، وكل هنا عر فنية وحكمة ودراية أظهرها الشراح خلال تناولهم للنصوص الشعرية، فلبثوا عن فهم ثقب، واستجلاء لما يرمي إليه مصطلح "عمود الشعر" عند العرب، ينبى عن استنتاج دقيق، وحس بقدي مرهف.

(١) الشنبري: شرح ديوان الحماسة: (٢ / ٧٢)، وقطر المروني: شرح ديوان الحماسة: حلقة (١٩١)، (١ / ٥٨٨).

الفصل الثاني: قضية الأخذ الأبوي

الفصل الثاني: قضية الأخذ الأدبي

ترتبط قضية السرقات - أو ما يمكن تسميته بـ "الأخذ الأدبي" - ارتباطاً وثيقاً بقضية اللفظ والمعنى؛ لأنها تقوم عليها، وتعد امتداداً لها. وهي من القضايا المهمة التي اشغل بها الأدباء، لفترات طويلة "حتى لقد كان شاعريون يتناحلون أن ينكروا من أين أخذ هذا الشاعر معناه، من سبقه إليه، ومن منهما أجاد، الشاعر أشيع أم المتبوع" (١)، وهي من المسائل الخطيرة كذلك "لأنها شغلت النقاد من العرب أكثر مما شغلتهما أمة مثلاً أخرى فحسب، وخاصة منذ ظهور أبي تمام وقيام الخصومة حوله - بل لأنها أيضاً تتناول أهم ما تسعى إلى معرفته الدراسات الأدبية ألا وهو أصالة كل شاعر أو كاتب . ومبلغ دينه نحو من سبقه أو عاصره من الشعراء والكاتب" (٢).

والسرقة لفظاً من "سرق الشيء سرقاً: خفي، والسرقة: الأخذ بخفية، واسترق السمع أي استرق مستخفياً، والشارق: من جاء مستتراً إلى حرز فأخذ منه ما ليس له" (٣)، أما اصطلاحاً فهي "احتيل الأدباء للإفادة من إبداع من تقدمهم، من غير الإشارة إلى مبدعه، أو نسبته إلى قائله" (٤).

وقضية السرقات "ذات حضور جاهلي، وتقاليم إسلامي. ونشأ النقد المنهجي ليستصحب معه المفهوم الجاهلي بالمصطلحات الإسلامية. أما المفهوم الجاهلي فكان يرى في الظاهرة أمراً طبعياً في الإبداع. وأما المصطلح الإسلامي فكان يتراوح بين مصطلح عنيف كالسرقة والغصب، وآخر هادئ كالأخذ. وغلب على النقد المنهجي مصطلح الأخذ، أو فهم السرقة بمعنى الأخذ" (٥)، وهو ما أثرتنا الإكثار عليه للتعبير عن هذه القضية، إلى جانب أسباب أخرى ستوضح أثناء للبحث.

والسرقة "داه قديم، وعيب عتيق" (٦)، وهي "قلم مشترك بين الشرق والغرب، رمي بها جرير والفرزدق والأحطل وأبو نواس والبحتري وأبو تميم والمتنبي، وألصقت بهيرونيس وأرسطوفان وسوفوكليس ومنندس، بل إن أسد كمالاً هو الأديب اللاتيني قد اتهم بله سرقة واسعة من الأدب اليوناني" (٧).

وقد تكون السرقة في اللفظ أو في المعنى، أو في كليهما، إلا أن النقاد قد أولوا سرقة المعنى جل رعايتهم واهتمامهم، فهي "أكبر خطراً من المخذ لللفظية، لأنها تدل حقيقة على مدى ابتداع الشاعر وقرنته على التخيل، والتصرف في معاني الشعر، معتمداً أو غير معتمد على غيره" (٨)، مما دفعهم إلى البحث في أصول المعاني، ومن السابق إليها المبتدع لها ومن اللاحق المقلد لذلك راح القاضي الجرجاني يقسم المعاني إلى معاني عامة مشتركة يجوز تداولها، وحلصة وهي التي يمكن أن يدعى فيها السرقة (٩)، وهو ما تميزت آراء النقاد فيه، فمنهم من

(١) د.العربي حسن درويش: النقد العربي القديم، ص ٢٣١.

(٢) د.محمد منور: النقد المنهجي عند العرب، مباحث البحث في الأدب واللغة، مترجم عن الأستاذين لانس وإليه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٣٥٧.

(٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد لحد حسب نق، د.عبد محمد الشافعي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦ م، ص ٢٠٠ (سرق).

(٤) انظر: مدني وهبة، وكمل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٩٩، وديودي ضفة: معجم البلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢ م، ص ٢٣٦.

(٥) مدني أحمد توفيق: مفهوم الإبداع لدى في النقد العربي القديم، ص ٣٢٢.

(٦) لقصى الجرجاني: الواسعة، ص ٢١٤.

(٧) د.عبد محمد العزيز فتيلة: النقد الأدبي في المغرب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧ م، ص ٣٨٠.

(٨) د.محمد زعلول سلام: تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، مجلة المعارف، الإسكندرية، دت، ص ٧٢.

(٩) انظر: د.محمد مصطفى هدار: مشكلة السرقات الأدبية في النقد الأدبي "دراسة تحليلية مقارنة"، مكتبة الأنجلو، مصر، ١٩٥٨ م، ص ١٨٢، وانظر في تفصيل ذلك انصاف الثالث من الكتب ص ١٨٥، ٢٦٩، وانظر كذلك نفسه ص ٢٦٥، ٢٧٥.

استحسنها ومنهم من استجبها، ومنهم من قبلها بشروط، وتبليت أحكامهم - كذلك - في هذا المجال بحيث يطلقون عليه "المعاقلة والمشكلة أحياناً" (١)، الاحتذاء (٢) ... إلخ، ومنهم من اكتفى بكلمة الأخذ كبن قتيبة (٣)، بل إنهم صنّوا هذا الأخذ وجعلوه مراتب كحسن المآخذ وضعف المآخذ، وغيره مما سيتبين خلال الصفحات التالية من البحث.

وقد أشار إليها الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) (٤)، وذكرها ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) دون أن يعرفها (٥)، أما الأمدى (ت ٢٧٠ هـ) فلقد فكر - كجميع النقاد - أن العلماء لا يرون سرقات المعاني من كبار مسأوي الشعراء خاصة المخاضين، وأن باب السرقة ما تعرض منه متقدم ولا متأخر (٦)، وأورد لها العلي (ت ٢٨٨ هـ) حيزاً كبيراً في كتفه، وفصل القول فيها ووسع معانيها وذكر شواهدا (٧)، ووقف ابن وكيع (ت ٢٩٢ هـ) موقفاً مثنداً من السرقه وتعرض لاتهام المتنبي بها (٨)، وجعلها القاضي الجرجاني (ت ٢٩٢ هـ) طليلاً على حق الشاعر ومهارته التي يحتاج النقاد إلى الفطنة في الكشف عنها وملاحظتها (٩)، أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فهو المصدر الذي استقى منه السككي والقزويني وسفر البلاغين بعد القزويني فهمهم للسرقات التي جعل منها صنفاً بنوعاً، أو حكمة للتأليف العلمي في علم الينبع ثالث علوم البلاغة. فالسرقة عند عبد القاهر - كما هي عند القزويني، وسفر الألفاظ - اتفاق لا في الغرض العام، بل في وجه الدلالة، بشرط ألا يشترك في معرفة الدلالة الناس، فتكون خاصة عربية، أو عامية تحولت بوجه من التصرف إلى عربية غير مبتذلة. لكن عند القاهر لنجد لفظة عامة، إذ يعطف السرقه والأخذ على الاستمداد والاستعانة، بما لهما من صلة .. وفي هذه اللفظة ربطاً صريحاً للسرقة بفكرة تطوير سمات الطبع قوة وضعفاً في النص (١٠).

وحينما ينظر شراح الحملة إلى السرقه لم ينعنوا كثيراً عما ذهب إليه أسلافهم من النقاد والأدباء، فساروا على الشرب، ونهجو المنوال نفسه، وانتفعوا إلى حد كبير بلقاء النقاد ممن قبلهم، ولما لا والشارح "كان بين يديه مجموعة ضخمة من التراث الشعري، على اختلاف عصوره وبيئاته، ومذاهب شعرانه، ودرجاتهم في المصاحبة، ومراتبهم الفنية، ومجموعة أخرى أضخم وأعظم من التراث التفسيري والتحليلي، قلم بها لعين من العلماء مختلفي الأجيال وانتقالت، والميول والاتجاهات" (١١)، فآثر بما كتبه السابقون، واحتك بما أبدعه اللاحقون والمعاصرون، بحاء إسهامه مزيجاً بين هؤلاء وأولئك.

أما عن دوافعها، فقد حاول الناحون ردها إلى دوافع محددة، اختلفت وتمايزت فيما بينهم، فمنهم من ردها إلى دافع واحد مثلاً إلى جاهلية الظاهرة (١٢)، وهو الانحراف بقود عامة في بناء القصيدة تضيق على الشاعر مجال القول. ومنهم من ردها إلى دافعين (١٣): أحدهما اتصال النقد بالتلفه، حيث وحاول النقاد أن يثبت كفايته وسعة اطلاعه،

(١) د. مصطفى علي. نبذة الفد الأبسي في الألفاظ، ص ٤٣٠.

(٢) عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإصغار ص ٤٦٨، ٤٦٩.

(٣) ابن قتيبة الشعر والشعراء، (١ / ١٢٤).

(٤) الحنظلي الطيب والشيخ، (٢ / ٣٦٦).

(٥) ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص ٦٧.

(٦) آخر الأبيات الواردة في شعر أبي نعيم والبحتري. تحقيق/إشيه لعمد صفر. دار المعارف بمصر، ١٣٩٢، ٢٥٤، ١٩٧٢، م، (١ / ٢١١).

(٧) اقتصر التلميذ على المحاضرة في صناعة الشعر. تحقيق د. محمد الكفري، دار الرشيد، العراق، ١٩٧٩، م، (١ / ٢٨).

(٨) امر ابن وكيع المعتمد للسرقة والسرقة منه في الشعر سرقات ابن قتيبة المستنير، تحقيق د. محمد يوسف، الكويت، ١٩٨٤، م، ص ٩.

(٩) قطر المصطفى الجرجاني. الوسيلة بين المتنبي وخضره، ص ٢٠٤.

(١٠) محي أحمد توفيق. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، ص ٣٢٤.

(١١) د. أحمد جمال المرعي. شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشرح، (٢ / ٢٠٧).

(١٢) قطر د. منصور عبد الرحمن. مصادر التفكير النقدي والناقد عند حازم القرطاجي، مكتبة الأنجلو المصرية، ديت، ص ٣٢١.

(١٣) انظر د. إحسان عبد القدوس. تاريخ النقد الأدبي عند العرب. نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨، م، ص ٣٩.

والآخر هو الخضوع لنظرية استنفاد الاهتمام للمعاني، مما يضع الشاعر المحدث في أزمة تحد من قدرته على الابتكار، وتضطره إلى أخذ معنى سابق، أو التوليد منه.

ومنهم من ردها إلى أربعة موضوعات^(١): طبيعة الرواية والرواة، عمود الشعر ونهج القصيدة، الاختلاف حول اللفظ والمعنى، الخصومة بين القدماء والمحدثين، ثم حاد وحاول أن يفسر القضية فردا إلى أربعة أمور: إساءة تفسير الإبداع الفني، عدم الإلمام التام بالإطار الشعري، أو الثقافي، عدم الفهم التام لقضية الأصالة والتقليد.

هذا عن قضية السرقات ومكلفتها وأهميتها بين قضايا النقد، ودوافع النقاد من دراستها.

لذا ما انتقلنا إلى هذه القضية في الشروح وتناول الشراح لها، نلمح مدى الاهتمام الذي أبداه شراح الحملة لونه القضية، من خلال تنبيههم المتعددة على مواضع الأخذ الأدبي عند شعراء الحملة، وحرصهم على توضيح مواضع الأخذ والتأثر وكذلك مواضع الإضالة والزيادة التي يهتدي إليها الشاعر فيرك المشترك المبتذل في صورة المستند المخترع، فزاهم يحدنون "من أين أخذ الشاعر معناه، ومن سبقه إليه ومن لحقه ومدى توفيق الشاعر الأخذ.. ومن أحقهما بنسبة المعنى إليه، إلى غير ذلك من الأمور التي تتدرج تحت باب السرقات"^(٢)، كما نراهم - أثناء ذلك - يشيرون إلى تأثير شعراء الحملة فيمن غيرهم من الشعراء، وهناك أيضا الموازلات التي عتقوها بين شعراء الحملة وبين غيرهم من الشعراء احتكموا فيها إلى مقياس نقدي فني حتى يتسم حكمهم بالموضوعية والمصادقية، واستخدموا في ذلك مصطلحات وتعبيرات عدة مفعول لها في موضعها أثناء الدراسة إن شاء الله.

كل هذه الجوانب الإثرائية والمعرفية التي زخرت بها شروح الحملة في تناولهم لقضية السرقات أو الأخذ الأدبي، تدل على ما نمتع به شراح الحملة من ثقافة موسوعية في مختلف ميادين الأدب والنقد انعكست ووجدت صداها في شروحهم، فأكسبتها قيمة على قيمتها، ومكفة نقدية على مكلفتها الأدبية والتاريخية.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام من جانب الشراح، بالإضالة إلى أهمية القضية ومكلفتها في النقد الأدبي، فإنه لم تكن هناك - فيما أعلم - دراسة نقدية متخصصة في بحث هذه القضية داخل شروح الحملة. اللهم إلا بعض الإشارات من هنا أو هناك داخل بعض الكتب والتصنيف التي تناولت أحد شروح الحملة، دون إعطائها المجال الذي تستحقه، أو التقدير الذي يليق بمكلفتها، ولعل مرد ذلك - فيما يبدو - يرجع إلى فقدان ديوان الحملة - وكتب الاختيارات بشكل عام - الوحدة العضوية اللازمة لتحقيق النظرة الشمولية للقضية وانتظامها داخل إطارها. إذ يحوي الديوان على شعراء متعددي المشارب والمآرب، والاتجاهات والمدارس، إذ ربما لو كان ديوان الحملة لشاعر واحد فقط لاختلف الأمر وتغيرت النظرة ومن ثم تناول، أضف إلى ذلك تناول تلك الظاهرة على شكل دراسة جزئية قامت على دواوين بعض شعراء الحملة بشكل مستقل، مما يجعل من غير المجدي إعطائها تناولها أو تكرارها مرة أخرى.

ولابد من الإشارة - قبل الغوص في غمار تفصيل ما سبق - إلى أن شراح الحملة - وعلى الرغم من اهتمامهم بهذه القضية كما أثرفنا - لن ننظر منهم دراسة منهجية منظمة، ولكننا سنحاول - قدر الإمكان - تلمس الخطى لاكتشاف منهج لهم - إن وجد - ومحاولة تشكيل إطاره.

(١) انظر: لتفصيل الجرحاني: الرسالة بين المتنبي ومصومه، ص ٢١٤ وما بعدها.
(٢) دليلمد جمال السري: شروح الشعر الجاهلي منافع شراح (٢ / ٢٢٧).

مقاييس الأخذ الأدبي في الألفاظ والمعاني:

تتبع الشراح معاني شعراء الحملة، واقتفوا أثرها في مختلف المجالات المعرفية والثقافية، فاعتمد الشروح الشعر، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، والمثل، وأقوال السابقين واللاحقين من خطباء وحكماء... إلخ.

ونظن نجد أن المعنى الشعرية لشعراء الحملة - حين اتقى الشراح أثرها - قد تكون شعرية المصدر أو نثرية، والشراح مع هذا التبع للمعنى لم تكن لهم نظرتهم النقدية التي تعكس أسما ومعايير الحكم على سلامة المعنى من الأخذ والسرقعة من عدمه. وذلك على الرغم من إدراكهم لأبعاد القضية وجوانبها، وما أحاط بها من ملاتس، وما اعترضها من عوائق وصعوبات.

ومن خلال نماذج الشراح التطبيقية، يمكننا استنباط بعض المبادئ العامة والمقاييس النقدية التي اتخذت أساسا لدراسة تلك القضية عند الشراح، أهمها:

أولاً: إن الشراح - بصفة عامة - يرون أن المعنى الواحد قد يتناول أكثر من شاعر أو كاتب دون أن يقلل ذلك من أصالة الملاحق، على ضوء الشروط التالية:

أ: أن يكون من العام المشترك من المعاني، أي "المعاني المشتركة بين الناس والتي هي جارية في علاقاتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده، أن يقال أخذه عن غيره"^(١).

وهو ما سماه عبد القاهر الجرجاني "عقليا"، والمعنى العقلي هو "ما كان وليد التجارب اليومية، وهو ما يمكن أن نسميه بالحكمة العملية"^(٢)، مثل قول الشاعر:

لا ينسبكم الشرف الزليج بمن الأذى خنسى يكرأى عيسى جؤابيه الذم (الكامل)

فهو "معنى معقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته، ويرى العارفون بالسياسة الأخذ بسنته وبه جاءت أوامر له سبحانه، وعليه جرت الأحكام الشرعية والسنن النبوية، وبه استقام لأهل الدين دينهم ولتقى عنهم أذى من يقتهم ويضرهم..."^(٣). فالمعنى العقلي إذن لا يوجد فيه سرقعة، إنما المعرفة في المعنى التخيلي أو الخالص، هذه هي السرقعة - تقريبا - بين نوعي المعاني، ولكنها صيغت صياغة فلسفية.

ويدخل مع هذا الجانب الخالص الذي شاع حتى أصبح في حكم العام المشترك، وهو ما فطن إليه القاضي الجرجاني، فنزل تشبيههم "الحسن بالشمس والبدن، والجواد بالغيث والبحر، والبليد بالطنجور والخمر، والجمار، والشعاع الماضي بالسيف والنار، والصمت المبتهم بالمخبول في حيرته، والسليم في شتره والسقيم في أنينه

(١) الآمدي. الموافقة بين في تمام والشعري، ص ١٢٩.

(٢) داهمدم مندور: اللغة المنهجي عد العرب، ص ٣٦٨.

(٣) عد نشار الجرجاني: أسرار السلافة، قرأه وعلو عليه محمود محمد شكر، دار الصلي، حدة، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، ص ٣١٥، ٣١٦، وأطرد في سد قنملمن الذي عفاهما عد أقامر، ص (٢١٣ + ٢٧٤)، ولعلنا فيها ص الشترك والملمن ص المعاني.

ونالمة^(١)، وهي 'أمور' متقررة في النفوس، متصوّرة للمعتول، يشترك فيها الناطق والأبكم، والفصيح والأعجم، والشاعر والمفحم^(٢)، منزلة تشبيههم الظلّ بالكتاب والثرّد، ولفتاة بالغزال في جيدها وعينيهما والمهابة في خذنها وصفيها...^(٣)، بحيث أنه لا يوجد سرق في كليهما.

هذه المعاني يثقيها العلم المشترك، والخاص الذي شاع حتى أصبح في حكم المشترك - مما تنبه إليه الشراح وأزالوا عنها شبهة السرق.

وقد تطرق شعراء الحملة إلى العديد من المعاني المتداولة المشهورة عند العرب، وتنبه الشراح إلى كثير منها، فالتأروا إليها بجملات عقد، من مثل: "وهذا المعنى يجيء في الشعر كثيراً"، "وقد وصف .. غيره واحد من الشعراء بمنال ما وصفهم هذا الشاعر"، .. وغيره كثير مما سبقي نكره.

لهم يعلقون بهذه التحيرات ويغريها على هذه المعاني المتداولة المطروقة للجميع، والتي يشترك فيها - بالتالي - شعراء الحملة مع غيرهم من الشعراء، ثم يوردون لمأذج وشواهد من أقوال العرب أو أشعارها .. إلخ، تفسر قول الشاعر، وتحدد فيها مرجعيته الفنية في الأخذ والتأثر.

ولتوقف - مثلاً - عند قول آخر:

فَقَامَ نِصَارُ الْهَرَمِزِيِّ لَنَا يَأْتِي الْغَيُورُ مِنْ نَفْسٍ شَبِيهِ

(الوافر)

فقد عتب عليه التبريزي بقوله: "يريد أنه فلم يسهل من التعليل فكلمه نصارح برديه وهذا المعنى يجيء في الشعر كثيراً يصغون أنهم يدعون المصاحب ليرحل فيبتل إما بجده من التعليل والمعلقة إلى النوم كال الراجز: (الرجز)

نَهْنَهْتُ مِنْهَا لَهَا فَتَا وَقَامَ نِصَارُ عَصَا فَمَدْنَا
أَنْ وَقَامَ نِصَارُ فَمَدْنَا خَاذَا شَيْءٌ لَا زَحْنُتْ بِنَا
فَتَا وَأَنَّهُ لَتَرَحْنَا فَجَرَصَا لَا نِصَارُ الْغَنَّا " (١)

وقول آخر: (جفر بن طلبة)

عَوَيْتُ لَمَمَرَا وَأَنِّي تَخَلَّصْتُ أَلْسِي وَنَابَ السَّمْجَنُ نُونِي مَغْلَقُ

(الطويل)

فقد عتب عليه المرزولي بقوله: "يقول: تمجبت من سير هذه الخيل إلي، ومن حصن توصلها مع هذه الحل، وهو أن يلب السجن مرتج دوني. فلما تمجبه من سيرها فعلى حافة العرب والشعراء في وصف الخيل، وذلك أنهم يجرونها مجرى للمرأة نصها، فيستطرون منها ما يستطرف من تلك لو وقع القط منها على الحقيقة مع نصتها. وهذا كما قال غيره: (الحارث بن حازة الشكري)

(الكامل)

(١) القليبي المرجلي: السلطة بين المتنبئ وخصومه ص ١٨٣.

(٢) تنس: ص ١٨٣.

(٣) نسه ص ١٨٥.

(٤) تبريزي: شرح ديوان الصلة: (١٥٥ / ١).

طَرَفِي الْغِيَالِ وَلَا قَوْلًا مَخْجِجٌ سَبَقًا بِأَرْخَانَا وَلِسْمٍ يَتَعَزَّجُ

وكما قال الآخر: (الخطونة)
وَأَتَى الْهَنْتَ وَالِدُو بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا جَلَسْتُ سَابِي اللَّيْلِ بِالْدُّو وَتَشَدِي

وأما تعبه من توصلها فهو تعجب من لطفها في ذلك، وحسن تأنيها، مع العراض والموانع^(١).

وعلق المرزوقي على بيت بعض شعراء بلعبر:
فَقَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهْمٌ طَارَافًا إِلَيْهِ زِلَافَاتٍ وَوُخْدَاتَا

قتلا: "أراد أن يصف بني مازن بما يحتاج له قومه فينصرونه، فقال: هم قوم إذا ظهر لهم الشر واشتد سارعوا إليه خبر مثرعين لتجمع، ولامرجين على تاهب، لكنهم يتبادرون أفراداً وثبات، وأشتاتاً وجماعات. وإبداء التلحد - وهو ضرب الحلم - مثلاً لاشتداد الشر ... وقد وصف بني مازن غير واحد من الشعراء بمثل ما وصعهم هذا الشاعر، فمن ذلك قول بعضهم: (وداك بن ثعلب)
نَفْسِي فُيْذَاةً لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شُغْصِي فِي الْخَرْبِ نَبْطَالِ (الريع)

وقول الآخر: (محرز المكهر)
فَهَلَا مِنْجِيَّتْ مِنْغِي غَضْبَةً مَازِنٍ وَهَلْ كُفْلَابِي فِي اتَوْفَامٍ مَسَوَاءٍ"^(٢) (الطويل)

وهناك - كذلك - ما هو موحود في عادات الناس ومعروف في معاني كلامهم وحال كالمثل على ألسنتهم من عادة، أو نمط حياة، أو استعمال لغوي، أو تعبير اصطلاح، أو أسلوب خطاب، أو مذهب اعتاده العرب وألفوه في حياتهم الثقافية والاجتماعية، أو تقاليد شعرية، أو أقوال سقراطية .. إلخ من أشكال القول والكلم المطروق للتداول بين العرب، مما لا يكون بالضرورة من صنع للشعراء أو وفقاً عليهم، بل هو في نطق المشترك المشهور بين الجميع.

ومن الأمثال السقراطية بينهم وورد الأخذ منها في أشعار الحماسة، ما نطالعه في قول المتن بن رباح: (الطويل)
مِنَاكُفِيكَ جَنْبِي وَضَعْفَةٌ وَوَمَادَةٌ وَأَغْضَبْتُ إِنْ لَمْ تُفْطِبْ بِالْحَقِّ أَشْجَفًا

فـ "نكر وضع الجنب والوساد ملخوذة من المثل السائر في المحتى بالشيء المتعهد له، وهو قولهم: "أتم فرشت فلنأتم"، والمعنى: لا أكلفك عناية بأمر، ولا أؤخذك بمصالح أسلبي: ومتى لم تناول مولاي أشجع الحق، ولم تعامله فيما بينكما بالحق والعدل، غضبت له وانتقمنا! لأن في تضيق حق المولى والأخذ بالتضييق فيه لازم العار، وفي استعمال التغليبي فيما يتعلق بي وإطراحي المناقشة والمشاحة فيه باقي الصيت والجمال"^(٣).

ومما يجري مجرى المثل ما نطالعه في قول قيس بن الخطيم الأوسي: (الطويل)

(١) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦) (١ / ٥٢، ٥٣).

(٢) نغمه: حماسة (١) (١ / ٣٠، ٣٧).

(٣) نغمه: حماسة (١٣١)، (١ / ٣٨٢، ٣٨٣).

إذا ما شربت أربعة أكواب منزري وأنشئت نلوي في السماح رشاءها

" يقول: إذا شربت أربعة أكواب جررت منزري، فأتى في الأرض خيلاء وكبراً، وتمت ما بقي علي من السماح في حال الصحو، كأن معظمه فعله صلحياً، والبقى منه تمعه في حال السكر. وهذا الكلام يجري مجرى المثل للمعنى الذي بيئت. حكى الأصمعي أنهم يقولون: أتبع الفرس لجامها، وأتبع الدلو رشاءها، أي تمع ما بقي عليك من أمرك، وكفه بضرب لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقير. وهذا أجود من قول عنترة العبي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم، وقول عنترة: (الكامل)

وَإِذَا أَتَيْتُ شَيْئًا فَمَنْ لِي بِهِمْ وَأَنْتَ لَمْ تَنْهَ عَنْهُ
وَإِذَا مَضَى عَنْكَ الْفَرَسُ لَمْ يَرْكَبْهُ وَتَرَكْتَهُ لِي

وبيت عمرو: (الواقف)

مَنْ شَرِبَ مِنْهُ الْخَمْرُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا مِنْخِينَا

لأن هذا قال: إنا نتخى إذا شربنا الخمر مزوجة. وما قاله عنترة في بيتين أشار إليهما قيس في مصراع وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله سخينا إلى أنه يقال ماء مسخن وسخين، وإن كان فعل في معنى مفعول قليلاً وانتصت عنه على أنه حال للماء. ويكون المراد على طريقته: كان الحص فيها إذا مزج بماء سخن. وهذا لهربه مما استقيحه الناس. وهو حسن، لكنه يقتضي أن يكون بلادهم صروداً^(١).

وقد يصل المعنى في درجة انتشاره واتساع رقة استعماله على أن يصح مثلاً: و بصير استخدامه

ضرورة؛ فالقول الكلاسي في قوله: (الطويل)

نَسَزْنِي لِي بِفَعْدِ الْفَسْمِ نَسَزْنِي وَلَا نَسَزْنِي إِذَا كَانَ نَسَزْنِي أَنَّهُ الْمَذْفُوزُ لِأَرْبِ

يستحسن ليشار في هذه الطريقة قوله، بل قد صار مثلاً: (الطويل)

خَلَايَا لِي فِي الْفَسْمِ مَنْقُوفٌ بِفَيْ لِي نَسَزْنِي لِي غَدِ لَخَفِيقِي
وَمِنْهَا أَنَا إِلَّا كَالزُّفَانِ، إِذَا ضَخَا ضَخُوتُ، وَإِنْ مَاتَ الزُّفَانُ أَتُوفِي

" يقول: يعلم أن أسباب الدنيا وتصاريفها مبنية على التغير والتبدل، فالعمر واليسر يتعاقبان ولا يلزمان، لمعنى استغنى كرم ولم يبطر، علماً بأنه ينفى فلا يبقى، وإذا انقصر صف ولم يلبس، ثقة بأنه يزول ولا يدوم. وقوله "يرى" من البيت يجري مجراه من قوله تعالى: "إنهم يرونه بعيداً"، لأنه بمعنى يظنونونه، وليس كذلك في قوله "ونراه قريباً" لأنه بمعنى نعلمه^(٢).

ومن التعبيرات الاصطلاحية التي تعلم العرب على استخدامها في كلامهم العادي واستخدمها الشعراء،

قولهم "نفرت عنه" إذا ضعف الرجل وذل، كما في قول الشاعر: (الطويل)

(١) المروكي: شرح ديوان الحماسة: جملة (٣٦)، (١/١٨٧، ١٨٨).

(٢) منه جملة (٢١٧)، (١/٦٥٢، ٦٥٤).

فَمَا نَفَرْتُ جَنَسِي وَلَا قُلٌّ مَبْزُودِي وَلَا أَمْسَبَخْتُ طَيْرِي مِنْ الْخُؤُوبِ وَقَدْ

قال أبو العلاء: "كثرت العرب تذكر الجن كثيراً وتشبه الرجل الناقض في الأمور بالجنى والشيطان لذلك قالوا نفرت عنه إذا صعب وزل" (١).

ومن المعاني المتعارضة التي تعبر عن نمط حياة، أو عانة عربية معينة، أو مذهب اعتاده العرب والفراء في حياتهم الثقافية والاجتماعية، فصار تقليدا يتبع دون أن يختص به أحد دون الآخر.

من ذلك عادة العرب في قسدهم البعير، وذلك إذا اجبت العرب وقتل زادهما: بقول عارق الطائي: (الطويل)
وَقَدْ يَتَرَكُ الْقَصْدَ الْفَتَى وَطَفَانَهُ إِذَا هُوَ أَسْمَى خَلْبَهُ مِنْ نَمِ الْقَصْبِ

"كثرت العرب إذا اجبت وقتل زادهما، عمدت إلى البعير فنصفتها، واستخرجت من دمه بقدر الحاجة، ثم أنفته إلى النار ليجمد وينضج فتأكله، إلى أن حرمه الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وقتل الأعشى وقد لحق الإسلام: (الطويل)

فَلَا تَأْخُذُنْ سَهْمًا جَبِيذًا لِنَقْصِدَا

وكان حاتم أسيراً في بعض أحياء العرب، فنزل بهم ضيف والحي حلف، فعمدت امرأة منهم إلى مديبة فاولتها حثماً وقالت: أقصد لي هذه النانة، ليصيب ضيفنا من مهال. فتناول حاتم المديبة، فحرق النانة، ولكرت المرأة ذلك وقالت: إنما سألتك لصددها. فقال حاتم: هكذا فصدني أنه - يريد: أنا - فيقول الشاعر: الفتى لا يقدر بجاره ليعتير على ماله، وإن نفذ زاده فاحتاج إلى مقدار حلة من دم" (٢).

ومنه أحد أوجه تفسير بيت شاعر العملة حيث يقول: (الطويل)
أَكَلْتُ نَمًا إِنْ لَمْ أَرْغَبْ بِضُرْوَةٍ بِيَرْدَةٍ مَهْوَى الْأَسْرَاطِ طَيْرِيَّةِ النَّحْرِ

"أكلت نماً بجري مجرى اليمين وإن كان لفظه أكل الدم يسرغ عند الإشفاء على الهلكة والمعنى إن لم أفرغك بالمرأة حصة السلفة طيبة الرائحة فبئس لاني الله بما يحل معه أكل الدم ويرى أن قتل هذين البيهتين أعزبي وكان تزوج امرأة فلم يوافقها قبل له أن حمى دمشق سريعة في موت النساء فعملها إلى دمشق وقال الأبيات وقال أبو العلاء يجوز أن يريد بقوله شربت نماً أي إن لم أرع بضرة لشربت نماً لأن الدم لا يشرب ولا يتمتع أن يعني بقوله شربت نماً أن يصيبه جناب وحاجة فيفتقر إلى شرب الدم كما كثرت العرب في الجاهلية إذا اشتد عليهم الزمان فصعدوا النوق وشربوا نماءها وخلطوها بغيرها فأكلوها ولا يبعدان يعني بالدم دم الحية لأنه عندهم كالدم قال الشاعر:

(١) الترمذي: شرح موطأ القسطنطينية: (١٩٣ / ٢).
(٢) الترمذي: معاني بيت العملة - حكمة رقم (٦٢٢)، ص ١٩٨، ١٩٩.

أَمْشُوذٌ وَغُلِي لَأَكْثُ أَمْشُوذٌ خَلْفِيَّةٌ شَمَاتُوا عَلَى مَنْزِلِ بِنَاءِ الْأَنْشَاوِدِ^(١)

وكذلك عانتهم في مقصدهم الغارات، أن يركبوا الإبل ويجتنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع الغارة؛

لكي لا يلحقها كبير تعب، يقول الربيع بن زياد الحبي:

(الكامل)

وَمَجْتَنِبَاتٍ مَا يَمْتَنُّنَ غَطُوقًا نَفْسُفُنَ بِمَالِهَا وَالْأَمْشَارِ
وَمَنْعًا جَرًا مَضَا الْحَنِيذِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا نَفْطًا عَلَى الْوَجْهِ وَبِشَارِ

"عطف قوله ومجنبات على إلا العطى والمراد أرى لهم أعدادهم مطالبا مرحولة، وخيلاً مجنوبة. وكذا كلفت

عانتهم في مقصدهم الغارات، وركوبهم إلى الوقعات، أن يركبوا الإبل ويجتنبوا الخيل إلى أن ينتهوا إلى موضع

الغارة، أو ملتقى القوم للمحاربة، فيجئذ ينيخون الإبل ويركبون الخيل وهي وادعة لم يلحقها كبير تعب، ولم يمتلكها

سامة ضجر، فيعلمونها كما يحبون. وهذا كما قال السليفة وصف حيل عمرو بن هند:

(الطويل)

مَقَرَّتْهُ بِالْأَنْعَامِ وَالْجَمِيسِ كَالْقَطَا عَنِهَا الْفُجُوزُ مُخْبِثَاتُ الْمَزَاجِلِ
وَيَنْفُفُنَ بِالْأَوَّلِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَحْنُظُ فِي أَسْلَاحِهَا كَالْوَصَالِ^(٢).

أما عن مذهبهم فمن أدل الشواهد عليه مذهبهم في التمسح بقله اللحم عند الرحل، يقول عنبلة بن الميمنة

(الطويل)

الخنمري:

وَلَمَّا لَحَقْنَا بِالْخَمُولِ وَنَوْنَهَا خَمِيسُ الْخَمِيسِ تُوْهِى الْفَمِيسُ غَوَائِثُهُ
فَكَيْفَ فُذِيَ الْعَيْنَيْنِ نَقْلَهُ قَتْلَهُ فَوَ الْمَوْتُ إِنْ لَمْ تَلْقُ غَا نَوَائِثُهُ

"يقول: لما دعانا الشوق إلى اللحوق بالظلعين بعد تشييعنا لها، وإلى تجديد العهد بها، فأنكرناها ودرناها

رجل قليل اللحم على بطنه، لطيف طلي البطن، معود القلعة، حتى إن عوائقه، وهي النواحي من عتقي الإتمان، تكاد

أن توحي قميصه. وهذا مما تتمدح به العرب، لأن السمعة عندهم مضمومة. وقد كشف عن هذا المعنى قول

(الطويل)

الأخر:

فَتَى لَا يُزَى قَدْ الْقَمِيسُ بِخَصْرِهِ وَلَكِنَّا نَقْرَى الْقَمِيرُ مَنَائِجُهُ^(٣).

ومن أشكال التعبيرات والصور المشتركة - كذلك - للتشبيهات الشائعة على السن الناس، وتداولها الشعراء،

فحرص الشراح على التنبية عليها، والإشارة إليها، محققين رؤيتهم، وتوجيههم بذكر الشواهد الشعرية المختلفة القديم

منها والمحدث، وهي من الكثرة بمكان لا يسعنا معه ذكرها جميعاً، لذلك سأكتفي بذكر نموذج لها يعبر عن باقي

النماذج والأمثلة.

(١) التبريزي: شرح مولي للعنزة. (١٧٦ / ٤).

(٢) المروزي: شرح ديوان الميمنة: مملعة (٢٤٧)، (١ / ٩٩٤).

(٣) مملعة (٤٧٧)، (٢ / ١٢١٢).

إن تشبيه الحسن من النساء بالظباء أو بالصور المنقوشة صورة متكررة بين الشعراء العرب، وهذا ما أشار إليه المرزوقي في تنقيح على بيت اليعرب بن حريث:

(الطويل)
مَفْصَلُ الْإِلَهِ أَنْ تَكُونُ فَظِيَّةً وَلَا فَمُزِيَّةً وَلَا عَقِيلَةً زَنْزِيرٍ

"كفه لثف وصار يرباً بصديقه أن تكون في الحسن بحيث تشبه بالظبي أو الظبية أو بالصورة المنقوشة، أو بكريمة من بقر الوحش، إذ كفت هذه الأشياء عندها، وقاصرة عن رقتها. وقد ملك من الممتنعين امرو القيس هذه الطريقة فقال:

(الطويل)
كَانَ فَنِي مَنَقَبٍ عَلَى ظَهْرِ مَزْنَرٍ كَمَا مَزْنَرُ السَّاجِدِ وَشَبَابُ مَضُونٍ
غَرَابُ فِي مِثْنٍ وَصَوْنٍ وَغَنَسَةٍ يُخَالِصِينَ يَأْفُوشَا وَتَرَا مَفْلَا

تشبه النسي بالنساء لا النساء النسي" (١).

لقد حرص الشراح من خلال ما سبق على التأكيد على إطلاق المعنى المتداول وحرية تناوله من جانب شعراء الحملة، كما هو الحال عند غيرهم من الشعراء، وذلك بهدف رفع مضمة للمرة عن شعراء الحملة في استخدام ذلك المعنى؛ لأنه بمنزلة المتداول المطروق، التي بعد استعماله ليس سرقة، والأخذ منه لا يجب الشاعر، أو بغير من شأنه.

وكما حرص الشراح على التشبيه على المتداول المشترك من المعاني، نراهم كذلك يحرصون - أثناء تناولهم تلك المعاني عند شعراء الحملة - على تاصيل تلك المعاني، واقتفاء أثرها، وذكر أول من سبق إليها، ومن التلغ ومن المنبوع، وهو أمر تميز به كلا من المرزوقي والتبريزي بخاصة، فلشارا إلى أول من استعمل هذا المعنى أو ذاك من شعراء العرب وأدبائهم.

(السبب)
من ذلك - مثلاً - ما علق به المرزوقي على بيت آخر:

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا يَسِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا نَجَدُ

يقوله: "هذا الكلام دعاء لنفسه وعليهم، على طريق التسلية وقلة الاحتفال، ولأن الحسد يرفع الخامل من الفصل وينود به. فيقول: أدام الله لي ما أنا عليه من الفضل، ولهم ما هم عليه من الحسد، ومات أكثرنا غيظاً بما وجد. وقوله "ومات أكثرنا" الأكثر هم الحسدة، لأنه - وإن أدخل نفسه فيمن أضل أكثر إليه - واحد. وقوله "بما وجد" حذف المفعول، والمعنى بما وجد في نفسه من الحسد، أو بما وجد من النعمة والفضل عند المحسود. وحديث أبو عبد الله حمزة بن الحسن قال: سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الكروي يقول أنا قد تتبعت من دواوين الشعراء فندمهم ومحدثهم فوجدت أنا تلمح الطغي متفرداً بمعنى قوله:

(الكامل)
وَإِذَا أَرَادَ النَّاسُ نَحْزَ فَمُضِيَّةً طَوِيصَتْ أَشَاحَ لَهَا بِسَمَانٍ خَمُودَ

(١) المرزوقي. شرح ديوان الحملة حلبية (١٢٠)، (١/٣٧٨).

لنؤلف التعلّفات للعواقب لم يزل للخاصة النظم على المضمون

غير مسبوق إليه. وعندي أنه أخذ من فحوى لهذين البيتين وإن كان زاد عليه^(١).

فلو تمام - كما أبان المرزوقي - هو أول من ابتدع هذا المعنى - وغيره كثير - فهو يسبق حقن تفضيلا. يستوجب معه الثناء الجميل، ولكن ما لبث هذا المعنى الخاص أن انتقل وكثر تداوله بين الشعراء حتى صار في حكم العام المشترك من المعاني، ومن هذا المنطلق استخدمه هذا الشاعر وغيره من الشعراء.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا، وفي هذا السياق، هي أن الشراح لم ينفقوا أو يعتوا بنكر مصطلحات أو درجات الأخذ المختلفة للمعنى، بل نراهم وقد اكتفوا بمجرد تحصيل المعنى، في إشارة منهم - على ما يبدو - إلى حرية تناول تلك المعاني واستعمالها باعتبارها معانٍ مشتركة عامة لكل الشعراء قديما وحديثا، لا يلام الشاعر على استعمالها أو يعاب عند الأخذ منها، ولا يقلل هذا من شأنه أو قيمة شعره الفنية.

وكما تتبع الشراح للمعاني المشتركة المتداولة بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء، نراهم - كذلك - تتبعوا المعاني التي كررها شعراء الحملة أو أكثرها من ذكرها في شعرهم، حتى أصححت بمثالة ما يمكن تسميته سرقلة شخصية للشاعر ذاته، وذلك أمر قد أثراه من قبل رجلي نحو مفصل في بحث سابق - عند الحديث عن نقد المعنى - ولا نؤي العودة إليه هنا لأن علينا مقصورة في هذا المقام على إمكانية توظيف الشراح للشواهد الشعرية وغيرها في تفسيره وتبريره لحواجز أخذ شعراء الحملة المعنى، وتسميته نصرصهم الشعرية، دون إلصاق تهمة السرقلة بهم.

ب : أن يظهر الشاعر المشترك المبتذل في صورة المبتدع المقتزع، من منطلق أنه "لا يعلم في الأرض شاعر نتم في تشبيه مصيب تلم، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى شريف كريم، أو في بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بسر، فبه لا بدع أن يستعين بالمعنى، ويحمل نفسه شريكا فيه، كالمعنى الذي تتنازع الشعراء فتختلف ألفاظهم وأعارض أشعارهم، ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه. أو لعله يجحد أنه سمع بذلك المعنى قط وقال أنه خطر على بالي من غير سماع، كما خطر على بالي الأول. هذا إذا قرعوه به، إلا ما كان من عترة في صفة الذباب، فبه وصفه فلجد صفته فتخامي مخاه جميع الشعراء ..."^(٢)، كلام الحافظ هنا يبدو مثاليها تماما لما نقصده من تصورنا لمفهوم العام المشترك من المعاني الذي أحسن الشاعر أخذه فصار في حبه وحسن صياغته في حكم الخاص المبتدع، فالجاحظ يرى أن ما من شاعر إلا واتكا على غيره فأخذ منه بعض المعنى، حتى تفرق المعنى المأخوذ على الشعراء، وتنازع الشعراء فيما بينهم، فصار في حكم العام المشترك - كما أثرنا سابقا - فلا يلام وقها الشاعر على أخذه وتداوله لتلك المعنى، حتى لو ولم ينقله كما هو، بل أخذه وطبع عليه شخصيته، وأسلوبه، حتى يبدو وكأنه معنى جديدا غريبا عن المعنى القديم المتداول، فهذا ليس بسرقة، ولا يدخل في بابها.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حلبية (١٣٨)، (١/١٠٦، ١٠٧)، لعل الأبيات عند التبريزي هو: محمد بن جبه الله الأزدي.
(٢) الحافظ: العيون، تحقيق/عبد السلام محمد ملون، مؤسسة البلي الخاني، القاهرة، ١٩٣٨، ص (٣/٣١١).

أو بمعنى آخر "أن العلم المشترك قد يستجد من شاعر دون شاعر"^(١)، يقول القاضي الجرجاني: "قد تشترك الجماعة في الشيء المتداول، ويفرد أحدهم بلفظة تمتنع أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زينة اهتدى لها دون غيره، فترك المشترك المبتذل في صورة المبتدع^(٢)، فالشاعر قد يحسن لأخذ المعنى المتداول المتعول عليه غيره، فيظهر في صورة المعنى المبتكر المبتدع، وهو ليس كذلك، بل هو علم مشترك، ولكنه حدث ما يمكن تسميته - إن صدقت التسمية وصحت - انتقل المعنى للعلم المشترك إلى معنى خاص مبتدع، وهو بذلك أيضا يخرج الشاعر عن دائرة السرقعة، إلى دائرة الإبداع، وللتميز بما شكلته طريقة تناوله للمعنى المبتذل المطروق من إضافة وزينة.

وهو ما أسماه عبد القاهر الجرجاني تخيليا، من خلال تعليقه على قول أبي تمام: (الكامل)
لا شكري عطل الخريم من الغنى قال المثل خسرني بئس أن الغالب

بالقول: "فهذا قد خيل إلى السامع أن الكريم إذا كان موصوفا بالعلو والرفعة في قدره وكنى الظني كالفيت في حلجة الخلق إليه وعظم نفعه، وحب بالتبليس أن ينزل عن الكريم نزول ذلك السيل عن الطود العظيم، ومعلم أنه ليس تخييل وإيهام، لا تحصيل وإحكام، قلعة في أن الجبل لا يستقر على الأمكة العالية، أن الماء سيل لا يثبت إلا إذا حصل في مرصع له جوانب تدفقه عن الانسلاخ وتمنعه عن الانسياب، وليس في الكريم والماء شيء من هذه الخلال"^(٣).

وما أشار إليه كلام عبد القاهر الجرجاني هو أحد أشكال وسائل التصرف في المعنى المستعمل حتى يعبر غيره، وهو مما ليس بسرقة، كما سنرى لاحقا.

ولقد لطن أبو هلال العسكري إلى هذه الحقيقة فقال إن العبرة بالكساء الذي يكو به الشاعر أو الكاتب معناه، ومن ثم اتحد من الصياغة ليل السرق^(٤)، وجاء عبد القاهر الجرجاني فأوضح هذه الحقيقة ثم يوضح حيث قل: "واعلم أن المشترك العلم والظاهر الحلي والذي ثلث إن التفاضل لا يحله وانتزعت لا يصح فيه، إنما يكون كذلك ما كنى صريحا ظاهرا لم تلحقه صنعة، وما نجا لم يعمل فيه نقش، إن كَبَّ عليه معنى، ووَصَلَ به لطيفة، ونخل إليه من باب الكثافة والتعريض، والرمز والتلويح، فقد صار بما عُرِّ مجاريفته، واستغرُف من صورته، واستجدَّ له من المعروض، وكسرى من ذلك التفرُّض دَخلًا في قبل الحاصل الذي يُتَمَكُّ بالفكرة والتعمُّل ويتوصَّل إليه بالتنبُّر والتأمل..."^(٥).

ولكي يستطيع الشاعر تطويع المشترك المبتذل من المعنى، وجعله يبدو في صورة المبتدع المبتكر، لابد له من استعمال وسائل معينة تُشَدُّ من أزره، وتقوي عوده، فيعجب به الأبناء النقاد، نوره بهذه الوسائل نقل العرب

(١) د. محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٦٧.

(٢) تلمس الجرجاني: الوسيلة بين المتنبي وحسومه، ص ٢٨٧.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣١٦، وقد عُدَّ فليفل في كلامه "أسرار البلاغة" نعمت في أحدهما عن المعنى المشترك "الغنى"، والأخر عن المعنى الخاص "تخييل"، قنن: ص ٢١٣، ٢٧٤.

(٤) قنن: أبو هلال العسكري: الصلبيين، ص ٢٠٢، و نظرو كذلك: د. محمد مندور: نقد شعبي عند العرب، ص ٣٦٧.

(٥) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣١٠-٣١١.

القضاء، منهم ابن رشيق القيرواني عندما قال: "إن المُنْع إذا تفرق مَنَى فلهجة - بأن يختصره إن كان طويلاً، أو يسطه إن كان كزاً، أو يبيته إن كان عامضاً، أو يختار له حسن الكلام إن كان مفلساً، أو رشيق الوزن إن كان جاقياً فهو أولى به من مُبْتَدِعِهِ، وكذلك إن قلبه لو حفه عن وجْهِه إلى وجْهِه آخر... (١)".

وكما يبدو لنا فإن هذه الوسائل والطرق متعددة متنوعة، منها ما يتعلق بالمعنى، ومنها ما يتعلق باللفظ، ومنها ما يتعلق بالأسلوب، أو الأداء التصوري والفني.

وهنا نشعر - أيضاً - وكأن الناقد "قد أدرك أن المعنى الملائح المبتذل قد يعبر عنه تعبيراً لا يبدع فيه، تعبيراً ملائحاً مبتذلاً، ومع ذلك يروفاً لخاصة الشعرية وسحر لفظه أو موسيقاه أو طريقة نظمه ووسائل أدائه" (٢).

وإذا انتبه إلى بعض هذه الوسائل قليل من الشراح، فليقوا عنها في أشعار الحماسة، في محاولة منهم لإبراز مظاهر ابتداع شعراء الحماسة وإضافاتهم للمعاني المبتذلة الممتدالة؛ لنفي شبهة السرقعة عنهم.

ومن أهم هذه الوسائل التي يمكن استنباطها من خلال الأمثلة التطبيقية لشعراء الحماسة (٣):

١ - الإضافة إلى المعنى المفلوذ والزيادة عنه بما هو من تلمعه - وبما يؤثر في فكرته أو صورته كثيراً إيجابياً.

فلشاعر أحق بالمضي إذا أخذه، وزاد عليه زينة حسنة، فلأول فضل المضي إلى المعنى، وللآخر فضل الزيادة فيه، يقول ابن عبد ربه: "أعلم أنك متى نظرت بين الإتصاف، وقطعت بحجة العقل، علمت أن لكل فضل فضله، ولا ينفع المعتق نفعه، ولا يضر المتأخر تأخره، فلما من أساء النظم ولم يحسن للتأليف فكثير" (٤).

من ذلك - مثلاً - تعليق المروزي على بيت ملحمة الجرمي في وصف السير الطري: (الطويل)
وَبَاتَ الْحَبِيءُ الْجَوْنُ وَنَهَضَ مُلْجَبًا فَتَهَضَّى الْمَدَائِي قَبْلَهُ الْمَوْعِثُ السَّنْقُضُ

"الحى من السحاب: المشرف المتراكم. والجون: الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتولته وكثرة مثله. وقوله "ينهض مقتماً" انتصب مقتماً على الحال، يريد أن سير للسحاب لثقله وحركته مثل سير هذا البعير وحركته؛ ثم وصفه. والمدانى قيده: الذي قصر عقله وضيق عليه قيده. ولم يرض بذلك حتى جعله سقراً في الوعث، وهي الأرض اللينة الكثيرة التراب والرمل؛ والسير فيها يصعب... ثم لم يرض بعد ذلك أيضاً حتى جعله نقضاً، وهو المهزول الضعيف... وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قال - وإن كان الأعشى يصف امرأة بالنعمة والترف، وهذا يصف سحابة ثقيلة :-

نَغْمِي الْهَوَيْتِي كَمَا يَغْمِي الْوَجِي الْوَجِلُ

(١) ابن رشيق القيرواني: الفصاحة في معاني الشعر وأدبائه وتقدمه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار العمل بيروت، ط ٥، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨١ م، ٢٩٠/٢.

(٢) دليمة مطبوع: نقد المنهجي عند العرب، ص ٣٠٨.

(٣) السيد محسن: تصانيف بلاغية ونقدية في ترويح لقضاء على شعر أبي تمام، ص ٤٠٥ : ٤١٧، المنصر قط خلا الشواهد وتنطبق عليها.

(٤) ابن عبد ربه: الفصاحة للعرب، (١ / ١٧٥).

لأن هذا جعل البعير مداني التقيد أيضاً^(١).

وتعليقه في موضع آخر على بيتي يزيد بن حسان السكوني في إكرام الجار: (اليسوط)
وَمِنْ تَفَرُّهُمْ فِي النَّدَى قُلُوبُهُمْ لَا يَنْظُرُ الْجَارُ لِيَهُمْ لُقَّةُ الْجَارِ
حَتَّى يَكُونُ غَرِيبًا مِنْ قُلُوبِهِمْ أَوْ أَنْ يَبِينَ جَمِيعًا وَهُوَ مُخْتَارُ

"يقول: من تكلفهم الكرم كأنهم لا يرضون في مثل ذلك الوقت بما طبعوا عليه وجبلوا، حتى تكلفوا أكثر منه، أنهم يحلون جارهم من العنفة به والاتحاق والإحسان إليه والاصطناع، محلاً يتشكك من بعد في نفسه: هل هو جارهم أم من صميمهم. وعلى هذا يتعلق حتى من قوله حتى يكون عزيزاً بالمعنى الذي دل عليه قوله لا يعلم الحار فيهم أنه الجار، أي يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزاً فيما بين ظهرانيهم، أو يختار مغافرتهم. والمعنى: تلك له فيهم، ما اعتز بجوارهم، أو مال إلى فراقهم. ويجوز أن يكون قوله من نفوسهم في موضع الحال، وعزيزاً خير كان. وإن جعلت عزيزاً في موضع الحال ومن نفوسهم خيراً جاز. والمعنى: حتى يكون كثر من أصلهم، كما قال الله عز وجل: "قد جاءكم رسول من أنفسكم"، والمعنى من جنسكم ومن بطنتكم. ويجوز أن يكون البيت مضمناً، ويكون معنى لا يعلم الجار فيهم أنه جاره، أن الجار لا يكون قد أحس بمجاورته لهم حتى يتفتقروا هذا التفقد، ويحلوه هذا المحل. وقوله أو أن يبين جميعاً لتتصّب جميعاً على الحال، والمعنى أو أن يبارق وهو مجتمع الحال خير منتشراً، ومختار لذلك غير مضطر إليه. ومثل هذا بيت زهير:

(الوافر)
ضَمِينًا مَالِيَهُ وَغَدًا جَمِيعًا عَيْنًا نَفْسُهُ وَلَهُ النُّفَامُ

وقبل بيت زهير هذا قوله:
وَجَارٍ مَسَارٍ مَعْتَدًا إِلَيْهَا أَجَاعَتُهُ الْمَخَافَةُ وَالْخِشَامُ
فَجَسَّازٌ مُتَوَكِّلًا حَتَّى إِذَا مَا دَعَا الضَّيْفَ وَانْقَطَعَ السَّيْثَانُ
ضَمِينًا مَالِيَهُ وَغَدًا جَمِيعًا

تقد علمت استعمالها على ما ذكره هذا الشاعر وتفردها بما زاد عليه من المعنى. ويجوز أن يكون حتى بمعنى كي، فيكون المراد لا يعلم الحار لحسن توفرهم عليه، وتوحدهم إليه بتخاذ الصفائح لديه أنه جاره، لكي يكون عزيزاً مدة مقامه، أو يفارقهم مختاراً، مرفور المال، مصون الحال^(٢).

فذلك للزيادات التي اختدئ إليها شعراء الحماسة، وأضيقوها للمعنى المعتدل المشترك، جعلت محله - في رأي شارح الحماسة - يستجذب دون غيره من الشعراء، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه من قبل القاضي الجرجاني.

٢- التصريف في المعنى المأخوذ حتى يفارق غيره، بمعنى "تتوالى المعاني واستعارتها وتليبيها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، ويفرغ بشهرتها كثره غير مسبوق إليها، فيستعمل المعنى المأخوذ في غير الجنس الذي

(١) المروزي، شرح موشم الحماسة: حصة (٨١٩)، (٢ / ١٨١٠ - ١٨١١).
(٢) نصح: حصة (٩٣)، (١ / ٣٠١ - ٣٠٢).

تأولها منه، فإننا وجد معنى لطبقا في تشبيب أو غزل استعمله في المديح، وإن وجد في المديح استعمله في الهجاء، وإن وجد في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الإنسان^(١).

ومن ضرورب التصرف هذه التي لطن إليها الشراح ونوّهوا بها في أشعار العماسة ما سبق أن تعرضت له عند الحديث عن نقد المعنى^(٢)، والتي لا أجد داعي لتكرارها مرة أخرى هنا، ومنه: المخالفة، التضاد، العكس، القلب، النقل... إلى غير ذلك من هذه الوسائل، التي حلول شعراء الحملة من خلالها إدخال تعديلات على المعنى المشهور المتداول؛ بغرض إضفاء لون من الخصوصية والتفرد يميزهم عن غيرهم من الشعراء في تناول تلك المعاني، وجنبهم شبهات السرقة ومزاتها.

٣- جودة اللفظ وحسن صياغتها وتركيبها:

فإننا نتناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فليبرزها في أحسن من الكسوة التي خلبها لم يعجب، بل وجب له نضل لطفه وإحسقه فيها^(٣).

فلنشر "إبداع بنطوي على نوع من الأخذ، أو الاستئادة. ومبدأ الخفاء، أو القموض، أو الاستغراب، واضح. فجودة الأخذ تتحقق إذا كان خفيا نستغريه، ويغمض علينا، ولا نعرف من أين استبطه، أو استبطه الشاعر^(٤). وهذا كله مرتبط بتصور للإبداع يفضي إلى إنتاج نص هو إطار من الأصباغ، أو يفضي إلى القول أن الإبداع إنتاج أصباغ وسلك وطيب"^(٥)؛ وهذا التصور هو ما كان يحرك الرازي (ت ٦٠٦ هـ) حين قل في نهاية الإيجاز: "ولا يفرق قول النلس أن الشاعر أخذ المعنى من شاعر آخر، فإن هذا نسلح منهم، والمراد أن المعنى المدلول عليه بالدلالة المعوية واحد، فأما أن يكون المدلول عليه بالدلالة الوضعية واحدا فذلك لا يكون إلا للترجمة"^(٦).

فقد سبق الشاعر إلى معنى، ثم يصير من بعده مشتركا متداولاً يفقد منه الشعراء لكن بمخالفة في الصياغة اللفظية، من ذلك - مثلا - قول تليط شرا:

(الطويل)
وَيْسَبِقُ وَفَذَ الْوَرِيحُ مِنْ خَيْثُ وَيَتَجَبِي بِمَنْخَرِي مِنْ شَدَّةِ الْغَنَادِرِكِ

"وفد الريح أولها ومنه أخذ رؤية قوله:

(الرجز)

يَسْبِقُ وَفَذَ الْوَرِيحُ مِنْ خَيْثُ أَخْرَقُ

وأخذ الأعرابي بغير لفظه فقال:

(الطويل)
غَايَةُ خَيْثُ رَفَعَتْ فَمِنْ لَهَا تَحْنُ خَوَيْتَاهَا وَفَنَّا أَهْلَهَا

(١) ابن طليط الطوي: عبر الشعر. تحقيق د. عبد العزيز لاسر المسبع، دار العلوم لشعر، طرابلس، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ١٢٦.

(٢) تطر: للكتاب ص ١٢٢ وما بعدها.

(٣) ابن طليط الطوي: عبر الشعر، ص ١٢٦.

(٤) مجدي لحد توابق: مفهوم الإبداع التي في نقد العربي القديم، ص ٣٢٩.

(٥) لغز ابن الرزقي: نهاية الإجمال في دراسة الإجمال، دراسة وتحقيق الشيخ أحمد حمادي السقا، مكتبة التنقي، القاهرة، ١٩٨٩ م، ص ١٠٩.

وترسل الريح لجنتنا قبلها، والمعنى: أنه يسبق الريح لحفته ويتحى يعتمد ويقصد ويتحى يحتمل أن يكون للممدوح ولولد الريح وجعل المد ومنخرقا لاتساعه، والمنخرق السريع، وهو من قولهم: ريح خريق، أي شديدة سرعة الهبوب، والمتدارك: المتلاحق، وقال بعضهم المنخرق: الذي لا يضبط كما تنخرق الريح الشديدة، ومن ثم سميت الريح خريقاً^(١).

وقد تكون في زيادة بعض المحنثين ضعف وفقر، كما أخذ أبو تمام هذا المعنى السابق فزاد عليه وإن كان في لفظة ركافة، فقال: (الوالد)
فكز ولو بجبابي الريح خيلست لذي الريح تزعف في القويود^(٢).

٤- الصنعة اللطيفة:

"فليس كل أخذ وتقليد معيب، بل الممول قبل كل شيء على الصنعة والإبداع، فإذا أخذ المتأخر معنى لمعتزم فاحسن التصرف فيه بصورة من الصور، سواء بتغيير لفظه، أو تحويله والخروج به من موضوع آخر، فبله يكون له، ولا يعيب بأخذه"^(٣).

فلا يعيب الشاعر على تقليده المعنى، أو تلوه من سبقه لي تلوه إياه، فلا سرفة في المعنى الأصلي، إنما الرقة تكون في "البيع المخترع الذي يختص به الشاعر"^(٤)، أو في الصنعة الفنية، التي تنمخض عن إبداعه، وإبتكاره لأصباغ ومحسنات جديدة للكلام، بختلاف الصور والعناصر البلاغية، من معاني، وبيان، وبيدع.

ومن هنا وجدنا المرزوقي يمدح شعراء الحملة لي غير ممكن؛ لأنهم أحسنوا صياغة المعاني وأكسوها لباساً يبعث من الألفاظ والصور.

سجد العديد من التشبيهات المتداولة بين الشعراء، واستعملها شعراء الحملة، فأصلوا إليها، وزلوا عليها، فلبس الشراح عن مظاهر تلك الإضافات والريادات، من خلال تعليقات وتعليقات تقيم هذه الصنعة، ونصف تعاملهم معها.

فمن التشبيهات المطروقة التي أمدل فيها شاعر الحملة الكلام تحقيقاً للتشبيه، قول الأغصن بن شهاب: (الطويل)
فلأنسة جطسان بن فؤس منابيل كنا نغنى القنوان في الرق فأتيت

"وتشبه ثلث الدليل بالكتابة مألوف لي طرائتهم، لكنه طول الكلام تحقيقاً للتشبيه، فصار ظاهره كلفه شبه الأثر بتميق الكاتب خطه إذا عنون كتاباً. ومثله قول الهذلي: (البيط)
هبطن بطنن وهماط واعتصنن كما نمتقي الجذوع خلال السدور نص داخ

(١) تيزيد: شرح ديوان الصنعة: (١٨/١).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حنسية (١٣)، (١١/١).

(٣) دهميد وعزل ملار: تاريخ النقد الأمبي والفاغة، ص ١٢٢.

(٤) الأمبي: شوارنة، ص ١٣٩.

ألا ترى أن المراد تشبيه الإبل وقد دخلت في السراب بجوع نخلة مسقية في أصولها الماء، فجاء ظاهره كله منه الإبل يبقى التضاح للجوع؛ لأن معنى كما يبقى كفى، كما أن معنى كما نطق كتميق" (١).

ومن الوصف المطروق الذي أجده فيه شعراء الحماسة إحادة حسنة، قول سهل بن شيبان الزمعي (الهرج) وظفني كفهم السرق غنذا والسرق مملن

حيث نجد أن "هذا الوصف يبلغ من قول النامضة:

وظفني كإبراع الغضا الضواير" (٢).

ومناك أيضا الاستعارة التي تتجانس الشعراء، وأحد فيها شعراء الحماسة، كما في قول نبط شرا: (الطويل) فخالط سنهل الأرض لم يقدح السنفا به كنهة والموت خزبان ينظر

"يقول: أسهلت ولم يؤثر الصفا في صدري أثرا، لا حشا ولا حمشا، والموت كان طمع في، فلما رأيته وقد تخلصت بقي مستحييا ينظر ويتحير. والواو من قوله والموت وار الحال. وهذا من فصيح الكلام، ومن الاستعارات المليحة. وقد حمل قول له عن وحل: "وأنتم حينئذ تنظرون" على أن يكون المعنى تتحIRON. وقد سلك أبو تمام مسلك هذه الاستعارة فقال:

إن تغلبت وأتوف الموت راجعة" (٣).

ومن الاستعارات المتداولة التي زلدها شعراء الحماسة بما ينيل على فضلهم وإحسانهم، قول العنيل بن الفرخ العجلي:

فلمسى خزنا ألا أنال أنى القنا ونج نجيفا من ذراعى ومن عضدي

"والمعنى: كفى من حزن لى لا أزال أرى الرماح تصب نماً من ذراعى ومن عضدي، أي من قوم بهم أبطش وأعقر، فهم منى بمنزلة الذراع والعضد. وهنا في الاستعارة لمن يقوى به الرجل ويمتدأ ببلغ وتضع وإن تماوت الطريقان - من قول الآخر: (قيس بن زهير) فإن أنا قد بمرت بهم غيلسى فلم أنطق بهم إلا بئاسي" (٤).

فإذا انتقلنا من الصور المقتية إلى فنون البديع، وجفنا أن المبالغة في المعنى تنصدها، إذ أولها الشراح أهمية كبرى أثناء تعرضهم لهذا الفن البلاغي؛ باعتبارها صورة بارزة من صور انتقال المعنى، وتغير دلالاته. فقول عبد الشارق بن عبد المعزى الجهني - مثلاً:

(١) المروزي: شرح ديوان الحماسة (٢٤٨)، (١/٢٦١).

(٢) نفسه، حماسة (٢)، (١/٣٧).

(٣) نفسه، حماسة (١١)، (١/٨٢).

(٤) نفسه، حماسة (٢٤٩)، (١/٣٤٤).

فَأَنْزَلْنَا أَبْنَاءَ عَنزِبُو رَبَّنَا فَقَالَ لَا تَغْنَمُوا بِهَا الْفَوَاحِشَ

أراد أن يقول: "توجهنا نحوهم وأنقذنا من قبلنا من ارتبأ لنا، فعاد مبشراً وقال: قروا عينا واستشروا، فقد اتبلوا. وهذا مما يترجم عن محبتهم لملأمة الأعداء، وحرصهم على القتال، وتشولهم للمجانبة والنزاع، حتى عدوا قريهم بشارة، والاكتهاء معهم غنمة. وهذا عندي أبلغ من قول الآخر: (البيط)
يَسْتَحْبُونَ مَثَابَهُمْ فَاتَّهَمُوا لَا يَبْلُغُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِذَا قُتِلُوا
ومن قوله: (الطويل)

لِقَاءُ أَهَابٍ أَمْ لِقَاءُ حَبَابٍ^(١).

وقد يتعدى الشعراء الحد المقبول للمبالغة، حتى يصلون بها إلى مستوى الإدماء كما يبدو في قول شاعر الحماسة: (حسان بن نسة)
أَبْرَأَ أَنْ يُبَيِّتُوا جَزَاءَهُمْ لَعْنَهُمْ وَقَدْ نَارَ نَفْعِ الْمَوْتِ حَتَّى تَفُوتُوا
(الطويل)

"يقول: امتنعوا من أن يخلوا بين جيرانهم قبيلة كلب وبين أعدائهم حمير، وقد ارتفع عار الموت حتى التفت في الحور. وأراد بالبحار والعدو الكثير، إذ كان المراد بهما القبيلتين، وإبما أصناف القمع إلى الموت تهويلاً، ويجوز أن يريد بالموت الحرب. وتكثر: فتوغل من الكثرة، يريد تراكم الغبار والنفقة. وهذا الذي أشار إليه بقوله نكرر من اثرائكم، جعله بعضهم كالسحاب، وجعله بعضهم يمد عين الشمس حتى ظهرت له الكواكب، وحتى صار السحاب بسبه كالليل. وتجاوز المتبني جميع ذلك، حتى بلغ حداً من الإفراط مستغنياً فقال: (الكامل)
عَقَدْتُ مِنْهَا بِهَا غَيْثًا عَجَزًا لَوْ تَبَغَّيْتُ حَقًّا عَلَيْهِ أَمْنًا^(٢).

٥- التوليد :

احتل موضوع توليد المعنى حيزاً مهماً واسعاً من اهتمام النقد والشرح - على السواء - بقضية الأخذ الأدبي، وقد جاء هذا الاهتمام ضمن طروحاتهم النظرية والعملية على حد سواء من منطلق كون توليد المعنى لغة وبنية يصل مع المثلي، لهذا قد صدوا اهتمامهم على توليد المعنى المقصودة وليصلها، محققين في هذا إثراء المعنى.

وقد أشار ابن طهلبا إلى مثل هذا الصنيع من قبل الشعراء المحنثين، ودفاعه عنهم في التحقير إلى البيوع والصناعة، وإلى اقتباس المعنى من الشعراء السلفين، أو أخذها ثم تعديلها، بقوله: "وسمى في أشعار المولدين بعجائب استغفوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم، وليسوا على من بعدهم، وتكثروا لبيداتها فسلمت لهم عند ادعائها اللطيف سحرهم، وزخرفهم لمعقبيها"^(٣)، وهو لون من إخفاء الأخذ، لا بقوى عليه إلا كل منقلب من الشعراء والأدباء، وفي ذلك يقول أبو هلال العسكري: "وأحد أسباب إخفاء السرقة أن يأخذ معنى من نظم فيورده

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٥٢)، (١/ ٤٤٤).

(٢) نفسه: حماسة (١١٢)، (١/ ٢٣٨).

(٣) ابن طهلبا الطوي: عوار الشعر، ص ١١.

في نثر، أو من نثر فيورده في نظم، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح، أو مديح ينقله إلى وصف - إلا أنه لا يكمل لهذا إلا المبرز والكامل المتقدم^(١).

وأراء ابن طبطبأ وأبو هلال العسكري تلتقي مع آراء كثير من شراح الحماسة - كما سنرى من خلال تناولهم للنماذج القائمة بالشرح والتحليل - في اعتبار التوليد من طرق الأخذ المباح، التي تحتاج من الشاعر أن يحتل ويتكلف ويحور المعنى المأخوذ فـ "يغير في اللفظ ويعرض المعنى في عبارة جديدة، أو يعدل بالمعنى من موضوع لآخر كان يأخذ المعنى من الغزل إلى المديح، أو من المديح فيعدل به إلى الرثاء، أو غيره من الموضوعات حتى يلبس على السامع"^(٢).

وقد تمخض عن هذا الاهتمام عملية الشراح بـ:

- ماهية المعاني الأولية، والزيادات الطارئة عليها من قبل شعراء الحماسة.

- طريقة التعامل مع المعنى المأخوذ، بإحدى وسيل التصرف المختلفة من نقل، أو عكس، أو قلب، أو ... إلخ.

- المعاني التي ولدها شعراء الحماسة بعد أن نهيم عليها غيرهم من الشعراء، ودرجة تحقق الإثراء.

وقد سبق تناول المظهران الأول والثاني بالشرح والتحليل^(٣)، لذلك فلا داعي لإعادة تناولهما مرة أخرى هنا في هذا المقام.

وقبل الخوض في غمار تناول المظهر الثالث من مظاهر التوليد داخل شروح الحماسة، يجب الإشارة إلى أن بعض شراح الحماسة كما أبقوا عن استحقاقهم وتلقبهم لتلك المعاني المتولدة من جلب شعراء الحماسة، فقد أبقوا - كذلك - عن استحقاقهم وإثرائهم لطريقة وأسلوب شعراء الحماسة في توليدهم تلك المعاني. كما يتبدى من تعليق المرزوقي على بيت إيلس بن الأرت:

وَحَانَ بِسَرَّاقٍ مِنْ أَخٍ لَكَ تَأْصِيجٌ وَحَانَ غَيْبُكَ الْخَيْرُ لِلْخَيْرِ تَوْغِيَا

"وقد عمل لطيفة في الصفة للتعبية لقال (للخير نومما) فجعل الخير ولد معه فنشأ بنشئه"^(٤).

وكذلك تعلّقه على أبيات شاعر الحماسة، ما يحمل فحوى حسن الاستداع:

هَجَوْتُ الْأَذْيَاعَ فَطَافَ بِشَبِي	مَعَاشِرُ جُنَّتْهَا غَرَا صَخَا
فَقَلْتُ لَهُمْ وَقَدْ تَبَخَّرُوا طَوِيلًا	غَنِي فَلَمْ أَجِبْ لَهُمْ تَبَاخُسًا
لِبَنْتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَّا كَفْتُ عَنْهُمْ	وَأَدْفَعُ عَنْهُمْ الشُّنْمَ الصُّرَا
وَالَا فَاحْضَرُوا رَأْيِي قَسَمِي	مَلَأْتَنِي عَنْهُمْ الشُّنْمَ الْكِيَا

(١) أبو هلال العسكري: لسرر البلاغة، ص ١١١.

(٢) د. محمد ز. علول: تاريخ النقد الأدبي والملاحة، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: فقرة لميل المعنى من نقد المعنى في الملصق السابق.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حسانة (٣٥٧)، (٢ / ١٠٢٨، ١٠٢٩).

يخسنتك تهمة به يوم الموم يضم على أجي منكم جئنا

بالقول: "هذه الطريقة في ذم الأدياء غريبة حسنة جدًا. ولما قال أبو العتامة لي والدة بن الحباب ما هو

مستبدع ليضاء وهو: (الكلل)

ما نال من أهلة عسره إلى الوان لصنخ من بني قنصر
أخذ خيلت أبا أنامة لم لوئت من اللين بالهمنفر

وأخذ أبو نواس قتل أبطا: (الكلل)

وابن الخباب صليبة زعوا وبين المخال صليبة أفلز^(١).

أما فيما يخص المعنى التي ولدها شعراء الحملة بعد أن نبههم عليها غيرهم من الشعراء، إلى حجاب الشراح الذين توقفوا عندها وقاموا بالتنبؤ به، بعد ما لمسوه ولاحظوه في أشعار الحسان.

ما نحده من لف الشراح الأنظار إلى تلك المعنى المتداولة الشعة، لكن شعراء الحملة أحسنوا الأخذ

مها، فاستخرجوا منها المعنى الملبح المستطرف الذي تميزوا به على غيرهم، كقول الراعي: (الطويل)
فبانت نغد النجم في مستجيرة منربع باليدي الأكسين جفودها

" المستجيرة المستحيرة في امتلائها أي في مرقها بقول من صفاتها وكثرة سمها ترى فيها بحوم السماء وقيل شه الراعي استأجلت التي كانت على رأسها من كثرة السم بالنجوم ... قال النمرى يصي امرأة أخفها وأراد بلحم النجوم وهذا كما يقال قل درهم والديار يراد به الجنس ويقال بل أراد بالحم الثريا بعينها والاول أصح قال أبو محمد الأعرابي هذا موضع المثل: (الكلل)

في الشريعة يصر الكسرم ابتهنا وابسن الليننة للنام نصور

كثيراً ما يرحح أبو عبد الله الرديء على الجيد والغث على السمين وهذا يدل على قلة معرفة منه بعباء العرب في معني أشعارها ولا يجوز أن يكون النجم هنا إلا الثريا وذلك أن في البيت حبيبة لم يفرحها أبو عبد الله وذلك أن الثريا لا تكاد ترى في قعر الجفنة وغيرها من الأواني إلا أن يكون قم الرأس ولا يكون قم الرأس إلا في صميم الشتاء ويقال حينئذ أقر النجم ومنه قول الكميت إذا النجم أقرأ وقوله تعد النجم أي لصفاء الودك في الجفنة تعرف عند الثريا فيها وهذا معنى ملبح وذلك أن نجوم الثريا لا يكاد بعدما إلا لا يصر حديد وإنك يقول القفل: (الكلل)
إذا منا الثريا في المضاء تفرضت وزاها خبيد العين منبغة أنجم^(٢).

وهناك معان قصر فيها الشعراء، وتناولها شعراء الحملة فلجأوا استعمالها، وأبقوا عن حسن الصنعة،

من خلال ما ولده منها، كما يتضح في قول قيس بن الخطيم الأسدي: (الطويل)

إذا منا منطخت أزنا خط مئري وأثفت تلوي في السمناج شاعما

(١) المرزوقي: ترح ديون المصلحة: حسنة (١٥١)، (٢ / ١٥٢٤).

(٢) التبرزي: ترح ديون المصلحة: (٢ / ٣٩).

"يقول: إذا شربت أربعة أكواب جررت منزري، فأتى في الأرض خيلاً وكبراً، وتمت ما بقي علي من السماح في حل الصحو، كان معظمه فعله صاحياً، والباقي منه نعمة في حل السكر. وهذا الكلام يجري مجرى المثل للمضى الذي بينت. حكى الأصمعي أنهم يقولون: أتبع الفرس لجمالها، وأتبع النلو رشاءه، أي تم ما بقي عليك من أمرك. وكفه يضرب لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقيق. وهذا أجود من قول عترة الصبي، وإن كان مفضلاً عند كثير من الناس على قول عمرو بن كلثوم، وقول عترة :

وإذا تَنَزَّهْتُ فإِني مُنْتَهَلَةٌ مَالِي وَعِزِّي وَإِسْرَافِي
وإذا مَنَعْتُ فَمَا أَفْضَرُ عَمَّنْ نَدَى وَقَدْ نَأَيْتُ شِمَاتِي وَتَكْرِمِي

وببيت عمرو: (الوافر)
مَنْفَعَةٌ كُلُّ الْخَمْرِ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَجِينًا

لأن هذا قال: إنا تنسخي إذا شربنا الخمر ممزوجة. وما قاله عترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع. وكان ابن الأعرابي يذهب في قوله سجيناً إلى أنه يقال ماء مسخن وسخين، وإن كان فعلاً في معنى مفعول قليل. وانتصب عنده على أنه حل للماء. ويكون المراد على طريقته: كأن العص فيها إذا مزج بماء سخن. وهذا لهربه مما استنحه الناس. وهو حسن، لكنه يقضي أن يكون بلادهم صروداً^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى غلبة الشراح واقتناعهم بهذا البحث. من خلال حرصهم على التنبيه على مواضع الزيادة والإضافة للمعنى الأصلي، التلصص على التوليد، والتي حفلت بها أشعار الحملة عن غيرها من الأشعار الأخرى.

فلراء الشراح متفرقة في شروحهم فيما يخص هذه القضية بشكل عام، وذلك البحث بشكل خاص، ومبثوثة في ميالفت متنوعة، إلا أن الشيء المهم في هذا الجقب، والذي يحتاج إلى استنويه، هو أنه لم ترد كلمة (السرقت) بكافة مشتقاتها في معظم شروح الحملة أو نسبتها إليهم، مما يدل وبشكل واضح على سعي الشراح إلى التأكيد على أصالة شعراء الحملة، وبراعتهم في ابتكار المعاني.

ثانياً: إن الشراح بصفة عامة يسيرون على ما سار عليه من سبقهم من النقاد، ففي حين نراهم يجنبون الشعراء شبهة السرقة للمعاني إذا كفت متداولة، أو إذا أحسن الأخذ ممن سبقه من مطلق أن "كل المبدعين يعيشون خلال المبدعين الآخرين، وكل مبدع سارق، أو مستحير - بالمعنى العريض للكلمة - من غيره"^(٢)، نجدهم من ناحية أخرى يرون أن أخذ المعنى بعد سرقة، ويعلم الشاعر على الإتيان به إذا لم يصف إليه جديد، أو قصر، أو لساء في الأخذ، أو "أخذ جمل أو الكثر أصالية وانتحلها بنصها دون الإشارة إلى ملأها"^(٣).

(١) المرزولي: شرح ديوان الصانع: جلد ٢ (٢٧)، (١ / ١٨٧ - ١٨٨).

(٢) مجدي لمد توافيق مفهوم الإبداع لتقني إلى لشدة العربي للتعبير، ص ٣٢٥.

(٣) دليمند مندور: هذا الملهم عند العرب، ص ٢٥٩، مع بعض التصرف.

وقد حدد النقاد ما يمكن فيه سرق وما لا يمكن، فقسموا المرقفات إلى أنواع، وحاولوا التمييز بينها و"حدثت تحديداً تحكميا لا غناء فيه ولا نفع"^(١)، وقد أحصى ابن رشيق تلك الأنواع نقلاً عن الحقيمي في "حلية المحاضرة"^(٢) فقال: "وقد أتى الحقيمي في حلية المحاضرة بالقلب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت، كالاصطراف والاجتلاب والانتحل والامتداح والإغارة والمرافدة والاستلحاق، وكلها قريب لد استعمال بعضها في مكان بعض"^(٣)، ويورد ابن رشيق تعريف كل تلك المصطلحات فيقول: "الاصطراف أن يعجب للشاعر ببيت من الشعر فيصره إلى نفسه، فإن صرّه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق، وإن ادعاه جملة فهو لتتحل. ولا يقل (متحل) إلا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مدح غير متحل، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه عتبة فتلك الإغارة والغصب، فإن أخذ حبة فتلك المرافدة ويقال الاسترلاف فإن كانت السرقة فيمن دون البيت فتلك هو الامتداح ويسمى أيضاً السخ، فإن تسلوى المخيلان دون اللفظ وخفي الأخذ فتلك للنظر والملاحظة، وكذلك إن تصاد: ودل أحدهما على الآخر، ومنهم من جعل هذا هو الإلمام، فإن حول المعنى من نسب إلى مدح لذلك الاختلاس ويسمى أيضاً نقل المعنى. فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة، فإن جعل كل مكان لنظرة ضدها فتلك هو العكس. فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكذا في عصر ولحد فتلك الموارد، وإن لف البيت من لبيت قد ركب بعضها من بعض فتلك هو الانقلاط والتعليق وبعضهم يسميه الاجتلاب والتراكيب، ومن هذا الباب كشف المعنى والمحدود من الشعر، وسوء الاتباع وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه"^(٤).

هذه الأمور - وغيرها الكثير - مما حددتها النقاد، قد أشار إليها الشراح ونبهوا عليها في شروحيهم، وأحذوا على شعراء الحماسة الإتيان بها، وتضمينها أشعارهم، وحكموا عليهم بالأخذ أو مرانفته من المصطلحات الأخرى - التي سبق ذكرها - التي تنال على درجته، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

أ- أخذ اللفظ^(٥):

وهو "من أتبع المرقفت وأظهرها شناعة على السارق"^(٦)، لأن فيها يظهر لصوره، وعجزه عن الإبداع والابتكار والتجديد.

وقد عبر شراح الحماسة عن هذا الأخذ بمصطلحات عدة أهمها (الإلمام)، كما وقع في قول خلف بن

خليفة:

ويالذيبي أشجائي وخم من شج لـ تؤذن الفصلى بالتليع شجون
زنى خوئها لمثلها إن أتوها فزيتك أشجنا وفن منفون
كذا الهجز لم يضح لك لمزنا ولم يأتنا عشا لنوتك يقين

(١) د. محمد منور: لغة المنهج عند العرب، ص ٣٦٩.

(٢) ابن رشيق: الصفحة (٢ / ٢٦٥ وما بعدها).

(٣) نفسه: (٢ / ٢٦٥ وما بعدها).

(٤) السيد حماد: لقضايا البلاغة والنقدية في شروح أئمة على شعر أبي العلاء، ص ٤٢٦.

(٥) مناجاة الدين بن الأثير: فضل السارق في كتب التكميل والشعر، منه ومثله وخلق طبعه، د. أحمد المولي، وديوي طبعة دار نهضة مصر، القاهرة، ط ١٩٧٣ م، ص ٤٦٦.

وعبر عنه الموزني بالقول: "الأشجان: جمع الشجن، وهو الحزن، وفي أنس الحد، والشجون جمعه الكثير. وقوله ربي حولها أمثالها موضعه رفع على أنه بدل من قوله شجون. ويعنى بها القبور المسنمة. وحولها أمثالها صفة للربي. وما أشار إليه من الممثلة يعني في الصورة والغناء جميعاً. وقد ألم في هذا بقول الآخر: (الطويل)
فقلبت له إن الشجاة ببعض الشجاة قد عني فهذا غلظه في غير ما لب

ولما يريد أن قبور أحبته بالدير وقبور أحبة من يئس بهم من المفجوعين ببيع الفرقد، لأن أولئك ملأوا حنق لفهم وفي أماكنهم، فدفنوا في مقابرهم، وأصحاب الشاعر قتلوا وتغربوا فدفنوا ثم، والكلام ترجع وتلهن. وقوله دوين المصلى تحدياً للمقبرة، وتقريب لها من المصلى، لذلك قال دوين فصغر دون" (١).

فقد أخذ الشاعر أكثر لفظ البيت الأول، وهو قوله (أشجاني، وشجن، وشجون) من قول شاعر آخر: (الشجا يبعث الشجا)، كما أنه يريد بـ (البقيع) القبور، كما عبر عنها الشاعر الآخر بقوله: (قبر ملك)، وهو ما نص عليه تعليق الشراح صراحة بـ (الإلمام).

ويحذر الشاعر في أخذ الألفاظ المتعارف عليها بين الشعراء، فهذا عند القاضي الجرجاني من "المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرق فيه" (٢)، وعند ابن رشيق - كذلك - لا يُعد من السرق، يقول: "ومما يُعد سرقاً وليس بسرقة اشتراك اللفظ المتعارف عليه، كقول عنترة:
وخيل قد دلت لها بخيل عليه الأمنذ تهتمبض أهيماراً (الوافر)

وقول عمرو بن معد يكرب:
وخيل قد دلت لها بخيل تحوئة يتيهم ضمرير وجيغ (الوافر)

وقول الخنساء ترضي أخاها صخرًا:
وخيل قد دلت لها بخيل فدارت بين فبشيتها زخاها (الوافر)

ومثله:
وخيل قد دلت لها بخيل ترضي فزمتها مثلن الأسود (الوافر)

وأمثال هذا كثير" (٣).

فقد يتفق اللفظ ولكن اختلاف المعنى يبعد عن الشاعر مغبة السرق، ولعل هنا هو ما دفع الشراح إلى استخدام مصطلحات هائلة للتعبير عن هذا الأمر، وذلك على الرغم من أن تشابه اللفظي والمعنوي الواضح بين

(١) للموزني: شرح ديوان الصليبي: حلبية (٢٦٦)، (١ / ٨٨٩ ، ٨٩٠).

(٢) القاضي الجرجاني: الوصلة بين المتن وخبره، ص ١٨٣.

(٣) ابن رشيق: الصلة، ٢٦٦/٢.

أبليت شعراء الحماسة وممن تأثروا بهم من الشعراء الآخرين، كما جاء - على سبيل المثال - في تطبيق المرزوقي على قول عنترة بن شداد العمري:

تَرْفُثُ بِتَيْسِي الْهَجْجِ بِمِ لَهْجَمِ نَوَازٍ إِذَا تَشْتَضِي جَفَا عَيْنَهُمْ تَفْوَذُ

(الوافر) البيت يروى على وجهين: أحدهما:

تَرْفُثُ بِتَيْسِي الْهَجْجِ بِمِ لَهْجَمِ نَوَازٍ إِذَا تَشْتَضِي جَفَا عَيْنَهُمْ يَفْوَذُ

ويكون الضمير في قوله له للفرس، وبمضي فعل له، وجماعتهم ينتصب على المفعول، لأن بمضي هذا يتعدى، ومعاد يجوزهم. ويكون المعنى: تركت هؤلاء القوم لفرس مطلقاً بمنزلة الدوار وهم ضمٌ كانوا يحجونه بطرف حول ذلك الضم، إذا نفذهم وخرق صفوفهم ودار عليهم عاد إلى مثل فعله الأول، وإلى مكفه الأول. ويشبه هذا البيت بيت الأعشى في المعنى واللفظ وهو:

تَطْلُفُوفُ عَلْمِهِمْ وَتَفْطُفُفُهُمْ كَمَا طَافَ بِالرُّجْفَةِ الْفَرْجُفُ (١)

ويمكننا هنا أن نلاحظ التوافق الكبير بين اللفظ البيتين ومعنيهما، مما يؤكد التفسير الواضح، كما يدل على تفسير الشاعر "مهما حاول تغطية ذلك بتبديل بعض اللفظ البنية اللغوية أو بتلخيصها أو تقصيرها" (٢).

ب: التقصير في أخذ المعنى (٣):

وهو من السرقات المنمومة التي أشار إليها النقاد (٤)، وتقتل من شأن الأخذ، وتضعف من قيمة شعره الفنية.

وقد تنبه الشراح إلى تقصير شعراء الحماسة في تناول المعاني المأخوذة من غيرهم من الشعراء، واستقبلوا فعلهم وعابوا عليهم ذلك إما تصريحاً أو تلميحاً.

وقد رفع منهم هذا التقصير في أشكال وضروب مختلفة، منها (٥):

١ - عدم التماهي مع المعنى المأخوذ وعدم الزيادة عليه: كتول القند الزماني: (الهجج) كَجَزِيْبِ الْوَدَّيْنِ الْوَزِيْبِ إِذَا يَغِيْبُ يَغِيْبُ إِذْ إِذْ

" وقوله "كجيب الدفن" شبه اتساع الطعنة وسرعة خروج الدم منها بقساع جيب المرأة الحمقاء، ونزوها في روعها، واضطرابها في متخرق قميصها ... وقد سلك آخر هذا الممالك نقل في معنى هذا ولغظه: (القند للزماني)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جلد ١ (١٤٦)، (١ / ١٢٥).

(٢) المصطفى طين: تيارات النقد الأدبي في الأندلس: ٤٤١.

(٣) السيد حمدان: تشبهاً البلاغية والقضية في شروح تشبهاً على شعر أبي العلاء، ص ٤٣١.

(٤) ابن رشي: الصمد (٢ / ٢٦٥ وما بعدها)، وقنار: المرزوقي: الموشح، ٣٦٠، ٣٦١.

(٥) السيد حمدان: تشبهاً البلاغية والقضية في شروح تشبهاً على شعر أبي العلاء، ص ٤٣١: ٤٣٥، حيث استمداً ببعض الظاهر فقط، خلا الشواهد والتطبيقات عليها.

نفسبي فـإذا لبـنفسـي مـازنـ من شـئـبـ فـسـي الخـزبـ أنـطـالـ

"يقول: أفدي من كل سوء بنفسي بني مازن، من فرسان ينفرون من الحميم، وشمسون إذا التقوا مع الأعداء في الحرب، شمساً لا يحصهم على طمع متج، ولا يؤدهم إلى يأس مريح، بل يتردون في الجذاب، فلا يزالون معهم على مراس إتعال لا ينقطع، ولزام شر لا يقلع، وهكذا يكون شمس الخيل في الإباء والانقياد. وقال لقيط في المعنى وأوضحه: (البيط)
جـرئت لـبنا نـبـنـا خـيل الشـمـوس لـلا يأسنا مـبـنـا نـزى مـنـها ولا طـنـفـا " (١).

وقول آخر: (الطويل)
وَكُنْتُ إِذَا أُرْسِلْتُ طَرْفَكَ رَجُودًا لَبْتُكَ وَوَدَّكَ لَبْتُكَ الْغَنَاطِرُ
رَأَيْتُ الَّذِي لَا قُلَّةَ أَتَتْ قَابِزٌ عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَتَتْ مَنَابِرُ

"يقول: إنك إذا جملت حينك رائدًا لقلبك تطلب له مصب هواء، ومقل لهواء وصباه، أتعبتك متظرها في مطابك، وأرقعتك مواردك في أشق مكارهك، وذلك أنها تهجم بالقلب في ارتياده لها على مالا يصبر في بعضه على فراقه مع مبهجات اشتباكه، ولا يقتر على السلو عن جميعه مع تذكر غرائب الحسن منه، فهو الدهر ممتحن ببلوى مالا يقدر على كله، ولا يصبر عن بعضه. والحنفية فيهما للعن، لكونها قلداً للنزاد إلى الردى وساقفاً، وهدينا لدواعي الحب إليه وحدينا... وأبين من هذا قول الآخر: (الطويل)
ألا إثمنا العوتان للقلب زائداً فما ثألف العوتان فالقلب يئالف " (٢).

فأحمل ما فصله شاعر العمالة، في الإتيان بمعنى البيتين في بيت واحد، إلى حقب ما زاد عليه في بقعة المعنى وإيضاحه.

ومنه أيضاً ما جاء في قول الحسين بن مطير: (الطويل)
وَمِنْ يَتَسَاءَلُ الْغُيْبَ أَنْ كَمَانَ أَهْلُهَا أَخْبَتْ إِلَى قَلْبِي وَعَيْشِي مِنْ أَهْلِي

"يقول: ومن أهات حسي البينة، وشواهد الصلقة، على تكاملها، وتناهيها في استحکامها، لي أثر أهلها على أهلي، وإن رتبهم في العين وأتلب أعلى من رنة عشريني عدي. وقد خلاص هذا المعنى عترة حيث قال: (الكامل)
غَلَّقْتُهَا غَرْضًا وَأَقْبَلْتُ قَوْمَهَا زَعَمْنَا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بِمَرْغَمِ

لأن في قضية الهرى والعقل أن حبها مع عداوة أهلها ليس بمشوق ولا متسبب، بل ينلقي كل واحد صلبيه وأن الواجب أنها إذا كرمت عليه فكل متسبب إليها بسبب، ومتسبب بنسب، يجب أن يكون مؤثراً عنده مبعلاً في حكمه، وأبين من ذلك كله قول الآخر: (الطويل)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلة: معلقة (٢٣٢)، (١ / ٦٨٥).
(٢) نسه: معلقة (٤٦٥)، (٢ / ١٢٣٨)، (١٢٣٩).

وَأُكْسِمَ لَوْ أَنِّي نَسَمْتُهَا لَهَا ذَلَالٌ فَلَا خَيْثَ إِلَيَّ يُنَابِهَانِ^(١).

٤ - فما يدل على تقصير شعراء الحملة إشارة الشراح إلى إحسان غيرهم من الشعراء في تناول

المعاني ذاتها، دون أن ينبهوا على سبب تقصيرهم أو إحسان غيرهم.

من ذلك مثلاً، ما عتب به التبريزي على بيت يزيد بن الحكم الكلبي:

نَفَقَ صَاحُكُم بِـالْفُؤْلِ حَتَّى بَطِرْتُمْ وَبِالرَّاحِ حَتَّى مَانَ دَلْعُ الْأَصَابِعِ (الطويل)

"يقول وعظمتكم أولاً باللسان حتى أبطركم ذلك وصرنا إلى الدلع بالراح وفي محاورات قريش أن بعضهم

قال لأخر منهم مستضعفاً لما لورده عليه هذا دفع بالراح فقال مجيباً كلا أن معنا الأصابع والراح جمع راحة والدلع

بالراح لا يضر المدفوع كبير ضرر وفي الدلع بالأصابع بعض الأدي يقول دفعلكم بالفول فطرتهم فصرنا إلى ما هو اعظ منه

نلم نرتدعوا به لصرنا إلى ما فيه التنكية وقد أحسن إبراهيم بن العلس في جمعه هذه المعاني في قوله:

ثَغَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُكْمَنْ أُغْضِبَتْ بِفَعْدِهَا وَجَيْدٌ فَإِنْ لَمْ يُجَدَّ أُجِنَتْ غَزْبَتُهُ^(٢).

وبيت آخر في العمد:

إِنْ يَخْسَنُونِي فَأَبِي غَيْرَ لَابِيهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ خَسِنُوا (البيط)

"الضمير في يحدوني لطيفة من الناس خصين بالإخبار عنهم وقصدهم بالكلام يقول إن قالسوني

وحدوني لمحي لا لومهم ولا أعتب عليهم إذ كان التناقص والحمد يتبعان الفضل وإذا كان من قبلنا اعتاد بعضهم من

بعض مثل ذلك وقد أحسن كل الإحسان من قال:

وَإِذَا مَنَعَتْكَ الطَّرَافُ خَوْلاً قَبَائِبِهِ لَمْ تَلْقَ إِلَّا بَغْضَةً وَخَسَنُوداً^(٣).

وقول أبو وهب العبيسي يرثي ابنه:

نَحْنُ أَهْلُ الْخَدِّ نَزَرْنَا وَخَارِبُ وَالْأَرْضُ لِلْأَقْوَامِ قَبْلَكَ غَوِي (الطويل)
فَأَيُّ فُتْمِي وَازْوَدْتُ أَفْئَتُكُمْ أَكْفَهُمْ تَخْتَبِي مَغَا وَتُهَيِّنُ

"يقول: ولله للحد قبره هذان الرجلان، والمعدة مستمرة في فناء الأمم السالفة قبلنا؛ لأن الأرض لا تخلو مما

يغفل الأحياء ويهلكهم.. وفي الطريقة التي سلكها من اقتصاص الحلف في الدفن والحشر، قد أحسن من قال: (الطويل)

أَلَمْ تَرَى أَبَيْسَى عَلَى اللَّيْثِ يَتَنَفَّ وَأَخْبَسَى عَلَيْهِ الثُّرَيَّةَ لَا تَتَفَشَّغُ
عَلَى أُنْأَى لَيْسَى الْخَيْبَرَةَ تَابِلَا غَيْرَ أَنَّ يَتَوَدَّ لِلْقَبَائِمِ وَيَضْرَعُ
تُكَلِّلُ نَقَارَ الرُّوحِ لِيَهْ، لَقَرِيْبِهِ بِفَهْدِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ مَوْتٌ مُتَشَفَّغُ

(١) المازولي: شرح ديوان الصلي: ص ١٢٣ (١٢٥٣/٢).

(٢) التبريزي: شرح ديوان الصلي: (١٢٤/١).

(٣) نفسه: (١٢٢/١).

ألا تراء كيف صور التوبيخ منه والإعظام له في تلك الحالة" (١).

وربما نلاحظ هنا شكلاً من الموازنات النقدية، التي حفلت بالكثير منها شروح الحماسة، والتي سوف نتفصيل القول فيها عما قريب.

ج - أخذ المعنى الشاعر الخاص:

وهو من أشد أنواع الرققت ظهوراً، ويقصد بالمعنى الشاعر الخاص ذلك المعنى الفريد المستقل الذي ينفرد به الشاعر، ويرتبط به، وينسب إليه أنه ابتدعه، وأخترعه، وسبق إليه، فقد كان "المحقق إلى المعنى أحد مقاييس "الأمية"، ولهذا كل الارتباط قلنا بين المعنى وملاحظات الرققة أو ملاحظة التقييم بوجه عام" (٢)، فالرققة "تقع في المعنى المتبدد بوجه من "التصرف" لتتطلى . وفيه فتنة تتمثل في التمييز بين الغرض "على العموم"، من حيث هو المعنى العلم، والدلالة، ويبدو أنها مستوى أخص من المعنى العام، أو هي المعنى الثاني من الأول. وإذا كان الناس يشتركون في المعرفة، فإن المبدع له "طلع" "خاص"، أو معرفة "خاصة" "عربية" ليست "عامة، أو مستقلة". محضور مفهوم الإبداع في مقابل الرققة واضح في هذا التصور. ومن الطريف أن تحولات كلمة الرققة بين الإحباب والمك، الإعجاب والتعجب، والإداسة، واضحة هنا. فالرققة التي هي أخذ الدلالة العلمية المشتركة مع إحضارها "للتصرف" محل إعجاب وتحييد، والرققة التي هي أخذ بلا "تصرف" أمر معيب" (٣).

إن ذلك المعنى الخاصة إذا أخذها الشاعر بلا تصرف، أو قصر في تناولها، بحكم عليه بالسرقة، اللهم إلا إذا أحس تناول المعنى بإحدى الصور التي سبق التعرض لها، يصحح - حينها - الأخذ مباحاً.

وذلك من هذه المعاني النادرة الخاصة ما انتفع بها شعراء الحماسة، وضمنوها أشعارهم، مما لمسه شراح الحماسة، ودعاهم إلى الإشارة إليه في أكثر من موضع.

ولكننا وجدنا شارباً كلانمري يحصر تناول شاعر الحماسة هذا النوع من المعاني في أضيق الحدود بعد أن "وضع لنفسه مقاييساً حكم من خلاله على مدى انتفاع الشاعر بمعاني غيره، وحدد به درجة هذا الانتفاع" (٤).

اشترط النمري - كي نحكم على المعنى بأنه مأخوذ ومسروق - اتفاق معنى الشاعرين ثنائياً، وكذلك اتفاهما في الغرض، هذا المقياس هو ما تم استنباطه من تحليلاته لأبيات الحماسة كما سنرى.

(١) المروزي: شرح جوان الصلوة: حماسة (٣٧٩)، (١٠٦٩/٢، ١٠٦٨/٢).

(٢) توفيق تزيدي: مفهوم الأدبية في التراث للشدي إلى نهاية القرن الرابع، عزم ومناقشة: لعمد طاهر حسين، فصول، قرطاج، ٢٠٢٢، ص ٢٢٢.

(٣) مدني لعمد توفيق: مفهوم الإبداع الثاني في الشد العربي القديم، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) د/السيد حماد: اتصال البلاغة والنقدية في شروح التمام على شعر في العلماء، ص ١٢٧.

أما بالنسبة لتأكيد على ضرورة الاتفاق الكلي في المعنى، فيُضاح من خلال رده على اليمرسي، الذي أورد تفسيراً لمعنى "صنرت لهم وطلي" من قول تليط شراً:

(الطويل)

أَقْسَوْنَ لِلْغَنَانِ وَقَدْ صُنِرَتْ لَهُمْ وَطْلِي وَتَوْبِي ضَلِيلُ الْخَيْرِ مَلُوز

يقول النمرى في سياق رده: "لعل امرؤ القيم:

(الوافر)

وَأَنْتَ تَنْتَهِي جَنْبَاقَ خَبِيضَا وَلَوْ أَنْزَلْتَهُ ضِلَالاً لَمْ يَطْلُبْ

إلا أن قوله ها هنا: "صنرت لهم وطلي"، أي لم يكن لهم عندي خير. وفي كتاب اليمرسي: "أي خلت نفسي من دهم"، وهذا خطأ للحن، ومتى ود تليط شراً لحن، وهو أبداً بخير عليها وينال منها ؟ وفيه أيضاً: "وتكون هذه الكلمة بمعنى الفقر"، وفيه "أي ضمن عليهم بالصل الذي كان شاره، فصبه فصمرت وطليه". وفي نسخة أخرى: "أي اشتفت على الفقر، لأنهم لو أسروه لحربوه ماله". ويقال بل أراد الزقاق التي كان ملاها عملاً، ثم صبه على الجبل واتحدر عليه. والصحيح التفسير الأول وما قرب منه^(١).

فتقرر والتشفه واضحا بين بيت تليط شراً وبيت امرؤ القيم في كثير من اللفظ - بنصه أو ببعض التصرف - وفي حلق من المعنى، ومع ذلك لم يحكم النمرى على تليط شراً بالأخذ أو السرقة، لأن الاتفاق بين الشاعرين لم يكن كلياً.

ولعل المرورقي أيضاً تنبّه إلى هذا التناقض الجزئي لا الكلي عندما عبّر عنه بقوله: "ويكون هذا من قوله..."^(٢)، فقال: (من قوله)، ولم يقل: (كقول)، أو (مثل قول)، أو غير ذلك من التعبيرات التي تدل على التقرّ التام.

أما ما اشترطه النمرى من ضرورة الاتفاق بين الشاعرين في المفروض كي يكون التناقض تلقاً، فقد الملح إليه في غير موضع، مثل تعليقه على قول عقيل بن علفه (ت ١٠٠ هـ) في الرثاء:

(الطويل)

فَتَمْسِي نَافَاً مَنَافَاً وَخَلُّهُ بِخُفْرٍ لَحْمٌ لُذٌّ وَآبِي بَقْدُ ذِي بَيْمٍ

سأقول: "يقول: كان بنو عمه في حوزة ينزلون الروابي تعرضاً للقرى، فلما مات افتقروا، فزاولوا الممهل حيث تخفى شعصوم، ولا يحل الرأفة إلا عي كريم، ولا يحل الممهل إلا خير أو لنعم. وقال رجل يرمي ابنه: (مجزوء الكامل)

وَأَخْلَسَ عَلَى النَّخْلَاتِ بِالْقَا لِحَيْنٍ وَاجْتَنَبَ الْفَسِيلَ"^(٣).

(١) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (١١)، ص ٢٠، ٢١.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١)، (١٠ / ٧٨).
(٣) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٢٤٦)، ص ١٣٧، والبيت لذي الإصبع الحمواني (ت ٦٥ ق.هـ).

فتبنيه التمري على غرض الرجل بالقول: "وقال رجل يوصي ابنه..."، نلمح من خلاله فصله بين القولين (قول شاعر الحماسة وقول الرجل) لاختلاف الغرض بينهما، وإن لم ينص صراحة على هذا الاختلاف ليعرف بين عرص شاعر الحماسة في بيته وغرض الرجل الآخر. وهو ما يُلحَح إلى أن التفرز جزئي لاختلاف غرض الشاعرين.

وقد يسأل سائل: وما ملول وجود هذا التفرز من قول الشارح؟

أقول: إن مجرد تبني الشارح على تحديد غرض الشاعر بدل على وجود ثمة تفرز وتشابه بين البيتين، فإذا ما استعينا الغرض الذي نص الشارح على اختلافه بينهما لم يبق لنا إلا اللفظ والمعنى، وهو ما نجد لهما وجودا ظاهرا، وحظا والفرق بين البيتين. وإذا لم يعتد الشارح في وجود هذا التفرز والتشابه بين البيتين، لحلا تعليقه من الإشارة إلى اختلاف الغرض؛ فلا حاجة للإشارة إليه لافتقاد الصلة والرابط بينهما.

والمرزوقي هو الآخر التفت إلى ضرورة اتفاق الشاعرين في الغرض كي يحكم على أحدهما بالتأثر بالآخر. من ذلك على سبيل المثال تعليقه على بيت عمرو من معد بكراب: (الطويل)

فَجَاشَتْ إِلَيْنِ الْكُفْلُ أُولَى مَرَّةٍ وَوَدَّتْ عَلَيْنِ مَكْرُوهَهَا فَأَمْسَتْ تَفَرَّتْ

بقوله: "نحالت إلى النفس أول مرة. اعترض بعضهم قائل: لولا أنه حين لما حلت إلى النفس. قل: ومثله في الرداء قول عنترة

إِذْ يَنْقُصُونَ بِسِي الْأَيْثَةِ لَمْ أَجِمْ غَضُّهَا وَلَقِيْنِي شَضَائِقُ مَقْذَمِي

هلا قل كما قل العباس بن مرداس: (الوالر)

أَشْدُّ عَلَيَّ الْكَتِيْبَةُ لَا أَهْلِي أَخْذَلِي فَمَنْ فِيْهَا لَمْ يَسْوَهَا

قال الشيخ: وليس الأمر كما توهم، لأن ما ذكره عمرو وعنترة بيان حال السمس. ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهما ضد الرحلة الأولى، ثم يختلفان: فالجبان يركب مقرته، والشجاع يدفعها فيثبت. فلما قول العباس ابن مرداس فليس مما ذكرهما بسبيل، وإنما هو بيان الحالة الثقبة وما يعزم عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتمسك. فاعلمه إن شاء الله " (١).

وكما يبدو لنا فإن ما ذهب إليه كل من التمري والمرزوقي -تلمحا أو نصريحا- من أن اختلاف الغرض بين الشاعرين يعني السرققة، وإن كان جنس المعنيين واحدا قد صار فيه على مذهب الأمدي - كما أظن - عندما نبه على هذا الأمر في معرض نفيه الأخذ عن البحتر في قوله: (الحقيف)

مَا لِيْشِيْ بِشَاثَةِ بَعْدَ شِيْءٍ فَتَفَرَّقِيْ فَوَاشِيْكَ بِفَقْدِ بَسِيْنِ

من قول أبي تمام:

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: سلسلة (٢٩)، (١ / ١٥٨).

وإِيسَمْتُ فَرَحَهُ الْأَفْرَاسِيَّاتِ إِلَّا بِمَوْفُوفٍ عَلَى تَرْجِ السُّودَاعِ

لأنَّ تعرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيوتين مخالفت لغرض صلحيه، لأنَّ لها تعلم ذكر أنه لا يفرح بالفتح إلا من شجاء واحزنه التوديع وأراد البحرني أنه ليس شيء من المسرة والجنل إذا جاء في أثر شيء ما كالتداعي بعد التفرق. فليس - وإن كان جنس المعنيين واجداً وجب أن يقال أحدهما أخذ من الآخر^(١).

وكتلك الحال للنمري في فكرته عن ضرورة الاتفاق الكلي بين الشاعرين في المعنى حتى يكون هناك أخذ وسرق، نراه قد نُقِرَ بما سبق أن طرحه وقرره الأمدى - أيضاً - من أنه لا يبررة فيما اختلف فيهما المعنى، ولم يكن هناك اتفاق أو تناسب.

ومن هنا فإن البحرني لم يسرق قوله:
سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَيْفَهُكَ نُونُ السَّرِّ وَتَغْلِي السَّمْتَنَا

(الطويل)
من قول أبي تلم: واقسم الخَطَّ بَيْتَنَا إِنْ لَمْ يَلِ السَّخَرُ سَطْرَ لَعْنَانٍ مَا يَجِبُنُ الضَّمِيرُ (الخفيف)

لأنَّ لها تعلم "سَلَمٌ" من يخلطه أن يُقْبَلَ عليه ويحط قبضاً من النظر له؛ لأنَّ إدانة النظر تَلَّ على المؤدَّة، كما أن الإعراض يَلَّ على البُخْضَةِ والبحرني إنما سَلَّمَ على البيت الغنوي، وذكر أن السَّلَامَ تَحِيَّةً وإنَّ وجهه إجماليه وطلاقة زعمه لم يَلَمْ قبل رَدِّه السَّلَامَ والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الشرقة والغربة ما ينسب أحدهما إلى أنه مَدَنُوٌّ على الآخر أو مسروق منه^(٢).

نستنتج من كل ما سبق أن النمري والمرزوقي - وهما من أكثر الشراح غلبة واهتماماً بإيراد حقب التقر والتأخير في أشعار الحماسة عند قِيْدَا تَقَرَّ شعراء الحماسة بغير موافق هذين الشرطين - اتفد توافق المعنى الكلي وتتلظر الفرض - وحصر ذلك في أضيق الحدود، كما سبق وفيما سيق.

ومن هنا وجدنا المرزوقي يشير إلى سلوك شعراء الحماسة في المعنى مملوك بغيرهم من الشعراء دون أن يحكم بالشرق، أو الأخذ، كما يتضح في معنى قول بعض شعراء بلعبر:
لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مَازِنٍ لَمْ تَمْتِخْ بِبَلِي بَلَسُوا اللَّيْقَةَ بِمَنْ دُفِلَ بَيْنَ مَنِيَّتَانَا

"مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، هم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم، وإذا كان كذلك فمدح هنا الشاعر لهم بجري مجرى الاقترار بهم، وفي بني مازن عصية شديدة لد عرفوا بها وحمقوا من أجلها ... وكصد الشاعر في

(١) الأمدى: الموزنة بين أبي تلم والسحري، ص ١٤٣.

(٢) نفسه: ٣٣٨/١، وقطر: دبعده الرحمن ضامن: مخاضة شند ولصاحبه، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م، ص ١٢٣، ونشر: حسد حدان: لتضاهي الملاعبة والنقدية في شروح لتمام على شعر أبي تلم، ص ٤٤٠.

هذه الأبيات عندي إلى بحث قومه على الانتقام له من أعدائه ومهتضميه، وتهيبهم وخزهم، لا نهمهم. وكيف وويل
الشم راحع إليه؟! لكنه في هذا المعنى سالك لطريقة كيشة أخت عمرو بن معد يكرب في قولها: (الطويل)
أَرْسَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ إِذْ خَسَانُ يَوْمُهُ إِلَى قَوْمِهِ لَا تَفْقَهُوا لَهْمُ نَبِيٍّ

الآن ترى أنها قالت في جملة هذه الأبيات:
وَذَعَّ عَنْكَ عَمْرًا فِي غَيْرِ مُتَالِمٍ وَهَلْ بَطْنٌ غَيْرُ غَيْرٍ شَبِيرٍ بِمُطْفَعٍ (الطويل)

فلا يحوز أن يتوهم أنها كتبت تهجو أخاها عمراً أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثار أخيه، وعمر
هو الذي كان يعد بلطف فارس، ولكن مرادها بعته وتهيبه ... وإذا كتبت أبياتها بقتل من أصحاب المعلى لا تكون
هجواً فذلك أبيت هذا العنبري. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها ويؤيدها أن في جملة أبياته التي وصف فيها
قومه. (البيوط)

يُخْبِرُونُ نِيَرَاتِهِمْ حَتَّى إِذَا خَفِضَتْ شَبُوبًا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيَرَاتِنَا

وهذا المعنى هو مثل ما افتخر به غيره في صفت نعمة فقال:
أَقْبَرُ بَيْنَ الشُّرَرِ قَسِي بِخُورِهِ فَكَيْفَ اللُّرَرُ إِذَا مَا اقْتَرَبَ (المقارب)

بل الذي ذكره العنبري أزيد، لأنه وصفهم بالاحتمال والصبر ما أمكن، فإذا احتلجوا زانوا على كل حاج.
الآن ترى أنه قال:

شَبُوبًا لِمَوْقِدِ نَارِ الْحَرْبِ نِيَرَاتِنَا

ومعنى البيت لو كنت مازنياً لم تفر منو اللبطة على إيلي" (١).

وقول الشراح في ذلك كله: (سالك، هو مثل) " لا يعنى أن فيه سرقة؛ لأن التوافق حزني في جيب من
المعنى، والتصير عنه مختلف " (٢).

كما فرق المرزوقي والتدريزي بوجاهة خالص - وبقيّة الشراح بوجاهة عام - بين أنواع متعددة من أخذ
المعاني، الذي جاء بنسب مختلفة، وكتبت لهم تعليقاتهم وعباراتهم الخاصة المحيرة عن ذلك.

فقد يكون التلذذ أو الإلمام جزئياً مقتصرًا على شطر بيت؛ فمعنى المصراع الأول في بيت عبد الملك بن
عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للمموّل بن عابد اليهودي:
(الطويل)
بَلَسَرِيَّ حُسْبُ الْعَسَوِيَّ أَجَانُنَا لَنَا وَتَغَرَّفْنَا أَجْسَالَهُمْ فَتَطْلُوْنَ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلة: جملة (١)، (٢٣/١، ٢٤، ٢٥).
(٢) د. مصطفى عليان: تورات نقد الأدبي في الإسلام: ٢٧١.

" قوله: يقرب حب الموت أي حبنا للموت. وجعل في مقابلته: وتكرهه أجالهم لأنه يشتمل على ما يوفيهما حقها من اللفظ. وإن كنت من حيث المعنى قد حصلت: ويبعد بغضهم إياه أجالهم. ويكون الشاعر ملماً في المصراع الأول بقول الآخر:

(الطويل)

رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْخَزْ لَيْسَ لَهُ غَفْرُ

لأنه يشير إلى أنهم يعذبون لاقتحامهم الدنيا، وحرصهم على ملازمة الحروب، وأن أولئك يعمررون لمجانبتهم الشرور، وزهدهم في مجانبة العدو" (١).

وقد عر الشراح - كذلك - عن هذا التقارب والتوافق الحزني بين المعنيين بالمشكلة. والتقرب وغيرهما، فقد يكون معنى قول شاعر الحملة قريباً من معنى قول شاعر آخر؛ كما يتضح في قول سعد بن ناتب بن مازن بن عمرو بن تميم:

(الطويل)

وَإِذَا قُلْتُ عَنْ ذَا بِي وَأَجْفَلْتُ قَسَمْتُهَا بِعِزِّي مِمَّنْ بَاقِيَ الْمَثَلِ خَاجِبًا

الذهول: ترك الشيء متبلياً له ومتسلياً عنه، ومنه اشتقاق ذهل. يقول: إذا ضلقت المنزل بي حتى يصير دار الحيوان استقلت عنه، ولجلت خرابيه وقاية للنفس من العار الباقي، والذم اللاحق. وهذا قريب من قوله (محزوه الكامل)

وَإِذَا ثَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَخُولُ (٢).

وكذلك قول دريد يرثي أخاه:

(الطويل)

تَتَانِذَا قَدْ سَالُوا : أَرَأَيْتَ الْخَزْنَ فَارِسًا فَتَلَسَّثَ : أَعْيَضَ اللَّهُ ثَبَا مِمَّنْ السَّرْدِ

" هذا قريب من قول طرفة:

(الطويل)

إِذَا الْكَلْبُ قَالُوا : مَنْ قَتَلِي ؟ خَلَسْتُ قَتَلِي غَيِثٌ ، وَلَمْ أَقْمَنْ وَلَمْ أَتَلِدِ (٣).

وأعتقد أن هذه من المعاني المتداولة المبلغة للجميع؛ فلا يلام الشاعر على تناولها، وتسميتها أشعاره، فقد يكون بعض

هذه المعاني قريباً من معاني الآخرين، كما في المثال السابق، أو قد يكون شيئاً بها، فمعنى بيت آخر:

(الوافر)

أَجَسِبَ الْأَرْضَ تَمَنَّنْتُهَا مُلَيْنِي وَإِنْ خَلَسْتُ ثَوَابِيهَا الْجُذُوبُ
وَعَسَا ذَهْرِي بِخَسْبٍ ثَوَابِ أَرْضِي وَلَكِنْ مَنْ نَخِلُ بِهَا خَيْبِ

يذكر حنينه إلى محل ملبى ومكثها، وميله وإن كان قفراً متردداً في الجذوبة متناهياً أقطاره في اليوسفة، وأن ذلك زعجه لكونها به، فلما حب الأرضين مجردة فليس من دابة وعقلته. وقوله وما دهري بحب تراب أرض،

(١) نمرزولي. شرح ديوان الحماسة (١٥)، (١١٦٠، ١١٥/١).

(٢) لنفسه: حماسة (١٠)، (١٨/١).

(٣) الثمري: معاني أبيات الحماسة: حماسة رقم (٢٧٤)، ص ١٢٠.

جعل الحب للدهر على طريقتهم في قولهم: نهاره صقم، وليله قلم، والمعنى: ليس حب الأرضين منى بعادة في دهري، وقوله ولكن من بدل بها حبيب يشبه قول الآخر: (الواثر)
ألا يسا ينيث بالعليسا ينيث وثولا خبب أفبك ما أتوت

يريد أن يثبت في الموضع الذي جنت منه قد كثرت، ولكن قصصك لحب أهلك " (١).

وقول هشام أخو ذي الرمة:
تغزيت عن أولسى بغيلان بغدفة غزاة، وجفن الفين ملان مشزع (الطويل)

" هذا شبيه بقول أبي خراش:
حمنث إلهي بغد غزوة إذ جبا خراش ويغض الشتر أقو من يغض " (الطويل)

وأعربوا عن هذه المشاهدة - أيضا بقولهم: (كبيت)، أو (كما قال)، ومن هذا القليل قول بعض بني بولان:
تمتوقن الثوب بالفضيض وثص طاذ نفوسنا يث غلى الفرم (المفروح)

بقول العربي: "وهذا البيت كبيت النبعة:
يخذ المتوقن المضاعف نمنجة يوقد بالمطفاح ثان الخباحب (الطويل)

إلا أن هذا البيت على ترتيب، وذلك على تعميم وتأخير " (٢).

وكما هو الحال في بيت عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال أنه للسومل بن عبد الجودي: (الطويل)
تتجبر إن شينا على الناس فؤلهم ولا يتبزون القبول حين نفلول

هذا مثل قول الآخر:
وما يستطيع الناس غفدا نخذة وثنفطة بيثهم وإن كان ميزنا (الطويل)

يصف ريلتهم وعلو كلامهم ونفاذ حكمهم، ورجوع الناس في المهمات إلى رايهم، والاعتماد على تسييرهم ومشورتهم. فيقول: نغير ما نريد تغييره من قول غيرنا، وأحد لا يجسر على الاعتراض علينا، والإنكار لقولنا، انقياداً لهواننا، واقتداءً بحزمننا. وهذا كما قال الأعشى:
(البسيط)

كل منيرضى بأن ينقى له شيعا " (٣).

(١) النوروني، شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١٨٦، (٢/ ١٢٧٩ - ١٢٨٠).

(٢) العربي، معاني بيت الحماسة، ج ١، ص ١١٦، (٢٦٧).

(٣) عنه حماسة رقم (٣١)، ص ٤٤، ٤٥، (١٠)، (١١/ ١٢٠ - ١٢١).

وربما يكون التناثر خفيًا لأنه لشيء عن طريق الإشارة، كقول آخر من بني نعيم:
أَيْتَيْسِي آلَ شَمْسَةَ بْنِ خَلْدَةَ
فَمَا يُزْعِجِي بِشَدَائِدِ الْفَصِيلِ (الوافر)

"مخرج هذا الكلام مخرج الكلام المتقدم، في أنه إنكار وتقريع، وفيه إشارة إلى ما يتضمنه قول الآخر من التذييل، وهو:

فَمَسَلَا وَأَفْهَمَسَا لَيْتَيْسِي بَنِيَّ
وَلَا نَحْمِي غَنَمِي وَلَا مَبْلَاحِي (الوافر)

أي ما لهم يدفون علينا وحالهم في أنفسهم ما هو نهاية البخل والشوم، والفقة واللوم، حتى لا يحمل فصلًا لهم على إرضاء مان يفصل بينه وبين أمه بنحو أو هبة، فمسلًا عليه، أي إبهم لا يسوغ لهم البني مع هذه الحال. ويعوز أن يكون قوله "وما يرغى لشداد فصل" يراد به ما لهم فصيلة فيرغى" (١).

كما نبه بعض الشراح إلى أن التناثر قد يلقي عن طريق الإمام - كما سبق أن أشرنا - ، كما في معنى قول رجل من بني كليب:

ثَقَا غَزَبِي شَمْسَتُمْ جَابِتِي أَهْ
فَمَا أَنْ تَمْتُمْ أَفْرُونِي (الوافر)

يقول: وأوا عزي قد نهتم جليبا، ولتهد رجليه، فلما صار أمرى كذلك تركوني وحيداً، وقنعوا عن مشايحي ومتابعي، فدعنتي الحال إلى مفارقتهم، والتحول عنهم. والعرش: سرير الملك، وتمام أمر الرجل وعزه، فإذا زال قيل: ثل عرشه وتلم. وقد ألم في هذا بقول لوس:

وَهُمْ لَمَنْعُوا الْمَالِ أَوَّلَهُ خَلَّةً

ويقوله: (الطويل)

بَنُو أُمِّ بَيْ الْمَالِ الْكَثِيرِ " (٢).

وقول العديل بن الفرخ المجلي:
إِذَا مَا خَلَّتْ خَلَّةُ نَبِيَّ لَنَا
بِزَفَّةِ ثُلُثِي السَّوَادِ مِنْ صَنْدِ
وَإِنْ نَحْنُ نَارَتْ سَاهُمْ بِصَوَارِعِ
رَدَا فَمِي مُرَابِلِ الْحَدِيدِ كَمَا تُزْدِي (الطويل)

أما البيت الأول فقد ألم فيه بمعنى قول الآخر: (زغر بن الحارث)
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبِيَّ بِالنَّبْعِ بَعَضُهُ
بِنَفْسِي أَيْتُ عِيَالَهُ أَنْ تَدْعُمَنَا " (٣).

(١) المروزقي: شرح ديوان الصافي: حماسة (٦١)، (١/١ - ٣٣٩ - ٣٤٠).
(٢) نفسه: حماسة (٩٠)، (١/١ - ٢٩٦).
(٣) نفسه: حماسة (٢٤٩)، (١/١ - ٧٣٣).

"بحسب عفته فيقول: لا لقي سوطي بين يدي اللصبي الذي في عنقه عودٌ وتمتص لصفراء، إلا عيه في الطاهر، وأضرر التودد إلى أمه وأطلب الخلوة بها لامتثالته" (١).

ومن ذلك أيضاً معنى قول ابن زبيلة:
لَمَّا أَهْنُ زَانَةً إِنْ تَذْخَبِي أَتَيْتُكَ وَالظُّنُّ عَلَى الْغَائِبِ (السريع)

نجد "مينباً على ما قال ليبد، وهو:
وَكَلِمَةُ الْغَائِبِ إِذَا خَدَّعَتْهَا إِنْ صَدَّقَ الْغَائِبُ يُضَيِّبُ بِالْأَمْنِ" (٢)

وصيغة (كقول) مثل قول أم عمرو بنت وقدان:
لَمَّا أَتَيْتُكُمْ لَمْ تَطْفُئُوا بِأَحْيَاكُمْ فَخَرْنَا السِّتْلَاحَ وَخَشَوْنَا بِالْأَبْرَقِ
وَحَفَّوْنَا الْمَعْجَالَ وَالْمَعْجَابِذَ وَالْبَسَا أَثْبَابُ الْغَزِيرِ وَنَفْسِي أَجْرَزَتْ لَنَفْسِي
أَنْتُمْ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَحْيَاكُمْ (الكامل)

"نقول: إن ضيعتم دم أخيكم، وقعدتم عن الانتقام له، لتقصيركم في طلب ثاره، فضعوا السلاح واطرحوه بالأبرق ... والمعنى: إن لم تتأروا لصلحكم فتزبوا بزي النساء فبكم إناث، وبش رهمط المرحوق: المضيق عليه أنتم ... وهذا الكلام بحث وتحضيض على طلب الدم، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمراً على طلب دم أخيه عبد الله فقالت: (كبشة أخت عمرو)
فَلَمَّا أَتَيْتُكُمْ لَمْ تَطْفُئُوا بِأَحْيَاكُمْ فَخَشَوْنَا بِأَذَانِ الثَّغَامِ الْفَصْلَمِ
وَلَا نَسْرَدُوا إِلَّا أَفْضُولَ نَسَائِكُمْ إِذَا ارْتَضَيْتُ أَعْطَاهُنَّ مِنْ النِّمِ" (٣)

وكما جاء في قول حزاز بن عمرو، من بني عبد مناف:
لَمَّا إِبْسَلُ لَمْ تُهْنِ زَهْرًا كَرَامَتُهَا وَالْفَتْحَى ذَاهِبًا
جِيَانٌ نَخَافُ فِيهَا الصُّبْقِ وَنُفْرُكُ فِيهَا الْفَنَسِ الرَّأْغِبِ
وَنُطْفَةُ عَهْدِهَا تُخَوِّزُ الْعَيْدِ وَنُفْرُكُ مَنَّا بِهَا الشَّارِبِ (المقارب)

"قوله لما إبل لم تهن ربها كرامتها، يريد: أنا نوفر إكراماً للنفس وصيانتها على إكرام السل وصيقلته، لأن الأموال إذا لم تجعل واقية للنفس جلبت العار وكسبت الشنار. فنحن نهينها ونبتلها صوتاً للنفس، ولتلا يكون المال كالمالك لنا، إذ كان عمر القى عارية مستردة، فهو هالك وإن أهل مدقه، وما يقدمه بذكر به، لصيلة مروءة من أن تترث أو تهون، أجدى وأوجب من صيلة المال وتتميرها والضن بها ... وقوله ونطعن عنها تحور العدى، لما عدد الرجوع التي ذكر أنهم يصرفون أموالهم عليها، ويتسمونها فيما ذكر في ثقها أنهم بدالعون عنها الأعداء فطعها حافظ من محفظتهم، ودونها دافع من مدافعهم، لا بطمع الأعداء في الإغارة عليها، ولا في احتجان شيء منها، بل

(١) المروزي: شرح ديوان المسنة: حلقة (١٣٦)، (١/١٠٢، ١٠٣).

(٢) نسخة: حلقة (٢٤)، (١/١٤٨).

(٣) نسخة: حلقة (٦٧١)، (٢/١٥٤٦، ١٥٤٧).

يمتلكها وجهان: مثوبة أو صليحة وقوله ويشرب منا بها الشارب، أراد أنهم يمشون بها الخمر ويحطونها في لقمها.
فهو لي هذا وفيما سلكه كقول الآخر.
(الطويل)
نُحَابِي بِهَـا أَكَلًا وَنُهَيْتُهَا وَنُحْرَتُ لِي لَتَقْبِهَا وَنُفَامِزُ^(١).

وقول عمرو بن معدى كرب:
(الطويل)
فَلَمَوْقِي لَمَوْمِي أَنْطَلْتُ بِمَسَاخُهُمْ نَطَلْتُ وَبِئْسَ الرِّزَاحُ أَجْمَزُ
"يقول: لو أن قومي أبلوا بلاءً حسنًا لفخرت بهم ولمدحتهم، ولكنهم أسلوا، فكأنهم مقطوع اللسان عن مدحهم، هذا كقول عد يقرئ:
(الطويل)
أَقُولُ وَقَدْ شِدُّوا لِي سِنِي بِيَمْنَعِي أَنْفُسُ تَوَمِ أَطْلُفُوا عَنِّي بِسَاتِيَا
يقول: أسلوا إلي فاستروني عن مدحهم، فكأنهم قد شدوا لسقي. ويقال: دل شدا لساقه بنسمة حين أسروه
لئلا يبحروهم"^(٢).

وفي بعض الأحيان يستخدم الشراح كلمة أكثر وأشد دلالة للتعبير عن هذا التوافق الكلي بين المعنيين، مثل قولهم (أخذ) أو (مأخوذ).

من ذلك على سبيل المثال قول آخر:
(السبيل)
فَذَامِ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا بَجَدَ
" هذا الكلام دعاءٌ لنفسه وعليهم، على طريق التسلي وقلة الاحتفال، ولأن الحادث يرفع الخلل من الفضل ويتودد به. فيقول: أدام الله لي ما أنا عليه من الفضل، ولهم ما هم عليه من الحسد، ومات أكثرنا لغيطه بما جدد ...
والمعنى بما جدد في نفسه من الحسد، أو بما جدد من النعمة والفضل عند المحسود. وحشي لو عبد الله حمزة من الحسن قال: سمعت أبا الحسن علي بن مهدي الكسروي يقول: أنا قد تتبعت من دواوير شعراء قديمهم ومحدثهم
فوجدت أنا تمام الطغي متفرذا بمعنى قوله:
(الكلل)
وَإِذَا أَرَادَ أَنَّهُ نَحْنُ فَتَحْنُ ضَيْلٌ طَوْنَتْ أَشَاخُ لَهَا إِيْمَانُ خَمُودٍ
لَوْلَا لَتُخَوِّفَ لَعَوَاقِبُ لَمْ تَزَلْ لِلْحَابِيْدِ الْخُضَى عَلَى الْخَمُودِ
غير مسروق إليه. وعندي أنه أخذه من فحوى لهذين البيتين وإن كان زاد عليه "^(٣).

أما قول الأشر النخعي:
(الكلل)
إِنْ لَسَمِ أَشْنُ غَلِي ابْنُ خَرْبٍ غَاةٍ لَمْ تَخُلْ يَوْمًا مِنْ تَهَابِ نَفْوسِ

(١) للزركلي: شرح بول العمدة: حمصية (٧٣٥)، (١٦٧١ / ٢)، (١٦٧٢)، (١٦٧٣).

(٢) شعري: معاني آيت النعمة: حمصية ولم (٢٩)، ص ٤٣.

(٣) للزركلي: شرح بول العمدة: حمصية (١٣٨)، (١٠٦٦ / ١)، (١٠٧٠).

"يدعو على نفسه بما يحبه سوء النشاء إن لم يفرق الفارة على ابن حرب يعني معلوبة بن أبي سفيان وهذا

المعنى مأخوذ من قول عدي بن زيد:

فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهَا فَكُنْتُ غَنَرًا وَهِيَ أَجْزَتْ النَّزْقُ وَالْمُتَخَاخَا
وَلَا تَضَعُفُ إِلَيَّ عَلَى فَرَّاشٍ حَسْبَانِ يَوْمَ خَلَوْتَهَا قَاعًا
وَمَا تَنْفَكُ يَدَايَ عَنْ غَلَّانِ طَبْرِفٍ وَلَا أَهْصَرْتُ مِنْ شَخْصٍ شَفَاعًا^(١).

ويتضح لنا من بعض النماذج السابقة، أن الاتفاق بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء لم يكن في النقط

أو المعنى أو كليهما، فقط، إنما - كذلك - في أسلوب التعبير، وطريقة الأداء.

وتؤتف الشراح - كذلك - عند بعض الصور الاستعارية التي تكرر فيها شعراء الحملة بغيرهم من ذلك

قول حزم بن ضرار:

فَلَيْسَ زَهْمٌ مِثْلِي الْبَقَى وَغَيْرُهُمْ لَنُفَى وَزَقَى لِلْمُتَبَلِّينِ زَبِيحًا

"يقول: محتاحهم متجمل، وبما لا تتلاه قدرته ولا ينهض وسعة منكثر، وظاهره الغنى لكفاه بما يملكه،

وتصعاً لم يرمقه؛ وضمهم له الفضل على العفة، ومعروف عند المزال، يحبون في جنبه، ويعيشون في كنفه

وضلاله. وقوله "له ورق" مثل ضربه للندى. وأصله ما هنا ورق الشجر، وبه عيش المال: الإبل والغنم. وإذا لم

يسعوا من الورق على الناس في فنقهم. هذا الأصل، ثم يتمثل به بعد لغيره من ضروب المنافع، ووجوه المراض.

وسلك في هذه الاستعارة والتمثيل سلك زهير حيث يقول:

وَلَيْسَ مَاتِعٌ ذِي قَرْصَى وَلَا زَجِجٍ تَوْفَا وَلَا مُنْجِمًا مِّنْ خَابِطٍ وَزَفَا

ويقال: ورقت الشجرة وأورقت، وشجرة وريقة، إذا كثرت ورقها والوراق: زمن خروج الورق، كالمصرام والجدار^(٢).

ويبدو لنا - من خلال تلك النماذج - أن "مفهوم الإبداع هو الحد المقابل لمفهوم السرققة، دون أن يكون في

هذا القول أي تأويل ليس في حقيقته إلا فكرة نخطلها على النص القديم، أكثر مما هي مستعملة حاضرة فيه"^(٣).

وقد امتد الأخذ الأدبي ليشمل - إلى جانب الصور السلفقة - الأنواع البيعية المختلفة من جنس، أو صنف، أو طائفة... إلخ.

ومما وقع من ذلك في شعراء الحملة وأشار إليه المرزوقي، قول أبو الغول الطهوي:

وَالْأَنْزُونُ مِّنْ خَمْسَةِ بَسْمِيٍّ وَالْأَنْزُونُ مِّنْ غَلَّطٍ بِلَيْبِيٍّ

"هذا الكلام من صفة التوارس. يريد أنهم يعملون مجاري الأمور ومقلدوا الأحوال فيوازنون الخشن

بالخشن واللين باللين، كما قال الآخر: (المعاجز)

(الرجز)

(١) التبريزي: شرح ديوان الحملة: (٢٦/١).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حامية (١١٥)، (٢٤٦، ٢٤٥/١).

(٣) مجدي أحمد توفيق: مفهوم الإبداع الذي في نقد العربي القديم، ص ٢٢٦.

ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَوَقَّى بِغَيْرِ لَبٍّ وَأَبٍ لَّأَنَّ الْوَلْفَ صَافٍ بِالْطَّفِّ صَافٍ

وقوله بسره أراد بسري فخفف، كما قالوا في حين هين وفي حين لين. وروى بعضهم: بسري والمعنى أنهم يزيدون في الحراء على قدر الابتداء. وليس ذلك بشيء لأن سره في مقابلة حسن، كما أن اللين في مقابلة الغلط وفي العدول عنه إلى سري إخلال بالثقل، والبيت إنما حسن به ^(١).

فهذا نوع من المقابلة تلتر فيه أبو العول الطهوي بقول شاعر آخر، وكما نلاحظ فإن هذا تلتر هو في حقيقة الأمر تلتر بالاتجاه والأسلوب إلى جانب المعنى وبعض اللفظ أيضاً. وكثيراً ما نبه عليه المرزوقي والتبريزي على وجه الخصوص، سواء أكن هذا بنصه أو بما يدل عليه.

فقد عتب المرزوقي على قول الفند الرماني:
ثَمَرِي الْخَيْلِ عَلَى آثَا رِيْهِرِي فَيَسِي الْعَمَّا الْعَمَالِي
وَلَا تَبْجِي صُرُوفُ الدُّفْ صُرُوفُ الْبُحْرَانِي

"قوله "على آثار مهري" موضعه نصبٌ على الحال، والمعنى تلعين لي. وفي السنا" في موضع المفعول الثاني لثري، ومعنى في الساقال بعضهم: الثور العالي: يريد به بريق السلاح، كأنهم يسمونه ويتنون به. وهذا معنى. وأحد منه وأعلى أن يكون المعنى: ترى الفرسان إذا تبعث أثري ووطنت عثبي، في مجد علي قاهر، له نور يستضاء به. ويكون هذا في طريقة بيت الأعشى:

كُلُّ سِرَاضِي بَانَ يَلْفِي لَهُ قَبَا

وشرحه بأنهم يرضون بريلستي عليهم، ويعتون اتباعهم لمراسمي، ولحفذاهم لأثاري مما يعلو به سناهم، ويسمو به علاهم. وقوله "ولا تبقي صرور الدهر" تالية لنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوته وهزم بعد شيبته، حتى رضي بأننى المزلتين في معارسة الحرب، ووقف عد أقصر للمعين في ملازمة الضرب والطعن. وقوله "على حال" في موضع الصفة لإنساقاً، وتعلق على بمضمر، كأنه قال: لا تبقى حوائث الدهر إنساقاً لتماماً، أو ثباتاً على حال، فل تبذل وتحول، وكما تعطى ترتجع" ^(٢).

وقول يحيى بن زياد:
مَنْعَنِي صَاحِبِي وَأَسْتَثْقِلُ السُّدُورُ صُرُوفِي وَلا يَدُ أَنْ أَلْفِي جَنَابِي فَأَعْمُرُهَا

هذا في طريقة قوله: (أبو ذؤيب)
فَفُتِرْتُ بِعَدْمِهِمْ بِغَيْرِ نَاصِيَةٍ وَأَخْشَانُ أَتَى لَاجِقِي مُسْتَشْفِعٌ

(١) المرواني شرح يروي السلف: حماسة (٣)، (١١٠٤٠/١).
(٢) بحه حماسة (١٧٦)، (٥٢٠/١).

ومعنى استقبال الدهر صرعتي توطئ للنفس على أنها على أنها بدرجة الدهر، فهو ينظر إيقاعه بها وكلن قد. ومعنى استقبال الدهر صرعتي، أي إمليتي، كما يقل لكل جنب مصرع. ومعنى لا بد: لا محالة، وهو من البند: الاتساع والتفريع. كنه تضليق الأمر فيه فلا اتساع معه، ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، وأن يحذف حرف الجر معه كثير^(١).

وإذا عمد الشاعر إلى تعيين سمات للتشبيه الأسلوبية بين الشاعرين، كما صنع المرزوقي عند شرحه بيت شاعر الحماسة:

هـلالان خيالان في كل شئونة من الثقل ما لا يستطيع الأبياع

"يقول: هما في الانتهاز واعلاء الشأن، واستضاءة الناس بنورهما، والانتفاع بمكتهما، بمنزلة هلالين؛ ويتكلمان عند كل جنب ومحل من الأتقال والأعباء، ما لو صارت أحرماً لمجز عن النهوض بها وتحملها للبران. فإن قيل: إذا كان قصده في تحمل الأتقال إلى فرى للضيف، ونحر الجزور وقسمتها في المسير، والصبر على المؤن، والنهوض بلكلف، فكيف قال هلالان من الثقل ما لا يستطيع الأبياع؟ وكيف مث ما يتقل على القلوب من الغرامات والحقوق بالأوفار التي تنقل على الظهور؟ قلت: إنما يريد أن تلك المؤن والتكاليف التي يلتزمها، ويسمى بها وفيها، لو جسمت ثم حملت، لكنت الجمال لا تستقل بها، ولا تقوى عليها، فهذا وجه. ويجوز أن يكون لما لل هلالان في كل شئونة من الثقل، جعل لفقه ما لا يستطيع الأبياع، إذ كفت الجمال وأنشأها هي التي لحمل الأتقال خلقت، وبها اشتهرت، وليكون في اللفظ توافق، مع الأمن من عارض الالتباس. ويكون هذا كما قال غيره: (الوافر)

ألا قلت لسرو طلفت عليه يخبب غنيرة يقر هجو
سبعن بنوته فطلبن ثوبا قانما ما نجل لهن غود

ألا ترى أنه لما كان قد كنى عن النساء بقوله "بقر هجو" عر عن إمستكن عن الطعام تحزناً بقوله "ما يحل لهن عود" إذ كفت البقر وما يجاقسها من البهائم تغلف العود وما يكون كالعود. وليس ذلك إلا لطلب الموافقة في اللفظ مع الأمن من اللبس"^(٢).

وقول سوار بن المضرب:

يا يها القلب هل شهاة مؤجلة أو يخبب لك طون الدهر سنات
إني منمنثر ما ذو الغلي سابة من خاجة وأبيات السز يمتنا

"عقب على قلبه في صبيعة له، وإطراحه مواظبه، ولوعه المستمر على تطاول الدهر، وتقديم الأمر، وقال: هل لين الوض منك أو أحداث مواصلة الأيلام واستمرارها نسياناً لك، فتكف عما يكره منك، أو تقبل بعض ما تدعى إليه من رشك، وقوله "أو يخبب" زاد اللون الخفيفة في المعطوف من غير أن حصل في المعطوف عليه،

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٨١)، (١/٨٦٢).
(٢) منه: حماسة (١٢٦)، (١/٣٦٩)، (٣٧٠).

وهو "ينهاك" مثله، وساغ ذلك لأنهم ألفوا زيادة إحدى النونين فيما ليس بواجب من الأفعال، فكأنه قدر أن الأول حصل فيه النون فزاد في الثانية، فتوهم مثله في الأولى، واستمرار العلة بزيادته. وهذا كما عطف في بيت امرئ القيس:

فَطَلَّ طُهْنَاءُ الْفُحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضَجٍ صَافٍ شَوَاءٍ أَوْ قَبِيرٍ مُغْفَلٍ

قوله أو قبير معجل، وهو مجرور، على صنف سواء وهو منصوب، لنبته حذف النونين، وحمل الإضافة بدلاً منه في منضج" (١).

هذا التشبيه في أسلوب الكلام، تتأوله الفقد تحت فكرة (الاحتذاء)، تلك الفكرة التي سحبت على المعنى كذلك، عندما أشار الأمدي إلى مثل هذا الصنيع في المعنى، خلال تعرضه لقول البحراني: (الكامل)

وَبِيَّيْتُ نَحْنُ بِالْمَغَارِمِ وَالْغُلَى خُشْيَ تَكُونُ الْمَجْدُ جُلْ مُثَابِرٍ

الذي يرى أبو الصياح أنه أخذه من قول أبي تمام:

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى الثَّوَمِ بَنَى فَلَمْ يَكُنْ بِغَيْرِ مَنَاجٍ أَوْ طَعْمَانٍ بِحَالِهِ (الطويل)

أما الأمدي فيرى له شكل من أشكال التلق والاحتذاء، وليس بسرقة "فإن كان واحد قد سجع هذا المعنى أو مثله من الآخر فاحتذاه، فإما ذكر معنى قد عرف واستعمله، لا لأنه أخذه أخذ سرقة" (٢).

بينما كانت الصورة أوضح، وأظهر في أسلوب الكلام، وذلك عند كل من القاضي الجرجاني، الذي سماه (احتذاء المثال) (٣)، وعد الفاهر العرجاني الذي أكد ما ذهب إليه سلعه القاضي الجرجاني. وسار على الشرب نفسه فقال: "واعلم أن (الاحتذاء) عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً - والأسلوب المضرب - من النظم والطريقة فيه - فيعبد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب، فيحن به في شعره، فيشبه بمن يقطع من أديمه نغلاً على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال قد احتذى على مثاله" (٤)، وهو عندهما ليس بسرقة، ولا يؤخذ الشاعر عليه.

وقد لاحظنا مما تقدم حرص الشراح وعاتبتهم على التنبيه على تلك المواضع التي تأخر فيها شعراء المعلمة بمعاني غيرهم من الشعراء، والتمييز بين المتداول المبتذل منها والذي لا يعقب الشاعر على الأخذ منه، والخلص الذي بحسن أخذه، وإجافته في تناوله، رفع عنه حرج السرقة، وصار كسابقه من المعاني المبلغة، غير معقب على أخذه وتناوله. وقد أعظمهم على ذلك ما كان لهم من "صفاء الذهن وتمسك الروية وشمولية التناول ما جعلهم يراعون

(١) للمرواني: شرح بول الحامسة حملية (٥٥٨)، (٢ / ١٣١١، ١٣٦٢).

(٢) الأمدي: المروية بين أبي تمام والعمري، ص ١٤٠.

(٣) القاضي الجرجاني: الواسعة بين المتنبي وخصومه، ١٩٥١، ص ٢١١.

(٤) عبد الفاهر العرجاني: دلائل الإعجاز، ٤٦٨، ٤٦٩، وما بعدها، وفتن: السيد حمدان: اتصافا البلاغة والنقد في شروح القدماء على شعر أبي العلاء، ص ٢٥٤.

خصائص الإبداع لدى كل شاعر في علاقة جبلية بين ما يصله بالضرابه من الشعراء وما يميزه عنهم^(١)، وتطرق الشراح من خلال ذلك إلى درجات الأخذ المختلفة، وعبروا عن ذلك بتعابير ومصطلحات متعددة تفرح بها شروحيهم.

وفي كثرة تلك للتعابير والمصطلحات التي نزل على أشكال الأخذ المختلفة، ما يشير - ربما - إلى قصور بعض الشراح في فهم السرق، لأن من سبقهم من النقاد - الذين أخذ الشراح منهم علمهم - وقعوا في نفس المشكلة خلال دراساتهم للسرفات، فاستخدموا كثير من المصطلحات و"راحوا يرددون أبيات الشاعر الذي يريدون تجربته إلى أبيات تشبهها تشبها قريبا أو بعيدا في المعنى أو في اللفظ أو فيهما معا، بل لقد اقتوا في ذلك فردوا الكثير من الشعر إلى جمل نثرية من القرآن والحديث وأقوال السلفين واللاحقين من خطباء وحكام واستقصوا ذلك أبعد استقصاء حتى تمحلوا في إظهار سرفات مستترة يدعونها، ثم يجهنون أنفسهم في التفتن لتسليط عليها، وساعدتهم على ذلك خضوع الشعر العربي للتقاليد الشعرية المتوارثة وانحصار أغراضه ومعانيه، بل وطرق أدائه"^(٢)، وفي ذلك دليل على قصور فهمهم للقضية، وغلبة الهوى على لحكمهم النقدية في بعض الأحيان.

ولننظر - مثلا - إلى تعليق الأمدي على ما قام به أبو الضياء بشر بن تميم في إخراج سرفات الحنثري من معنى أبي تلم، فيقول إنه: "قد استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجلوز إلى ما ليس بمسروق"^(٣)، بل "إنه لم يقع بالمسروق الذي يشهد التأمّل الصحيح بصحته. حتى تعد ذلك إلى الكثير، وإلى أن أدخل في باب ما ليس منه، بعد أن قدم مقننة افتتح بها كلامه وقال: ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يعجل بأن يقول ما هذا مأخوذ من هنا حتى يتأمل المعنى دون اللفظ، ويعمل الفكر فيما خفي، وإنما السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وبعد أخذه في أخذه"^(٤)، وفي ذلك كله تحليل، يصل إلى درجة الادعاء، مما يخرج القضية عن مسارها الموضوعي.

ولكن على الرغم من ذلك، فإن سلوك الشراح هذا المسلك في شروحيهم، وحرصهم وتذليلهم على استخدام مصطلحات بعضها دون الأخرى، لهم دليل - أو هكذا أعلن - على أمثمتهم وحيدهم في الحكم على سرفات وأخذ شعراء الحملة.

فإذا ما انتقلنا إلى تلك المصطلحات ذاتها، ومدى منزلتها في ذهن الشراح، عند إطلاقها على نماذج من أشعار الحملة، نجدها تفت حياء أسمى مقصودها عندهم، وذلك "لأنهم لم يفصلوا لنا القول فيها، ولم يحدوا - على الأقل - معناها المتعارف عليه"^(٥)، فلننظر في المصطلحات التي يوردها الشراح، يجدها غير مستقرة بينهم، إذ أنهم لم يتفقوا على رتبة واحدة عند النظر إلى موضع الأخذ نفسه، وتحديد المصطلح الدال عليه، فتجد كل شارح يستخدم تعبيراً مختلفاً عن نظيره؛ للتعبير عن التكرار ذاته.

من ذلك - مثلا - مضى قول تلبط شرا، في تحريمهم الخمر إذا قتل لهم قتيل حتى يدركوا ثاره: (المديد)

(١) لحمد فودري: شرح الشعر عند العرب، ص ٢٤٢.

(٢) د. محمد منور: النقد المنهجي عند العرب، ص ٣٥٩.

(٣) الأمدي: الموازنة بين أبي تلم والحنثري، ص ١٢٩.

(٤) نفسه، ص ١٣٩.

(٥) السيد حسبان: التسليط البلاغي والشبهة في شروح لتمام على شعر أبي العلاء، ص ٤٥٦.

حُلَّتْ الْخَنْزِرُ وَكَانَتْ خَرَامًا وَيَلْأِي مَا أَلْثَثَتْ تَجْلُ

فهو متأثر فيه بقول امرئ القيس:
حُلَّتْ بِسِي الْخَنْزِرُ وَكَانَتْ امْرَأً عَنْ شُرَيْبِهَا فَي شُغْلِي شَاغِلِي (السريع)

وجاءت تعبيرات الشراح عن هذا اشتراكاً بمصطلحات وصيغ مختلفة، فلأمروزي يرى أن شاعر الحملة تأثر بالاتجاه والأسلوب نفسه الذي تأثر به امرئ القيس، فقال: "وفي هذه الطريقة لامرئ القيس..."^(١)، بينما نجد النمري أكثر تحديداً في تصويره عن تلك العلاقة التي تجمع البيتين، فحات عبارة معبرة كل التعبير عن المشاهدة الساعية بين معاني الحملة ومعاني امرئ القيس بقوله: "هذا كنول..."^(٢).

وربما مرد ذلك إلى اختلاف مقدار المعرفة الثقافية بين الشراح أنفسهم، مما يحد أحدهم قولاً سترادافياً مشتركاً ساداً للجميع، يراد الآخر الأمر امتلاصاً منه على عادات العرب وتقليدها ومذاهبها أحداً أديباً، ويتعامل معه من هذا المنطلق.

فالتريزي - مثلاً - تنبّه، إلى أن الغرض يقول شاعر الحماسة: شربت نعاماً، أي: قتل لي قتل فأخذت الإبل في بيه فشربت ألخيا فكأن شرب دم تلك القتل، وهذا المعنى كثير في أشعار العرب؛ لذلك فهو معنى مشترك عام لا يعاب شاعر الحملة إن أخذه أو أورده في شعره^(٣). وذلك قول شاعر الحملة: (الطويل)
شربت نعاماً إن لم أرغلك بضرة بعيضة مهنوى القُرط طينة الشمر

وقد أفرط الشعراء في هذا المعنى إرباضاً شديداً، كنول القتل: (الطويل)
أبى الفوفى الإبل تنفغ رينها وكان دم الثأر المنزوي أنفدا
تبقى على رؤا إذا الخيل أضطوا وشرك رؤان القتيلى المضطها
إذا صببنا في الوطى فاعلم بأنك دم الشيوخ فاشرب من دم الشيوخ أو دعا

وقول آخر:
بني الذي أمضى نختم تخليوثة فم غيزى القون لئمن بأخضر (الطويل)

أما النمري فعده درجة من درجات الأخذ الأدبي، فقل بعد أن أورده بيت شاعر الحملة: إن هذا البيت "كنول الآخر..." ثم أورده بيت الشاعر السابق:

وإن الذي أصبختم تخليوثة ... البيت^(٤)

والتشبه العنبر بالذكر في هذا المقام، أن أراء الشراح تجاه تلك القضية، حامت خالية - أو تكاد - من تلك المصطلحات الحادة الشديدة، فلم يسموا هذه القضية بلعظ "السرقة" أو "الإغارة" أو ما شابه ذلك، فهذه المصطلحات

(١) السريدي شرح ديوان الحملة (٢٧٣)، (١ / ٨٣٨، ٨٣٩).

(٢) النمري، معاني أبيات الحملة، حماسة رقم (٢٧٦)، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) السريدي شرح ديوان الحملة (١٧٦ / ٤).

(٤) السريدي، معاني أبيات الحملة، حماسة رقم (٨٧٢)، ص ٢٥١، ٢٥٢.

ربما ارتبطت بالنقد الأخلاقي، بل يعرضون ذلك مصطلحات هي أقرب إلى صميم النقد الفني والأدبي الصحيح كالإلزام، وما شبه ذلك من المصطلحات المهينة المعروفة كالتي سبق أن عرضنا لها من قبل، وهو ما يعكس لوقا من الإيجابية في تعامل الشراح مع شعراء الحملة.

ولقد كان التبريزي أكثر حذراً في استخدامه للمصطلحات المعبرة عن الأخذ، فابتعد عن استخدام المصطلحات الحادة في التعبير - كمصطلح الرقة وغيره من المصطلحات - في تناوله لأشعار الحملة، من ذلك مثلاً ما نلاحظه في تحييره عن صلة قول أبو دهل الجمعي:

(السيط)
أَقُولُ وَالزُّنْبُ قَدْ مَاتَتْ غَضَابُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمُ كَأْسَ التُّغْمَةِ السُّهُرِ
وَالْأَيْتُ أَجَبِي بِأَثْوَابِي وَرَاحَتِي غَزَى لَأَهْلِيكَ هَذَا السُّهُرُ مُتَوَجِرِ
إِنْ كَانَ ذَا قَدْرًا يُخْطِيكَ نَافِلَةٌ مِثْلًا وَيُخْرِقُهَا مَا أَتَمَحَنُ التَّقْدِرِ
جِيئَ أَوْ لَمْ يَأْتِ جِئْنَا بِغَنَمِهَا وَضَمِنَ الْقَلْبُوبُ بِقُوسٍ مَا لَهَا وَتَرِ

بيت محمد بن بشير الخارجي: يا ليت لي بقواي وراحلي ... البيت.

معتاباً بما نقله عن أبي محمد الأعرابي يقول "قال أبو محمد الأعرابي: ليس قوله يا ليت لي بقواي لاني دهل إنما وقع في ديوانه مع ثلاثة أبيات آخر والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالآبيات التي تتقدمه وهي

(السيط)
يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْكُفْرُ الْإِنِّي ثَابِتُهَا بَيْنَمَا لَمَنْ يَزْتَجِي مَقْرُوفُهَا غَسِرَ
وَأَمَّا نَظْمُهَا بِحَرْزٍ تَمِيدُ بِهِ وَتَمَّا قَلْبُهَا لِلْمُسْتَجِي حِزِرَ
هَلْ تَعْلَمُونَ وَلَمْ أَتَمَنَّ عَنْدَهُمْ وَقَدْ نَسُوا لِمَعْدِ الْخُلَّةِ الْتَغَرِ
قُوسِي وَزَنْجِيكَ قَدْ مَاتَتْ غَضَابُهُمْ وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ التُّغْمَةِ الْكُفْرِ^(١).

فلاحظ قوله: (وقع) فهذا يبرئ أبو دهل الجمعي من تهمة الأخذ، فهذا كما يرى التبريزي نقلًا عن أبو محمد الأعرابي على سبيل الوقوع، مما يشعر أنه من جانب الرواة وليس من الشاعر ذاته. وهو مما لا يعاب الشاعر عليه.

وعلى الرغم من نفي الشراح الدأوب السرقة عن شعراء الحملة، ورفع شبهة السرقة عن معانيهم، إلا أنه لا بد من الاعتراف بتأثر شعراء الحملة الواضح بعدد كبير من الشعراء، فاحتضنوا بعض معانيهم والفناطهم، وهذا ليس أمراً مستبعداً، بل هو أمر طبيعي لشعراء سلكوا في إطار "شعر حزني غلب عليه التقليد"^(٢)، وهي بلا شك مرحلة انتقالية لمرحلة أخرى أكثر تقدماً وصولاً لمرحلة الإبداع والابتكار، "وفي الحق إنه وإن يكن العمود الفكري لكل دراسة أدبية هو إظهار ما عند كل شاعر أو كاتب من أصالة، إلا أن ذلك ليس من اليسر بحيث اقترحن نقد العرب. وإلى اليوم لا تزال حيلاري في تحديد ما أتى به كل أدب من جديد لم يسبق إليه، ونحن بعد خلاصة التقلت

(١) التبريزي: شرح ديوان الصفي: (١٦٦ / ٣)، وقصر أبناس: أبو محمد الأعرابي الملقب بالأمير الفصيح: إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النعمري في "معاني أبيات الحماسة"، حققه وقدم له: د. محمد علي سلطان، الكويت، منشورات معهد الدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، ص ١٣٣.
(٢) د. محمد طنبول: النقد المنهجي عند العرب، ص ٣١١.

المختلفة التي توارثتها الإنسانية. وإنه وإن تكن هناك عملية تفاعل تزداد صفا كلما ازدادت النفس التي تحدث فيها خصبا - إلا أننا لا يمكننا أن نجزم بأصالة ما ينتج من ذلك التفاعل" (١).

ومن أبرز الأمثلة على اقتفاء شعراء الحملة أثر غيرهم من الشعراء، ومحاكمتهم - إلى حطب التماذج المسلفة التي مروت بنا من قبل -، تنبيه الشراح في مواقع كثيرة من الشروح على بعض الشعراء الذين أخذ منهم شعراء الحملة، وساروا على دربهم، وقد حرص الشراح على تلييط الضوء على تلك المواضع، ونبهوا على تلك إما تلميحاً أو إشارة.

من ذلك قول رجل من كلب وهو من شعراء الحملة في الدعاء على الدهر: (الطويل)
لَحَى اللهُ ذَهَباً شَرّاً قَبْلَ خَيْرِهِ فَوَجَدَا بِصَوْتِي أَتَى بَعْدَ مَقْبَرِ

"لحى الله: دعاء على الدهر الذي وصفه، وقد تقدم القول في حقيقته. ومعنى (شره قبل خيره) أي ما كان يفتشى من شره في الأحبة سبق ما كلى يرتحى من خيره بهم. ثم دعا على وجد تعجل له بصيفي بعد وجد تفتح في معبد، كأنه كان لا يلمن من أحداث الدهر فيما حبى وأنعم عليه في أخوة كرام تناسقوا في الولاد والوداد، وتغللوا في حواجز تعليق الرجاء بهم عند الحفظ فيخاف. وعلى ذلك كان يغلب في نفسه وعلى قلبه سلامتهم ويقاومهم، حسن ظن بالواهب، وشدة طمع في الموهوب، فيسكن ولا يهاب. فلما جرى الأمر على خلاف ما ظن زعم أن شر الدهر سبق خيره. نسأ عليه. وقوله (ووجداً بصيفي) يقول: ولحى أيضاً حزناً تجدد بصيفي بعد معد. وهذا تبرم منه بما قاسى من الدهر، وكتب من جزع بعد جزع. وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر: (الطويل)

نَوَكُّ بِالْأَمْنَى وَأَنْ جَلَّ مَا يَنْصِي" (٢).

إن فلا يتلقى مفهوم الإبداع مع تقليد الشاعر ومحاكته غيره، فلكل شاعر شخصيته المستقلة، وبصمته الخاصة التي يصيغ بها عمله الفني، حتى لو اضطر في بعض الأحيان الاعتماد على منتحات من سبقه من الشعراء والسبّعين، فليختلف طريقة واسلوب التناول تخرج الشاعر من دائرة الأخذ الضيقة إلى دائرة أرحب وأوسع، ألا وهي دائرة الإبداع والتميز.

ولقد رأينا كيف لفتيه النقلا التعماء إلى تلك القضية، من خلال إيلحتهم للشاعر الأخذ من غيره طالما زاد في المعنى، وأخضع المأخوذ للتصرف، حتى حفي، مادام الآخر لا يستطعي عن الامتعة من الأول (٣)، والحكم على من بتي بهذا الأمر من الشعراء بالإبداع والابتكار وعدم السرقة.

وقراءة المصادر المتأخرة تكشف لنا الكثير عن طبيعة القضية وعلاقتها بمصطلح الإبداع على نحو دقيق، مصطلح الإبداع ذلك المصطلح الذي أصبح "مشاعاً في الخطاب القديم، ولم يحصل لنفسه حتى وجود مستقل مكتمل المعالم، بل ظلت ملامحه موزعة في جميع جنبات الخطاب. ومن هنا تعددت الألفاظ التي تحمل معنى الإبداع. منها

(١) د. محمد سبور، انشئت المنهجي عند العرب، ص ٣٦٠.
(٢) المروزي، شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٨٢)، (٢ / ١٠٧٤، ١٠٧٥).
(٣) صبه - من سبب التبرير، المثل لسفر، (٢ / ٢١٨).

الأخذ يعني الإبداع حيناً، ويعني السرقة حيناً. ومنها السرقة تضي الإبداع بحيل خفية حيناً، ونضي الأخذ المحيب حيناً. ومن هنا كُتبت دراسة التحولات الدلالية في النص النقدي القديم دراسة شائقة ضرورية لفهم الخطاب التراثي^(١).

إن النظرات العامة للنقد إزاء قضية السرقات، هو في الواقع وحدة القضية، فهـ "الإبداع موضوع والسرقة محمول، وكل إبداع يطوي على نوع من السرقة، أو الأخذ، أو الاستطعام. هذه الفكرة هي مجمل الرسالة التي أرادها الخطاب القديم من قضية الإبداع والسرقة. أما الاختلاف بين النقد لكس في تصورهم للمعاني لا لتعبئة ذاتها"^(٢).

وبناءً على ما تقدم تتضح لنا بعض الجوانب عن القضية، أهمها: أن مفهوم الإبداع في التراث النقدي لم يقتصر على مجرد ما ينتجه الشاعر أو المبدع من معاني لم يسبق إليها غيره، بل اتسع ليشمل ما يأخذه الشاعر من غيره - أيضاً - ، على وجه الخفية أو الزيادة أو التصرف.

ولتحديد مدى إبداع الشاعر وابتكاره في تنويع المعنى، من عدمه، يحتاج الحكم على ذلك منهجاً إبداعياً - كذلك - في شرح الشعر، لا يقتف "عند حدود ما تحمله اللغة من معان مبتكرة، أو يقتصر النحر من ارتباطات محتدة، بل هناك إلى جانب ذلك، اجتهدات وابتكارات وتصورات لا حصر لها، نتيجة لإعمال العقل، واتساع الثقافة، واكتساب الملكات اللفظية، أصف إلى ذلك مقتررة رائمة لا على الفهم والاستيعاب فقط، بل على العرض والتحليل، في أسلوب تصويري يمي بكل انتماءات هذا السبج، ويبرر قسمة وسلامحه. فاشراح ها - هنا لا يوصل روى شاعر مبتكرة، ولكن من خلال نفسه، من خلال التأثير العقلي، والانفعال النفسي، والتعبير الخاص والمحمول الثقافي والعلمي، من خلال ملكته الراحية، ونفسه المتفردة، ولغة المصرة، دون ما انفصال بين الثلاثة - الشاعر والقارئ والشارح"^(٣).

وقد تميز المرزوقي - على غيره من الشراح - بدقة اتباعه لهذا المنهج، وبكثرة محفوظه الشعري وشووله، ولذلك لم يهر تميزاً واسعاً وتعرفاً على غيره من الشراح في العديد من النمايا البلاغية والسقنية، ومنها قضية الأخذ الأعمى.

وتتعدد النماذج والشواهد التي أوردها الشارح في تلك، وعطى عليها بعبارات متقاربة المعنى والمبنى في أكثر من موضع لذلك ساكتفى هنا بشاهد أو اثنين تعبر عن هذا الاتجاه، وتلك الرؤية.

فقول آخر:	(الوافر)
هَجَرْتُ الْإِنْعِيَاءَ فَنَاصَتْ بِي	مَغَابِرُ جِلَّتْهَا عَزَمًا صَبَاخَا
فَقُلْتُ لَكُمْ وَقَدْ نَبَخُوا طَوِيلًا	عَلَى فَلَمَّ أَجَبَ لَكُمْ نَبَاخَا
أَبْنَتْكُمْ قَتْمٌ فَخَافَتْ غَنَمٌ	وَأَنْقَضَ غَنَمٌ الْخُتْمُ الصَّرَاخَا
وَالَا فَخَنُوا رَأَيْسِي فَجَبِي	سَلَابِي غَنَمٌ السُّنْمُ الْقَبَاخَا
وَحَمَلْتُكُمْ مَهْمَةً بِسَبْرِهِمْ فَمَوْم	يَحْمُ عَلَى أَجْسِي مَلَمَّ جَنَاخَا

(١) مجدي أحمد توفيق: مفهوم الإبداع في النقد العربي القديم، ص ٣٢٨.

(٢) نفسه من ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) د/أحمد جمال الصريخ: شروح الشعر الجاهلي، مناهج اشراح (٢ / ١٣٠).

علق عليه الشارح بقوله: "هذه الطريقة في ذم الأدعياء غريبة حنة جدًا، وفيما قال أبو الصاهية في والبة

بن الحباب ما هو مستبعد أيضًا، وهو:

مَا بَالٌ مِنْ آتِهَاؤُهُ غَرِيبٌ أَلَمْ
أَفْعَدْ خِلَافَتَ أَنْبَا أَمْسَانَةٍ لَمْ
أَلْوَثَّكَ سَنَنَ الْيَتِيمِكَ بِأَلْفِ صَفَرٍ

وأخذ أبو نواس فقال أيضًا:

وَالْبَيْنُ الْخَبَابِ صَلْبِيَّةٌ زَعُومًا
وَمِنْ الْغُذَالِي صَلْبِيَّةٌ أَضْفَرٌ^(١).

فيشارة الشارح إلى اشتراك أبو الصاهية وشاعر الحملة في الإتيان بما هو مستبعد بقوله: "وفيما قال أبو الصاهية في والبة بن الحباب ما هو مستبعد أيضًا ..."، فهو إقرار من الشارح بلبتداع شاعر الحماسة في تناولها لغرض الهجاء، وهو ما يدل عليه مبقى الشرح وفحواه، مما يشهد لشاعر الحملة بحسن التوليد والابتكار.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن شعراء الحملة - بكل موضوعية - شابههم شأن غيرهم من الشعراء، منهم من أخذ من غيره فقتصر عن المأخوذ، وهو الأخذ المعجب، ومنهم من أخذ وأحسن الأخذ، وهو الأخذ الحسن، ومنهم من أبدع وانتكر، وكان له فصل سبق، وتبعه غيره من الشعراء فيما ذهب، وقتلوه وحكوه؛ مما يشهد بأصالة شعراء الحملة، وقدرتهم الفنية، وحيالهم الواسع.

الشعراء الذين تآثر بهم شعراء الحماسة:

يمكننا من خلال دراسة الأخذ الأدبي أن ندرك المصادر التي اعتمد عليها شعراء الحملة، وأخذوا منها كثيرًا من لغزاتهم ورواها. ويمكننا - كذلك - أن نحدد ماهية الشعراء الذين أعجب بهم شعراء الحملة، وكيف تمكن هذا الإعجاب على شعراءهم، فداعت أشعارهم متأثرة بمذاهبهم واتجاهاتهم الفنية، وببلى درجات هذا الإعجاب ومستوياته.

إن حالة التأثر والأخذ تلك - في واقع الأمر - لو كما يسميها ابن عبد ربه "الاستعارة"، قديمة قدم الشعر العربي، والكلام بصفة عامة، وهي مما لا يواخذ الشاعر أو يعاب عليها، طالما لم يقتصر عن الإضافة، يقول: "لم تزل الاستعارة قديمة تستعمل في المنظوم والمنثور، وأحسن ما تكون أن يستعمل المنظوم من المنثور، والمنثور من المنظوم؛ وهذه الاستعارة لا يؤبه بها، لأنك قد نكتت للكلام من حال إلى حال، وأكثر ما يجنبه الشعراء، ويتصرف فيه البلاء، إنما يجري فيه الآخر على سنن الأول، وأقل ما يلقي لهم معنى لم يسبق إليه أحد، إما في منظوم وإما في منثور؛ لأن الكلام بعضهم من بعض، ولذلك قالوا في الأمثل: ما ترك الأول للآخر شيئًا ألا ترى كعب بن زهير وهو في الرعي الأول والصدور المتقدم، قد قال في شعره:

مَا أَزْنَا نَفْسًا نَفْسًا إِلَّا مَفْضَلًا أَوْ مَغَانًا مِنْ قَوْلِنَا مَفْضُولًا^(٢).

(١) الحروف في شرح ديوان الصلة: مجلد (٦٥١)، (٢/ ١٥٢٢).

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١٦٦، ١٦٢.

وإذا تأملنا شروح ديوان الحملةة فسنجد هذا العدد الكبير من الشعراء - القدماء والمحدثين المشهورين والمغمورين، من لدن الحاهلية حتى العصر الإسلامي - ممن تأثر بهم شعراء الحملةة في أنكارهم ومعابهم. وهذا إنما يدل على سمة اطلاع شعراء الحملةة والشراح على السواء، وكثرة معارفهم ومداركهم التي شملت من سبقهم أو عاصرهم من المبدعين.

ومن هؤلاء الشعراء: جرير، وذو الرقة، وكذلك، امرؤ القيس، وليبد، وغنرة، وزهير بن أبي سلمى، وأنثيفة النخعي وغيرهم كثير.

وقد سقت الإشارة إلى الكثير من المعاني التي تناولها شعراء الحملةة من هؤلاء الشعراء. وأشار إليها بعض الشراح، بل توسع المرزوقي؛ فأتى إلى نوع من المقابلة تأثر فيها شاعر الحملةة أبو الغول الطهري بقول شاعر آخر، وأشار كذلك إلى تأثر شاعر الحملةة سوار بن المضرب في أحد الأبيات بأسلوب امرئ القيس. وقد مرّ كلا الشاهدين فيما سبق^(١).

أما باقي الشراح فلم يهملوا هذا الجانب أيضاً، ولا شك أن مخزونهم الشعري والثقافي الكبير كان له ثرا كبيراً في تعظيم لما أخذ شعراء الحملةة من معاني غيرهم من الشعراء، وتبنيهم إلى هذه المواضيع يصعب إحصاؤها.

وقد توسعت إشارات الشراح إلى مظاهر الأخذ المختلفة، إلى جانب تعديدهم لدرجات هذا الأخذ، واستخدام المصطلحات الدالة عليه فهناك كما مر بنا الإشارة، والمقارنة، والمشفية، والإسما، والأخذ ... إلخ، كما حصرنا هذا الأخذ في أصيق العود عندما علّقوا بتناظر العرض، والتعليل الكلي في المعنى، كما رأينا عند المرزوقي والنمري.

والمرزوقي كان من أندر الشراح على تمييز معاني شعراء الحملةة من معاني غيرهم، فكثف عن مشكلة إسراع شعراء الحملةة محدثون معاني غيرهم أو مبتكرون. ومن هنا ألام الكثير من الموارنات التي كُسد منها الكشف عن أثر غير شعراء الحملةة في أشعار شعراء الحملةة، وبعبارة أخرى أصالة أشعار شعراء الحملةة وتقليدهم.

للموارنة ما هي إلا "ضرباً من ضروب النقد، يتميز بها الرديء من الجيد، وتظهر بها وحوه القوة والضعف في أساليب البيان: فهي تتطلب قوة في الألب، وبصراً بمناحي العرب في التعبير"^(٢).

وتلك سمات ينبغي لكل من يتصدّر للموازنة الاتصام بها، إلى جانب "ترجة علياً من فهم الألب، وأن يصنع له في النقد حاسة فنية تتأى به عما قصد حكمه من الأهواء والأغراض التي تحمل القاصرين من طلاب الأدب على البعد عن جادة المصواب، حين يوازنون بين بين الشعراء والكتّاب والخطباء"^(٣).

(١) قنط: ما سبق في الحديث عن الإحتداء، للكتف ص ١٩٠.

(٢) دوكي مبرلا: الموفرة بين الشعراء، بيروت، دار المجلد ط ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م، ص ٧.

(٣) نفسه: ص ٨.

وهي سمات تخفي على صاحبها الموضوعية والحياد عند تناول النصوص الفنية، وهو ما حلول المرزوقي الاتزام به، ونرى - فيما نظن - أنه قد نجح في ذلك إلى حد بعيد؛ فنجد حيناً يحكم بالتفوق لغير شعراء الحملة، وأحياناً أخرى لشعراء الحملة. حكم لغير شعراء الحملة بالتفوق في تلك المواضع التي حاهوا فيها بالمضى موحزاً مختصراً، أو واضحاً مبيناً، أو صالحاً خشناً، على حين قصّر شعراء الحملة في تناولها، فكراً به طويلاً من غير إضافة، أو غير واضح، أو سفاهاً سينا^(١).

كما أتى على غير شعراء الحملة في مواضع أخرى - لكنها محدودة - بقوله - مثلاً: "وقد أحسن كل الإحسان ..."، أو بقوله: "وبيت ... أجود"، أو بقوله: "ولحسن صنعة منه قول ...".

كما جاء معلقاً على قول شاعر الحملة:

(البسيط)
 إنْ يَخْـمِلُونِي فـإِجْبِي غِيْـمَ لَـيْمِهِمْ قَبْلِي مِنَ الثَّـمَنِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ خَسَدُوا

بالقول. "يقول: إن نأتوني وحسوني، ورمقوا النعمة علي بعين الشكط. فبني لا أولهم ولا أعتب عليهم، إذ كل انتقام والحد يتبعان الفضل، وإذا كان من قبلنا اعتد بعضهم من بعض مثل ما نراه بسبب الفضل. وقد أحسن كل الإحسان من قال:

(الكامل)
 وإذا منـرخت الطـير فـخـول قـبـايـه نـم تـلقـي الإيـفـة وخـنوداً"^(٢).

ويبلغ هذا انتفاء فروته في تعقيبه على بيت شاعر الحملة في ابن له:

(الطويل)
 فـجـاعـت يـهـم مـنـبـط العـظـام فـلـمـا عـنـائـشـة نـسـيـن الرـخـال لـواء

"يقول: جاءت الأم بهذا الولد وهو تلم العظام معيد القامة، فكلن قامته رمح، وكان علمته إذا توسط الرجال لواء محمول عليه. وأحسن صنعة منه قول مسلم، وإن كان هذا سليماً من العيب.

(الطويل)
 يـقـوم مـنـع الرـمـح الرـديـي فـأفـة يـقـصـر عـنه طـوئـل كـل نـجـاب"^(٣).

ونستطيع أن نلمح شجاعة الشارح الكبيرة في حكمه لقول مسلم على قول شاعر الحملة، وشهادته له بالأفضلية والجودة، على الرغم من كون قول شاعر الحملة سليماً من العيب.

إلا أنه تبقى - على الرغم من ذلك - المواضع التي امتدح فيها الشارح صنيع غير شعراء الحملة، قبله معنونة، أسلم نظيرتها التي أتى فيها على أقوال شعراء الحملة، وحكم فيها بتقديمهم على نظرائهم من الشعراء؛ إما لأنهم لحسنوا الأخذ، فاضلوا وزاموا على المعنى، أو ابتكروا ولبدعوا معانٍ جديدة، لم يسبق إليها غيرهم، ولم تنسب لأحد سواهم.

(١) انظر: لي شواهق ذلك كله، ما سبق في بحث (تتصير في لغة المعنى)، الكتاب ص ١٧٢ وما بعدها.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان المعاني: جملة (١٣٨)، (١ / ٤٠٥، ٤٠٦).

(٣) نسخة (٧٥)، (١ / ٢٧٠، ٢٧١).

وأراه المرزوقي فيما يخص هذه القضية تنم عن براعة ولقدار في اكتشاف الأخذ الأدبي بكل أشكاله وصوره، وهذا يدل - كما أسلفنا الذكر - على ثقالة واسعة وبصر بالشعر وخبرة به.

لقد حاول المرزوقي من خلال ذلك أن يثبت في نهاية الأمر ما سبق أن أشرنا إليه، من أن شعراء الحملة لم يكونوا على غيرهم من الشعراء، بل أضلوا - في كثير من الأحيان - إلى ما أخنوه؛ مما جعلهم يتميزون به عن سواهم، إلى جذب قرائهم على ابتداء وابتكار معاني جديدة كان لهم فيها فضل السبق والريادة.

وقد لاحظنا - كذلك - كيف أن نقده يجمع بين الجانب التطويري والتطبيقي، وإن كان ميله إلى الحقب التطبيقية العملي أكثر وضوحاً. بالإضافة إلى تناوله لتلك القضية نفسها بمصطلحات مختلفة. لكنه رغم ذلك لا يكاد يخرج - ومعه كثير من الشراح - عن نطاق الدائرة النقدية التي رسمت عند النقاد السلفين؛ لأنه ونظرائه من الشراح ينهلون من معين واحد.

الشعراء الذين تأثروا بشعراء الحملة:

نظراً للمكانة الكبيرة التي يحتلها شعراء الحملة بين نظرائهم من الشعراء، لقد حظيت أشعارهم بحفاوة شديدة من قِبل الشعراء والنقاد على السواء، ولما لا وديوان الحملة نفسه - كما أراد له جامع - يحوي بين دفتيه مقطوعات وتصقّد لكثير من الشعراء المقلّين والمغمورين إلى حقب المشهورين المعروفين أيضاً، ابتداء من الجاهلية حتى عصر حاميهم؛ حرصاً منه على لغة العرب وتراثهم الشعري. وقد ذاع صيت تلك الحملة حتى أصبح كثير من أشعارها "يعتبر من الشواهد المعتبرة في العربية لغتها ونحوها وبلاغتها"^(١)، مما دفع الكثير من الشعراء إلى التأثر بهم وبأشعارهم، وهذا ما انتبه إليه كثير من الشراح، فلتأثروا إليه وفوهوا به، تملأوا كما لمعلوا بمن تأثر بهم شعراء الحملة، كما أشرنا من قبل.

ولعل شهرة بعض شعراء الحملة وتميّز شعرهم هو الذي منحهم قدرًا من التأثير في غيرهم من الشعراء.

والنظر في شروح الحملة يلحظ وجود طقفة من الشعراء تأثروا بالناظ شعراء الحملة وسعيقهم، من أهمهم:

١ - كثير عزة (ت ١٠٥ هـ): فقد أخذ معنى قوله:
 إِذَا فُلِمَ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَسْنُفْ فُتْنَةً حَصَانٌ عَلَيْهَا عَقْدُ نَرٍّ يَرِيثُهَا
 زَنْيَتُهُ لَوْ رُئِيتْ غَدَاةً جُنَّتَا عَلَى أَضْغَانَاتِنَا وَقَدْ اخْتَوَيْتَا

من قول عبد الشارق بن عبد العزيز الجهنّي:
 أَلَا خَيِّتِ ظُفْرًا يَسَا زَنْيَتَا تُخَيِّتُهَا وَإِنْ فَرَسَتْ غُلَيَّتَا^(٢).

(١) د/ عبد الله عبد الرحيم محجلان: حملة أبي تمام وشروحها، دراسة وتحليله النقدية ص ٥.
 (٢) ابن فارس: كتاب الحملة: ص ١٤٣.

٢ - يشار بن برد (ت ١٦٨ هـ) : فقد أخذ قوله :
أَنَا الْمَرْغُوثُ لَا أَخْلِي عَنْهُ أَحَدٌ ثُرْتُ بِبَنِي السُّنَمِ لِلْعَاصِي وَالْإِدَاتِي (السبب)

من قول الأحموس بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري :
إِنِّي إِذَا أَخْلَيْتُ الرَّجَالَ وَخِصَّتِي كَالسُّنَمِ لَا تَخْفَى بِغُلٍّ مَكَانٌ (١).

٣ - أبو تمام (ت ٢٣١ هـ) : فقد أخذ قوله :
غُلٌّ بَقِيَتْهَا نَبْهَانٌ يَوْمُ وَفَاتِهِ تَجُومُ مَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْتِهَا الْبَدْرُ (الطويل)

من قول صبية الباهلية :
غُلًّا كَأَنَّهُمْ قِيَلِي بَيْتِهَا قَمَرٌ يَجُومُ الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْتِهَا الْقَمَرُ (السبب)
والمعنى "أني كان أهل بيتنا كالنجوم وهو بيتنا كالقمر فسقط القمر ومنه أخذ أبو تمام" (٢).

وكنك أخذ قوله :
وَلَيْسَتْ فَرْحَةً الْأَوْنِيَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى شَرَحِ الْوَدَاعِ (الوار)

من قول جابر بن التعلب الطائي :
زَمَنْ يَفْتَقِرُ فِي قَوْمِهِ نَحْسُ الْبَقَى وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَابِطُ الْعَمِّ مَخُولًا (الطويل)
والمعنى "يحمد المي إذا حتمه عرف فصله فحمده ولما تعرف الأمور بأسسدها ومن هنا أخذ أبو تمام قوله" (٣).

٤ - ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) : فقد أخذ قوله عن القضاء والقدر وأحسن :
أرى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعَنْهُ مَذَاهِبٌ فِكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَضًا مَذْهَبٌ
فَلَاكَ نَجِيُّ الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبٌ
فَشَدُّ انْزِرْ وَالصَّبْرُ كَفْلًا فَاتِّبْ لَمْ عَصْنَةُ أَنْبَابِهَا مِمَّا نَقُضُ
فَوِ الْمَهْرَبِ الْمُتَوَسِّي لِمَنْ أَخَذَتْ بِهِ تَوَالِبُ دَهْرِ لَيْمٍ عَثْنُ مَهْرَبِ

من قول إبراهيم بن كفيف التميمي :
فَكَيْفَ وَغُلٌّ لَيْمٍ يَفْنُو جَمَانَةً وَمَا لِإِنْسِي غَضًا قَضَى اللَّهُ مَرْخُلًا (٤)

٥ - البحتري (ت ٢٨٤ هـ) : فقد ألم في قوله :
أَنْ مَا رَأَيْتَ الْفَجْدَ الْقَى زَخْلَسَةً فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَخُولِي (الكامل)

(١) هريدي شرح ميوبي الصفة (١٢٠ / ١).

(٢) نفسه. (٨ / ٢).

(٣) نفسه. (١١١ / ١).

(٤) نفسه. (١٢٧ / ١).

بمعنى شاعر العملة:
(البسيط)
أَلْ ذَهَبٌ سَبَقَ قُوَّةَ خُرْلُسُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ غَزِيْبِي لَا وَلَا كَادًا
لَسُوْ يَمْلِكُ بَلْفُؤْسُ جِسْدُ غَنَاهُمْ وَغَالِيَهُمْ بِمَا اخْتَفَتْ مِنْ السَّدَنِيَا لَنَا خَادًا
فِي الْمَغَامِرَةِ لَوَاحٍ يَخْشَوْنَ لَهَا أَلْ الْهَلْأَلُ ذُوْنُ الثُّنَاسِ أَجْمَادًا " (١)

ونلمح من خلال هذا الكلام الذي يسوقه الشراح - عند إشارتهم إلى تأثير شعراء العملة في غيرهم - حفوتهم بتحديد المصطلحات الدالة على التكرّر وتطيرها، فأشاروا أحياناً إلى وجود الملم ... إلخ ، لكنهم لم يستخدموا - أيضاً - مصطلح السرقعة، تماماً كموقفهم مما تكرر فيه شعراء العملة بغيرهم، وذلك في أسلوب محدد وصریح، لا أثر للهامية فيه.

وفي الختام إن النظرة التاملية تقضي إلى القول بأن دراسة الشراح لقضية السرقعات أو ما اصطلاحنا على تسميته بالأخذ الأدبي، كانت تدور في ذلك التكرّر والتأثير، دون استخدام مصطلحات حادة كالسرقعة أو السلق ...، مما يلغي فكرة تعدد أو قصد شعراء العملة في الأخذ، واحتكموا إلى أسس فنية مختلفة، حذوا فيها حذو القداس من النقاد "ومجهود علماء أفذاذ ، تناولوا كل كبيرة وصغيرة، وكل جرنية ودققة، ولم يتركوا شيئاً إلا حللوه ووضحوه" (٢)، أمثال: القاضي الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني، وأبو هلال العسكري ومن في طبقتهم، وهم في ذلك ليسوا بدعا ولا نشازا، فأكثر الشراح من اللغويين والبلاغيين المحافظين "الذين تهرهم الأطر الشعرية انثى تمت بصلة حميمة، ووشحة قوبة للأطوار الشعري القديم" (٣).

والمعلق في جهود الشراح واجتهاداتهم في تناول قضية السرقعات، يدرك مدى التشابه بين الفهمين القديم والحديث في تناول هذه القضية، التي درسها أئند الحديث تحت مفهوم الاستعارة والاقتباس (٤)، "وإن كان العرب لم يلجأوا إلى القفون لحسم الأمر" (٥)، لكن الفارق يتسع "عندما نلاحظ كيف اسحل مفهوم السرقعة والاستعارة عند المحدثين إلى طائفة من المناهج، تعالج التكرّر والتأثر، أو الأثباء والنظائر، بين المبدعين، في لغة واحدة، أو لغات متعددة، في دولة واحدة أو دول مختلفة، ويجمع هذا كله علم الأدب المقارن. ومن جهة أخرى حل محل مفهوم الاقتباس أو الاستعارة منهج التلخيص الذي يشغل نفسه بتخراج النصوص من بعضها وفي بعضها" (٦).

وقد سار الشراح على نهج من سبقهم من النقاد في تناول النصوص الشعرية، فعامت نظرتهم حرفية، وليس في ما ما يعيهم، فـ " كل منهج حاض في تكوينه لطبيعة الشيء الذي وضع لوصفه. والأدب العربي ...أدب حرفيات" (٧).

(١) المرواني: شرح ديوان العملة: حماسة (٨٠٤)، (١٧٨٧ / ٢) .

(٢) دألمجد جمال الصوري: شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها (٢٢٣ / ١) .

(٣) دألمجد محمد أبو عيسى: لتضلوا الأدبية والفنية في شرح المرواني لديوان العملة، ص ٣٢١ .

(٤) فنظر في ذلك: دألمجد مصطفى دأوة: مشكلة السوروكات الأدبية في الشد الأسمى، فنصل الرامع عن المفرنة يدور بعوث انقل العرب والأوربيين في السرقعة، ص ٢١٩ : ٢٤٠ .

(٥) محدي أحمد توافق: مذهب الإبداع الشفي في الشد العربي القديم، ص ٣٢٥ .

(٦) نفسه: ص ٣٢٥ .

(٧) دألمجد مندور: أئند المنهج عند العرب، ص ٣٦٠ .

لذلك فمن الواجب على الشارح أن يدرك العلاقة بين الأبيات، فـ "الشاعر ينظم وفق مسويين: مستوى البيت الواحد ومستوى الأبيات. ففي القصيدة العربية ما يفصل وما يصل في الآن نفسه وهذا الخبط بين الفصل والوصل هو من الحق إلى درجة قد لا يظن فيها الناظر العجول لما يجمع الأبيات من "قران" بنية ودلالة. فللشارح إذا لم يضع في حقيقته الدرجة الشقية للنظم فجاءه قد يتيه عن القصد لأن الأبيات مهما اختصت بنظم داخلية دقيقة فإن بعضها يظل أخذاً برقاب بعض فهي المتعدد والتوحد والاختلاف والاستلاف والانقطاع والانتظام"^(١)، إن القصيدة عند العرب مثلها "كمثل البيت الكبير يضم عرفاً على نظام من البناء. وأنت في الرؤية بين حالين: حال من ينظر من الخارج فيقع بصره على بيت واحد، وحال من ينظر من الداخل فيشاهد عرفاً ذات تصميم فيسلك عجيبي. ولا مندوحة للشارح عن أن يعيش الحالين في التعامل مع النص: حال من ينظر فيه من الداخل، أي في يطم كل بيت على روح من التحليل الأثري، وحال من ينظر فيه من الخارج أي في نظام الأبيات محتمة على روح من التحليل الموسوي"^(٢).

وهو - في حقيقة الأمر - ما حلول فيه بعض الشراح على استعفاء، فحادث إسهامتهم في هذا الحلق باحة خلقة. بيد أننا نقول الحق - إن هذا الأمر وإن كان وجه ضعف في شروحيهم - فإنها تتفق مع ملوح العرب ونظرتهم الجزئية للأبيات - كما ذكرنا أنفاً - آنذاك، لذلك لم تدفعهم الإشارات الواردة في الشعر - عن ضرورة الوحدة العضوية، والاتصال، الأبيات - والقصد الذي يجمع الأبيات بنية ودلالة - إلى الخوض في عسارها، وتركها لأصولها ومرامها الضخمة التي كانت تملأ الرمان.

وهكذا استطاع الشراح أن يسهموا في التعريف بمعاني شعر شعراء الحملة، ومدى أصالة شعرانها أو تقليدهم، ومذهبهم الفني، فقربت شعرهم إلى الناس. وأذاعته في أعمار عدة.

(١) د/لحم الويللي: شوح الشعر عند العرب، ص ٢٣٤.
(٢) نفسه، ص ٢٣٥.

الفصل الثالث: قضية نقل الرواية والرواة (التوثيق)

الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواية (التوثيق):

غني عن البيان أن الشعر هو فن العربية الأول، وعند العرب "هو علمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه"^(١)، وهو "منتهى حكمتهم، به يلخون وإليه يسيرون، وهو العامل الذي يرضي نوازع نفوسهم، ويظفون ظماهم، ويهز مشاعرهم، يتقلون ويتقلدون في المناسبات والمجالات المختلفة، لذلك شغلوا بروايته وحرصوا على حفظه ودراسته"^(٢).

وقد أخذ شغف العرب وحرصهم عليه أشكالاً عدة، منها العناية بروايته وتوينه، فتنطلع الشعراء أنفسهم في - بداية الأمر - بدور هام في الرواية "فكثرت لهم المدرسة التي يتعلمون فيها صوغ الشعر ونظمه، والتسرس بأساليب الكلام وقنون القول، ومن أراد أن يصبح شاعراً لزم واحداً من فحولهم، يحفظه عنه، ويروي له"^(٣).

وكان الحرص شديداً على جمع الشعر والحفاظ عليه منذ العصر الجاهلي، وكان هؤلاء الرواة يعتمدون في الغالب على الرواية الشفهية ولا يستخدمون الكتابة إلا نلرا^(٤).

وقد صمت الحديث عن تكوين الشعر وخفت حدة روايته بعد للبعثة المحمدية، أورد ابن سلام (ت ٢٢٦ هـ) في طبقاته قول عمر بن الخطاب رضي لله عنه - السالف الفكر - : "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" ثم عقب عليه بقوله: "فجاء الإسلام فتشاعلت عنه العرب، وتشاغلتوا بالجهاد وغزو الفرس والروم، وليت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح، واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر، فلم يزولوا إلى ديوان متون ولا كتب مكتوب أنون" ذلك وقد هلك من للعرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم من كثير. وقد كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول، وما مدح هو وأهل بيته به، فصار ذلك إلى بني مروان، أو صار منه"^(٥).

وجاء ابن مخلون (ت ٢٣١ هـ) ليزيد الأمر وضوحاً وتفصيلاً، بقوله: "التصرف العرب عن ذلك - يعني الشعر وروايته وتوينه - أول الإسلام بما شغلهم من أمور الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فلأخسوا عن ذلك، وسكتوا عن اللخوض في النظم والنثر زمناً، ثم استقر ذلك، ووا نس الرشد من العملة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وخطره، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى دينهم منه"^(٦).

(١) محمد بن سلام الجعفي: طبقات فحول الشعراء، شرح الأستة: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٥٢ م، قول عمر بن الخطاب رضي لله عنه، ص ٢٢.

(٢) دالعمد جمال القمري: شروح الشعر الجاهلي، نشأتها وتطورها، (١ / ٥٣).

(٣) دالطاهر مكي: دراسة في مسافر الأندلس، ص ١٣.

(٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، (١ / ٦٥).

(٥) محمد بن سلام الجعفي: طبقات فحول الشعراء، ص ٢٢ - ٢٣.

(٦) ابن خلون: مقنة ابن خلون، بتحقيق د/عبيد الولد والي، دار النهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٦ م، (٣ / ١١٢٧).

المفضلا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

إن إغفال العرب للشعر، وإعراضهم عن روايته وتوثيقه، كانت مرحلة مؤقتة، ما لبثت - هذه المرحلة من القطيعة - أن زالت بروال أسبابها ودواعيها، فلم يكد بدول الوحي نعمت تحريره، حتى عاد الناس يروونه ويثرون من روايته.

وقد مرت مرحلة رواية الشعر في تاريخها الأول بمرحلتين أساسيتين، هما مرحلة الهواية، ثم الاحتراف، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن في كتب التراث.

المرحلة الأولى: وهي الرواية الطورية الطبيعية، وقد نهضت على أيدي "الشعراء الرواة"، وغلب عليهم حلق حط الشعر، ثم إنشده. ولا يتجاوزون ذلك إلى ضبطه وتحقيقه، وامتدت حياة هذا الطور حتى نهاية القرن الأول وبداية الثاني، وبرز من هؤلاء زهير راوية أوس بن حجر، ووصل كثير من هؤلاء الرواة إلى مرتبة كبيرة في عالم الشعر، بل صاروا من فحول الشعراء كالحطيئة راوية آل رهير، وهبة بن خثرم راوية الحطيئة .. إلخ، إلى حلق رواية القبيلة.

المرحلة الثانية: وهي الرواية العلمية المتخصصة، وقد نهضت على أيدي "الرواة العلماء"، الذين اتخذوا من الشعر موضوعا علميا، تدرسه وتحلله، وتأخذ عن شيخ أو أستاذ، ومن رواد هذه المرحلة: أبا عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ)، وحماد الراوية الكوفي (ت ١٥٦ هـ)، ثم أخذ عن هذين العالمين جل من يعرف من العلماء الرواة، فاعتمد الحلف على السلف، فالأصمعي جلس إلى أبي عمرو عشر حجاج، وسمع عنه وروى عنه، ويونس أخذ عن أبي عمرو، وكذلك حلف، وأبو عبيد أخذ عن يونس، كما أخذ حلف والكسائي، وحلف معلم الأصمعي، وسمع حلف من حماد، وأخذ أيضا عن عيسى بن عمر، وعن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ أبو زيد و ابن الأعراس عن المعضل^(١).

هذا وقد تعنت دوافع العرب لحمل الشعر وروايته، فشملت إلى جانب النوافع الدينية والعاطفية والقومية، نالغة الأهمية، جوانب وبواعث أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، في مقدمتها^(٢): المتعة الفنية، سواء كانت متعة نفسية أو متعة ذهنية، إلى جانب الباعث التعليمي، وما يتصل به من نشر الأشعار وإذاعتها، بالإضافة إلى الباعث العلمي، الذي يتصل بمد الحاجة العلمية الخالصة، التي شعرت بها الأمة حين تقدمت في دراسة العلوم شيئا ما واحتاجت إلى تنظيم البحث اللغوي، ودراسة التاريخ، على أسس من كلام العرب، فحينئذ مست الحاجة إلى الرواية والاستقصاء في جميع الأشعار لتلتزم فيها الشواهد على صحة ألفاظ اللغة.

وعلاقة الرواة بشرح الشعر علاقة قديمة، ترسخت منذ قصدي الرواة لكشف الغامض المبهم من شعرهم أو شعر رائهم الذين يروون لهم، عندما كان الشعر ينتقل شفاهة بين الناس، وعظم دورهم بعد تجميع الشعر، وتوثيقه

(١) انظر: د. محمد جميل المصري: شرح الشعر المعاني، شتاتها وتطورها، (١ / ٥٢ - ٧٤)، مع بحث التصريف.
(٢) انظر: نفسه: (١ / ٥٨ ، ٥٩)، مع بعض التصريف.

في كتب ودواوين شعرية، فصارت شروحيهم أكثر عمقا، بما أضفوه عليها من بعد تاريخي واجتماعي، إلى جانب نبوضهم بالمستوى الفني والدلالي.

ولكني ينتهي لرواية الأخبار والأشعار القيام بهذا الدور لا بد له من ثقافة موسوعية "عمادها معرفة اللغة وغريبها، والأللم وأحداثها، والمعدات وتليدها، والأمثل، والحديث، وأي القرآن ... وثقافة كهذه تمثل كما قلنا بحويه صدر راية قنمه في العلم راسخة، وهو علم بضروب من المعارف أحدها علم الشعر حفظا وإحاطة وتنصيا وتفسيراً، دون أن يكون ذلك الراوي معنى على وجه التخصص بما تفضل به لصيغة غيرها أو بما يعتاز به لفظ عن سواء، في إطار الاهتمام بمراتب الجودة"^(١). وهو ما تميز به رواية الحماسة، ونجحوا في الجمع بين ثقافة الرواية وعلم الشارح، إلى حد بعيد.

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان "لعلماء الرواية قواعد خاصة التزموا بها، وساروا على هديها في جمع الشعر وروايته، فهم جنوا في فحص الشعر الجاهلي ودراسته، وتمحيصه وتوثيقه، ولم يقلوا منه إلا ما ثبتت صحته، ولم يرووا منه إلا ما اطمأنوا إلى سلامته من الرضع والنحل، وكان حرصهم شديداً في تحديد مصادرهم، لذلك كانوا يتحرون جيداً عن محبريهم من الأعراب وغيرهم وكان حرصهم أشد عند أخذهم من الرواة الشعراء الذين قد يدخلون شعرهم الذاتي بين شبايا التصانيد والمقطعات التي يروونها لأبياتهم أو لغيرهم، أو لشعراء من ذويهم، فطغوا بتحزون من الأخذ من هؤلاء الرواة، وقد بلغ هؤلاء الرواة العماء من التثبت والتحقيق، والتمحيص والتنقيح، ومن المقتررة على تمييز المنحول، والنص على الموضوع، ما جعل بعض العلماء يفضلونهم على رواية الحديث"^(٢). وهنا ما أشير يحيى بن سعيد القطان بالقول: "رواية الشعر أعقل من رواية الحديث، لأن رواية الحديث بروون مصنوعا كثيراً، ورواية الشعر ساعة ينشئون المصنوع ينتقونه، ويقولون هذا مصنوع"^(٣).

إلا أن الرواة ليسوا جميعاً على درجة واحدة من الثقة والجودة فهم "ينفانون فيما بينهم صدقا وأمانة ونية، تبعاً لتكوينهم الطبقي والخصري والثقافي، وصمودهم أمام ضواغط البيئة حولهم، سلبية واجتماعية وعلمية. أو استجابتهم لها"^(٤).

وعلى الرغم من ذلك التمايز بينهم، وتلك الأخطاء التي قد يرتكبها بعضهم - عن عمد أو عن غير عمد - أقول على الرغم من ذلك تظل في نطق الهنات التي لا تتل من شأنهم ولا تتل من مكتتهم وجهدهم الذي بذلوه في سبيل الحفاظ على الأشعار وتأصيلها، "إن الرواة سهرروا على التراث واعتنوا في إطار ذلك بالشعر جمعاً وتفسيراً

(١) لخص الونداني: شرح الشعر عند العرب، ص ١٢٤، ١٢٥.
(٢) د. أحمد جمال المصري: شروح الشعر الجاهلي، نتائجها وتطورها (١ / ٦٨، ٦٧).
(٣) السيوطي: المزمع في علم اللغة وأنهاها، شرحه وضبطه أحمد السيد حد المولى، على محمد الحلوي، محمد أبو النصل إبراهيم، عيسى الحلبي الحلبي، القاهرة، د.ت. (١ / ١٠٦).
(٤) د.لطاهر مكي: دراسة في مصطلح الأدب، ص ١٧.

حتى وظوره للاحقين من النقاد الذين لقرنت رغبة بعضهم في استقلال صناعية النقد بالفض من جهود الرواة والعلماء بالشعر بالرغم من أن تلك الجهود، على حقها، هي التي رسمت لهم سبيل الاستقلال^(١).

وقد تواضع الرواة على مقاييس محددة، انزمو بها، وطبقوها في نقد الشعر، وتمييز صحيحه من منحوله^(٢):

أول هذه المقاييس: الإجماع، أي إجماع الرواة على صحة نسبة الشعر إلى قائله. قال ابن سلام: "أما ما اتفقوا عليه فلا أحد أن يخرج منه".

وثانيها: وجود الشعر في ديوان الشاعر، فقد دون هذه الدواوين علماء ثققت، ولذلك قبلوا ما جاء فيها في صورة اليقين والتضع، أما ما ذكره هؤلاء العلماء لتسم في تلك النواوين على أنه مشكوك فيه، فقد قبلوا أن ينقلوه كما هو ذاكرين أنفسهم.. وقد كثروا يبيعون لأنفسهم أحبا المظهر فيه وحته عسى أن يصلوا إلى شيء يوضح غوامض امره.

وثالث هذه المقاييس: حبرتهم و ثقافتهم ومعرفتهم بمذاهب الشعراء، وخصتصهم الفنية، وطرائقهم في التعبير، مما ثبتت صحته، وصنفت أحداثه وروايته، وتطبيقات أوصافه مع شعر الشاعر دون طعن من أحد أتباعه، وانقير يصدق أحاسيسهم، وعمق بصيرتهم، وما وجوه غير ذلك ولغزوه، يسمنهم في تلك سعة محفوظهم، ونهجم الحصر. وحسبهم الفنية بعلة هذا اللون من الشعر على شاعر معين.

فإذا ما انتقلنا إلى الرواية في شروح الحملة، وجنأها قد لقت اهتماما وغلبة بالغة من كثير من الشراح، استند الشراح معيار الحكم عليها، وتقييمها، من تلك المقاييس التي احتكم إليها أسلافهم من الشراح والرواة ونواضعوا عليها من قبل، مع إضافة بعض اللمسات الخاصة التي تميز كل شارح عن غيره، والتي نفرضها طبيعة النص ومصادره قوله، وهو ما سيتبين لنا عما قريب إن شاء الله.

وبعد تصنيف أبي هلال العسكري الذي يحمل عنوان "رسالة في ضبط ونحريير مواضع من الحملة" من أهم الشروح التي عنت بهذا الحقب - إن لم تكن أهمها على الإطلاق - فهذه للتصنيف هو تصحيح ما رآه المؤلف مخالفا للصواب من روايات بعض أبيات الحملة، وهو ما يوضحه قوله: "وبعد فقد مر بي في نسخة الحملة بخط بعض أخلاء الشيوخ، وتكر أنه قرأها على أبي بكر الخياط (ت ٣٢٠ هـ)، ولبي الحسين المهريري (ت ؟) مواضع لم تصبط، حق الضبط، ولم تجر على سنن العلل، فأريت الإيابة عن مواقع الزلل منها؛ لنلا أنسب إلى الخطأ، إذا رويت خلافها، والله أمتين، وعليه لتوكل، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه"^(٣).

(١) أحمد الزبرني: شرح الشعر عبد العرب، ص ١٢٥.

(٢) دألمد جمال المصري: شروح الشعر المعالي، تشبها ونظورها (١/ ٦٨، ٦٩).

(٣) أبو هلال العسكري رسالة في ضبط ونحريير مواضع من الحملة: مقدمة للمؤلف، ص ١٤٠، ١٤١.

ومما يؤكد ذلك أن الشراح "في أكثر المواضع التي عرض لضبطها وتحريها، يحرص على نسبة الأبيات إلى منشئها، بذكره أسماء الشعراء، أو لقبهم، أو كتابهم" (١).

وبمراجعة شروح ديوان الحملة واستقراتها، يمكن الوقوف على طقفة من الركز والدعائم التي استند إليها الشراح عند مقدمهم للرواية والرواة أسرع - إن شاء الله - في تفصيلها وعرضها فيما يلي:

أولاً: نقد الرواية:

حرص كثير من الشراح على بسط الروايات المتعددة للبيت أو النص الشعري الواحد، بعد تفسيرهم وتحليلهم له، ثم تنفيذ تلك الروايات وتمحيصها، أملاً في الوصول إلى الرواية الصحيحة التي تتفق مع بغية الشاعر ومراميه.

وفي سبيل ذلك صدر الشراح في تقديمهم لروايات أشعار الحملة وفق مجموعة من الأسس التي مكتتبهم في النهاية من الحكم على تلك الروايات بالصواب والخطأ، وأهم هذه الأسس نعرضها فيما يلي:

١- نقد الرواية القم على العقل (٢):

هو ذلك النقد الذي يتخذ من التحليل المنطقي، القم على الحجة والبرهان، وتنفيذ مزاعم الرواة، وسيلة للوصول إلى المعنى.

وقد استند إليه الشراح في توجيه الروايات وتمييز الصحيح الذي يقبله العقل - وإقصاء الأخرى التي تتنافى مع ما يقره الفكر والمنطق.

ومن أمثلة ذلك نقد المرزوقي للرواية التي وردت على بيت دريد بن الصمة: (الطويل)
فطاعَتْ غُفَةُ الْخَيْمِ حَتَّى تَبْدُتْ وَحَتَّى عُلَّتْ خَالِجُ الْكُوفِ أَسْوَدَ
نقد روي: "وحتى علاني حلك لون أسود".

قل المرزوقي: "والضعف فيه ظاهر" (٣). محلاً ضعف هذه الرواية بقوله: "إلا ترى أنه قل: "حلك" وهو الشديد السواد، ثم قل: (لون أسود) وفي إضافة لون أسود ما لا يرتضي" (٤).

وتنفيد أبي هلال العسكري للرواية التي وردت على بيت شاعر الحملة: (المربع)
إِكْلِيْنَهَا نَقْلٌ وَفِيَّ شَمْسٌ وَبِهَا وَخَزُّ الْبَسِيمِ يُمْثِلُ وَخَزُّ الْمِثَانِ

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحري مواضع من المملة: مقدمة المحقق، ص ١١٤.

(٢) د. أحمد جمال الصري: شروح أشعار الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ١١٢).

(٣) المرزوقي: شرح ديوان المملة: حاشية (٢٧١)، (١ / ٨١٧).

(٤) نفسه: (٨١٨/٢)، ونظر أيضاً: (٨٣/١).

بالحقول: " (الزول) : العجب، أراد: إكليل هذه العقرب (وفي شولها ..) .. أي: في شولها .. (شولة العقرب) : ذنبها، وسمي (شولة) ؛ لأنها تشبهه، إذا مشيت، أي: ترفعه. ورواه هذا الشيخ: (إكليلها ذنبك ..) ؛ وهو خطأ، وذلك أن (لَنَذَان) شيء تحمل منه الأسورة، نحو العاج؛ فلا يكون ذلك للعقرب .. " (١).

ب - نقد الرواية القلم على السيق (٢):

تأخذ الشراح من سيق القول معياراً لترجيح الرواية التي تتناسب مع المضمون، بشكل تراعى فيه خصوصية المعنى والدلالات العلمية للبيت الشعري.

كما جاء في نقد السرزوقي للرواية في قول سيرة بن عمرو التميمي:

نُحَابِي بِهَـمَا أَكْثَرُهَا وَهَبْنَهَا وَتَشْرِبُ فِي أَثْقَالِهَا وَنَفَائِزِ

حيث شرع في شرح روايته التي اعتمدها بقوله: "بين فيه وجوه تصرفهم فيما عيروهم به، فقال: نجعلها (يقصد الإبل) حياءً لنظرانها، فتهاذى بها وتسهل تمكن العفاة والزوار منها، فهذا ما يدل عليه من سيق المعنى، والدليل على ذلك قول الشاعر (وتبيحها فتصرف ألقها إلى الخمر والإنثى، وتضرب بالقدح عليها في الميسر عند اشتداد الزمان، فغرقها في الضعفاء والمحتاحين إليها) " (٣). ثم يستطرد قنلاً: "وفي تعداد هذه الوجوه يطل لكل ما أوهم أو ادعى يلحق من العار في اقتلتها وانخارها .." (٤). ثم نراه ينتقل بعد كل هذا الشرح والتفسير إلى الرواية الأخرى الضعيفة في رأيه فيقول: "أما رواية بعضهم (نحابي بها أكفأنا)، أي تعاليمهم بها ونجلهم" لأن مفهوم هذا الراوي، "ليس شيء ولا تفرح عليه" (٥).

وكذلك ما ورد في قول سهل بن شيبان:

فَسَيِّئًا مِثْلُ شَيْئَةِ اللَّيْلِ شِثْ غَدَا وَاللَّيْلُ شِثْ غَضْبَانِ

يقول المرزوقي عن قصد الشاعر كما هو واضح من السياق: "سبعا إليهم مشية الأسد، ابتكر وهو حقيق، وكفى عن الموع بالمصعب لأنه يصحبه. أما من روى (غدا) على أن يكون من العنوا "البيت روايته محسنة" (٦)، ويدعم المرزوقي رأيه هنا بقوله "لأن اللبث في أكثر أحواله ظلم عاد" (٧)، وهو ما أكده النمرى بقوله: "ومما يقوي هذه الرواية، أنه قد روي: "مشينا مشية اللبث". ولا يجوز ها هنا إلا "غدا" بالفتح معجمة، فإن اللبث لا يكون مشيا عليها في حال واحدة. فإن قيل: "غدا" ها هنا أيضا من "العنوان"، فالجواب أن اللبث لا يمشي في حال عدوانه، وإنما يشد شدا، فهذا بين واضح" (٨).

(١) أبو هلال الصكري: رسالة في ضبط وتحريز مواضع من القصيدة: كثرة (٥٣) ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) م/المد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٢).

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٠)، (١ / ٣٢٩)، وانظر: د/أحمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٤) نسيمة: حماسة (٦٠)، (١ / ٣٣٩)، وانظر: د/أحمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٢٣٩/١، وانظر ٢٨٧/١ حيث يجوز وفاة أخفى من عده - فهو بمرمة - اعتمادا على سبق الكلام، وانظر: أحمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢، ٢١٣.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢)، (١ / ٣٦١)، وانظر: شرح للمنصليات ٨٨٩ (الملحق بشرح الأثيري)، وانظر: د/أحمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٧) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ٣٦/١، وانظر: أحمد جمال السري: شرح الشعر الجاهلي: ص ٢١٢.

(٨) النمرى: معاني فيات الحماسة: حماسة (٢) ص ٩، وانظر: ابن قلاوون: تفسير كتاب الحماسة، ص ٤٤.

وفيها أيضا: (المزج)

وَقَدْ قَفَّيْنَاهُ الْفَقْدُ غَضًا وَالْفَقْدُ غَضًا

يقول النمرى: " الغين والذال من "غذا" معجمتان. و"الغفوان"، أصله في البحر أن يرسل بو" له فلغا فلغا، ومن رواه بالذال قد أساء وأخطأ" (١).

وقد يعتمد الشارح أحيقا على النظر في ملول اللفظ الرواية ومدى منسبتها للسباق الذي أخرجت فيه، لملأ
عند قول أبي كبير الهذلي:

بِئْسَ خَمْلَانِ بِهِ وَقَدْ غَضَّيْنَاهُ الْفَقْدُ غَضًا

نجد المرزوقي ينقد رواية أصل الحماسة ذاكرة أن الرواية "حبك الثياب" وليست "حبك النطق" ذلك "لأن النطق قد جاء من بعد في صفة أم المقسم فتكرر، ولأن النطق لا يكون له حبك وطرائق" (٢)، فهو هنا كما يبدو "اعتمد في نقد الرواية على أمرين: أولهما تكرر الحديث عن النطق في موضعين من الأبيات، وثانيهما وهو المهم أن الحبك لا يتناسب مع النطق، ولا يتشاكله لأن النطق لا يكون له حبك" (٣).

وفي أثناء ذلك نجد الشارح قد بينى توجيهه وتفضيله للرواية المختارة بمحيار وحدة بنية البيت، وملامنة اللفظ للمعنى المراد، كما في نقد النمرى للرواية الواردة في قول الشداخ بن يعمر:

الْقَوْمُ أَتَيْنَاهُمُ فَهُمْ شَرُّ قَوْمٍ الرُّسُ، لَا يَنْشُرُونَ إِنْ قُتِلُوا

بالقول: " ويروى "ينشرون"، يجعل الفعل لهم، يقال: "نشر الميت، فهو نائر"، إذا حي، و"ينشرون" ما هنا، أحب إلي، لقوله: "إن قتلوا"، يكون الفعلان لغيرهم" (٤).

نقد اختار الشارح رواية "ينشرون" على البناء للمجهول، ورد رواية "ينشرون" على البناء للمعلوم؛ لأن روايته المختارة تحقق التلازم والتناسب بين اللفظ والمعنى داخل سياق البيت، وعدم مراعاة ذلك يؤدي بالمعنى إلى الخلل والتناقض.

كما نجد أثر المعنى جليا لدى المرزوقي في نقده للرواية ونصوبيها، فهو كثيرا ما ينقد الرواية بدعوى أنها لا تتسجم مع ما يقتضيه المعنى، نجد ذلك واضحا في شرحه لقول عامر بن الطفيل:

أَكْرَمُ غُلَامِهِمْ دَغْلًا وَلَبَنَةً إِذَا مَا اشْتَقَى وَفَخَ الزَّوْجَ تَحْمَخَنًا

بالقول: "أنصف فرسي دغلا عليهم حالا بعد حال وكرا بعد فر وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدره حمحم، وجعل الفعل للصدر على المجاز والسمة لكونه موقع الطعن، هذا إذا رويت: ولبيته "بالرفع، لأن بعض الناس روى "ولبيته" بالنصب كنه فر من أن يكون الاشتكاء والتحمحم للبان على كثرة نسبة الاشتكاء إلى الأعضاء الأئمة فوق فيما هو أفتح لأن المراد أكر عليهم فرسي فلا معنى لعطف اللبان عليه" (٥).

(١) النمرى: معاني أبيات الحماسة: جملة (٢) ص ٩، وقدر كذلك: الحماسة (٢٦٦)، ص ١١٥.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٢)، (٨٥ / ١)، ونظر أيضا ما يمثل ذلك: (٨١٨ / ١).

(٣) د/عبد الله عبد الرحمن صولان: جملة أبي تمام وشروحه: ص ١٠١.

(٤) النمرى: معاني أبيات الحماسة: حماسة (١٠) ص ٥٢.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٧)، (١٥٤ / ١).

جـ - نقد الرواية القائم على التخصيص^(١):

إن الشارح في سبيل تحقيقه للمعنى الذي يرمى إليه، لا تنوّه معرفة الروايات المختلفة للنص الشعري، فالإحاطة بمثل تلك التفاصيل تمثل جانباً ذا خطر في ثقلة الشارح الذي يسعى إلى رصد إلى كل ما يحين على فهم المعنى الشعري من زوايته ورؤيته النحوية.

والشواهد على ذلك كثيرة .. منها ما جاء في شرح بيت عمرو بن معد يكرب: (مجزوء الكلل)

فَإِنَّا إِن جَزَعْنَا لَآ هَلْفَ لَآ نَزَعْنَا بِكَ إِنَّا زَنَدَا

قل المرزوقي: " كان بعض الثمن يرويه (ولا يرد بكاي زيدا) وزعم أنه أخ له. ورأيت من زعم له قتل عن نسب عمرو فلم يجد له نسباً، ولا شقيقاً يسمى زيدا، على أن قوله "كم من أخ لي صالح" (البيت السابق) لا يلتزمه - فيما يتضمّنه سبق اللفظ ونظام المعنى، ومع إلفته الكثرة، أن يقبل بـ "ولا يرد بكاي أخي زيدا مع تخصصه"^(٢). ويورد المرزوقي ما يزيد روايته العليا بقوله: "أما من روى (زندا) فبعض الشيوخ كان يقول: أراد ولا يرد بكاي شره، فنكر الزند، وأراد ما يخرج منه عند القدح"^(٣). ويضيف من عنده تفسيراً لهذه الرواية يزيداً ويظهرها فيقول: "وأحسن من هذا أن يكون ذكر الزند تكليلاً لمعقّدة العزن لو تكلفه عندهما من النجبة بالراح المنكورة .. وهم يستعملون الرند في هذا المعنى - وهذا المعنى حسن واشتد له قوي"^(٤). ثم يزيد المرزوقي ما يجعل الأمر أكثر وضوحاً وتخصيصاً - وفي ذات الوقت - يدل على اطلاعه وتحقّقه من الروايات للصحبة .. وهي جميعاً لا تتفق مع ما نكره البعض (ولا يرد بكاي زيدا) فيقول: "ورأيت في بعض النسخ (ولا يرد بكاي ردا) وهذا حسن أيضاً .. والمعنى: ولا يغني بكاي شيئاً"^(٥).

ومما يصدّف من هذا أيضاً، ضبط أبي حلال العسكري لقول عرقٍ للطلّعي: (الطويل)

وَمَنْ لَا شَوَابِي دَارَ دَهْرٍ شَرِّ فَيْتَةٍ وَمَنْ أَنْتَ تَبْكِي خَلَّ نَسْوَغٍ تَقَارُفَةٍ

وتحريه له بقوله: "رأيتُ بخط (أبي الحسن بن هارون): (يَحْزَنُ بَيْتَةً)، ورأيتُ في نسخة: (غير نية)؛ وكلاهما خطأ .. والصواب: (يَحْزَنُ فَيْتَةً). و(الفَيْتَةُ): الحين، ويُقال: لا نراك إلا الفَيْتَةَ بعدَ الفَيْتَةِ، أي: الحين، وقيل: (الفَيْتَةُ): الداعة، قيل تغلب: المزاة"^(٦).

وكذلك ضبطه منها: (الطويل)

تَغْلِبُ بِمَخْرَجِ التَّوْشِيَةِ ثَائِي خَفَفُوا زِنَاعَ فَيْدٍ أَمَحَّتْ نَوَابِلَهُ

بالقول: "(النوابل) عرقُ الوجّه. و(أَمَحَّتْ): صارَ فيها منْحٌ. يُرِيدُ جَمْعاً لَدَفَ قَوِيٍّ وَاشْتَدَّ. وَرَأَيْتُهُ بِحُطِّ (ابن هارون): (فَدَا أَمَحَّتْ) بالخاء، و(الأمحاح): الإخلاق، وليس له - هنا - مؤنّج. (أَمَحَّ لِشَبِّ): إذا أخلّق، و(أمحاح) (النوابل) معرّف ..."^(٧).

(١) د. أحمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٢).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (٢٤)، (١ / ١٧٩).

(٣) نسه: حماسة (٣٤)، (١ / ١٧٩).

(٤) نسه: حماسة (٣٤)، (١ / ١٧٩).

(٥) نسه: حماسة (٣٤)، (١ / ١٧٩)، وتظهر د. أحمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٤، ٢١٣).

(٦) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريرواوضاع من الحماسة: للفترة (٧١) من ٣٢٦، ٣٢٧.

(٧) نفسه: لفترة (٧٢) من ٣٢٧، ٣٢٨.

وما جاء في شرح النمرى لقول أبي عطاء السندي:

(الطويل)

فَقَرَّضْتُ بِالْخَطِّ بَطِيْنًا وَفَلَّضْتُ بِهَا السُّفْهَانَ

بالقول: "وجدت في نسخة: "وقد فُهِكْتُ"، و"فُهِكْتُ، من المفقطة"، من قولك: "رجل منهوك"، إذا أخذ منه المرض، أي: تحطمت الراحا بلعينا، والأول أحسن، ألا ترى أن ذكره لها وهو مطعمون أحسن منه وهو طاعن ؟ فإن أراد بقوله: "فُهِكْتُ منا"، أي: طعنا بها إلى أن فُهِكْتُ، فالمرضى فيه، وفي فُهِكْتُ واحد" (١).

والى جانب أوجه النقد السابقة للرواية نجد أن الشراح قد تصدعت وسقطهم وطرفهم في التعامل مع الشعر وتناولهم للروايات المختلفة لنصومه، وترجيح أحدها على الأخرى، من خلال احتجاجهم للشاعر أو عليه، إذ يحد الشراح إلى نصوص خارجية وصلونها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهادف إلى تعزيز قراءتهم أو ما يذهبون إليه.

ففي إطار سعي الشراح إلى تليد روايته فإنه يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة من نثر وشعر، أو ما جرت عليه عادة العرب في استخدام المفردة وبما يتصل به من أحوالها.

فمن أمثلة الاستعانة بالشواهد النثرية من قرآن، يلتفت لفظ القارئ دأب الشراح على تأكيد حجتهم، ونحضر روايات مخالفتهم، يستعمل بعض الشواهد القرآنية التي منها ما أورده أبو هلال العسكري في ضبطه لبنت الآخر (العباس بن مرداس):

أَرَأَيْتَ لِبَنَاتِ السُّرَّاقِ فَلَمْ تَقُومِ إِلَيْهِمْ وَتَكُنَّ طَائِفَتَهُ الْوَلَدِ

وتحريده بقوله: "يصف امرأة بالكمل، والنعمة، ويذكر أنها مكنته. أي: أرادت لتناول رواق البيت لغرض لها فيه، فلم تقم إليه، لتكملها عن حوائجها، ولكن طلطلت الولاند (وهن : الإماء) الرواق إليها، فقضت من تناولها وطرها، من خير أن تتجشم القيام إليه. و(التناوش): التناول، ومنه قوله تعالى: (وقالوا أمنا به ولنن التناوش من مكان بعيد) (سبا ٥٢)!.. ورواه هذا الشيخ: (ولكن طلطلتها الولاند)، أي: طلطلات الولاند هذه المرأة .. وليس لذلك معنى هنا البتة. وطلطلتها: باعتها عن انتيلان الرواق، وهذا ذلب المراد هنا" (٢).

أو فيما ضرب المثل له، كما يعال المرزوقي في رده لرواية (جتحت النبل) في قول آخر، (وضرب من عمه مولى له "زيادة من النمرى":

إِنْ كُنْتُ لَا أُرْزِي وَتُرْزِي كُنْتُ نَبِيْ صَبِيْ جَانِحَاتِ النَّبْلِ غَشَجِي وَنَشَجِي

واعتبارها ليست بجيدة، لأن " الغرض ما ذكرته من أن من يمسه أمره إذا قصد كل كنهه، فإن قيل: فلم خص الجاتحات؟ قلت: المراد فيما ضرب المثل له: بني رميت إذا رميت الجعبة المعلقة علي، لأن بعض السهم يصيبه وبعضها يصيبني. وإذا كان كذلك فلا بد من ذكر الجاتحت " (٣).

(١) النمرى: معنى أبيت للصناعة: حسنة (٧) ص ١٨٠، ١٧. وتظهر تلك الصيغة (١١) ص ٢٠، ٢١، والصيغة (٧٦٤) ص ٢٢٢.
(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في سطر وتحرير مواسم من الصناعة: لقرة (٤٨) ص ٢٥٧، ٢٥٩، وانظر كذلك: لقرة (٢) ص ١١٨، ١٢٧.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الصناعة: حسنة (١٠٠)، (٣١١ / ١)، (٣١٢)، (٣١٣)، (٣١٤)، (٣١٥)، (٣١٦)، (٣١٧)، (٣١٨)، (٣١٩)، (٣٢٠)، (٣٢١)، (٣٢٢)، (٣٢٣)، (٣٢٤)، (٣٢٥)، (٣٢٦)، (٣٢٧)، (٣٢٨)، (٣٢٩)، (٣٣٠)، (٣٣١)، (٣٣٢)، (٣٣٣)، (٣٣٤)، (٣٣٥)، (٣٣٦)، (٣٣٧)، (٣٣٨)، (٣٣٩)، (٣٤٠)، (٣٤١)، (٣٤٢)، (٣٤٣)، (٣٤٤)، (٣٤٥)، (٣٤٦)، (٣٤٧)، (٣٤٨)، (٣٤٩)، (٣٥٠)، (٣٥١)، (٣٥٢)، (٣٥٣)، (٣٥٤)، (٣٥٥)، (٣٥٦)، (٣٥٧)، (٣٥٨)، (٣٥٩)، (٣٦٠)، (٣٦١)، (٣٦٢)، (٣٦٣)، (٣٦٤)، (٣٦٥)، (٣٦٦)، (٣٦٧)، (٣٦٨)، (٣٦٩)، (٣٧٠)، (٣٧١)، (٣٧٢)، (٣٧٣)، (٣٧٤)، (٣٧٥)، (٣٧٦)، (٣٧٧)، (٣٧٨)، (٣٧٩)، (٣٨٠)، (٣٨١)، (٣٨٢)، (٣٨٣)، (٣٨٤)، (٣٨٥)، (٣٨٦)، (٣٨٧)، (٣٨٨)، (٣٨٩)، (٣٩٠)، (٣٩١)، (٣٩٢)، (٣٩٣)، (٣٩٤)، (٣٩٥)، (٣٩٦)، (٣٩٧)، (٣٩٨)، (٣٩٩)، (٤٠٠)، (٤٠١)، (٤٠٢)، (٤٠٣)، (٤٠٤)، (٤٠٥)، (٤٠٦)، (٤٠٧)، (٤٠٨)، (٤٠٩)، (٤١٠)، (٤١١)، (٤١٢)، (٤١٣)، (٤١٤)، (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٧)، (٤١٨)، (٤١٩)، (٤٢٠)، (٤٢١)، (٤٢٢)، (٤٢٣)، (٤٢٤)، (٤٢٥)، (٤٢٦)، (٤٢٧)، (٤٢٨)، (٤٢٩)، (٤٣٠)، (٤٣١)، (٤٣٢)، (٤٣٣)، (٤٣٤)، (٤٣٥)، (٤٣٦)، (٤٣٧)، (٤٣٨)، (٤٣٩)، (٤٤٠)، (٤٤١)، (٤٤٢)، (٤٤٣)، (٤٤٤)، (٤٤٥)، (٤٤٦)، (٤٤٧)، (٤٤٨)، (٤٤٩)، (٤٥٠)، (٤٥١)، (٤٥٢)، (٤٥٣)، (٤٥٤)، (٤٥٥)، (٤٥٦)، (٤٥٧)، (٤٥٨)، (٤٥٩)، (٤٦٠)، (٤٦١)، (٤٦٢)، (٤٦٣)، (٤٦٤)، (٤٦٥)، (٤٦٦)، (٤٦٧)، (٤٦٨)، (٤٦٩)، (٤٧٠)، (٤٧١)، (٤٧٢)، (٤٧٣)، (٤٧٤)، (٤٧٥)، (٤٧٦)، (٤٧٧)، (٤٧٨)، (٤٧٩)، (٤٨٠)، (٤٨١)، (٤٨٢)، (٤٨٣)، (٤٨٤)، (٤٨٥)، (٤٨٦)، (٤٨٧)، (٤٨٨)، (٤٨٩)، (٤٩٠)، (٤٩١)، (٤٩٢)، (٤٩٣)، (٤٩٤)، (٤٩٥)، (٤٩٦)، (٤٩٧)، (٤٩٨)، (٤٩٩)، (٥٠٠)، (٥٠١)، (٥٠٢)، (٥٠٣)، (٥٠٤)، (٥٠٥)، (٥٠٦)، (٥٠٧)، (٥٠٨)، (٥٠٩)، (٥١٠)، (٥١١)، (٥١٢)، (٥١٣)، (٥١٤)، (٥١٥)، (٥١٦)، (٥١٧)، (٥١٨)، (٥١٩)، (٥٢٠)، (٥٢١)، (٥٢٢)، (٥٢٣)، (٥٢٤)، (٥٢٥)، (٥٢٦)، (٥٢٧)، (٥٢٨)، (٥٢٩)، (٥٣٠)، (٥٣١)، (٥٣٢)، (٥٣٣)، (٥٣٤)، (٥٣٥)، (٥٣٦)، (٥٣٧)، (٥٣٨)، (٥٣٩)، (٥٤٠)، (٥٤١)، (٥٤٢)، (٥٤٣)، (٥٤٤)، (٥٤٥)، (٥٤٦)، (٥٤٧)، (٥٤٨)، (٥٤٩)، (٥٥٠)، (٥٥١)، (٥٥٢)، (٥٥٣)، (٥٥٤)، (٥٥٥)، (٥٥٦)، (٥٥٧)، (٥٥٨)، (٥٥٩)، (٥٦٠)، (٥٦١)، (٥٦٢)، (٥٦٣)، (٥٦٤)، (٥٦٥)، (٥٦٦)، (٥٦٧)، (٥٦٨)، (٥٦٩)، (٥٧٠)، (٥٧١)، (٥٧٢)، (٥٧٣)، (٥٧٤)، (٥٧٥)، (٥٧٦)، (٥٧٧)، (٥٧٨)، (٥٧٩)، (٥٨٠)، (٥٨١)، (٥٨٢)، (٥٨٣)، (٥٨٤)، (٥٨٥)، (٥٨٦)، (٥٨٧)، (٥٨٨)، (٥٨٩)، (٥٩٠)، (٥٩١)، (٥٩٢)، (٥٩٣)، (٥٩٤)، (٥٩٥)، (٥٩٦)، (٥٩٧)، (٥٩٨)، (٥٩٩)، (٦٠٠)، (٦٠١)، (٦٠٢)، (٦٠٣)، (٦٠٤)، (٦٠٥)، (٦٠٦)، (٦٠٧)، (٦٠٨)، (٦٠٩)، (٦١٠)، (٦١١)، (٦١٢)، (٦١٣)، (٦١٤)، (٦١٥)، (٦١٦)، (٦١٧)، (٦١٨)، (٦١٩)، (٦٢٠)، (٦٢١)، (٦٢٢)، (٦٢٣)، (٦٢٤)، (٦٢٥)، (٦٢٦)، (٦٢٧)، (٦٢٨)، (٦٢٩)، (٦٣٠)، (٦٣١)، (٦٣٢)، (٦٣٣)، (٦٣٤)، (٦٣٥)، (٦٣٦)، (٦٣٧)، (٦٣٨)، (٦٣٩)، (٦٤٠)، (٦٤١)، (٦٤٢)، (٦٤٣)، (٦٤٤)، (٦٤٥)، (٦٤٦)، (٦٤٧)، (٦٤٨)، (٦٤٩)، (٦٥٠)، (٦٥١)، (٦٥٢)، (٦٥٣)، (٦٥٤)، (٦٥٥)، (٦٥٦)، (٦٥٧)، (٦٥٨)، (٦٥٩)، (٦٦٠)، (٦٦١)، (٦٦٢)، (٦٦٣)، (٦٦٤)، (٦٦٥)، (٦٦٦)، (٦٦٧)، (٦٦٨)، (٦٦٩)، (٦٧٠)، (٦٧١)، (٦٧٢)، (٦٧٣)، (٦٧٤)، (٦٧٥)، (٦٧٦)، (٦٧٧)، (٦٧٨)، (٦٧٩)، (٦٨٠)، (٦٨١)، (٦٨٢)، (٦٨٣)، (٦٨٤)، (٦٨٥)، (٦٨٦)، (٦٨٧)، (٦٨٨)، (٦٨٩)، (٦٩٠)، (٦٩١)، (٦٩٢)، (٦٩٣)، (٦٩٤)، (٦٩٥)، (٦٩٦)، (٦٩٧)، (٦٩٨)، (٦٩٩)، (٧٠٠)، (٧٠١)، (٧٠٢)، (٧٠٣)، (٧٠٤)، (٧٠٥)، (٧٠٦)، (٧٠٧)، (٧٠٨)، (٧٠٩)، (٧١٠)، (٧١١)، (٧١٢)، (٧١٣)، (٧١٤)، (٧١٥)، (٧١٦)، (٧١٧)، (٧١٨)، (٧١٩)، (٧٢٠)، (٧٢١)، (٧٢٢)، (٧٢٣)، (٧٢٤)، (٧٢٥)، (٧٢٦)، (٧٢٧)، (٧٢٨)، (٧٢٩)، (٧٣٠)، (٧٣١)، (٧٣٢)، (٧٣٣)، (٧٣٤)، (٧٣٥)، (٧٣٦)، (٧٣٧)، (٧٣٨)، (٧٣٩)، (٧٤٠)، (٧٤١)، (٧٤٢)، (٧٤٣)، (٧٤٤)، (٧٤٥)، (٧٤٦)، (٧٤٧)، (٧٤٨)، (٧٤٩)، (٧٥٠)، (٧٥١)، (٧٥٢)، (٧٥٣)، (٧٥٤)، (٧٥٥)، (٧٥٦)، (٧٥٧)، (٧٥٨)، (٧٥٩)، (٧٦٠)، (٧٦١)، (٧٦٢)، (٧٦٣)، (٧٦٤)، (٧٦٥)، (٧٦٦)، (٧٦٧)، (٧٦٨)، (٧٦٩)، (٧٧٠)، (٧٧١)، (٧٧٢)، (٧٧٣)، (٧٧٤)، (٧٧٥)، (٧٧٦)، (٧٧٧)، (٧٧٨)، (٧٧٩)، (٧٨٠)، (٧٨١)، (٧٨٢)، (٧٨٣)، (٧٨٤)، (٧٨٥)، (٧٨٦)، (٧٨٧)، (٧٨٨)، (٧٨٩)، (٧٩٠)، (٧٩١)، (٧٩٢)، (٧٩٣)، (٧٩٤)، (٧٩٥)، (٧٩٦)، (٧٩٧)، (٧٩٨)، (٧٩٩)، (٨٠٠)، (٨٠١)، (٨٠٢)، (٨٠٣)، (٨٠٤)، (٨٠٥)، (٨٠٦)، (٨٠٧)، (٨٠٨)، (٨٠٩)، (٨١٠)، (٨١١)، (٨١٢)، (٨١٣)، (٨١٤)، (٨١٥)، (٨١٦)، (٨١٧)، (٨١٨)، (٨١٩)، (٨٢٠)، (٨٢١)، (٨٢٢)، (٨٢٣)، (٨٢٤)، (٨٢٥)، (٨٢٦)، (٨٢٧)، (٨٢٨)، (٨٢٩)، (٨٣٠)، (٨٣١)، (٨٣٢)، (٨٣٣)، (٨٣٤)، (٨٣٥)، (٨٣٦)، (٨٣٧)، (٨٣٨)، (٨٣٩)، (٨٤٠)، (٨٤١)، (٨٤٢)، (٨٤٣)، (٨٤٤)، (٨٤٥)، (٨٤٦)، (٨٤٧)، (٨٤٨)، (٨٤٩)، (٨٥٠)، (٨٥١)، (٨٥٢)، (٨٥٣)، (٨٥٤)، (٨٥٥)، (٨٥٦)، (٨٥٧)، (٨٥٨)، (٨٥٩)، (٨٦٠)، (٨٦١)، (٨٦٢)، (٨٦٣)، (٨٦٤)، (٨٦٥)، (٨٦٦)، (٨٦٧)، (٨٦٨)، (٨٦٩)، (٨٧٠)، (٨٧١)، (٨٧٢)، (٨٧٣)، (٨٧٤)، (٨٧٥)، (٨٧٦)، (٨٧٧)، (٨٧٨)، (٨٧٩)، (٨٨٠)، (٨٨١)، (٨٨٢)، (٨٨٣)، (٨٨٤)، (٨٨٥)، (٨٨٦)، (٨٨٧)، (٨٨٨)، (٨٨٩)، (٨٩٠)، (٨٩١)، (٨٩٢)، (٨٩٣)، (٨٩٤)، (٨٩٥)، (٨٩٦)، (٨٩٧)، (٨٩٨)، (٨٩٩)، (٩٠٠)، (٩٠١)، (٩٠٢)، (٩٠٣)، (٩٠٤)، (٩٠٥)، (٩٠٦)، (٩٠٧)، (٩٠٨)، (٩٠٩)، (٩١٠)، (٩١١)، (٩١٢)، (٩١٣)، (٩١٤)، (٩١٥)، (٩١٦)، (٩١٧)، (٩١٨)، (٩١٩)، (٩٢٠)، (٩٢١)، (٩٢٢)، (٩٢٣)، (٩٢٤)، (٩٢٥)، (٩٢٦)، (٩٢٧)، (٩٢٨)، (٩٢٩)، (٩٣٠)، (٩٣١)، (٩٣٢)، (٩٣٣)، (٩٣٤)، (٩٣٥)، (٩٣٦)، (٩٣٧)، (٩٣٨)، (٩٣٩)، (٩٤٠)، (٩٤١)، (٩٤٢)، (٩٤٣)، (٩٤٤)، (٩٤٥)، (٩٤٦)، (٩٤٧)، (٩٤٨)، (٩٤٩)، (٩٥٠)، (٩٥١)، (٩٥٢)، (٩٥٣)، (٩٥٤)، (٩٥٥)، (٩٥٦)، (٩٥٧)، (٩٥٨)، (٩٥٩)، (٩٦٠)، (٩٦١)، (٩٦٢)، (٩٦٣)، (٩٦٤)، (٩٦٥)، (٩٦٦)، (٩٦٧)، (٩٦٨)، (٩٦٩)، (٩٧٠)، (٩٧١)، (٩٧٢)، (٩٧٣)، (٩٧٤)، (٩٧٥)، (٩٧٦)، (٩٧٧)، (٩٧٨)، (٩٧٩)، (٩٨٠)، (٩٨١)، (٩٨٢)، (٩٨٣)، (٩٨٤)، (٩٨٥)، (٩٨٦)، (٩٨٧)، (٩٨٨)، (٩٨٩)، (٩٩٠)، (٩٩١)، (٩٩٢)، (٩٩٣)، (٩٩٤)، (٩٩٥)، (٩٩٦)، (٩٩٧)، (٩٩٨)، (٩٩٩)، (١٠٠٠)، (١٠٠١)، (١٠٠٢)، (١٠٠٣)، (١٠٠٤)، (١٠٠٥)، (١٠٠٦)، (١٠٠٧)، (١٠٠٨)، (١٠٠٩)، (١٠١٠)، (١٠١١)، (١٠١٢)، (١٠١٣)، (١٠١٤)، (١٠١٥)، (١٠١٦)، (١٠١٧)، (١٠١٨)، (١٠١٩)، (١٠٢٠)، (١٠٢١)، (١٠٢٢)، (١٠٢٣)، (١٠٢٤)، (١٠٢٥)، (١٠٢٦)، (١٠٢٧)، (١٠٢٨)، (١٠٢٩)، (١٠٣٠)، (١٠٣١)، (١٠٣٢)، (١٠٣٣)، (١٠٣٤)، (١٠٣٥)، (١٠٣٦)، (١٠٣٧)، (١٠٣٨)، (١٠٣٩)، (١٠٤٠)، (١٠٤١)، (١٠٤٢)، (١٠٤٣)، (١٠٤٤)، (١٠٤٥)، (١٠٤٦)، (١٠٤٧)، (١٠٤٨)، (١٠٤٩)، (١٠٥٠)، (١٠٥١)، (١٠٥٢)، (١٠٥٣)، (١٠٥٤)، (١٠٥٥)، (١٠٥٦)، (١٠٥٧)، (١٠٥٨)، (١٠٥٩)، (١٠٦٠)، (١٠٦١)، (١٠٦٢)، (١٠٦٣)، (١٠٦٤)، (١٠٦٥)، (١٠٦٦)، (١٠٦٧)، (١٠٦٨)، (١٠٦٩)، (١٠٧٠)، (١٠٧١)، (١٠٧٢)، (١٠٧٣)، (١٠٧٤)، (١٠٧٥)، (١٠٧٦)، (١٠٧٧)، (١٠٧٨)، (١٠٧٩)، (١٠٨٠)، (١٠٨١)، (١٠٨٢)، (١٠٨٣)، (١٠٨٤)، (١٠٨٥)، (١٠٨٦)، (١٠٨٧)، (١٠٨٨)، (١٠٨٩)، (١٠٩٠)، (١٠٩١)، (١٠٩٢)، (١٠٩٣)، (١٠٩٤)، (١٠٩٥)، (١٠٩٦)، (١٠٩٧)، (١٠٩٨)، (١٠٩٩)، (١١٠٠)، (١١٠١)، (١١٠٢)، (١١٠٣)، (١١٠٤)، (١١٠٥)، (١١٠٦)، (١١٠٧)، (١١٠٨)، (١١٠٩)، (١١١٠)، (١١١١)، (١١١٢)، (١١١٣)، (١١١٤)، (١١١٥)، (١١١٦)، (١١١٧)، (١١١٨)، (١١١٩)، (١١٢٠)، (١١٢١)، (١١٢٢)، (١١٢٣)، (١١٢٤)، (١١٢٥)، (١١٢٦)، (١١٢٧)، (١١٢٨)، (١١٢٩)، (١١٣٠)، (١١٣١)، (١١٣٢)، (١١٣٣)، (١١٣٤)، (١١٣٥)، (١١٣٦)، (١١٣٧)، (١١٣٨)، (١١٣٩)، (١١٤٠)، (١١٤١)، (١١٤٢)، (١١٤٣)، (١١٤٤)، (١١٤٥)، (١١٤٦)، (١١٤٧)، (١١٤٨)، (١١٤٩)، (١١٥٠)، (١١٥١)، (١١٥٢)، (١١٥٣)، (١١٥٤)، (١١٥٥)، (١١٥٦)، (١١٥٧)، (١١٥٨)، (١١٥٩)، (١١٦٠)، (١١٦١)، (١١٦٢)، (١١٦٣)، (١١٦٤)، (١١٦٥)، (١١٦٦)، (١١٦٧)، (١١٦٨)، (١١٦٩)، (١١٧٠)، (١١٧١)، (١١٧٢)، (١١٧٣)، (١١٧٤)، (١١٧٥)، (١١٧٦)، (١١٧٧)، (١١٧٨)، (١١٧٩)، (١١٨٠)، (١١٨١)، (١١٨٢)، (١١٨٣)، (١١٨٤)، (١١٨٥)، (١١٨٦)، (١١٨٧)، (١١٨٨)، (١١٨٩)، (١١٩٠)، (١١٩١)، (١١٩٢)، (١١٩٣)، (١١٩٤)، (١١٩٥)، (١١٩٦)، (١١٩٧)، (١١٩٨)، (١١٩٩)، (١٢٠٠)، (١٢٠١)، (١٢٠٢)، (١٢٠٣)، (١٢٠٤)، (١٢٠٥)، (١٢٠٦)، (١٢٠٧)، (١٢٠٨)، (١٢٠٩)، (١٢١٠)، (١٢١١)، (١٢١٢)، (١٢١٣)، (١٢١٤)، (١٢١٥)، (١٢١٦)، (١٢١٧)، (١٢١٨)، (١٢١٩)، (١٢٢٠)، (١٢٢١)، (١٢٢٢)، (١٢٢٣)، (١٢٢٤)، (١٢٢٥)، (١٢٢٦)، (١٢٢٧)، (١٢٢٨)، (١٢٢٩)، (١٢٣٠)، (١٢٣١)، (١٢٣٢)، (١٢٣٣)، (١٢٣٤)، (١٢٣٥)، (١٢٣٦)، (١٢٣٧)، (١٢٣٨)، (١٢٣٩)، (١٢٤٠)، (١٢٤١)، (١٢٤٢)، (١٢٤٣)، (١٢٤٤)، (١٢٤٥)، (١٢٤٦)، (١٢٤٧)، (١٢٤٨)، (١٢٤٩)، (١٢٥٠)، (١٢٥١)، (١٢٥٢)، (١٢٥٣)، (١٢٥٤)، (١٢٥٥)، (١٢٥٦)، (١٢٥٧)، (١٢٥٨)، (١٢٥٩)، (١٢٦٠)، (١٢٦١)، (١٢٦٢)، (١٢٦٣)، (١٢٦٤)، (١٢٦٥)، (١٢٦٦)، (١٢٦٧)، (١٢٦٨)، (١٢٦٩)، (١٢٧٠)، (١٢٧١)، (١٢٧٢)، (١٢٧٣)، (١٢٧٤)، (١٢٧٥)، (١٢٧٦)، (١٢٧٧)، (١٢٧٨)، (١٢٧٩)، (١٢٨٠)، (١٢٨١)، (١٢٨٢)، (١٢٨٣)، (١٢٨٤)، (١٢٨٥)، (١٢٨٦)، (١٢٨٧)، (١٢٨٨)، (١٢٨٩)، (١٢٩٠)، (١٢٩١)، (١٢٩٢)، (١٢٩٣)، (١٢٩٤)، (١٢٩٥)، (١٢٩٦)، (١٢٩٧)، (١٢٩٨)، (١٢٩٩)، (١٣٠٠)، (١٣٠١)، (١٣٠٢)، (١٣٠٣)، (١٣٠٤)، (١٣٠٥)، (١٣٠٦)، (١٣٠٧)، (١٣٠٨)، (١٣٠٩)، (١٣١٠)، (١٣١١)، (١٣١٢)، (١٣١٣)، (١٣١٤)، (١٣١٥)، (١٣١٦)، (١٣١٧)، (١٣١٨)، (١٣١٩)، (١٣٢٠)، (١٣٢١)، (١٣٢٢)، (١٣٢٣)، (١٣٢٤)، (١٣٢٥)، (١٣٢٦)، (١٣٢٧)، (١٣٢٨)، (١٣٢٩)، (١٣٣٠)، (١٣٣١

وهو ما مال إليه النمرى أيضا من خلال استعراضه لرأي الجبرتي، بالقول: "وفي كتاب الجبرتي: "جائحات النمل" بالنون، أي كسرات الأجنحة، وهذه الرواية أحب إلي، فبه تل ما يقال: "رماه سهم فاحتاحه"، على تلك الرواية، ومعنى "جائحات" عندي، ما جنح منها إليه، أي: مال" (١).

أما الشاهد الشعرية، فقد لحا انشراح من حلالها إلى ديوان الشعر العربي، في الجافلية والإسلام، مريدن بعض الأبيات التي وردت على ألسنة الشعراء، كما يرى في تعليق أبو هلال العسكري على قول حربية بن الأثير (المقارب)

وَقَدْ شَبَّهُوا الْعِزَّ الْأَرَسَانَا فَقَدْ وَجَدُوا عِزَّهُمَا ذَا شَبَّهٍ

بماثول: "رواه هذا الشيخ (وقد شبهوا العيز أفراسا)، وهو خطأ، وذلك أن الأفراس - وهي جماعة - لا تشبه بشعر الواحد، وإن شبهت به كان رديئا، لا بقوله محيد، وأيضا. فإن العيز ليس له مير. والرواية الصحيحة: (لعيز ..). والمراد أنهم لما غزواهم؛ فرأوا أفراسا من بعيد، ظنوها عيرا، أي إبلا تحمل (الميرة)، فلبتروها، مصالوا (ميرها)، وهو مصدر (ملر)، (يميز)؛ لأنه بارد" (٢)، والشاهد قول: "خدائش بن زهير (البسيط)

بَسْبِئِ الْأَرْكَ وَبَسْبِئِ الْمَرْزُخِ تَشْدَخُومَ زَرْقِ الْأَبْشَةِ فِي أَطْرَافِهَا شَبَّهٍ

يعني. الموت. وقيل أراد حربية بقوله (داسم) (لشم) ويروى: (دابشم)، أي ميراء لا يبرى" (٣).

وعبر ذلك من الشعراء والرجاز المجهولي العصر، كما جاء في ضبط أبي هلال العسكري لقول (؟)

(ارمسة بن سبة)

فَجِئْتُ ابْنِ أَخِي لِمِ الْتِيَامٍ وَلَمْ تَجِدْ ابْنُوكَ إِلَّا نَفْسَهَا مِنْ شَبَّاهٍ

بالقول "يريد أن أمك لم تجد دعلا غير نفسها، فولنتك من غير نكر، كبيعة التراب. ومثل ذلك قول الآخر

(من مشطور الرجز)

يُ أَتَا مُخَلَّةَ لَيْسَ مِنْ أَخَذَ
ضَلَّ أَبَا هَهْ يَبُضَّةَ الْبَلَدِ

وقوله: (لبلاوات)، أي: لتبلي أنت بهذه السبة. ورواه هذا الشيخ: (لصورك)، وليس لذلك معنى يفهم. و(الأصبار) أهل بيت الرجل، وأهل بيت المرأة، و(الصهر) - أيضا - زوج الست، وزوج الأخت وليس لي قولك للرجل: (لم تامل أمك إلا نفسها، من أهل أصهارك) قلقة... (٤).

(١) النمرى: معنى ليلت الحملة. حملة (١٠٢) ص ٧٤.
(٢) أبو هلال العسكري. رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة: الشفرة (١٢) ص ١٧٤، ١٧٥.
(٣) بسمة الشفرة (١٢) ص ١٧٦، ١٧٧. وتكرر كذا الشفرة رقم (١) ص ١٤٢، والشفرة رقم (٢٢) ص ٢٠٠، والشفرة رقم (٤٢) ص ٢٤٣، والشفرة رقم (٣٠) ص ٢١٧، والشفرة رقم (٢٦) ص ٢٠٨.
(٤) أبو هلال العسكري: رقعة في ضبط وتحرير مواضع من الحملة: نقرة رقم (٥٥) ص ٢٧٧، ٢٧٩. وتكرر كذا الشفرة رقم (٥) ص ١٥٤، والد رقم (٩) ص ١٦٤، والشفرة رقم (٥١) ص ٢٦٤.

وربما استعملوا ببعض الشواهد الشعرية التي قد يستقوها من أشعار أصحاب الحملات أنفسهم .. من ذلك قول أبو هلال العسكري في ضبط بيت العريان بن سهلة الطائي: (الطويل)
مَنْزِلَتْ عَلَى ذَايَ امْرِئٍ السُّومِ خَوْلَةٌ لِيُؤْنَّ خَفِيزَانِ بِخَاتِبِ بُسْتَانِ

وتحريره نطالع قوله: " (العبدان) : جمع عباده، وهي النخلة الطويلة، و (اللبون) : الإبل ذات الأنان، شبهها بالنخل، لحسنها، وقيل لها، وطول أجسامها، وأصنافها. والطول في الإبل مستحب. ورواه هذا الشيخ: (لبون كعبدان) : جمع عود، وهو تصحيف، وذلك أن الشاعر يصف حسن هذه الإبل، وطولها، وسمنها، وليس وصف ضمورها، والشاهد قوله: (الطويل)
فَقَال: أَلَا أَضْحَكْتَ لِيُؤْنِّي قَمَاسِي كَسَيْ عَلَى لَبَاتِيهَا طَبِينُ أَفْئَانِ

أي: كُفِّها في سمنها قصور مطبقة. والفنن: القصر، ولو أراد أيضا العبدان، جمع عود ؛ لم يكن بقوله (يحاط) : لفظة؛ لأنه أراد أنها مجتمعة، كالنخل، يجمعها حائط بستان" (١).

ومن مذاهب العرب التي تعكس أسلوب خطابهم، أو طرائقهم الشعرية، ما تحده عند النمرى في رده للروايات المخالفة لما وجه إليه مقصده، في قول بعض بني ثعلبة: (البسيط)
يَا أَيُّهَا الرُّكَيْانِ السَّائِرَانِ مَقَا قَوْلَا بِسَبْثَيْنِ فَلْتَنْطَفِفْ قَوَائِيهَا

بالقول: "أنشدنا أبو ريش رحمه الله: "تَلْتَلِفْ قَوَائِيهَا"، بكسر الطاء ولم يفسر ... وروى غيره: "تَلْتَلِفْ"، من قولهم: "دابة قطوف"، أي، يُتَبَرَّ قَوَائِيهَا سيرا رويدا، ولا تسرع إليها. وهو وجه صحيح. وروى قوم: "تَلْتَلِفْ قَوَائِيهَا"، أي فلتنقطعها وتكفها، والوجه عندي في هذه الرواية على الوجه الذي أنكره، هذا كقولهم: "احصد ما زرعت، ولحس ما مزجت، واجن ثمرتك، واشرب بكلس كنت بها تسقي"، أي: هجونا، وكان ثمرة ذلك أن غزوانهم وقتلناهم، تَلْتَلِفْ قَوَائِيهَا"، كقولك للرجل، وقد ظلم فأخذه الله: "فَقِ ظَلَمَك"، وهو لم ينق ظلمه، وإنما ذاق علقته، كقول الآخر: "فَوَلَّكَ مَا اسْتَحْبَبْتَهُ، لِلْحَسِ وَفَقِ". ومما يؤيد هذا التفسير قوله: (البسيط)
لَمَّا رَأَوْنَا مِنَ الْأَجْرَاعِ طَائِفَةً شَمَّا قَوَائِيهَا شَمَّا قَوَائِيهَا

يعني خيله" (٢).

ومن أمثلة ما سلقه الشراح في تفصيل روايتهم اعتمادا على عادة العرب في الاستخدام، أو على ما اتصل من أحوالهم، ما ندركه في قول برج بن مسهر: (الوافر)
فَلَمَّا رَأَوْنَا وَالرَّكَّابَ مَخْذُومَاتٍ إِلَى بَرْزَلٍ مَرَّافِقَيْنِ كُومِ

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروايع من الحملة: لقعة (٦١) ص ٣٠١ : ٢٠٣، وابشر كذلك لقعة (٥) ص ١٥٤ : ١٥٧.
(٢) النمرى: معاني ليلات الحملة، حمله (٧٤) ص ٦٩، ٧٠.

وتحريروا هلال العسكري إليه بقوله: " (لَوْ كُنَّا) : الإِبِلُ لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لُغَتِهَا. وَ (مُخَيَّسَاتٌ) : الْمُتَفَلِّحَاتُ. وَ (بُخَيَّسٌ) : أَتَنَلَّيْ، وَمَنْ قِيلَ لِلْمَجْنُونِ (مُخَيَّسٌ)، وَصَلَتْ الْكَلِمَةُ مِنَ اللَّيْنِ، يُقَالُ: خَيَّسْتُ الْكَيْشَانَ: إِذَا أَلَقَيْتَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فِي الْمَاءِ، لِيَلْبِثَ ... وَلَقَدْ قَتَلْنَا: (مُخَيَّسَاتٌ) : أَنَّهُا تُخَيَّسُ أَصْحَابُهَا، أَيْ تُنَالَلُهُمْ؛ فَيَكُونُ ذَلِكَ قَوْلًا مُرَدَّدًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ يَصِفُوا الْإِبِلَ بِتَنَلُّلٍ أَصْحَابُهَا، وَإِنَّمَا الْعَادَةُ أَنْ يَصِفُوهَا بِالنَّلِّ، وَهُوَ خِلَافُ الصُّعُوبَةِ، يَقُولُوا: سَالَةً مُبِلَرَةً: إِذَا كَتَلَا تَصُغَبُ عَلَى رَاكِبِيهَا، يَنْكَرُونَ أَنْ السَّيْرُ قَدْ مَتَّهَا، فَهِيَ مُتَقَلِّدَةٌ. فَلَوْجَهَ أَنْ تَقْرَأَ هَا هَا (مُخَيَّسَاتٌ)؛ لِيَكُونَ الْكَلَامُ خَارِجًا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ" (١).

وما لمعه من دحض الثمري لبعض الروايات لمخالفتها مذهب العرب في نسب قتلاها، وذلك في قول
الربيع بن ريد العتي:

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَنُزِلَاتٌ نَمُونَتْ بِوَجْهِهِ نَهَارِ
يَجِدُ الْإِنْسَانَ خَوَابِرًا يَنْتَبِئُهُ يَلْطَفُنَّ أَنْوَجَهُنَّ بِالْأَنْسَابِ

يقول: "الحارث": التي لا تراع عليها. وكلفت العرب لا تنب كتيلا حتى تدرك ثارها، فإذا أدركته نبتته النساء يقول: من كل مسرورا بمقتل مالك شفقة، فليعلم أنا قد أدركنا ثارها. وما بقوي هنا التفسير أنه يروى "من كل محروك"، يريت بن قوما يروى "ينديه بالصبح قل تلج الأسحر"، يريد المصيح الحق والأمر الجلي، كقول الأخرى

صَوَادِقُ إِذْ يَنْتَبِئُهُ وَقَوَائِعُ

ومثله قول الشاعر:
وَنَحْنُ أَنْسَابُ يَنْطَفِقُ الصُّبْحُ نُونًا وَلَمْ تَرَ كَالصُّبْحِ الْجَدِي مَيْبُتًا

وما رأيت هذا المذهب مستفيضًا، ولا أظنه صحيحًا. والعرب تنسب قتلاها قبل أحد الثار، قل رجل من بني عجل:

تَرَكُوا خَكْبَنَا لِلزَّمَاكِ فَرِيضَةً فَبِمَنَاوَةٍ يَنْتَبِئُ بِالْأَنْسَابِ (٢).

ومثله ما جاء فيها:
مَا إِنْ أَرَى قَتْلَهُ بِقُوَى التَّهْمَى إِلَّا الْمَطْبِئِي تَشْتَدُّ بِالْأَنْوَابِ
وَمَجْنُونَاتٍ مَا يَنْتَفِقُ غَنُوفًا يَفْتَفِقُ بِمَنْهَوَاتِ الْأَمْهَارِ

ففي رواية "محنتات" وهي خطأ لمخالفتها مذهب العرب في الغزو، فـ " "المجنات"، ها ها: الخيل تنسب إلى الإث في الغزو ... ويقول: ما أرى في قتله رأيا لقوي التهم، وهي المقول، إلا أن تركب الإبل وتنسب إليها

(١) لو هلال العسكري. وصلة في مسط وتحرير مواضع من العمدة. النقرة (٤٤) من ٢٤٩ : ٢٥١.
(٢) الثمري. معنى أبنت العمدة مملوءة (٢٤٨) من ١٣٩.

الخيول، ويسار بها سيوا غنيا حتى ترمي أحفها، وتبلغ بها أرض عدونا، فنخير عليه، ونسلك معه. والذي ذكره هو مذهب العرب في الغزو، وتجنب الخيل إجمالا لها وإشفاقا عليها ... ومن جعل "مجنبت" ما هنا، من "التجيب"، أو روى "مجنبت"، بالحاء، فقد أخطأ، ولم يعرف المذهب الذي ذكرته"^(١).

وقد تكون كثرة الاستعمال أحد أوجه تفصيل الشارح لرواية عن أخرى، كما نلاحظ من تعليق النمرى على بيت من بن أوس:

(الطويل)

لَفَعَزْتُ مَنَا أَقْبَى وَأَقْسَى لِأَوْجَحِلْ عُلَى أَيْتَا فَعَزُّو النِّيْثَةَ أَوْ

وتفصيله لرواية "تعدو" بإصباح العين على "تعدو" بإهمالها، بالقول: " يروى: "تعدو"، بالعين معجمة، من "العدو"، و"تعدو"، من "العنوان" وهو الضم. والعدو أولى ما هنا، وهذه الرواية أعم، لمخول الغداة والعشي فيها. فإن العنوان لا يختص بوقت دون وقت. وهي بالعين معجمة أكثر استعمالا فيهم يقولون: "خنت عليه العيبة، وصبحته العيبة"، فإذا ذكروا الدهر قلوا: "عدا عليه الدهر" "وكلا الوجهين حسن"^(٢).

ونراهم - كذلك - يفلون عن الرواية التي تخالف صحة الاستعمال في العربية، كما جاء في قول شاعر

الحملة:

(البسيط)

لِعَزِمِ السَّرْدُ مَقْبَسِيْ بِحَاجَتِيْ مَنْ كَانَ يَغْرُ نُنَا أَوْ يَفْسِيْ خَسْبَا

حيث يعقب أبو هلال العسكري بقوله: "يقول: إن من يكره النهم، ويقي الحسب، هو لمرمل الزاد، يعطيه، ويحبوه، ومن ليس له اتقاء للنهم، ولا إبقاء على الحسب، فإنه ليس يبالي به. وقوله (الزاد) مع (المرمل) : فضل لا يحتاج إليه .. ورواه هذا الشيخ: (لمرمل الزاد معنى)، بفتح اللام، والرفع، فيهما، وليس لها معنى، لكثرة، ولا يصح - أيضا - في العربية، لأن كل مصراع من البيت - إذن - لا يتم بنفسه، وليس له خبر، يتم به"^(٣).

وهكذا نضع لنا مما سبق أن الشارح من خلال تحليل وبيان واستقصاء وتمحيص الروايات المتعددة للنص الأصل، معقود على غاية واحدة هي استمالة المستقبل واستدعاء ذهنه كي يتمثل المادة المشروحة، وأنتمثل هو "علية إدراكية بجريها المستقبل على الشرح الذي صاغه الشارح بلغة ما وفق خطة ما للكشف عن خولده بعينها. فالمنهج بالنسبة إلى المستقبل، هو نص آخر سلول نص الإطلاق يتلقاه ويستوعبه في أبعاده المختلفة لغة ودلالة وبظلمات من التفكير معينا"^(٤).

ورأينا كيف سار الشراح على أسس منهجي في التثبت مما يقولونه في نقد الرواية، وفلك بالرجوع إلى العقل، أو السياق، أو ما يقع تحت أيديهم من نسخ الحملة، في سبيل الوصول إلى الرواية الصحيحة التي تتوافق مع الأسس السلفية.

(١) النمرى: معاني أبيات الحملة: حمضية (٢٤٨) ص ١٤٠.

(٢) نفسه: حمضية (٤٠٨)، ص ١٤٨.

(٣) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مرفوع من الحملة: شجرة (٦٦) ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٤) د.أحمد الزبيدي: شرح الشعر عند العرب، ص ٣٦.

على أن هناك سمات وأمورا تعرض لها الشراح خلال تناولهم لروايات الشعر، غير ما تحدثنا عنه، فنذكر منها

١ - أن الشراح قد يفسرون الروايات الأخرى التي يتعرضون لها بالفن.

٢ - ربط الرواية المختارة بمعناها، والإفصاح عما تحتمله من معنى^(١).

إلى حقب وحوادث بعض التوجيهات التي تتصل بمعنى الرواية المختارة، حسب قواعده الإعراب والشعر والصرف والنسب... إلخ، مما سيظهر جليا بعد قليل.

ثانياً: نقد الرواة وشراح الشعر المصنفين:

لقد أبدى شراح ديوان الحمسة اهتماماً بالغاً بقضية توثيق الأشعار الواردة في ديوان الحمسة، والروايات الواردة فيها، كما حرصوا على تحليلها وبيان معانيها المختلفة، وعلقوا بالسنة حداد من أهل هذا الجانب من الرواة والشراح المصنفين^(٢)، فقد تعرض رواة وشراح الشعر المصنفين لكثير من النقد والتفنيد على أيدي شراح الحمسة بمختلف طبقاتهم، إما تصريحاً أو تلميحاً، كما فعل أبو حلال العسكري في تصنيفه الموسوم "رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحمسة"، عندما نسب بعض المسؤولية في الأخطاء التي شُيبت رواية بعض أبيات الحمسة إلى كل من (أبي بكر الحياطي) (ت ٣٢٠ هـ) و(أبي الحسين المهريري) (ت ٢) أخذاً على علقه أملة الأبيات عن مواقع الرجال منها^(٣)، وناسا البعض الآخر إلى شيخ لم يسمه، بل اكتفى بالإشارة إليه داخل التصنيف بقوله "هذا الشيخ...". الذي "لم تكشف الروايات المتوقعة عن شراح الحمسة، على مر التاريخ، اسم هذا الشيخ، الذي عرص أبو هـ... لعسكري بحرفه، في رواية مواضع من الحمسة"^(٤)، وقد كان هذا التعريض من نقود يمكن جعلت البعض يجرأ أن تنم التصريح هذا جاء "نوع تسمية، تلميحاً، ونعفاً من التشهير به، أو التقليل من شأنه بين أقرانه ومريديه"^(٥)، وقد أخذ هذا التعريض للرواة أشكالاً وصوراً عدة، أهمها التعريض بهم عن طريق عبارات عدة، من قبيل: "ولقد قصيت العجب من هذا المستترك، ومن ضلاله عن طريق الرشاد فيما قصده من المحي، ورواه في الاستشهاد..."، "وهذا أعجب شيء سمعته..."، "من له انني معرفة بالكلام، يعرف أن..."، "وقد روي قوم لا علم لهم..."، إلى آخره من التعليقات والتعقيبات التي تصفه أراء هؤلاء الرواة، وتنزل من شأنهم. وهو ما سنلج فيه من خلال الاستشهادات القادمة إن شاء الله تعالى.

وسر كل القول الشعري واحداً خلال عملية النقل الأولى بحكم أن بقية طرف بعينه فبها يصبح أحوال عدة خلال عمليات نقل تروى بذكره رواة أكثر غير محددين ولا لئ على ذلك من تواتر صيغ منبئة للمجهول في

(١) لغير على سيد السلفاء الشروقي: شرح ديوان الحمسة (١/ ١٨٦).

(٢) إلا أن هذه النقطة في التوثيق التي أبداه شراح ديوان الحمسة لم تنبع من وحده بعض التمسك التي وقعوا فيها أنفسهم - وهم من يعبرون على غيرهم - وسنرى عليها طابع المساج، ولما كفت على الشواهد التي يروونها في شيا تطليهم وتقدم لأكوار شعراء الحمسة، كما ورد في تسمية ناسك كتب "معاني أبيات الحمسة" للمعري، على استشهاده المعري بقوله ذي الرمة:

سرو السروا تفسر من الشراح إن جسرث وممنه لولا خشيته أن تشنح
أوراء في الحمسة (١٩٦)، يقول: "ليس لدي الرمة، وهو لم يبدل رويته: "وسنة لولا خشيته لله"، وقد عر منق الكتاب على هذا الكلام بقول: "وه حاشية من السلف أحاط في السطر بعد قوله: "قول ذي الرمة"، ونقشها إلى اسم بعد البيت، لتكون رصع" آخر المعري معنى البيت الحمسة، حمش حماسة (١٩٦) من ١٧٤.

(٣) لغير أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحمسة مقمعة الشراح ص ١٤٠، ١٤١.
(٤) لغير أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحمسة مقمعة المعقق، ص ١١٥، وما بعد، حيث حدد المعقق بعد ما ذهب إليه مع الشيخ عرق من رأي في أن هذا الشيخ المتصو به هو (أبو القاسم محمد بن علي الأصمعي المديري ت ٣٥٥ هـ)، وذلك من خلال بعض الأدلة والروايات التي ننصص ما ذهب إليه عبد السبع عرق في رصه.

(٥) لغير منه مقمعة المعقق، من ١١٥، ١١٦.

شوح الرواية معثلة في الفعل "إرّوى"، وما أن القول الشعري يُعرض في صيغ تتعدّد بتعدد الروايات فهو يتوقع "تو" عاقد يشمل عدة حوالب كالجانب التركيبي والبلاغي والمعجمي وأخرى تتفاوت حضوراً حسب هذه الرواية أو تلك^(١).

ونلمح أثر هذه الجوانب جلياً من خلال نقد الشراح للرواة وشراح الشعر السابقين، فيما يخص:

أ - اللغة:

إن تحليل الشراح للروايات ونقدها، يدفع كثيراً منهم - خاصة المرزوقي - للتعرض لرواة وشراح الشعر السابقين، وتنفيذ مزاعمهم، وتصفية آرائهم، ناصين - على بعضهم - قصور فهمهم، وضعف مستواهم الفكري، وعجزهم عن فهم معقاة الشاعر، أو ترجمة تجاربه الشعرية^(٢).

فقول الحصين بن الحمام:

فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبِيَّ قَدْ جِيَلَ نُونُهُ وَإِنْ كَانَ يُونُا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمَا

رواه بعضهم: (وإن كان يوماً) بفتح الهمزة، على أن يكون (أن) مخففة من الثقيلة، والمراد: "وأنه كان اليوم يوماً ذا كواكب"، فيقول المرزوقي: "وهذا الراوي لعله لم يعرف الاعتراضات والفصلحة فيها، والتبس المعنى عليه أيضاً". ثم يفكر المرزوقي ما يدعم روايته العليا، وما يؤيد معناها فيقول: "لأن قوله (وإن كان يوماً ذا كواكب مظلماً) اعتراض بين (لما) وجوابه، وهو شرط في وقوع المصدر منهم ينرجم عن الحال .."^(٣).

والشراح في ذلك "يستشهد على صحة الرواية التي يقررها بأصولها في اللغة، مستقيماً من أعينها ما يتوي حجتة ... منتقلاً إلى تخطئة الرواية المخالفة، ببيان أصولها اللغوية، قلطاً بعدم ملاءمتها لسيلق البيت"^(٤).

كما جاء في قول قيس بن الخطيم:

إِذَا مَا شَرِبْتَ أَنْزَقَا خَطَّ مَنَزِّي وَأَتَيْتُ نَلْوِي قَسِي السَّنَاجِ بِشَاغَا

"رواه هذا الشيخ: (حط منزري) بالحاء، ورواية النلس: (خط) بالخاء، قال خالد بن كلثوم، وأبو عمرو الشيباني: "خط منزرة: أي أرخاء، فخط في الأرض". قال الشيخ أبو هلال: وكقوا يسجلون أطراف الأزر، فتخط أهدابها في التراب، أي تشقه، والخط: الشق. وقال النخبة:

أَعْيَنْتُ يَوْمَ غَفَاظِ جَيْنٍ يُقْبِتِي ثَخْتُ الْقَفْجَاجِ فَمَا خَطَطْتُ غُزَارِي

أي: ما شعثته. (و حط المنزر): إنزاله عن الحقو، وليس ذلك مما يمدح به"^(٥).

وكذلك قول حريث بن عصابة:

تَغَلَّلْنَا الْمَسَاجِرُفُمْ : أَأَغْنَا وَفَقْمُنْ إِلَى الْعَجْمِدِ أَنْتَسَى أَمْ غَشِيرَةُ خَاتِمِ

(١) د/أحمد الوديعي: شرح الشعر عند العرب، ص ٥٤.
(٢) انظر: د/أحمد حماد العمري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٤)، مع بعض التصرف.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان المعلقة: مملوكة (١٣٢)، (٣٩١/١)، شروح الشعر الجاهلي ص ٢١٤.
(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المعلقة: منحة المحقق، ص ١٢٢.
(٥) نغمه: النقرة (١) ص ١٤٢ : ١٤٦، والمحقو: الكشح، ولعل مغلل الأزر، والجمع (لبق)، (و أحناء)، (و حنّ)، (و حنق)، (و لحن) (حنّ) ... والمحقو: الضمير، ومغلل الأزر من الجنب. (تصحاح / حنّ).

"رواه بعضهم (أعيار فقمس) يريد رؤساء فقمس، وزعم أن أعيالاً يعرفه اسم قبيلة، وأن هذا تصحيف استدركه .." (١).

فيعقب المرزوقي مفنداً رأيه قائلًا: "قلما إنكاره لأعيال قبيلة فلا وجه له لأن بني أعيال من قبائل سعد بن قيس وهو مشهور نكره للتسليوب وغيرهم، وذهب بن أعيال بن طريف الأسدي معروف معنود في الأعلام .." (٢).

ثم ينتقل إلى نقطة أخرى تتصل بالمعنى، وتبين خطأ الراوي الزاعم، وعجزه عن فهم سياق النظم، وما توصل إليه اللغة (٣)، فيقول:

"وأما من طريق النظم، فلأن تكون القبيلة مقلبة بمتلها، ومذكورة في المتن في أحسن من أن يقلب أفراد القبيلة، و(أعيال) إشارة إلى الأفراد، لأنه يراد بها الرؤساء، يقال: هو صير قومه: أي سيدهم" (٤).

وبعد المرزوقي إلى تقرير صحة رأيه بمؤكدات علمية .. فننقل:

"هذا وقد رجعنا إلى نسخ مختلفت المصادر، فوجدناها متوافقة في تحملها: (أعيال وقمس)، وإذا كان عند لا يحور العنود عاقل الشاعر إلى ما لم يقله" (٥).

فالمرزوقي هنا يرد على الراوي الزاعم بثلاث حجج موكدة (٦):

أولها: بتوضيح صحة الاسم حسبما جاء على لسان الشاعر ..

وثانيها: بمؤكد معنوي أدى إليه النظم وسبق الأحداث وطبيعة اللغة ..

وثالثها: بمؤكد نحوي جاء عن علماء آخرين موثق بصحة رأيهم وصديق روايتهم .

ولا يغوت الشراح في أثناء نقده اللغوي لبعض الروايات التي يذكرها لأبيات الحماسة، أن بمحصها كاشفاً عن أوجه التصحيف فيها، كما نلاحظ في نقد النمرى للرواية التي ورثت على بيت زويبر بن الحارث: (الطويل)

السم ثم أني يوم فأنقث مؤبداً أناتي صريخ المنوب لو أنه فأن

يقول النمرى: "روى النيمرتي وغيره: "أناتي صريخ الموت"، بالخاء معجمة، وقال: "هو داعية"، وهذا تصحيف في الحرف وخطأ في تفسيره، فلن "الصريخ" هو المغيث والمستغيث، ذكر ذلك في الأضداد ولا وجه لهما هنا إلا على تكلف" (٧).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: ص ٦٩، (٢٥٦/١).

(٢) ص ٢٥٦/١.

(٣) /- حمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢١٥ / ٢).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة. (٢٥٦/١).

(٥) ص ٢٥٦/١.

(٦) /- حمد جمال الصري: شروح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢١٥ / ٢).

(٧) النمرى: معاني أبيات الحماسة، ص ٢٥٥ (٢٥٥) من ١٤٤.

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

لمن الملاحظ أن الشراح قد " رد هذه الرواية معتمداً على أنها من قبيل التصحيف من جهة، ومن جهة أخرى على أساس لغوي، وهو كون "الصريخ" من الأضداد يطلق على المخبت والمستخبت، ولا وجه لذلك هنا إلا بشيء من التكلف " (١).

على أن أهم مؤيد يرجع به موقفه من الروايات - خاصة عند تضيد مزاعم الشراح الآخرين - هو المؤيد الفني، المأخوذ من شعر العرب وكلامهم، ومذاهبهم، وما أجمع عليه أهل العلم.

قيت ربيعة بن مقروم: (الكنل)

أَرْجَيْتُهُ غَنِيًّا فَأَزْجَزَ فَمَصَّدَهُ وَفَوَيْتُهُ قَوْلِي الثَّوَابِظَ مِنْ غَسَلِ

نكر بعض المتأخرين - وهو هنا يقصد ابن جني - في أرحيته: " أن الرواية الصحيحة "أرحيته" وما عداه تصحيف. قل: وهو أنعته من الوجي، وإنما أوجب ذلك ليكون لفق قوله بزعمه "وكويته" والمعنى: أنزلته وربنته وازحا كرزوح الفرس الوجي. ثم أشد قول طرفة مؤنسا به:

وَقَدْ نَمَّاهَا عَنْ لَذَائِي فَقَدْ نَا أَصَابَ الْوَجِي مِنْهُمْ مُشَاتِنَ الْمَتَابِ

قل المرزوقي معقبا مفندا لهذه الرواية وهذا الشرح (٢):

" ولقد قضيت العجب من هذا المسترك، ومن ضلاله عن طريق الرشاد فيما قصده من المعنى، ورواه في الاستشهاد وذلك أن شعر طرفة إنما هو:

وَنَا نَالِي شُرُوبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشْرَبِي صَبِيغِي وَخَتَمِي سَاعَتِي بِنَفْسِ ذَلِكِ
وَحَتَمِي بِنَفْسِي الْأَفْرَاسُونَ نَصَاتَا ذِعِ الْغَمِّي وَأَصْبِرْ خَيْبَةَ مِنْ جِبَالِكِ
وَحَتَمِي تَنَاهَا عَنْ لَذَائِي فَقَدْ نَا أَصَابَ الْوَجِي مِنْهُمْ مُشَاتِنَ الْمَتَابِ

فقله: (حتى تناهوا) ليس مما فهم، واستشهد له بمبيل "

ثم يشرح المرزوقي أنبت طرفة مينا حقيقة معناها التي غل عنها هذا المتأخر فيقول: " وإنما يريد طرفة: أنه أبعد غايته في الضمارة، وتمادي في تعطلي الصبا والجهالة فلم يصبح لنا صبح، ولم يرعو لعقل حتى نفصوا أيديهم عن إنابته، وينسوا من قبله وإعبله، فألقوا حبله على غاريه، وصاروا من بين نسلب له إلى الشر، ومسرّه إليه في القول، وقلائف إياه بالغي، فألصقت بهم الحال إلى أن تناهوا، بعد أن بلغ منهم العناء كل مبلغ، وأثر فيهم الإعياء والإحفاء أشد تأثير. ألا ترى أنه جعل الوجي في المشاتن من المنابك منهم، فهذا ما عليه في الرواية والذهب عن طريق الشاعر "

ثم يختم المرزوقي تقنيده ونقده لهذا الراوي، فيقول القول الفصل: " وبعد - فانه لا يقال أوجبت الدابة عنى ويراد الإحفاء، ولم يسمع في التخليل نكر الحفي والوجي مستعارا، كما سمع الكي والوسم فيه .. والرواية الصحيحة "أرجلته" و"أرحيته" وهما لفظان، والهمز لنصح ". ويقدم الدليل ثلث المائل من كتاب الله ومن أشعار العرب.

(١) التبري: معاني لبيت المعلقة: مائة المعلق ص ٢٠.

(٢) نظار: المرزوقي: شرح ديوان الصلة: ص ٩١ (١)، (١ / ٢٤، ٢٥)، ونظر: د. أحمد جمال المصري. شروح الشعر الحاملي. ص ٢١٨، ٢١٧ (٢).

الغضايا النقدية = الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

وفي تعرض اشرح الروايات الشعر في أثناء شرحه لمعني أبيات الحملة " نجده أحيانا ينكر روايتين في كلمة وردت خلال أحد الأبيات، ويصوب كلتا الروايتين، ويخرجهما، ويميل إلى إحداهما، واضعا في اعتباره مذاهب العرب من حيث إرادة المبالغة أو الحقيقة في الوصف " (١)، كما نرى في تعرض النعري لقول رجل من بلعبر: (قريظ بن أنيف من بلعبر)

إِذَا لَفِئَامٌ بِثُصْرِي مَغْشَرٌ خُشْنٌ جَنَذُ الْخَيْطِظَةِ إِنَّ ذُو لُؤْنَةٍ لَأَضْمَا

حيث نجده بعد شرحه للبيت، والروايات الواردة فيه بقوله: " "الحنيظة"، "الغضب"، "واللؤنة بالضم"، الضعف والاسترخاء، ومنه قولهم: "هو مُلَقَّطٌ". وروي قوم: لؤنة، بالفتح، وهي القوة، ومنها اشتق "اللؤن"، وأنكروا "لؤنة"، وكلتا الروايتين صواب " (٢)، يتعرض لمذاهب العرب فيما ورد في الأبيات من معنى بالقول: "وللعرب مذهبان في وصف الشيء: أحدهما: المبالغة، وأهل هذا العصر عليه. والمذهب الآخر: الحقيقة، كقول توتية، يصف قفزة:

ثَرَى ضُعْفَاءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ ذُعَابِيصٌ مَاءٍ نَثْنٌ غُثَا غُدِيْرُهَا

فقال: ضعفاء، ولم يقل: أقوىاء. ولو أراد المبالغة لقال كقول أبي النعم يصف قفزة:

تَرَى الْأَشْبَاءَ بِهَا ضِعْفًا

(الرجز)

وكقول الآخر:

قَدْ أَزْقَبَ الْآلَةُ بَعْدَ الْآلَةِ

وَأَتَزَكَّ الْعَاجِزُ بِالْجِدَانَةِ

متغلبرا ليست له مخانة

المحالة: هنا الجبلية. فقال: "العاجز"، ولم يقل "العارس" (٣)، ثم نراه يختم هذا التحليل والتفسير للبيت، موضعا موقفه من تلك الروايات مرجحا لإحداها، والتي وقع عليها اختياره، بالقول: "لئن كان الشاعر أراد المبالغة، فالرواية لؤنة بالفتح، وإن كان أراد الحقيقة فالرواية لؤنة بالضم". ولك أن تختار. وإن كل الشاعر إنما عزض بقومه، ووصف ضعفهم، كفت الرواية بالضم لا غير، وفي روايتنا واختيارنا " (٤).

وقد نؤد الشراح الرواية لأنها تخالف ما أجمع عليه أهل العلم، فتول بعض بني قيس بن ثعلبة: (البسيط)

بِيضٌ مَفَارِقُهَا تَغْلِي مَرَجَانُهَا نَأْمَسُو بِأَمْوَالِهَا أَثْمَانُ أَيْسَرِهَا

(١) النعري: معاني أبيات الحملة: مقدمة للمحقق ص ١٨.

(٢) نفسه: حلبية (١) ص ٥.

(٣) نفسه: حلبية (١) ص ٦ و ٧.

(٤) نفسه: حلبية (١) ص ٧.

الفصل الثاني **الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواية (التوثيق)**

بنقد النمري ما ورد فيه من رواية بالقول: "وقد روي قوم لا علم لهم: "بيض معارفنا"، و"معارفنا" وقال: "المعارف" الوجود، و"بيض معارفنا"، لجمود للنسم عليها. وأهل العلم على تلك الرواية لا غير - يعني الرواية التي معنا في البيت " (١).

المُتَلَحِّق - كما نرى - ضئيلة واضحة وملحوظة في عرض روايات النُسَر المختلفة بالجلب للنسَر وما ذهب إليه أهل العلم، إلى جلب ما أبداه من رغبة واهتمام بتخصيص بعضها كما مر معنا.

وعلى هذا النحو، وغيره، تطلعا تحليلات لتسراح لكثير من آيات الحماسة، مساطين بعض الضوء على جنورها للفرقة أو معرجين على بعض الروايات، والأخبار المقورة، التي تؤكد ما يرمون إليه من توضيحات، فمن ذلك على سبيل المثال، تحليل أبي هلال الصمكري لقول لبط ثرا: (الطويل)

عَلَى غُرَّةٍ أَوْ جَنْبِرٍ مِّنْ خُفَايَ ۖ أَطَّلَعَ الْبَصَرُ الْفُؤَادَ ۚ تَنَفَّسْنَا

"رواه هذا الشيخ، وغيره: (تسمع)، بالسين، والجيد: (تسمع). و(التسمع) - بالسين -: الإخبار والهرم، و(التسمع) - بالتين -: من قولهم: (رجل شجاع)، أي: حلو .. فإراد أنه أكثر من الضلعن، حتى حقه، وصار لبقاً به حلواً، إذا فعله، لأنه لا يتكفنه .. ونحوه قول الآخر: (الطويل)

(لَيْفًا بِتَغْيِيبِ الشَّأِ بِتَيْنَا)

فإن أجمع الرواة على أن يُلحق شرا قتل وهو شاب، لم يكبر، فيتمسح، وإلى هذه المطبوعة ما يدل على ذلك، وهو قوله:

(الطويل)

فَلَمْ تَرَ مَنْ رَأَى فِي مِثْلِهِ وَخَالَفَتْ تَأْيِيدُهَا مِنْ لَدُنِ الْغَيْبِ أَرْوَعًا

و (الأروع) هو: الجميل الذي يروع الناظر منظره، ولو قد تسعج الشاعر كما زعموا لم يروع .. وبها قوله: (الطويل)

رَأَيْنَ فَتًى لَا صَبْرَ لَهُ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَظِيمَ

والهم المنبر من الرجل لا يسمى قتي^(٢).

ب ـ النحو والصرف:

وهو جيب مرتبط بما قبله، بل بحث امتدادا له، فنرى الشرح في تصديقه لنقد الرواية، يتعرض لما أنشأه الرواة والشراح السابقين من آراء ومسلات نحوية، مفتدا إياها، مفسها آراءهم وما ذهبوا إليه، "بل إنه يرد كذلك على النحويين، ويحل ما أتاه من مسل، ويرد على ما أتاه من موضوعات، يحل ذلك تحليلًا كاملاً مستندا إلى ما جاء عن الأسقفة العلماء، مدعيا أنواله بما قرأه في كتبهم" (٣).

(١) انفرادي معقبي ابيات القصيدة: حمالية (٦٤) ص ٢٤ : ٢٨.

(٢) كبريتات البوتاسيوم: رصاصة في مضطرب وتغير موضع من الحماض: القشرة (٥) من ١٥١ : ١٥٧، والنظر كذلك: القشرات نوات الأرتين:
(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣

- ۲۲۷ -

يقول للمروزي في تعليقه البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: (الطويل)

فَأَعْنَتْ زَهِيرٌ فِيهِ السَّيِّئُ مَضَتْ وَمَا بَعْدُ لَا نُدْعُوْنَ إِلَّا الْأَكْثَابَنَا

" أنت الفعل لأن المراد بذكر زهير القبيلة بأسرها، ومعنى يدعون يسمون ... وقوله "في السنين" يجوز أن يكون ظرفاً لأضحت، ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله "لا يدعون". وقوله "وما بعد" يراد به وفيما بعد فيكون ما معطوفاً على السنين. ويجوز أن يكون موضع "ما" نصباً على أن يكون معطوفاً على موضع في السنين الماضية وبعدها. ويجوز أن لفظة، لأن موضعه نصب لكونه ظرفاً. ويجوز أن يجعل ما صلة، كانه في السنين الماضية وبعدها. ويجوز أن يروى: "ومن بعد لا يدعون"، وهو حسن. وذكر بعضهم أن ما من قوله "وما بعد" لا يجوز أن يكون إلا صلة وزائفة لأن بعد لما جعل عليه ومخله التماساً بحذف ما كان مضاعفاً إليه امتنع من أن يكون مبنياً على شيء وخبراً عنه، وإذا امتنع من ذلك امتنع أن يكون صلة لموصول، لأن الذي يكون صلة من الظروف والجمل هو ما حاز أن يكون خبر المبتدأ " (١) ، ثم نراه يستعين في سبيل نحضه للرواية المخالفة لروايته بما جاء عن أبي إسحاق الزجاج، فتراد يقول: " وليس الأمر على ما قاله، ألا ترى أن قوله عز وجل: "قل كبير هم ألم تعلموا أن أبلكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يومف". معناه: ومن قبل الذي فرطتم في يومس، أي نعمتم. ويجوز أن يراد: ومن قبل فرطتكم، فيكون ما مع الفعل في تقدير مصدر. وعلى الوجهين جميعاً ما في موضع رفع ومن قبل خبره. ونكر أبو إسحاق الزجاج في ما من الآية ثلاثة أوجه، ما ذكرنا أحدها. وإذا كان الأمر على هذا فما ذكره هذا الثقيل غير صحيح، لأنني قد أثبتته بت وهو عليه حراً، وكونه صلة تلغ لكونه خبراً، فاعلمه " (٢).

وفي موضع آخر نرى أبا هلال العسكري يورد قول الآخر:

فَتَبَيَّسِي إِنْ نَأَاؤًا ضَوْفًا إِلَيْهِمْ وَتَبَيَّسِي إِنْ تَسَفًا خَوْفًا لِلْبَرَقِ

معلقاً عليه بقوله: " رواه هذا الشيخ: (فتكفي إن بولوا شوقاً إليه)، فرد الضمير إلى واحد الضميرين، في قوله: (إن بولوا ...)، وإنما يفعل ذلك، في الشعر، إذا دعت الحلة إليه، فلما ولا حاجة تدعو إليه، فلا وجه له، وكل من له أثر معرفة من الكلام يعلم أن الذي رواه غلط " (٣).

وبذلك ابن جني في تعليقه على قول تليط شراً:

فَأَهْنَتْ إِلَيَّ فَهَمٌّ وَلَمْ أَكْ أَبْيَا وَكَمْ مَثَلُهَا فَأَرْقَتْهَا وَهِيَ تُصَفِّرُ

بالقول: " هكذا يرويه أكثر من ترى، ولم أك، ومنهم من يقول وما كنت أبداً، وصواب الرواية فيه: وما كنت أبداً أي وما كنت أأرب، فاستعمل الاسم الذي هو الأصل المرفوض استعمال موضع الفعل الذي هو فرغ، وذلك لأن قولك: كنت أقوم أصله، كنت قاتماً، ولذلك ارتفع المضارع لوقوعه موقع الاسم. فأخرجه تليط شراً على أصله المرفوض كما يضطر الشاعر إلى مراجعة الأصول عن مستعمل القروخ، نحو صرف ما لا ينصرف، وإظهار التضعيف، وتصحيح المعط، وما جرى مجرى ذلك. ونحو من ذلك ما جاء عنهم من استعمال معقول عسى على أصله وذلك ما تشعناه من قول الرازي:

أَكْثَرَتْ فِيهِ الْعَذْلُ مَثَلًا ذَابًا لَا تَجُوزُنْ إِيَّايَ غَمَزَتْ صَابًا

(١) المروزي: شرح ديوان الحماسة: البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: (١٥٧/١، ١٥٨).

(٢) نفسه: البيت السادس من حملية غلاق بن مروان: ١٥٨/١.

(٣) أبو ملاك العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة: الفقرة (٢٦) ص ٢٥٤.

الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

فهذه هي الرواية الصحيحة في هذا البيت، أعني قوله: " وما كنت أبيا. وكذلك وجبتها في شعر هذا الرجل بالخط القديم. وهو صدي عتيق إلى الآن، وبعد فالمعنى عليه البتة لا منصرف به عنه، ألا ترى أن معناه: وأبت وما كنت الأب، كقولك: "سلمت وما كنت أسلم". وكذلك كل ما يلي هذا الحرف من قبله ومن بعده، بدل على ما قبلناه، ولا معنى هنا لقولك: وما كنت، ولا لم أك، وهذا واضح " (١).

لمضمون هذا التعليق يشمل على نكر إحدى (للمسائل النحوية) مختلطة، أو غير مختلطة بغيرها من (المسائل اللغوية) و (الصرفية)، وهو ما نطالع له أمثلة كثيرة له في قراءتنا لتعليقات شراح ديوان الحماسة الواردة في هذا الأمر، وهي تعليقات تطرق حديث الشراح فيها إلى أشكال نحوية كثيرة، منها (٢):

ـ الضمائر:

كما جاء في قول الآخر :
(الوافر)
بـيـذي فـيرقـين يـسـوفم يـسـوفم خـيـب فـيـومـيـهم غـلـيـا يـخـرقـونـا

يقول أبو هلال السكري: "رواه هذا الشيخ: (يوم بني حبيب)، و (بنو حبيب) أصح الروايتين. ولجود في العربية؛ وذلك أن يجعل (هم) الذي في (نيوهم) ضمير بني (حبيب)، فيرتفع (بنو) على الابتداء، وما بعدهم أي: (يوم بنو حبيب يخرقون غلينا نيوهم)، فيضاف (اليوم) إلى الجملة، لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل. وإذا جررت (بني)، فيباضافة (اليوم) إليه، والوجه حينئذ، أن يرجع (هم) إلى غير (بني حبيب)، إذ كان قد جرى ذكرهم في القصيدة؛ لأن (بني حبيب) صاروا من تمام (اليوم) ظرفا، كما تقول: يوم الجمعة، ويوم السبت" (٣).

ـ الابتداء:

كما جاء في التعقيب على قول محمد بن بشير:
(الكلل)
وإذا رزقت من يدقته وثقيفة لم تفر أبهنا أخو الأرحام

"رواه هذا الشيخ: (ذو الأرحام)، وهو خطأ؛ لأن الابتداء إذا كان واحدا، فالصواب أن يكون الخبر مثله .. ولو جاز أن يكون (الشقيق) جمعا، كما يكون (الصديق) جمعا، لجاز أن يلي (ذو الأرحام) على بعت، ولكن لم يجبه ذلك، فالوجه هو روايته، وهي (آخر الأرحام) " (٤).

ـ الخاطإ:

مثلا جاء في التعليق على قول عامر بن شقيق:
(اللوال)
كفالة النأي من لسم ثريه فزجرت الفؤاد بلبثيه

(١) ابن جن: تنبيه على شكل البيت الحماسة، ص ٤٤ ، ٤٥.

(٢) تظن: أبو هلال السكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحماسة، مقدمة المحقق، ص ١٢٢ : ١٢٥.

(٣) نفسه: لتفرد (٦) ص ١٥٨.

(٤) نفسه: لتفرد (٣١) ص ٢٢١ ، ٢٢٢.

" رواه هذا الشيخ: (الثاني)، بالنصب، وهو فاعل، وسبيله: الرفع، وهو الرواية - أي: (كذاك الذي روينا وقرنا)، لأننا قد حكمنا، وذهنا، فصرت ترجين العلقبة لأولانا بعننا. والثاني: البعد. والعلقبة: مصدر مثل العاقبة والطاغية، وقريب منه: الفلج " (١).

- المعنادي:

كما في إشارة الشارح على قول فضالة بن شريك:
وَلَمْ أَغْصِ الْأَبْيَرَ وَلَمْ أَرِيْهُ وَلَمْ أَسْتَقِ ابْنَا أَهْمٍ بِوَعْمٍ
" رواه هذا الشيخ: (ولم أَسْتَقِ ابْنَا أَهْمٍ بِوَعْمٍ)، على أن (ابْنَا أَهْمٍ) نداء مضاف، كذا قال: (ولم أَسْتَقِ يا ابْنَا أَهْمٍ) على أننا يكون أبو أنس مفعولا به، والفعل (أَسْتَقِ) وهو خطأ، والصواب: (لم أَسْتَقِ ابْنَا أَهْمٍ) " (٢).

- كلا وكلتا:

ومن أظهر الأمثلة على ذلك قول الآخر:
أَوَّلًا يَتَوَخَّيْ وَيَتَوَخَّيْ كَلَيْهِمَا جَمِيْعًا وَمَنْزُوقٍ أَلَمْ وَمَنْزُوقٍ

" رواه هذا الشيخ: (كلاهما) .. و (كلا) و (كئنا)، اسمان للثنائية، بمنزلة (الكل) للجمع، وإذا أضيف إلى اسم مضمّن كتب في موضع النصب والجر بالياء، وفي موضع الرفع بالالف، وإذا أضيفا إلى اسم ظاهر، كتب بالالف على جميع الأوجه. تقول: (مررت بالرجلين كليهما)، و (رأيت الرجلين كليهما)، و (هذان الرجلان كلاهما) و (رأيت كلا الرجلين)، و (مررت بكلا الرجلين)، والأصل الألف، إلا أن الاصطلاح هو ما ذكرناه " (٣).

- الصفات وحروفها:

مثل ما يتبدى لنا من تعقيب أبو حلال السكري على قول امرأة من بني مخزوم:
إِنْ تَسْأَلِي فَأَعْزِزْ عَزِيْزَ الْبَيْعِ أَلَمْ خَلْ فِي (تَسْئِيعِ) وَ (مَنْزُوعِ)
" إبا رفعت (غير)، فهو نعت (المحدث)، ومعناه: ليس بالبيع، وإذا نصبت (خير)، فمعناه: (إلا البيع)، أي: حل المحدث إلا البيع، قد حل في (ثم ...) . ورواه هذا الشيخ: (بالمحدث غير البيع)، بالخفض، وليس لهذا وجه، أئمة " (٤).

ومن قبيل تفصيل الشارح للرواية على النعت: لحصول الفقد، ما تجده في تفسير التمرّي لبيت أبو عبيد الهذلي:

خَلَّتْ بِهِ فِي أَيْلَةٍ مَنْزُودَةٍ غَزَفْنَا وَغَلَّتْ بِطَائِفَتِنَا لَمْ يُخَالِ

(١) أبو حلال السكري: رسالة في ضبط وتعريب مواضع من النحاة: الفترة (٧) ص ١٦٠.

(٢) نفسه الفترة (١٤) ص ١٨١، ١٨٢.

(٣) نفسه: الألفية (٣٤) ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) نفسه: حذرة (١٢) ص ٣٠٦، ٣٠٧.

القصص التفصيلة الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

يقول: "مزودة"، مفزعة، وهو صفة لليلة، ويروى "مزودة"، بالنصب، يحل حالا للمرأة. والصفة أحب إلي، فإن الليلة إذا كفت ذات حوله فأهلها كذلك، وإذا انفرد أحدها بالهول لم تكن هي كذلك. وإذا جعل أيضا حالا، لم يكن في ذكر الليلة لفائدة، إلا خصوصية الليل دون النهار بالحمل، كقوله قل: حملت به فزعة في ليلة، فقلت الفاتنة^(١).

- اصل (أن):

مثل التعليق على قول شاعر العمارة:

يُؤَيُّ الْأَمْرَ نَفِيقُهُ مِمَّا يَهْجِي لُؤْلُؤُ الْعَظِيمِ

" رواء هذا الشيخ: (مما يهيج لك العظيم). وليست هذه الرواية بالمستقيمة؛ وذلك لأن (الأمور) منصوبة بأن، و(دقيقتها): بدل من (الأمور)، و(مما يهيج .. إلى آخر البيت ...) خبر، والهاء في (له): راجعة إلى اسمها، من الخبر .. ولو قل: (لك) لما صح الكلام لأنه ليس له في الخبر راجع إلى الاسم، يرتبط به الكلام^(٢).

- التذكير والتثنية:

كما جاء في التحيتب على قول المرأة التي قتل زوجها:

تَجَلَّتْ خَزِينَتَا عَوْفٍ بِسَنِّ كَعْبٍ فَلَمَّسَ لُخْلُؤَهَا بِثَنَّا اغْتَبَاذٍ

" (تجللت) الشراء. لسته، أي لبس (عرف بن كعب) خزي هذه الفقرة. ورواه هذا الشيخ: (تجللت خزينها عرف بن كعب ..) (لعل (الخزي) هو العاطل، يريد أن (الخزي) لبس القوم، وليس لذلك وجه. وروى أبصا: (لبس لخلها منه اعتذار) فذكر. وروى في المصراع الأول: (تجللت خزينها ..) فقلت. وهذا اضطراب شديد، كما ترى !!^(٣).

- الإضافة:

كما جاء في شرح قول أبيس بن الأرت:

فَلَيْ مَزْعُوسٍ أُنْكَرُكُمْ إِذَا تَمَدَّدَتْ عَقْرَتُهُ يَوْمَئِذٍ غَفْرَتَانِ

" (مرعى): اسم لهما، شبيهها بعقرب، يمتددا (عقربان)، وهو ذكر العقارب. (والكوم): السفاد. ورواه هذا الشيخ: (كان مرعى اسمك ..) جعله (مفعلا) من الرعي، وأضافه إلى الأم؛ وهو خطأ، كيف ينيه الموعى عقربا ١٤ " (٤).

- التكرار:

مثلا وجندا في لمر قول الآخر (زميل بن لبير):

وَلَقَدْ جَلَسْتُ غَدَاةَ الشُّوْطِ وَإِنْ ثَمْنَا نُخْبِرُكَ ظَهَرَ الْقَرَبِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ

(١) تنزي: محقق أبيات العمارة: حاشية (١٢) ص ٢٢.
(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحاشية: الفقرة (٦١) ص ٢٤٢.
(٣) نفسه: الفقرة (٥٠) ص ٢٦٢، ٢٦٣.
(٤) نفسه: الفقرة (٥٢) ص ٢٦٨، ٢٧٠.

"يقول: ما من الشؤون، وهي: الأمور، فجئت عنه ما عسى غيره من البلاءة .. (و)ظهر الغيب (منصوب على الظرف، وجعل الغيب طهرا، فهو ظرف مكان، والأصل: يخبرك ما أنت فاعل في ظهر الغيب، ثم حذف، ونصب، كما تقول: (رأيت زيدا موضع كذا ..)، ويجوز أن يكون أراد: (على ظهر الغيب)، فحذف ووصل الفعل، ونصب، وهي رواية أبي ريثاش، وابن الخياط، ورواه هذا الشيخ: (ظهر الغيب) - بالرفع - على أن (الظهور) فاعل للتخيير، وليس لذلك وجه، والمعنى: أتني خلقت على خلق الرجل، وعلى قلب حلت عنه الشؤون، فذهبت بلامه، وإن شئت أن يخبرك بما تفعله ظهر الغيب فعل " (١).

- البطل:

انظر مثلا ما جاء في قول حبيبة بنت عبد العزى:

إلى فتى نرى تلقا نأقبي ففما مثابنها التجميع الأموز

" (بر) : اسم انهما، وكان لاقصا بخيلا، فأصاب صيدا، وجعل لحمه وشق (٢)، وتصقيب (٣)، وقال لأمه: احفظيه، ولا تفرقه، فإن الحرء اشد، ولا يتر على الصيد، في كل وقت، فقالت: والله لا أخزن لحما، ولا أسلكك أبدا، ثم رحلت عنه، فتلكأت ناقها، للإلف لوطنها، فقلت في ذلك: (إلى فتى بر تلكا فتي) (بر) بدل من الفتى. ورواه هذا الشيخ: (أ إلى فتى بر ..)، على الصفة، وهو خطأ، ولو كتبت ناقها تلكأت إلى (فتى بر ...) ما دعت عليها " (٤).

وبغير ذلك من المسائل النحوية والصرفية التي لا يتكرها الشراح لذاتها، ينثر ما يكتفوا عن أمسيها في بهم المراد من معنى البيت، على أدق مرادهم. جلتين إلى رواية البصريين تارة (٥)، أو الكوفيين تارة أخرى (٦)، أو الجمع بينهما تارة ثالثة، مبينين وجهات النظر المنهية كلا على حدة، دون تعصب (٧)، ميممين وجههم نحو المعنى ينثرون أعوارهم، ويعرضون في الكلف عنه، بمثل مصط وتحرير أبي هلال العسكري لقول العباس بن مرداس: (الطويل)

أبغض الإزالي مجتمعا نساك شأ هذا أثبت به في الدار لم يتزل

بقوله: " رواه هذا الشيخ: (أثبت به في الدار ..)، وهو غلط، والصحيح: (أثبت به) بضم الألف .. أي بعد أن أثبت به، وأنت في دارك بآزار هذا القيل، مجدا بالدم، أي مصبوحا به، فتر بأخذ الدية، وترك الدم؛ وأمره

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: الفقرة (٥٤) ص ٢٧٣ - ٢٧٦.
(٢) في التلألؤ (وشق)، التلألؤ: جمع التلألؤ، وهو لحم ينلى في ماء ملح، ثم يرفع، وقيل: هو أن ينلى إغلاء، ثم يرفع، وقيل: يند، ويحمل في الأسفار، وهي ألقى فيه يكون ..)
(٣) عن الموشق، وفي التلألؤ (صفت)، (صفت للحم، يصفه صفا، فهو صفيف: شره عراسا، وقيل: الصبغ الذي يطلى إغلاء، ثم يرفع، وقيل: الذي يصف على الحمى، ثم يوشى، وقيل: تشيد، إذا شوى في الشمس ..)

(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العمارة: الفقرة (٥٧) ص ٢٨٣ - ٢٨٥.
(٥) انظر: نفسه: الفقرة رقم (٥١) ص ٢٦٧، حيث يرفع رواية البصريين بقوله: "والرواية المسيجة هي التي تقدمت، وهي رواية البصريين، وغيرهم من أهل العلم".

(٦) انظر: التبريري: شرح ديوان العمارة (١ / ٢)، حيث يرى أن الموزوني له نوع مذهب للكوفيين في محرم رده على ابن حني في تفسيره: لبث علق بن مروان بن الحكم بن رفاع

فأضحت زهر في السنين التي مضت وضا نغمة لا يذعنون إلا بالأقلام (الطويل)

بقوله: "وليس للموزوني أن يترك المختار من قول البصريين ويحمل إلى قول الكوفيين ردا على ابن حني رحمه الله".

(٧) انظر: التبريري: شرح ديوان العمارة (١ / ٤)، في شرحه لبث شاعر العمارة: بؤسك كفا وكيفك أفك الحبيب (الطويل)

بقوله: "أما في معنى كفا .. والبصريون .. روي .. لكي وكيفك".

بلن يثار، وجعل هذا الشاعر الإزار، لوضاء، شاهدا لهذا المخطئ على أن صلحه قد قتل، ولو كان هو الذي لقي بالإزار، لكن قد شهد قتله، ولو شهد لم يحتج إلى شهادة الإزار " (١).

ومثل هذا البحث عن مضي الذي يقرأى لما في ضبطه وتحريره لقول آخر (المتلم بن رباح المري) : (الطويل)
سأغلبك جثبي وضغفه فومناذة وأغضبني إن لم تغضب الخفق أشجعا
بقوله: " روه: (أغضب إن لم يبط بالحق أشجعا) وهو تصحيف، والأول هو الصواب. والمراد: أني
أغضب لعتك، إن لم تغضب له (أشجع) ... " (٢).

جـ - المعنى:

فإذا ما انتقلنا إلى المعنى، وجدنا أن كل هذه الاعتراضات التي تتمثل بالرواية من حيث اللغة، والنحو
والصرف، تنوع هيها الوحدات التركيبية وتتعاضد في إطار تحويل يمليه تعدد الروايات، وقد يكون لذلك أثر في
المعنى وقد لا يكون" (٣).

مما قد يؤدي بالرواة والشرح - في بعض الأحيان - إلى "لهم خلطي، وجنوح نحو التكلف والشطط" (٤)،
وهو ما قد يدفع بعض الشراح - خاصة المرزوقي - إلى الرد "على الشراح الذين يزولون المعنى حسب أهوائهم،
وهم - على حد زعمه - مخطئون في التفكير والفهم، وهؤلاء يسلمهم المرزوقي سلقا" (٥).

فقول الأفرع بن معاذ:
ثُمَّ لَقِيَ الْجَزَارَ شِرْزًا وَهَمْسًا خَابِيَةً وَلَا يَبِيْثُ عَلَى أَخَانِيهَا قَمَمٌ
" رواه هذا الشيخ: (وهي جائمة)، و(الجائم): اللزيم لمكفه، لم يثر " (٦)، يرد أبو هلال العسكري على
هذا الراوي على طريقة الاستقهام الاستكاري بقوله: "ولا أعرف كيف تملفه الري، وهي جائمة لم (تثر)، ولا
تخلب، إلا إذا ثارت" (٧).

وقول عمرو بن معد يكرب:
فَجَاثَتْ إِلَيَّ السَّنَنُ أَوَّلَ حَرْبٍ وَرِثْتُ غَلِيَّ مَقْرُوهِيهَا فَأَمْسَتْ نَثَرِي
فهمه بعضهم فهما خلطنا، فاعترض وقال: " لولا أنه حين لما حلت إلى النفس، وقال أيضا: ومثله في
الرداءة قول عنترة:

إِذْ يَتَقَوَّنُ بِمِي الْأَبْنَةِ لَمْ أَجِمْ عَظْمًا وَلَكِنِّي شِصَانِيْ مُفْصَلِيْ

حلا قال: كما قال الجلس بن مرداس:

(الوافر)

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروا من المعجمة: الفترة (٣) ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) نفسه: الفترة (١٦) ص ١٨٨، ١٨٩.

(٣) دالمند حمل الصروي: شرح الشعر عند العرب، ص ٥٥.

(٤) دالمند حمل الصروي: شرح الشعر الجاهلي، مناهج الشراح (٢ / ٢١٧).

(٥) نفسه: (٢ / ٢١٧).

(٦) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريروا من المعجمة: الفترة (٦٤) ص ٣٠٨، ٣١١.

(٧) نفسه: الفترة (٦٤) ص ٣٠٨، ٣١١، ونظر كذلك: الفترة (٧٠) ص ٣٢٣، ٣٢٤.

أَشَدُّ غَلِيًّا تَكْثِيْفًا لَا أَتِيَالِي أَخْتَلِفِي فَمَنْ فِيهَا أَمْ بِهَا

يرد المرزوقي على هذا المعترض بقوله: " وليس الأمر كما توهم، لأن ما ذكره عمرو وعتره، بيان حال النفس، ونقص الجبان والشجاع على طريقة واحدة، فيما يدهمها عند الوهلة الأولى ثم يختلفان، فالجبان يركب نفرتة، والشجاع يفعما فيثبت. فلما قول العباس بن مرداس ليس مما ذكرها بسبيل، وإنما هو بيان الحالة النفسية، وما يعزم عليه بعد الاعتصام والمراجعة والتفكير " (١).

ونظر أيضا ما جاء في قول الآخر:

وَالْمَدْفُونُ بِمَا يُخْبِثُ الْمَوْتَ مُقْبِبٌ وَلَا الْمَيِّتُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْخَيْرُ نَائِيْرُ

حيث يشرح أبو هلال العسكري البيت بقوله: " يقول: إن صبر الحي، أو لم يصبر، فإن الميت لا يبعث، بعد الموت، في الدنيا - بحث على الصبر " (٢)، ثم ينكر الرواية الأخرى " ورواه هذا الشيخ: (ولا الحي إن لم يصبر الحي نائير) " (٣). ويعلق على هذه الرواية بقوله: " وهذا أعجب شيء سمعناه: لأن الحي لا يحتاج إلى النشور، وإنما الميت ينشر، يقال: (أشر الله الموتى وشروا هم)، وقيل الأعرى: (السريع)

جئى يَفْشُو النُّاسُ مِنْهَا زُلْفًا نَا عَجَبًا لِمَيِّتِ النَّاسِ " (٤).

أو تعقيب أبي هلال العسكري على قول الآخر (العوراء بنت سبيع النيفية) : (محزوء الكامل)

طَبِيعَانِ ظَلَمَاسِي الْفُتُوحِ لَا يُسْرُخُ دَعْوَى لِنَظْلِ بَعْسَةِ إِثْنَا

بقول: " رَوَاهُ هَذَا الشَّيْخُ (لِنَظْمَةٍ) (مَقْلَعَةٍ) مِنْ (الظُّلَمِ)، وليس بالوجه، والوجه لمظلمة أي لامرأة داخلية في الظلمة، يريد: أنه لا يجب إلى حاراته في ظلمة الليل، يرخي إزاره، لئلا يتبين أمره. وإذا روي (لمظلمة)؛ كل معناه أنه لا يرخي إزاره، إذا أصلمته مظلمة، أي يستر فيها، ولو أراد الشاعر بذلك، وعصر عنه يهده العبرة، فقد لساء، غاية الإساءة، وكان الوجه أن يقول: (على مظلمة)، وليس لقتل أن يقول: أقلم اللام مقام (على)، وذلك أن حروف الصلوات يقوم بعضها مقام بعض، لأن ذلك يحور إذا لم يشكل المعنى، فاما إذا أشكل المعنى، فليس بحلوز، ومن له أدنى معرفة بالكلام، يعرف أن (المظلمة) تصحيف " (٥).

وبعد اهتمام الشراح بـ (المعنى) هو امتداد طبيعي لاهتمامهم بالجانب اللغوي، فمتوا بوضبطه وتحريده،

كما نرى في تعقيب أبي هلال العسكري على قول الآخر (هلال بن رزين): (الوافر)

أَجَابَتْ زَيْنَ مَنَظَنَةٍ فَتَزَتْ عَفْوَئِهِمْ صَوْبَ مَنْ مَنَازِلَةٍ تَزُوْ

بقوله: " رَوَاهُ هَذَا الشَّيْخُ: (صوب) بالرفع، والصواب: (صوب) بالفتح " (٦)، فبدأ ينكر رواية الشيخ،

مبادرا إلى تخطئتها، كاشفا عن معنى البيت، وما طرأ على بعض كلماته من حذف لدلالة الخطأ عليها بالقول:

(١) الترمذوني: شرح ديوان الحماسة: مجلد (٢٩)، (١٥٨/١)، وانظر: ١٥٤/١، واطلع: المجلد جمال المصري: شروح الشعر العاملي، مطابع اشتراف (٢١٨٠، ٢١٧/٢).

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في مسند وتحرير مواضع من الحماسة: الفترة (٢٢) ص ٢٠٠.

(٣) لسانة الفترة (٢٢) ص ٢٠١.

(٤) أبو هلال العسكري: رسالة في مسند وتحرير مواضع من الحماسة: الفترة (٢٢) ص ٢٠١.

(٥) لسانة الفترة (٢٥) ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٦) لسانة الفترة (٤) ص ١٥٢.

"أراد أن الحرب أجلت، فحفظها؛ لدلالة الخطاب عليها" (١)، ثم انتقل إلى تبيان موقع كل من (صوب) و(درور) الإعرابين، ومضني الجمليتين اللوحيين بهما، مطبقاً إلى تعريف المجنة والدرور بقوله: "و(صوب) منصوب على تلويل المصدر أي: أجلت الحرب صوب سارية. و(درور): مرفوع، جطه نصاً للسارية، على المعنى، لأنه في المضى رفع. ويجوز أن يكون (درور) نصاً لمحذوف، أي: أجلت حرب صوب سارية. و(صوب) بالرفع غير جواز لقوله: (أجلت). ولا يجوز أن تؤنث (الصوب) على تلويل السارية، كما قيل: (شرت صدر القلة)، و(تولضت سور المدينة)؛ لأن (الصوب) ليس بعض (السارية)، بل (السارية) ظرف له، وظرف الشيء ليس منه. ولا يكون (صوبا)، أيضاً؛ إلا إذا انفصل منه و(صدر القلة) من (القلة)، و(سور المدينة) من (المدينة). و(المجنة) من (الدجن)، وهو: التلبس الغيم. و(الدرور): لمول من (در)، وهو بمعنى: (صلب) (٢)، مختصاً بتأكيده أن استعمال ذلك كله من باب المثل " وكل هذا مثله، والمراد به: تتبع الضرب والطمع " (٣).

وبيت عمر بن الطفيل:

أَفَرُّ خَلْفِيهِمْ ذَلْفُجَا وَلَيْثُفَةً إِذَا مَا اشْتَكَى زَلْفُجَ الزَّجَاجِ تَخَفَقْنَا

معناه - كما يقول المرزوقي - " أعطف فرسي دعلجاً عليهم، حالاً بعد حلب، وكرأ بعد فر، وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن بصدره محم. وجعل الفعل للمصدر على المجاز وللمعة لكونه مولى الطعن. هذا إذا رويت وليته بالرفع " (١)، هذه هي روايته وهذا هو المعنى الذي يرمى إليه الشاعر.

ثم يستطرد قتيلاً: "لأن بعض الناس روى وليته بالنصب، كنه فر من أن يكون الاستكاء والتحمحم للبيان على كثرة سبة الاستكاء إلى الأعضاء الألفة. فوقع فيما هو نقيض لأن المراد أكر عليهم فرسي، فلا معنى لمعطف اللبان عليه" (٢).

د - البلاغة والصنعة الفنية:

لقد عرج الشارح على بعض الملاحظات البلاغية أو الصنعة الفنية ليؤكد صحة روايته، وخطأ الرواية المخالفة لها، أمثلاً عند قول التميمي العارضي:

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنْهَا ظَلَمْنَا فَلَسْمُ نَفْسِنَ ظَلَمْنَا وَلَعَلَّمَا أَسْلَفْنَا الظَّالِمِينَ

نجد المرزوقي يذكر رواية أخرى هي "فإن تزعوا لنا ظلمنا"، ويصرح ببلاغتها عن الأخرى بالقول "والزعم في دفع الدعوى أبلغ" (٣).

وكذلك ما نجده من استعانة أبي هلال العسكري لنقطة التشبيه في إثبات ما جنع إليه من رواية (٤).

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الصنعة: الفترة (٤) ص ١٥٢.

(٢) نفسه: الفترة (٤) ص ١٥٢، ١٥٣، وانظر: مقدمة للمحقق، ص ١١٨.

(٣) نفسه: الفترة (٤) ص ١٥٢.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حاشية (٢٧)، (١ / ١٥١).

(٥) نفسه: (١ / ١٥٤).

(٦) نفسه: حاشية (١٦)، (١ / ١٢٦).

(٧) انظر: أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من الصنعة: الفترة رقم (٥٢) ص ٢٦٨ : ٢٧٠.

القضايا التقنية الفصل الثالث: قضية تعدد الرواية والرواة (التوثيق)

أو بتعين بالموسيقا، ومدى موافقتها للرواية التي يملكها، وتضعيف روابط الصلة بينها وبين الرواية الأخرى، مثل حديث أبي هلال العسكري عن (الروي) و (الإبطاء) في القوافي، و (الأوزان) .. يمثل ما يطلعا به في ضبطه لبيت هشام أخي ذي الرمة:

خَوِي المَحْمُودُ المَقْفُوزُ بَعْدَ ابْنِ نَهْلِهِمْ وَأَمْسَى بِأَوَّلِي أَهْلِهِ لَدُنْ تَضَفَضَتْهُ

وتحريره بقوله: " رواه هذا الشيخ (قد تَضَفَضُوا)، و (تَضَفَضْتُ)، أجودلان روي، البيت الذي قبل هذا البيت هو: (نَصَدْعُ)، والبيت هو:

نَصَدْعًا بِأَبَقِ الْأَخْلَاقِ لَا يُخْلِفُونَهُ تَفَادُ الْجِنَانِ الشُّمُّ بِئْسَ نَصَدْعُ

ولم يكن (هشام) ليوطن في بيتين متوالين، ومع إمكان القوافي له. وإذا وقع (الإبطاء) في بيتين متباعدين في التصونة كان أقل عيبا، وكلما تقاربا كان غييه أشد، فإذا تواليا فهو علة في العيب، ولا نعرفة لمجيئ البيت " (١).

وفي ضبط أبي هلال العسكري وتحريره لبيت (حزاز بن عمرو):

تَبَكَّى عَلَى بَكْرِ شَرِيتٍ بِهِ مَنَعَهَا تَبَكُّيَهَا عَلَى بَكْرِ

بقوله: " رواه هذا الشيخ (تكمي على بكر شريت به ..) بتشديد الكاف، وضم القاء، والبيت - إذا روي كذلك - كان مكسورا " (٢).

وقريب من هذا الحديث عن الورن وصحته، قول أبي هلال العسكري في ضبط بيت وقيل الآخر (نالغ بن أسعد الطائي، أو القنوي):

وَلَمَّا بَنَى عَلَى الْأَمْرِ يَغْنَمًا يَفُوتُ، وَتَكُنْ عَلَى أَنْ تَقْدُمَا

" نكر النيمرتي أن (عل) - ها هنا - بمعنى (لعل)، قال الشيخ: (عل) هو الأصل، فزيد عليه (لام)، ويجزه (لعل) بمعنى الإيجاب، والمراد: ولكن أوجب على نفسي التفتيم في الأمور، والاجتهاد في أن لا يفوت. ورواه هذا الشيخ: (ولكن على أن أتقما)، والبيت مكسور الوزن على هذه الرواية " (٣).

وبالإضافة إلى الجوانب السابقة، نجد الشراح في تعرضهم للروايات المخالفة بالنقد والتحليل - أحيانا - يقومون بضبط بعض الأبيات وتحريرها، مع الإشارة إلى خطأ الروايات الأخرى، يمثل ما يطلعا به أبو هلال العسكري في ضبطه وتحريره لبيت (؟) (أرطاة بن سبية):

وَنَحْنُ بِأَوَّلِ غَمٍّ عَلَى ذَاتِ بَيْتِنَا زَلِيلِي قِيَهَا بِغَضَّةٍ وَشَأْفُنْ

بقوله: " (للزرايبي): الطنائس، واحتمها (زربية)، وليس له - ها هنا - معنى البيتة، ولا شك في أنه تحريف، وتصحيف " (٤).

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريرواوضاع من القصيدة: القفرة (١٨) ص ١٩٢ : ١٩٤.
(٢) نفسه: القفرة (٢٨) ص ٢١٤، لأن البيت من بحر الكامل، وضم القاء، وتشديد الكاف في: (تبكي) بحس البيت، حينها، يؤدي إلى كسر البيت.
(٣) نفسه: القفرة (٢٨) ص ٢٢٦ : ٢٢٨، وقع الكسر في الخطر لتعلي من هذا البيت برواية (علي بن لثما)، لويغة حركة في تنجيلة القافية: (مفاعيلن)، فصور (مفاعيلن) .. وهذا مما لم يرد في بحر الطويل، الذي جاء البيت على وزنه.
(٤) نفسه: القفرة (١٥) ص ١٨٥ : ١٨٧، وأطر كذلك: القفرة رقم (٦٤) ص ٣١٤ : ٣١٦، القفرة (١٧) ص ٣١٧ : ٣١٨.

(... إثنى وقبيلتي بنفسي عن ذلك المقام لأرجو)

كله قال: إثنى أربغ بنفسي عن ذلك المقام، وقبيلتي يرغبون بها عنه، إلا أنه ينبغي أن يكون الراغبون ليحوز المعنى، ويصح اللفظ، فإن أراد بقوله: (وقبيلتي) القسم، صح المعنى، إلا أن يكون الكلام متكفلاً، والأول هو الوجه، والرواية " (١) .

وتعقيب التمري على قول زويهر بن الحارث: (الطويل)
ألم تَرَ أَنِّي نَوْمٌ فَارْقُصْتُ مُوَثِّرًا أَتَانِي صَرِيخُ النَّوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ
بقوله: " وروى لليمرني وغيره: "أتاني صريخ الموت"، بالخاء معجمة، وقال: "هو داعيه"، وهذا تصحيف في الحرف وخطأ في تفسيره، فإن "الصريخ"، هو المغيث والمستغيث. ذكر ذلك في الأضداد، ولا وجه لهما ما هنا إلا على تكلف " (٢) .

أو تكون الرواية المخالفة صحيحة على التوسع، ولكنها بعيدة عن المعنى، فيشربون إلى بعدها موضحين سبب هذا البعد، كما جاء في تعليق أبي هلال العسكري على بيت المساور بن هند: (الكامل)
وَمَغِيثًا يَخْمِي السَّمَوَانَ كَأَنَّهُ مَنُخْمَطٌ فَيَسْطُو إِذَا مَا يَزْنَرُ
بالحقول: " رواه هذا الشيخ: (يحوي الصور) . و (المعين) من بحر الوحش: الذي فيه يقع السواد و (الصور) : الطليع منها، وعنى بالمعين فعلها، وكل جماعة لها فعل، فإن فعلها يحميها بنفسه، وينب عنها، ويقولون: (أحس من فعل العلة)، ويكون ذلك من (الحمليّة)، ومن (الحميّة) حميعاً. و (بحويها) بعيد، وإن كان صحيحاً على التوسع، لأن معنى قولك: (حويت الشيء) : هو أنك أحزرتة، وحسنته. ولهذا سميت الأمعاء (الحوايا) ؛ لأنها تحبس الثقل، و (الحراء) : جماعة الببوت؛ لأن أهلها لا يتعنونها، إذا نزلوا، ولا يقال لما تجمعهم، وتسوقه: (حويته) إلا على بعد، وإنما يقال في ذلك (حشرتة) " (٣) .

ونراهم - أحياناً - يكتفون بالإشارة إلى خطأ الرواية المخالفة، واصفين إياها بصفات مختلفة، من قبيل "تتادي على نفسها بالخطأ، لو"، كما فعل أبو هلال العسكري في ضبط بيت المساور بن هند: (الطويل)
بِسَدَى لَيْتِي هُنْدُ غَدَاةَ ذَغَوْتُهُمْ يَخُو وَنَالِ السَّنْفُلِ وَالْأَبْوَانِ
بقوله: " (ويل): ماء لبني أمد، وجوه متسعة، ورواه هذا الشيخ:
بِسَدَى لَيْتِي هُنْدُ غَدَاةَ ذَغَوْتُهُمْ يَخُو وَنَالِ السَّنْفُلِ وَالْأَبْوَانِ
ولا نعرف ما هذه الرواية، ولا نحتاج إلى أن نتكلم عليها؛ لأنها تتادي على نفسه (٤) بالخطأ " (٥) .

(١) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المصنعة: الشفرة (١٩) ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) السري: معاني أبيات المصنعة: المصنعة (٣٥٥)، ص ١٤٤ .

(٣) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المصنعة: الشفرة (٨) ص ١٦١ ، ١٦٣ .

(٤) يقول المسحوق كما في الأصل: ولعلها (نفسها) .. لتوبة للمصور على الرواية، وهي مؤنثة .. انظر: أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المصنعة: الشفرة (٦٢) حاشي ص ٣٠٥ .

(٥) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من المصنعة: الشفرة (٦٦) ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

وكذا يبدى الشراح ترددهم إزاء بعض الروايات؛ بسبب عدم معرفتهم مصدر الرواية للخطأ فيها: هل هو نابع من تصديقت بعض الرواة وتحريفاتهم ؟ أم هو منسوب إلى أبي تمام الطائي (جامع ديوان الحملة) نفسه، كما نطالع في ضبط أبي حلال العسكري لأبيات عارق الطائي:

وَاللهُ لَوْ كَانَ ابْنُ جَنْفَةَ جَارِقُمْ
وَسَلْبِلًا بِشَّيْنٍ فِي أَغْثَائِقُمْ
وَلَقَدْ كَانَ غَائِثُهُ عَلَى جِيرَانِهِ
مِسْمُكًا وَرِيْطًا رَابِعًا وَجَفَانًا

بقوله: " والصواب، والله أعلم: (الكامل)

وَاللهُ ، لَوْ كَانَ ابْنُ جَنْفَةَ جَارِقُمْ
وَسَلْبِلًا يَنْسِلُونَ إِلَى أَغْثَائِقُمْ
وَلَقَدْ كَانَ غَائِثُهُ عَلَى جَارِيهِ
مِسْمُكًا وَرِيْطًا رَابِعًا وَجَفَانًا

بعرض بعمر بن هند؛ وكان أغار على طيء، منصرفه من اليمامة، فأصاب نساء وأزولاء، وكان بينه وبين طيء عند وجوار، فقال عارق لطيء: (لو كان ابن جفنة جاركم لم بأسكم ، فيكموكم السلام؛ فيجعلها في أغلقكم مكان الكسوة، ولما كلكم التلة والهوان، بذلك، ولكن تقطع تلك الأكران، أي يفك تلك الأكران، إن شد بها دعو، و) لكن يهدي إلى جاراته (- يعني النساء، اللاتي أخذهن عمرو بن هند - ذهباً وريطاً وجفناً، ولا أعرف أوقع التحريف، في الأبيات، من الطائي نفسه، أو من المقلد " (١) .

أو يميلون إلى اشتمرية بين الروائيين في الإجابة والتمسك، كما جاء في تعقيب النمرى على قول الراعي: (المطول)

كَفَاتِي عِرْفَانُ الْكَرَى ، وَغَلِيْثُهُ
فَلَسُوهُ النُّجُومُ وَالتُّغَيَّاسُ مُغْتَابُهُ

بالتقول: " عرفان "، اسم صاحبه. و"الكرى"، النوم، يقول: كفتي النوم، أي تولا، وكفتته أنا لأن يكلاً للنجوم ويراقبها ويهذي بها، أي تولىته، و"الكلوة"، الحفظ، يقول: لم وسريت به. ويروى: كفتي عرفان الكرى، من المعرفة، يريد صاحبه الذي تقدم ذكره. وكلاهما حسن " (٢) .

وكذلك تعقبه على قول حنبل بن عطفة:

وَلَا مَنَاسِيْ بِذِي الْوُدَعَاتِ مَنُوطِي
أَلْأَجْبُثَةُ وَزَيْتُهَا أَرِيْدُ

"نو الودعات"، اللطف. يقول: لا ألاحظه تعرضاً بلمه. ويروى: "وريبته أريد"، و"الربة"، الصلابة، ويريد بها أمه. وكلتا الروايتين حسن " (٣) .

أو جواز الروايتين وعدم امتناع الرواية الأخرى، كمثال تنبيه النمرى على ما ورد في بيت الموطوط السدي، ويروى لجرير:

بَلْ لَوْ نَسَاجِنَا الْقُرُوءُ بِذَارِهِ
لَفُذَّاتُ الْهَسَفِ وَخَبِيْثَا

(١) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريف مواضع من الحملة: لقرة (٥٩) من ٢٩٦: ٢٩٧.

(٢) النمرى: معاني أبيات الحملة: حلبية (١٠٠)، من ٧١.

(٣) نفسه: حلبية (١٢٨)، من ٨٦.

القضايا النقدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

من رواية يقول: " حكنا روايتنا، ونكر لي أنه قد روي موضع 'الغَيُور' بداره"، 'المُؤَيَّن' بداره"، وفسر قليل: "المؤين"، الرقباء، و"داره"، موضع. وليس هذا ممعنا " (١).

وقد يتطرق الشراح من كشفهم عن معنى البيت، وتفسير بعض ألفظه إلى سرد نسب بعض الأعلام، بطونا وأمرأ: .. كما يترأى لنا في ضبط أبي هلال العسكري لبيت تليط ثرا:

وَأَنسَى لَهْفِي مِنْ ثَنَائِي فَفَاصِدٌ بِهِ لَابِنٌ غَمُّ الصَّدْقِ ثَمَنِي بِنِي مَالِكِ

وتحريره بقوله: " يروونه: (شمس بن مالك)، يفتح الثين، والصواب: ضمها. وهو: (شمس بن مالك بن فهم)، بطن من (الأزد)، منهم: (نحو بن شمس)، و(نحو): اسم، والنسب إليه (نحوي) ومنهم: (شيبان بن عد الرحمن النحوي) المحدث، ولم يكن معربا. و(شمس) إنما هو لي (جرم بن ريان) من (قضاعة) " (٢).

ومن التنبية على بعض التصحيحات والتحريفات في بعض روايت الأبيات وأعلامها، إلى التعرّيج على ما أصاب أسماء مندي هذه الأشعار أنفسهم من تحريفات .. بمثل ما بطلحنا أبو هلال العسكري بضبطه لبيت أبي الأسد بيلة الحملي التميمي في الحسن بن رجاء:

فَلَا تَنْظُنْ إِلَى الْجِيَالِ وَأَهْلِهِمَا وَإِلَى مَنَابِرِهِمَا بِظُلُفٍ أُخْزِرِ
مَا زِلْتَ تَرْفَعُ كُلَّ شَيْءٍ قَاتِعٍ حَتَّى اجْتَرَأَتْ عَلَى رُفُوبِ الْمُنْبِرِ

وتحريرها بقوله " رواه هذا الشيخ: (أبو الأسود)؛ وهو غلط، وإنما هو: (أبو الأسد التميمي)، واسمه: (بيلة)، من بني حمل، و يعرف بلي الأسد الديوري، شاعر رشيد. وليس بلي الأسود الدزلي. وذلك أن أبا الأسود كل في أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام (ش ٤٠ هـ)، والحسن بن رجاء كان في بعض أيام بني العباس " (٣).

وشبه بهذا الملك ما نراه في تصحيحهم نسبة بعض الشعراء إلى قبائلهم، كما فعل أبو هلال المرزوقي في ضبطه لاسم (أبي الطمحاء الأسدي)، ولقبه في تحريره لقوله:

وَبِالْحَيَةِ الْبَيْضَاءِ شَيْخٌ مُنْطَلُ إِذَا حُلِفَ الْأَيْمَانُ بِسَائِهِ بِرَّتْ

قلنا: " رواه هذا الشيخ (أبو الطمحاء القيني) وهو خطأ، وذلك أن أبا الطمحاء القيني جاهلي، واسمه: (حنظلة بن شريك)، وقيل: بل اسمه: (ربيعة بن عوف بن غم بن كنانة بن القين بن جسر) وهو القتل:

أَخْبَاعُ نَهْمٍ أَحْمَانُهُمْ وَوَجْهُهُمْ دَجَى الثُّبُلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزْعَ ثَابِتَةً

ونعيم: أبو الطمحاء النهشلي، وكان يهاجي أم الورد العجلانية، وأبو الطمحاء الأسدي هو الذي نشد له أبو تالم (وبالحيرة البيضاء) ...، وأبو الطمحاء الطائي، ... لهؤلاء آباء الطمحاء ... وجئت بخط علي بن حمزة البصري التميمي، قال: ذكر الحسن بن بشر ابن يحيى الأمدي من يقل له: أبو الطمحاء تذكر أبا الطمحاء القيني، وأبا الطمحاء النهشلي، وأبا الطمحاء الأسدي، وأبا الطمحاء الطائي، ونكر أن أبا الطمحاء الأسدي اتبس

(١) شعري: معلى أبيت الحملة: حملة (٥٧٦) من ١٨٦، ١٨٧.

(٢) أبو هلال العسكري: رسالة في ضبط وتحريرواوسع من الحملة: نشرة (١٧) من ١٩٠.

(٣) تنمى المرء، (٥٩) من ٢٨٦، ٢٨٨.

أمره على الرواة، وأكمل حتى حسوه أبا الطمخاني، وإنما هو أبو الطمخاء (بالتاء والخاء والهمزة)، واسمه: (طخيم)، لأنشد له أبو حاتم والميرد وغيرهما^(١).

وحشد تلك الصفات حول الشرح، يكميه " السمة الذاتية، والاستقلال بالرأي، والاعزاز به، والإتيان بالأراء التي يكن قد سبق إليها في الرواية أو في الشرح " (٦).

لَوْ كُنْتَ مِنْ مَنَازِلِ لَمْ تَمْتَحِجْ إِلَيْهِ بِأَوِ الثَّقِيلَةِ مِنْ أَهْلِ بَنِي مُنَيَّةٍ

فَقُلْ لَا مَسْجِدَ مِنِّي غَضَبًا مَازِينَ
وَقُلْ خُلَّيِّي فِي الْوَفَاءِ مَسْجِدًا
وَأَنْ تَنْتَهِرَ عَلَى قَسَمِنَا جَاهِ
وَأَنْ تَنْتَهِرَ عَلَى قَسَمِنَا جَاهِ

أَرْسَلْنَا عَبْدَنَا إِذَا خَافَ أَنْ يَوْمَهُ
إِلَٰهِي قُومَهُ لَا تَعْلَمُوا لَهُمْ نَبِيًّا

وَدَعِ خَافُكَ عَنِّي خَيْرًا مِّنَالِيهِمْ وَفَلَن يَبُذْنَ هَهُنَا بَعْدَ حِينٍ

(د) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١)، (١/٧٣).

القضايا التقليدية الفصل الثالث: قضية نقد الرواية والرواة (التوثيق)

فلا يجوز أن يتوهم أنها كانت تهجو لأخاها صرأ أو تنسبه إلى العجز والتقصير في طلب ثل أخيه، وصرح هو الذي كان يعد بألف فارس، ولكن مرادها بعثه وتهيجه .. وهذا كما يقول العبد لمولاه والغلام لصاحبه، وقد لحقتهما هزيمة من أجنبي، لو كنا في خدمة فلان عمك أو أخوك لما جسر هذا أن ينالنا بمكروء، ولا يجوز أن يقال أنهما هجوا سيئهما أو فضلا غيرهما طوبهما، ولكن المراد تحريكهما لهما. وإذا كان الأمر على هذا فمن الظاهر بطلان قول من يذهب إلى أن هذا الشاعر هجا قومه ومدح بني مازن. ومما يؤكد ما قلته قوله: (البسيط)

يَجُزُّونَ مِنْ ظِلِّهِ أَهْلَ الظِّلِّ مُخْبِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا

لأنه لا يقال لمن يمسك عجزا عن الانتصار أنه غفر، ولا لمن يقدّر على جزاء الإساءة أنه اختار الإحسان. فإن قيل: ليس قد قل:

لَيْسُوا مِنَ الشُّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَاتَا

وقل أيضا: (البسيط)

فَلَيْتَ لَيْسَ بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَجَبُوا شَبَبْنَا الْإِغْوَازَ قُرَيْنَاتَا وَزَقَبَاتَا

قلت: ليس يزيد شيء مما قاله على قول كبشة: (البسيط)

وَدَعَ عَنكَ غَفْرًا فِي غَفْرٍ مُنَابِلٍ

وإذا كانت أباحتها بالفتح من أصحاب المعاني لا تكون هجاء فكذلك أباحت هذا الضمري. ومما يشهد للطريقة التي سلكناها وببردها، أن في جملة أبيته التي وصف فيها قومه: (البسيط)

يُخْبِرُونَ بِيَرَاتِهِمْ خَشْيَ إِذَا خُمِدَتْ شَبَبُوا لِشَوْقٍ نَارَ الْخَرْبِ يَبْرَاتَا

وهذا المضي هو مثل ما افتر به غيره في صفات نفسه، فقال: (المتقارب)

أَبْرُ مِنْ الشُّرِّ فِي رَحْمَةٍ فَفُتُّ الْفَرَارُ إِذَا مَآ أَفْزَزِي

بل الذي فكره الضمري أزيد، لأنه وصفهم بالإحتمال والصبر ما أمكن، فإذا امتاحوا زانوا على كل هتج .. (البسيط)

شَبَبُوا لِشَوْقٍ نَارَ الْخَرْبِ يَبْرَاتَا

ومعنى البيت: لو كنت مازنيا لما تعني بنو اللقيطة على إبلي .. (١)

فالمرزوقي في المثال السابق يتضح لنا كيف أنه " يعز برأيه، ويستدل بنهمه وتصيره، حتى لو خالف كل السابقين والمعلمين، ويقدم كل تدعيم لما ذهب إليه من شعر العرب، وأسلوب العرب، ومنطقهم في النظم والتعبير " (٢).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصليبي، سلسلة (١)، (١ / ٢٤، ٢٥).
(٢) د/عبد جمال المصري: شرح الشعر الجاهلي، مناهج للتأريج (٢ / ٢٢١).

ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدى الثقة والأسفة التي أبدتها شراح الحماسة في تعرضهم للروايات المختلفة للنص، وحرصوا من خلالها على فك رموزه، والكشف عن حلولها، ومن ثم تمييز الروايات السليمة - من وجهة نظرهم - وبحض المخالفة.

إلا أن هذه الثقة في التوثيق التي انتهجها شراح ديوان الحماسة لا تمنع من وجود بعض الهنات التي وقعوا فيها أنفسهم - وهم من يجيئون على غيرهم - واستدركها طليهم النساخ، وإن كانت على الشواهد التي يسوقونها في تنقيح تحليلهم وتنبؤهم لأقوال شعراء الحماسة، كما ورد في تنقيح ناسخ كتاب "معلي أبيات الحماسة" للنمري، على استشهد النمري بقول ذي الرمة:

تَرَى الزُّلَّ بِتَغْزَنِ الزَّيْنِاحِ إِذَا جَزَتْ وَمِنْهُ لَسَوْلاَ خَشْيَةُ اللَّهِ تُنْزَخُ

الوارد في الحماسة (٤٩٦) ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، بالقول: " ليس لذی الرمة، وهو لحميل وروايته: "وشنة لولا خشيته لله" ^(١)، وقد علق محقق الكتاب على هذا الكلام بالقول: " هذه حشوية من النسخ أدخلها في المطر بعد قوله: "قول ذي الرمة"، ونقلتها إلى أسفل بعد البيت، لتكون أوضح " ^(٢).

ومما يؤخذ على شراح الحماسة كذلك، اتباعهم لمنهج النقد الشديد واللاذع لرواة الشعر وشراحه السابقين، ذلك المنهج الذي سار عليه من سبقهم من النقاد، فتغاضوا عن الحواش المعشينة في تعاملهم مع الشعر، واخذوا مجهوداتهم "فحتى وإن لم يكن الرواة صراحة بمراتب الجودة بسبب طبيعة المشغل الذي كان يسكنهم فبقهم برهنوا مثلما رأينا سابقا على دراية واسعة بالقصيدة في مرحلة منكورة نسبيا من عمر الشعر العربي، فلا عربة بينهم وبين ما يتلقون من أشعار فقد كان عصرهم قريبا من عصر الشعراء الذين اهتموا بهم فكشفوا خبايا وأضاروا خلفيا قد تنق عن اللاحقين. إن الرواة بعثوا الشعر القديم قولا ومقاما حتى تهيأ للنقاد على تلك الصورة، لكن هؤلاء - أو بعضهم تحنيدا - غصوا الطرف عن المزاي وترصدوا عثرات الرواة في الفهم والتفسير لأبطال أهلينهم التقنية، ومن ثم إسقاط أرائهم في هذا الشاعر أو ذاك، وهي آراء قد لا تروق للنقاد الذي يسعى حثيثا إلى إحضارها ضمن استراتيجية دفاعية قذمة على السجال. إن خطاب النقاد ينحو منحنيين: منحى الطعن إلى درجة ينعث فيها من يهتم بالشعر على غير منهجه بالنقض والجهل، ومنحى الاحتجاج " ^(٣).

نلاحظ إذن أن الشراح في طريقهم لنقد الرواة وشراح الشعر السابقين، قد عدوا إلى عدة جوانب يستطيعون من خلالها التثبت من دقة الرواية وصحتها، كالجانب اللغوي والنحوي، واللاغوي، وهو ما نجح فيه الشراح إلى حد بعيد.

ورأينا كيف تعمل الشراح مع تلك الروايات المختلفة للنص الأصل، على نحو تغلب فيه الممارسة على التنظير، ويتفوت ذلك التعامل من شارح إلى آخر، على قدر طاقته المعرفية والنقدية التي يسخرها في تفسير النص، إذ أن " الشرح والنقد يتقاطعان، ويتفوت ذلك التقاطع ظهورا وضمورا من نالذ إلى آخر، فلنلذد وابن أوغل في تحقيق قضايا الشعر والشعرية نظيرا فقه بذلك من خلال عينات وقف منها موقف الشارح في ضوء مفاهيم نقدية محددة تبين رؤيته الجمالية علته فلنلذد بالشرح والشرح بالنقد " ^(٤).

(١) النمري: معلي أبيات الحماسة، حماسة (٤٩٦) ص ١٧٤.

(٢) انظر: نفسه: معلي: حماسة (٤٩٦) ص ١٧٤.

(٣) د/احمد الوميلي: شرح الشعر عند العرب ص ١٢٩.

(٤) نفسه: ص ١٢٢.

الفضاء التقنية ===== الفصل الثالث: نقد الرواية والرواة (التوثيق)

ورأينا كذلك الحدة التي أبداهها كثير من الشراح - لاسيما أبي هلال العسكري والمرزوقي - في مخاطبة الرواة والشراح السابقين، فستوهم بألسنة حداد، وتعرضوا لهم باللفظ وعبارات شديدة القوة، دفعت بعضهم - أعني شراح الحماسة - إلى النأي عن التصريح بلسم الراوي أو الشارح الذي ينفده - أحيانا - ، حتى لا يُشهر به أو يقل من شأنه أمام تلامذته ومريديه.

وفي البداية يمكننا القول أن الشراح قد حافظوا على غرار أسلافهم، على الأسس العلية للشرح والنقد، وذلك من خلال تعرضهم لعدد الرواية، فلم يتكفوا الإضالة، بل ساروا وفق منهج يحكمه العقل والمنطق إلى جانب الخوق والملكة الفنية، وهو ما يتوافق مع أسس النقد التراثية الرصينة.

وقد أنتوا من خلال تعاملهم مع الروايات المختلفة للنص الشعري، وكذلك مع الرواة والقائمين على تلك النصوص بلجميع والتوثيق، وما أختها من مرحلة التفسير والشرح، أقول قد أبتوا عن حسن نبي ونفدي باضح وممارسة فعالة، انعكت إيجابيا على الشروح.

الباب الثاني

القضايا البلاغية في الشروح

الفصل الأول: علم المعاني

الفصل الثاني: علم البيان

الفصل الثالث: علم البديع

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وقضاياها

- أولاً: التقديم والتأخير
- ثانياً: التكثير والتعريف
- ثالثاً: الفكر والحذف

الفصل الأول: مباحث علم المعاني وفضله

يدل مصطلح "المعاني" عند البلاغيين على الوظائف النحوية للتركييب، والكيفيات والبيئات التي يتشكل بها التعبير، بشكل يتبع للمتلقي التعرف على لسان الكلام، ومن ثم التمييز بين جديده وريدينه، فعلم المعاني كما يعرفه السكاكي هو " تتبع خواص تراكييب الكلام في الإفلة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال نكروه " (١)، وعرفه الخطيب القزويني بأنه " علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال " (٢).

إن الهدف البلاغي الذي يؤسس له علم المعاني إذن هو " مطلقه الكلام لمقتضى الحال "، الذي يتبع ليشمل حال عناصر الخطاب الأربعة: المتكلم، والمخاطب، والميق، والمؤلف، فهو بذلك أوسع أفقا، وأكثر رحابة في تحليل مكونات الجملة.

إلا أن علماء البلاغة توجهوا في تناولهم لعلم المعاني إلى " البحث في مكونات الجملة على غرار ما كان في النحو، فلتحصر ميدان علم المعاني في الأحوال النحوية للألفاظ ووقف عند حدود أوضاع اللفظ التي يطلق بها مقتضى الحال، لذا فقد بدأوا بالتمييز بين نوعين من الكلام: هما الخبر والإنشاء، وعقدوا علم المعاني عليهما، وعلى ما يتفرع عنهما من حزنات " (٣)، يقول السكاكي: " إن التعرض لخواص تراكييب الكلام مؤتوف على التعرض لتراكييبه ضرورية، لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعين ما هو أصل لها وسبق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق. والسلف في الاعتبار في كلام العرب شيئين: الخبر، والطلب ... وما سوى ذلك نتفح امتناع إجراء الكلام على الأصل " (٤).

وعن سبب حصر معائد علم المعاني في هذين القسمين، سوى أن ذلك ما جرى عليه كلام العرب كما أشار السكاكي، يقول الخطيب القزويني: " ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون نسبته خارج تعلقه، أو لا تطبقه. أي لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء " (٥).

ويعد عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) المصدر الذي استقى منه السكاكي والقزويني وسبق البلاغيين بعد القزويني فهمهم لعلم المعاني، بعد أن أضلوا إليه، وتوسعوا فيه، ففطرية النظم التي وضعها الجرجاني تقوم على تحليل علم المعاني على أسس التركيب النحوي، فعبارة " معاني النحو " عنده تشير إلى علم المعاني، حيث يقول: " ... فلت بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى " النظم "، ويحل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أي عومل بحالات هذه المعطلة، فأزول عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة بطم أو فسده، أو وصف بمزبة وفصل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك للصدق، وتلك المزبة، وذلك للفشل، إلى معاني النحو وأحكامه " (٦).

(١) السكاكي: مفتاح العلوم، حقه وقم له ولغيره دمج العهد صفري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠ م، ص ١٦٦.

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة (٥٢ / ١).

(٣) دمج صالحي خلف التريميم: مفهيم البلاغة بين الأسماء والطناء، السعودية، جامعة أم القرى، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ص ٥١١.

(٤) السكاكي: مفتاح العلوم، ١٦٢، ١١٤.

(٥) القزويني: الإيضاح (٥٥ / ١).

(٦) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ٨٢.

ومن خلال نظرية النظم تعينت أنواع علم المعنى مثل: التقديم والتأخير، والفكر والحذف، والإضمار والإظهار، والتعريف والتكثير، إلخ.

ونظرية "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" تنتم بالمرونة والحرية في اختيار التركيب المناسبة لمباي الحال، والظروف التي تكتنف عملية للكلام، وهذه المرونة وتلك الحرية قد تدفع إلى بعض الاستثناءات التي تشذ بالكلام وتراكيبه عن قاعدة الاستعمال، وهو ما عبر عنه البلاغيون بـ "الخروج عن مقتضى الظاهر" أو "الخروج على خلاف مقتضى الظاهر" ^(١)، أي ظاهر الحال، "فإنما كان الحال هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على كيفية مخصوصة، اتضح أن المراد بمقتضى الظاهر أخص من مقتضى الحال، فقد يكون مقتضى لظاهر أن يأتي للتركيب على صورة، ولكن مقتضى الحال يدعو إلى غيرها، وعند ذلك لا تتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال إلا بالخروج عن مقتضى الظاهر، فكل كيفية اقتضاها الحال فهي مطابقة، سواء واقتت مقتضى الظاهر أو خالفته" ^(٢).

وصور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في علم المعنى كثيرة، أشار البلاغيون إلى كثير من صورها ضمن مؤلفاتهم ^(٣).

وهذه الصور من صور الخروج وغيرها "تضفي على الأسلوب لمسة فنية، وتكسبه قيمة جمالية بما تحفئه من صنعة ذهنية لدى المخاطب حين يفلجاً بما لم يتوقع" ^(٤)، وقد أشد بها السكاكي بقوله: "ولهذا النوع، أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر أساليب متقنة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولابد أن يتبعه من جهة من جهات البلاغة .. ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يترب من أفقين سحرها" ^(٥)، وهو ما يؤكد الخطيب القزويني حينما يرى أن اتباع هذه الطريقة في الكلام تشهد لها بالبلاغة والبراعة في القول، ويدعم رأيه بالاستشهاد بما "روي عن الأصمعي أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحمر يفتيان بشرا، فيملنان عليه بغاية الإعظام، ثم يتولان: يا أبا معاذ ما أحدثت؟ فيخسهما ويشدهما، ويكتنان عنه متواضعين له، حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان، فأتياه يوما فقالا: ما هذه للقصيدة التي أحفشتها في ابن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكما ... قال: فلتشدنا ما يا أبا معاذ، فلتشدما: (الخفيف)

بكرًا ضاهي قيس الهجير
إن ذاك النجاح فسي الشكير

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان "إن ذاك النجاح"، بكرًا فالنجاح، كان أحسن، فقال بشر: إنما بنيتها أعرابية وحشية "إن ذاك النجاح" كما يقول الأعراب البعويون، ولو قلت: "بكرًا فالنجاح"، كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف وقيل بين عينيه" ^(٦)، وعقب على ذلك بقوله: "فهل كان ما جرى بين خلف وبشر بمحض من أبي عمرو بن العلاء - وهم من لحولة هذا الفن - إلا للطف المعنى في ذلك وخفاته؟" ^(٧)، في إشارة إلى ما في هذا المصنك من دقة وعموض.

(١) انظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ١٩٧٠، القزويني: الإيضاح (١/ ٢٠٧٢ / ٨٠).

(٢) دلعند صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأبداء والطماء، ص ٥٧٥، ٥٧٦.

(٣) انظر على سبيل المثال صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في لمعان الأستاذ الفخري: السيد الشريف الجرجاني: حاشية المبد على المطول، الطبعة الثامنة، ١٣١٠ هـ، ص ٢٥.

(٤) دلعند صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأبداء والطماء، ص ٥٧٧.

(٥) السكاكي: مفتاح العلوم، ٣٦٧.

(٦) القزويني: الإيضاح (١/ ٧١٠، ٧٣).

(٧) ص ٧١ / ١.

وقد حرت عادة البلاغيين في استخدام بعض المصطلحات المتواردة مع الحديث عن "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" من قبيل: "أصل المعنى"، أو "أصل المراد"، أو "أصل معنى الكلام"، أو "مضى الكلام وحقيقته" (١)، وتوارد تلك المصطلحات في ثنايا الحديث عن هذا المسلك يدل على أن "معرفة أصل المعنى تبدو مهمة بالنسبة للبلاغي في ظل الكلام عن الكيفيات التي يطبق بها اللفظ مقتضى الحال؛ لأنه من خلالها يستطيع أن يكشف عن المزايا الفنية في التركيب، وبالتالي يستطيع أن يحدد مواطن الصواب أو الخطأ البلاغي، وفق ما تمليه نظرية مطابقة الكلام لمقتضى الحال" (٢)، وهو ما نجد له صدى عند الشراح في تناولهم لمبطلت علم المعاني في النصوص، كما سيبتين لنا لاحقاً.

وعلى الرغم من أن مسأله علم المعاني لم تقل ما قلته سائر علوم البلاغة الأخرى من بيان وبديع من اهتمام الشراح وعنايتهم، إلا أنها - على قلة الإشارة إليها - تظل كثيرة ومتنوعة ولها حضور في الشروح، وإن كفت - كما ذكرنا آنفاً - إشارات الشراح لها موحزة مقتضبة، كما كان تناولهم لها - غالباً - من وجهة نظر نحوية، ولم يبينوا أثرها الدلالي أو البلاغي، أقول وعلى الرغم من ذلك فقد أثرت تسليط الضوء عليها، في محاولة لتحديد أبرز صورها ومظاهرها في الشروح.

ولقد نبه الشراح إلى كثير من مسائل علم المعاني، وكذلك صور الخروج التي تتحقق بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وتكسب الكلام قوة وجمالاً، وتجعله أكثر تأثيراً، ومن أبرز ما تحدثوا عنه ما يلي:

التقديم والتأخير:

إن الأصل في الكلام أنه ينقسم إلى جمل، والجمل بدورها تنقسم إلى جمل اسمية، وفعلية، والأصل في التركيب الاسمي للجملة أن يتم المبتدأ ثم يتلو الخبر، والتركيب الفعلي للجملة يبدأ فيه بالفعل ثم العامل ثم مكملات الجملة من مفعولات مختلفة أو توابع كالعطف والبدل .. إلخ.

إلا أنه - أحياناً - ولأغراض بلاغية معينة، يختلف ترتيب الجملة، ونظمها، فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم، مما يؤثر على الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر ومن ثم كان تقسيم التقديم للتقديم إلى مفيد وغير مفيد، مما أثار حفيظة عبد القاهر فقال: "واعلم أن من الخطأ أن يقتسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره كسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يمالأ تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكتيب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولتلك سجعها، ذلك لأن من البعد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وفي كل حال، ومن سبيل من جعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعي أنه كذلك في عموم الأحوال، فأما أن يجعله ترجيحاً فيزعم أنه لفائدة في بعضها، وللتنصيف في الأخرى من غير معنى في بعض، فمما ينبغي أن يرهب عن القول به" (٣).

(١) انظر: السكتاني: مناهج العلوم، ٧٥، ١٢٢، ٢٨٥، انظر: الإيضاح (١٢٣ / ٢).

(٢) د. محمد صالح خلف التميمي: مقاييس البلاغة بين الأبياء والعلماء، ص ٥٨٢.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلالات الإيضاح، ص ١١١.

القضايا البلاغية الموصل الأول: علم المعاني التقديم والتأخير

والتقديم والتأخير فوائد جمّة، أسهب كثير من البلاغيين في سردها، وهي تدور في معظمها حول تركيز العنيفة والالتصام بالعنصر المقدم، يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله متحدثاً عن فائدته: " هذا باب كثير الفوائد، جم المعلن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بدعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروئك ممعنه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن رثاك ولطف عندك، أن قم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان " (١).

وقد تحدث غيره عن قيمة هذه الظاهرة في اللغة العربية بل وصفها بأنها " مظهر من مظاهر شجاعة العربية؛ لأنها إقدام على مخالفة لقريئة من قرائن المعنى من غير خشية لبس، اعتماداً على قرائن أخرى، ووصولاً بالحجّة إلى دلالات وفوائد تجعلها عبارة راقية ذات رونق وجمل " (٢).

ونأتي دراسة لشراح التقديم والتأخير ضمن تناولهم لأشعار الحماسة، مكملة لمجهود من سبقهم من البلاغيين والنحاة، فاشتمل الحوي في ترتيبه المثالي لم يأت على هذا الترتيب في أشعار الحماسة، فثمة تغيرات تطرأ على سلك النظم والترتيب لدل النص الشعري. إذ قدم عصر أبو يزخر آخره، مما يكون له كبير الأثر على المعنى والدلالة.

وسأبحث - إن شاء الله - في التقديم والتأخير عند شراح الحماسة في تناولهم لهذه الظاهرة ضمن أشعار الحماسة، مبتدئاً بالتقديم والتأخير في الجملة الاسمية، ثم العنيفة. وبعد ذلك سأتناول - إن شاء الله - التقديم والتأخير وعلاقته بالسبق، خاصة سيق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى، وسأذكر في خلال ذلك كله الأغراض البلاغية التي نصّ عليها شراح الحماسة، وقسم من البلاغيين الأوائل مضيقاً ما أجده مُدبِّباً من الأغراض التي لم يتكرها الشراح وهم يتحدثون عن هذه الظاهرة.

أولاً: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية:

١ - تقديم الخبر:

جرت العادة بين البلاغيين على أن ظاهرة التقديم يتحكم فيها المتكلم، فهو يتم ما كفت العنيفة به أشد؛ قصداً إلى التأخير في السامع، إلا أنه توجد بعض الأغراض البلاغية الأخرى التي يقصد المبدع تضمينها كلامه من خلال أسلوب التقديم والتأخير.

فقد يقدم الخبر لفرض ملاحى أو لسباق الكلام، وقد ورد تقديم الخبر في قول أبي بن حمزة: (الطويل)

وَمَبِـيَّانٍ جُنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَأَنْ أَرَى فَمُبِـيَّانٍ بِخَسَالِي يَوْثُـوْنَ الْخَفَازِيَا

" ارتفع بيان على أنه خير مقدم لقوله " أن أموت وإن أرى "، والمعنى: مثلاً عندي موثي وإن أرى كمن يآلف المحازي ويرضاها وطناً وملوئاً، ولا يأس إلا بها، ولا يرجع إلا إليها. وهذا تعريض بالمخاطب أيضاً. والسي. المثال. قال: (الحطينة) (الزاير)

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ١٠١.
(٢) ابن حسي: المحقق، (٢٦٠ / ٢٢)، في حديثه عن " شجاعة العربية " حيث نراه تحدث تحت هذا العنوان عن أسلوب كثيرة لخرج على خلاف متمشى لأشعاره، كصير تشاؤم أو قصة، وثابت المنكر، وتذكير المؤنث، وتقديم والتأخير، والعديد من الأمور التي تصوي ثمة بغيره الواسع.

فَأَيُّكُمْ وَخِيَمَةٌ بِطَمْنٍ وَإِذْ هُنَزَ الْأُصَابُ لَنَسِينْ لَكُمْ بِسَبِيٍّ (١).

وقد يكون التقديم للإنكار، كما جاء في قول: وقالت صرة الخثعمية، ترثي ابنها:

نَفَذْتُ رُضْعًا أَلَسِي جَزِغَتْ عَلَيْهِمَا . وَفَلَنْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ: يَا بَابَا خُنَا

يقول المرزوقي: " الزعم يستعمل كثيراً فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكمت عن القوم: زصوا. كلها لما استشرّف الناس جزءها وحلمها، فتذكروا أمرها فيما بينهم أظهرت الإنكار والتكذيب فيما توهموه، فقالت: وهل جزع أن قلت وأبلاهنا، من التوجع لهما على قدر القتل: وأبلاهنا. ولنظرة (وا) تألم وتشك، وهي حرف للتنبية. (وبلاهنا) أرادت: بلني هما، نفر من الكسرة وبعدها باء إلى النسخة فتقلبت ألفاً. على ذلك قولهم: بداءة وناصلة، في ناحية وناصبة. وقولها (وهل جزع) ارتفع جزع على أنه خبر مقدم، (وأن قلت) في موضع المبتدأ، وبلنا خبره. هذا على طريقة سيويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف. ورواه بعضهم: (وبلاهنا)، أي أندحيما بنفسي وأنا هو ضمير المرفوع. وقد وقع موقع المجرور، وكقولهم: هو كذا، ولنا كبير " (٢).

وكنك ما جاء في قول رجل من بني سعد:

أَلَا يَكْرِبُ أَمْ الْكِبَالُ تَطْمِئِنِّي تَقُولُ أَلَا أَفْذُ أَبْكَأَ السَّدْرُ خَالِيَةً
تَقُولُ: أَلَا أَهْنُكَتَ مَنَا لَسْتُ ضَلَّةً وَفَلَنْ ضَلَّةٌ أَنْ يَنْبَقِيَ الْعَالُ كَابِبَةً

فـ (دل ضلة) خبر مقدم و(أن ينبق المال) في موضع المبتدأ، والمعنى يخرج للإنكار الإيطالي، وتكر الشارح هذا الشعر فقال " وقوله دل ضلة خبر مقدم، وأن ينبق المال في موضع المبتدأ. والتقدير: وهل ينبق كلب المال له ضلال " (٣).

وفي أثناء ذلك نجد الشراح يستشهدون ما أمكن بالشعار العرب، التي تدعم ما يذهبون إليه من تفسير وتحليل من ذلك حديث الشارح عن تقديم الخبر (شحيحان)، الذي يفرد التعميم في قول: وقالت صرة الخثعمية، ترثي ابنها:

هُنَا يَلْبَسَانِ الْفَجْدَ أَخْمَنْ يَبْسُ شَحِيحَانِ مَنَا اسْطَاعَا غُثْبُهُ بِلَاهُنَا

" وصفتها بلتاهما بكتمتان المجد يستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يصفان به حيث ظهر وطلع فلا يتركته لأحد ماأما ينطيعان كسبه والنور به. وانتصب (أحسن لبسة) على أنه مصدر. وارتفع (شحيحان) على أنه خبر مقدم، والمبتدأ (كلاهنا)، و(ما استطاعا) في موضع الظرف وإسم الزمان محذوف معه. واسطاع مقفوص عن استطاع. وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به ما استطاعا عليه، أي ما قدروا عليه، ومعنى (يلبان المجد)، أي يملكانه ويمتعان به. وقال:

لَبِستُ لَبِي خُئِي تَعْلُوتُ غُثْبُهُ وَيَتْلُوتُ أَغْصَامِي وَيَتْلُوتُ خَالِيَتُ (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة (١٤٣)، (١ / ١١٧).

(٢) نفسه: حماسة (٣٨٦)، (٢ / ١٠٥٢).

(٣) نفسه: حماسة (٧٧٩)، (٢ / ١٧٣٩)، (١٧٤٠).

(٤) نفسه: حماسة (٣٨٦)، (٢ / ١٠٨٤).

٢ - تقديم خبر كان على اسمها:

(الطويل)

من تلك ولال أوس بن حبناء:

بِذَا النِّسْرَةِ أَوَّلَ النَّهْلِ فَإِنْ فَأَوَّلِيهِ هَوَاتِنَا وَإِنْ كَاتِلَتْ فَرِيضًا أَزْأَبِيضَةٍ

لـ " قوله فريضا خبر كان، وكنه على اسمه ولم يؤنثه لأنه أراد التسمية فلم ينفه على الفعل. ومثله قوله تعالى: "إن رحمة الله قريب من المحسنين" (١).

وقد أفاد هذا التقديم بلاغيا شدة القرب والصلة، فكنهه ولم يؤنثه لأنه أراد التسمية، واستدل الشارح من الآية الكريمة على ما يؤكد هذا المنحى في النسبة.

٣ - تقديم خبر كان عليها:

(الوافر)

مثل قول: وقال كعب بن زهير:

فَإِنْ نَهَيْتُكَ جُؤُوءٌ فِيْ خَزْنِيَا كُظْتُكَ كَأَنَّ يَغْدَاكَ مَوْقِدُوها

حيث " خب بعد أن أخبر على طريق التسلية، فيقول: إن ذهبت لما دعيت له فإن الذين شوا نار الحرب بعكك في اتقاضي لك كتوا كما ظننتهم، وعند أمك فيهم، فقوله "موقدوها" أرفع بكان، وكظك في موضع خبر كل وقد نعم، والحملة أتت كان موقدوها بعكك كظنك خبر إن، واسم إن وهو حرباً بكرة غير موصوفة أيضاً، وسأع ذلك لما كل المراد بها مفهوماً معلوماً، ويحور أن يجعل قوله "كظك كان بعكك موقدوها" من سعة حرثا، ويجعل حرر إن محذوفاً، كنه قال إن حرباً كنه صفها وقت. بيت الأعمى حجة في الوجهين جميعاً. وهو: (المشرح)

إِنْ مَخْضَلًا بِيْ مُمْرُتْخَلًا بِيْ فِي السُّفْرِ إِذْ مَضَى مَهْلًا

ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً إن لنا مرتحلاً، فحذف الخبر، ومحل ومرتحل نكرتان (٢)

وتقدم خبر كان عليها لإظهار صدق ظن المخاطب، وتقرير ما تنبأ به حبه، فنم لاهميته مع كونه زلفاً تثبت وموصلة.

ثانياً: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:

١ - تقديم المفعول به على فعله:

نكر سيوريه في كتيه أن المفعول به والفاعل يقتضيان للاهتمام والعناية (٣)، وقد تقدم المفعول به على فعله في مواضع كثيرة من أشعار الحماسة، وقد تناول الشراح هذه المواضع، وإن سكوتوا عن دلالتها البلاغية أحياناً، من تلك قول الأعرج المعني:

(الطويل)

(١) شرروني: شرح ديوان الحماسة: حلبية (٢١٨) . (١٠٤/١) .

(٢) نسه حلبية (٢١٠) . (١٠٤/١) .

(٣) سيوريه: كعب (٢١/١) .

القضايا البلاغية **===== الفصل الأول: علم المعاني ===== التقديم والتأخير**
 إذا جنى فأنصبت حابراً مستمجةً تخيب الفؤاد رأسها ما تفتغ
 فد (رأسها) مفعول مقدم للـ المرزوقي: " هذا بيان الحال ساعة الغزع ... وانتصب "رأسها" لأنه
 مفعول مقم " (١).

وقول : وقالت امرأة من بين شيلان:
 وفالوا مانجذا بسنكم فتنا فذاك الزمخ يكلف بالقرم
 بفتين أنصاع فأنصبت المنا ففان فسميها خيزر اللميم
 " انتصب ملجداً على معنى أنه مفعول مقدم " (٢)، فأشار المرزوقي إلى موضع التقديم، دون أن يحدد
 قيمته البلاغية.

وكذلك ما اكتفى به الشراح بالتعقيب على قول آخر: (الراعي)
 فاعجبني من خبيري في خبيرا مضى غيمز منقوب ومنصته انتضى
 فاني وفذا انتبعتهم من سنامها جلسوت غطاء عن فؤادي فاشجلى
 فبتنا فبانت فيدزنا ذات هزرة لنا قبل ما فيها شورة ومنصلي
 ماقول " وانتصب منصله لأنه مفعول مقدم " (٣).

٢ - تقديم أحد المفعولين على الآخر:

وهو من مذاهب العرب في كلامها (٤)، وهو من الأساليب التي تنبه إليها الشراح وأبانوا عن دلالاته
 البلاغية، كما جاء في تعليق ابن جني على قول البحت بن حريث الصمي في تنبيه المفعول الثاني في قوله: (الطويل)
 وجئت أباهما ربيها وأنها فأعطينت فيها الخقم حنسى خويتها
 يقول ابن جني: " أراد وجئت أباهما وأما وانصيتها ، فقدم المفعول الثاني. وهذا يدل على قوة اتصال
 المعطوف بالمعطوف عليه. ألا ترى أنه لما قدم الأول منهما صار لقوة اتصال الثاني به كضمة إليه. ولحق هذا قول
 أبي عثمان في كتابه في الألف واللام: إن ما / عطف بالواو بمنزلة ما جمع في لفظة واحدة " (٥).

فلبان عن موضع التقديم، مصرحا بقيمة البلاغية وأهميته في توضيح المعنى.

التقديم والتأخير وعلاقته بالمعيار:

تتنظم مفردات النص الشعري وفق سبوق مترابط ، يكمل بعضه بعضا، فكل كلمة تستدعي الأخرى، وفق
 منطق مناه الوثائق ولحمته التدرج. وهذا النوع من التقديم والتأخير نكره الأكتنسون تحت عنوان (ما لم والمعنى عليه) (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جملة (١١٧) ، (٣٥٠ / ١) .

(٢) نفسه: جملة (٢٩١) ، (٨١٢ / ١) .

(٣) نفسه: جملة (١٣٧) ، (١٥٠٤ / ٢) .

(٤) أبو حمزة: صيار القرآن (١٣٠ / ٢) ، (١٢١) .

(٥) ابن جني: شكل أبيات الحماسة ، جملة (٢٨٧) ، ص ٤٢٧ .

(٦) النظر: نوركني: لشرهان (٢٢٨ / ٢) .

الغضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعنى التقديم والتأخير

وقد سبب الشراح إلى هذا النوع من أسلوب التقديم والتأخير وأثره على المعنى، فاشيروا إليه، وإلى أصل ترتيب البيت، بعد أن يصفوا شرحهم بتفسير لمعنى البيت، كما جاء في قول وقال عقيل بن عتبة: (الوافر) وأبغض من وضعت إلي في - بسناني من شئت عنهم أنو

" يقول أبي معصف على عشرين وإن كانوا مسين إلى منكره معهم وإن كانوا منحللين على، فبغض إنسان أنكره وأتولاه بسقي متفصلاً له، قوم أطلع عنهم في وقتي، وأحصى عليهم في ظاهري أمري. وفي البيت تقديم وتأخير، وأصل ترتيبه: أبغض من وضعت لسقي فيه إلى قوم هكذا تلقى معهم. وهذا سببه على أن الرشد في المحطة على حرم نوي الرحم وإن كانوا مغابنين " (١).

أو يوجهون المعنى وفق ما يقتضيه سياق البيت من تقديم وتأخير، ويرجعون الروايات التي تتوافق مع معناه، كما جاء في قول حران العمري:

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْطِي قَبْلَ بَرْدَعِي وَالْمَطْلُ مَثَلُةٌ وَالْقَلْبُ مَشْغُولُ
لَمْ أَصْرِفْ إِلَى بَضْوَى لَيْطَةٍ إِشْرَ الْخَنُوجِ الْغَوَايِي وَمَوْ مَقْشُولُ

" البردعة"، كما هو بوفى به ظهر البعير من الرحل، ويروي: "والعقل مثله"، و" مثله"، يكون لاعتلا ومفعولاً، وهو ما فتح أحب إلي لقوله "و" القلب مشغول"، ليكون العقل والقلب مفعولين، كان رحلبها وله هذا شعر هذا. و" اتسوا"، البعير البزير، و" الحدوح"، جمع " حدح" وهو مركب من مراكب النساء. و" المعقول"، المشدود بالعقل. كما روى أبو نسا، هذين البيتين، والوجه عدي أن يكون المقم مزخراً، والمؤخر مفتاحاً. والمعنى على هذا أنه انصرف إلى بعيره ليركبه، ويسعه إثر أحسنه وهو معقول، غل عن حل عقله، لما عراه من الهم مزراقهم، ثم قال فعلت هذا "يوم ارتحلت برحطي قبل بردعي"، فهذا أيضاً من هم، ثم انصرف إليه ليعنه أيضاً، وهو معقول، فكيف يرتحل عليه، ثم ينصرف إليه؟ هذا محال. وقد روي قوم: "تم اعتررت على عزى لأبعته"، وإذا روي كما صح النظام، و" أغرز"، ركاب الرحل، ويكون قوله: "ارتحلت"، أي شددت عليه رحله " (٢).

وكثيراً ما يكتفون بما أشاروا إلى ما في البيت من تقديم وتأخير، موصحين المصور، التي ينبغي أن يكون البيت عليها إذا تم ترتيب البيت وفق ما يقتضيه المعنى، دون بيان قيمته البلاغية، ودلالته المعنوية، كما جاء في قول زهير بن الحارث بن ضرار:

وَقَاتِلَتْ عَلَيْنَا عَزْمَهُ بِمِثْلِ يَوْمِهِ غَدَاةٌ غَدَتْ بِمِثْلِ يَوْمِهَا الْجَنَنِ

يقول الشراح: "تأخير البيت إذا أزيل ما فيه من حجة التقديم والتأخير: وكلفت ثنيا عرسه غداة غدت منا بقدر بها الجمل مثل يومه. والمعنى: كلفت مفارقة عرسه لنا غداة انتقلها عنا، وقد حملت الجمل وقد بها طعنتها مثل يوم فتده، أي كان ذلك اليوم مثل ذلك اليوم. كلهم كانوا التوا من مقاهم لهم عافتها أنسابها، وبقاء دارها على ملكوت تمهد من قبل، لما رأت من التقلل لمرأتها، وخلصت الديار منها ومن أسبلها وتغيرت. عانت المصيبة على أحبتها جذعاً، والشر مستفحاً" (٣).

(١) العمري، شرح بوم، نسخة (١٣٦)، (١٠١/١).

(٢) العمري، معاني ألف المعنى، ١٦٨، ١٦٩.

(٣) العمري، شرح بوم، نسخة (٣٥٤)، (١٠٢/١).

فَمَا مِنْ قَتَى فَمَا مِنْ النَّاسِ وَاجِدًا بِهِ يُبْتِغِي مِثْلَهُمْ عَمِيدًا ثَبَاتًا
يُنْزِعُ جَفَاً أَوْ لِيَنْفَعِ كَرِيهَةً إِذَا غِيَّ بِالْجَفَلِ الْمَعْضَلِ خَابِتًا

" قوله (لما من قتى) بيت فيه تقديم وتأخير، وتلخيصه مبيناً معاداً كل شيء إلى موضعه: ما من قتى من الناس كنا نبغي به واحداً منهم عميداً نباله فعلى هذا قوله (من الناس) من صفة القتى، وبه يعود الصمير إلى القتى. والمعنى: كنا بسببه نبغى واحداً منهم - أي من الناس - عميداً، من صفة الواحد، لأننا جعلنا واحداً مقعولاً لنبغى " (١).

سياق التقديم في اللفظ والتأخير في المعنى:

فمن ضروب التقديم في النظم والتأخير في المعنى قول بشامة بن حزن:

(الكامل)

مَنْ غَدِبَ غَدٍ كَانَ مَقْرُوفًا لَنَا أَمْسَرَ الْمَنُوكِ وَقْتَهَا وَقَتَالَهَا

قال ابن جني: " وقوله: وقتلها وقتلها، فتمم القتل على القاتل لأنها وهو ينوي به التأخير معنى. وذلك لأنه إنما يبدأ بالألفى ثم يعقب عليه بالأعلى نحو قول الله تعالى: " لن يستكف المصيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون " (النساء / ١٧٢) غير أن اللواو لما كلفت غير مرقة جاز أن تقدم في لفظها ما هو مزجر في معناها " (٢).

وكما أشار الشراح إلى المواضع التي تحقق فيها التقديم والتأخير، ويستحب لأغراض بلاغية - أشاروا إلى بعضها، وأهملوا ذكر بعضها الآخر -، فقد أشاروا كذلك إلى بعض المواضع التي لا يجوز فيها إلا التقديم والتأخير. موضحين سبب ذلك. ومن ذلك ما أشار إليه ابن جني معقبا على قول رجل من بني أسد، وتروى أيضا لابن كرامة:

أَسْرَعَتْ مِنْ يَوْمِكَ الْفَرَارُ فَمَا جَاوَزَتْ حَيْسُثُ أَتْهَى بِكَ الْأَسَدُ

" معناه: أسرعت الفرار من يومك لكن لا يمكن حمله على هذا الظاهر لامتناع تقديم شيء من المصلة على الموصول. فإذا لم يحز ذلك تقديرا وأرتكه الحال معينا، علقنا من بشيء يدل عليه الظاهر، فكانه لما قال أسرعت، قال: فررت من يومك، ودل الفرار على فررت، وجعل حيث لسا مثل الآية " الله أعلم حيث يجعل رسالته " وقد تقدم نظيره " (٣).

(١) الشرواني: شرح ديوان الحماسة: جملة (٢٦٢) ٠ (١٠٣٨ / ٢) .

(٢) ابن جني: مثقال لبيت الحماسة: جملة (٨١) ٠ ص ١٣١ .

(٣) نسخة: جملة (٢٠٨) ٠ ص ٢٧٩ .

وهكذا تتبع الشراح أنواع التقديم والتأخير بكافة صورته المختلفة، في أسلوب الشرط^(١)، وأسلوب القسم^(٢)، وشبه الحملة^(٣)، وأسلوب العطف^(٤)، وأسلوب الاستثناء^(٥).

إن هذه الأملاح السابقة وغيرها الكثير، قد جاءت - كما يبدو من تفسير الشراح - " ذات وظيفة لغوية إنشائية تضاف في إصغاء حائث من جوانب القول الشعري إذ هي معقولة على بينة صراحة ومعجما وبلاغة " ^(٦).

فترى الشراح في تعرضهم لهذا الجانب من جوانب النص الشعري عند شعراء الحملة يهتمون بتحليل أسلوب التقديم والتأخير من وجهة نظر النحو دون أن يبينوا أثره الدلالي أو البلاغي إلا قليلا، ولو أنهم التفتوا إلى هذا الأثر السمي والسلاعي وأعطوه ما أعطوا الجانب النحوي من الشرح والتفسير، لكفوا قد تركوا لنا خيرا وبيرا.

(١) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٦٦٨) ، (١ / ١٢٦) ، في قول كثر في مية، تقديم جواب لو، حماسة (٦٧٢) ، ص ١٥٢ ، (١ / ١٩٦ : ٢٠٠) ، في قول امرأة من بني ، تقديم جواب إلى ، ص ٢٢٧ ، ص ٧٦٦ ، تقديم جواب لما ، ص ٥٢١ ، تقديم جواب إذا .

(٢) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٥٧٨) ، (١ / ٧٤٤) ، تقديم جواب القسم، في قول زيد من حمل وقبل زيد من مئة ، تقدم المقسم له على القسم به، حماسة رقم (٤٧٢) ، تقدم للمستثنى .

(٣) انظر على سبيل المثال: المروكي: شرح ديوان الحماسة ، ص ٧٩٠ ، تنبيه المار والمروور .

(٤) انظر على سبيل المثال: ابن حسي: مشكل أبيات الحماسة ، ص ٢١١ ، ٢١٢ ، تقدم المحطوف على المحطوف عليه .

(٥) انظر على سبيل المثال: ابن حسي: مشكل أبيات الحماسة ، ص ٢٢٩ ، تقديم الاستثناء على المستثنى منه .

(٦) دالمة البورتي: شرح الشعر عند العرب ، ص ١٠٨ .

التكرير والتعريف:

بعد التكرير والتعريف من الطواهر البلاغية التي تخفى لونا من الحمل على النص الشعري، وتجعله حائلا بظاهر التناول والتفكير لما سيكون عليه المعنى إذا صار نكرة أو إذا جاء معرفة، وما سر تكرير اللفظة أو تعريبها، وهو أمر حمل به ديوان الحملة، وتنبه إليه الشراح وأوردوا له أعراضا وقولنا ضمنوها شرحهم، كما سنبين الآن.

أولاً: التكرير:

بدأنا بالتكرير؛ لأنه الأصل، يقول ابن الزمלקي (ت ٦٥١ هـ): "قد يظن ظاهراً أن المعرفة أجلي، فهي من النكرة أولى، ويخفى عليه أن الإبهام في مواطن خليق، وأن سلوك الإيضاح ليس سلوكاً للطريق. وتلك تلك أن النكرة ليس لمفرداتها مقدار مخصوص. بخلاف المعرفة، فبها لواحد بعينه، وثبت الذهن عنده، ويسكن إليه" (١).

فالتكرير أسبق رتبة من التعريف، وهو على قول ابن الزمלקي أصل والتعريف فرع له، وتكرير الكلمة وتعريفها يخضع عند توظيفها لمحددات السياق النصي داخل البنى التركيبية للنص الشعري.

وقد يكون التكرير للمسد أو المسند إليه، وكل له أعراضه وفوائده، التي تنبه إليها الشراح، وأشاروا إليها في سياق شرحهم للنصوص. فمن فوائد تكرير المسند التي ذكرها الشراح في أشعار الحماسة:

- التنوع:

مثل قول بعض بني أسد:

بَقِيَ عَلَى الْفَدَاءِ قَبْلَهُمْ طَالَتْ إِقَامَتُهُمْ بَيْتَنَ بَرَامٍ
غَاتُوا غُلَى الْأَغْدَامِ ثَمَارَ مُخَزَّرٍ وَلَقَوْمِهِمْ خَزْناً مِنَ الْأَخْرَامِ

" يخاطب امرأة والنساء كلهن عنده تلك المرأة، فيقول: أكثرني البكاء على المقونين بهذا المكان - وقيل العدان ساحل من سواحل البحر - والمقونين بيتن برام، فقد طالت إقامتهم، والمراد أن اليلس منهم قد حصل وقوي وأن غيبتهم اتصلت فارتعت الأطماع من عودهم والاجتماع معهم. ثم أخذ بصفتهم فقال: كانوا على المنابذين والمخالفين كثر هذا الملك، لا تبقى ولا تذر - ومحرق هو عمرو بن هند، وكان نذر أن يحرق ملنة نفس، ففعل، فضرب المثل بنار - وكثروا لقومهم حرماً من الأحرام، لا مخافة فيهم ولا حضيمة. يريد أن قومهم يأمنون سزول التوانب بهم في قتلهم، فكثروا كمن حصل في الحرم، وأن أعداءهم كانوا يحترقون بكائيتهم فيهم، فكثروا عليهم كثر هذا الملك .. وقوله حرماً من الأحرام نكرة لاختلاف الأحرام. وهي حرم الله تعالى بمكة والشلم، وحرم الرسول عليه السلام بالمدينة " (٢).

أما عن فوائد تكرير المسند إليه، فهي كثيرة ومتنوعة أشار إليها البلاغيون (٣)، ومما ورد منها في أشعار الحماسة، ونبه عليها الشراح:

(١) ابن الزمלקي: البرهان الكشف عن سر الإعجاز، تحقيق: أحمد مطلوب وغنيدة الحديثي، دار المأمون، بغداد، ١٩٧٩ م، ص ١٣٦.

(٢) المرتزقي: شرح ديوان المسند: مجلد (٢٨٣)، (١ / ٨٦٥).

(٣) نظار: المعكفي: مفتاح العلوم، ص ٢٨٦، ٢٩٠.

التذكير للعموم والشمول:

مثل قول بعض بني قيس بن ثعلبة، ويقال إنها لبشامة بن جريث النهشلي: (السيوط)

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِثْلُ وَاحِدٍ قَدْ عَمَّ مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِنَاءٌ يَتَوَلَّوْا

"يعني بقوله فدعوا أعلنوا الاستغاثة ببيل فلان، ومن فتى، وما أشبهه. ويقال حاته أخاله خيلاً ومحيلاً

وخيلاناً. وهذا مثل قول طرفة: (الطويل)

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَتَيْتِي غِيثٌ فَلَمْ أَكُنْ وَلَمْ أَتَيْتِي

وقد زاد هذا حله بقوله لو كان في الألف مثلاً واحداً. لأن ذلك قال: إذا القوم قالوا من فتى، فنصب نفسه

مع قومه، وهذا عمله منضمّاً مع الكثرة إلى العراء. وإنما قال: من فارس فنكر، كما قل طرفه: من فتى فكر. ولم يعرف واحداً، سبباً، لأن السؤال بالمنكر لشدة إيهامه بكون أشمل لتتوله واحداً واحداً لا سيما وليس التصدي الاستفهام إلى معهود معين، ولا إلى الجنس فيقال: من الفتى، ومن الفارس " (١).

التذكير للتكثير:

كما جاء في قول: سيار بن قصير الطائي: (الطويل)

وَلَا حَقَّ الْإِطْلَاقُ أَنْ تُنْذِرَ صَفْهَا إِلَى صَفٍّ أُخْرَى مِنْ عَذَى فَافْتَحَرَتْ

"إنما سكر قوله حى لبسه به على اختلافهم وكثرتهم، وإن ذلك لتوفر فصلتهم، وتظاهر عزمه ورباستهم، إذ كان العمد يتبع ذلك، ولأنهم يتررون من لا يدل لهم، ولا يهوى هواهم. يقول: ورب خيل قد لحفت بطوننا بظهورها، وارتفعت جنوبها إلا متوتنها، أنا أملت صعباً إلى صف حبل مثلاً من الأعداء، فحلفت لتلتنا وكثرتهم " (٢).

وفي إطار سعي الشاعر لتحديد دلالة الأسلوب فيه قد يستعين في سبيل ذلك بالشواهد المختلفة، منها ما

اعتدته العرب في الاستخدام، وبما يتصل به من أحوالها، كما في قول قتادة بن معلقة الحنفي: (الكامل)

فَاكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَفْزَةٍ دَهْرٌ وَخَمِي يَابِلُونُ صَمِيمٍ

"قوله من أصاب نكرة تفيد الكثرة، والمراد أول إنسان أصابه بنفزة دهر. وهذا على عطفهم في نسبة

الحوادث إلى الدهر، كما قل بعضهم: (الكامل)

يَا دَهْرٌ فَذْ أَفْطَرْتُ لِحَجَّتِنَا بِسَرَّاتِنَا وَفُفِّرَتْ فِي الْخَلْمِ

فأما تنكيره للدهر فقد حكى عن أبي زيد وأبي عبيدة ويونس أن الدهر والزمان والزمن والصن، يقع على

محدود وغير محدود، وعلى عمر الدنيا من أوله إلى آخره. ولعل الخليل: الأبد الدهر الممدود، ويجعل اسماً للنزلة.

ويقول: دهر من الدهر، لبعضه، كما يقال حين من الدهر. وقد اشتق منه فقيل: إنها لداهرة الطول، أي طويلة جداً.

والشاعر أراد بما قاله التجلد للشامت والتسلي من المصاب، وأن يظهر لمن ألقى السمع جهل امرأته وعدولها عن

الصواب. وقوله وحى يسلون صميم، فاليمول: عبوسة الشجاعة والغضب. ويقال بسل واستسل. والصميم: خالصة

(١) للمرواني: شرح ديوان المعاني: جملة (١٤)، (١٠٨٠١٠٧/١).

(٢) بسمة حميدة (٣٠)، (١٦١/١).

القضية البلاغية **===== الفصل الأول: علم المعنى =====** التشكيك والتعريف
 الشيء وما به قوامه؛ ومنه قول صميم الصيف والشتاء. ويقال للرجل: هو من صميم لومه، أي من محض أصلهم.
 ويوصف بالصميم الواحد والجميع " (١).

- التشكيك للتوعية:

مثل قول عوف التواقي:
 ذهب الزناد ففنا نخس زفاد مئاسا شجائ وتافست الفواد
 " يقول: طار النوم فلا يعرف له أثر، مما دهمك وحريك. ونام الذين كفوا يمدونك ولم يسهروا لك.
 والمعنى: إنني اختصمت فبك بما عرى منه عوادك، وتحملت من الحزاع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد
 والرقود: النوم بقليل، وعرف الأول تعريف الجنس، ونكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس، كل المراد: ذهب النوم
 على اختلافه حتى ما يرى للنوع منه مختص أكثر " (٢).

وقول البعيث بن حريش:
 خيال لأم المنا متبيل وتونبنا منبيرة شهي بليريم العذب
 " فإن قيل: لم نكر قال خيال لأم للسبيل؟ قلت: يحزر أن يكون كان يرى خيالها على هياتٍ مختلفة، فاعتد
 لاختلاف هيئة له عدة خيال، فلكل نكرة، كله قصد إلى واحد منها، ومثله (أمية بن أبي عامر) (التقارب)
 خيال ليزنصب قد فاج لي ثامنا بمن العذب بغد تبالي " (٣).

- التشكيك للتعظيم:

كقول هلال بن رزين:
 وأنتصب القبايل من جثاب وعامر أن منبغها نصير
 " يقول: وتيقنت جلب وعامر بطون بني كلب أنه منبغ عنها نصير ظهير، ومعين نوعي. ويعني بالنصير
 مني التيم. وجعل اللفظ نكرة ليكون أبلغ في تعظيم النصرة، لأنه أراد نصير من النصارة، أي كمل في معناه " (٤).

- التشكيك للأفراد الفلده التخصيص:

مثل قول أعي ربيعة:
 ففواذا بين جني عالم بنا أنصرت عبي ونا منبغت أنبي
 وفظنتني في العفر والأشب أنبي أقول على علم وأعرف من أعبي
 وأنصرتني إذ فظنت من زفان وأبنة على الناس قد فضلت خير أب وأنبي

(١) المرزوقي. شرح ديوان الحماسة (٢٥٨)، (١ / ٢٦٦ - ٢٦٧).

(٢) منه حماسة (٧٢)، (١ / ٢٦٢ - ٢٦٣).

(٣) منه حماسة (١٣٠)، (١ / ٢٧٦ - ٢٧٧).

(٤) منه حماسة (١١٤)، (١ / ٢٩١).

المقضايا البلاغية ===== الفصل الأول: علم المعاني ===== التكرير والتعريف

"يقول: إني اكتسبت من مشاهداتي والأخبار الواقعة إلي، الصداقة في مرارتهما المتواترة على السن حملتها ما صار قلبي به عالما وتميزا، فلا يلتبس على وجوه الحق وحدوده، ولا صنوف الصدق وقفونه، فإذا قلت الشعر فنته على علم يرافقه وأساليبه، ومعرفة المقول فيه ومستحقه، فلا أكذب في الأخبار ولا أتزيد في الأوصاف، ولكن أعطي كل منعت حقه من القول والوصف، وأتسم لكل منوه به قسطه من التقرير والمدح، فمن أحل ذلك أصبحت إذ فضلت مروان وابنه عبد الملك على الناس قد فضلت خير والد وولد، فلا يقل كذب أو أخطأ، أو اشتبه عليه أو ثبه له، فلم يأت بالحق، ولم يقتصر على الصدق. وقوله " وإن فزادا " جعله نكرة لأنه يتصل بقوله " بين جنبي " به احتص، حتى علم أنه ثبه من بين القلوب " (١).

وت يصل الشاعر في تنكيهه إلى درجة التعريض ، خاصة إذا كان المراد مفهوما عند من عرف النصة، مثل قول شاعر الحملة:

فَلَوْ لِيْ خَيْلٌ يَغْتَبِلُ التَّالِ فَنِيَّةٌ لَّمْ نَكُنَّا لَكُمْ مَنِيْلًا مِّنَ الْعَالِ مُقَفَّنَا

قد "نكر قوله خيلا وهو يتصد به قصد حيي بعينه، لأن المراد كان مفهوما عند من عرف النصة، فجعله كالتعريض" (٢).

ولتتكرير مواضع لا يحسن القول إلا بها، وكذلك التعريف، إلا أنه قد يحدث بينهما تبادل في المواضع، فيأتي التعريف في موضع للتتكرير على غير قياس، أو العكس، فمما جاء في موضع التتكرير، ولكنه جاء معرفة على غير قياس. قول مساور بن هند بن قيس بن زهير:

وَتَشْفُوْنَا شَمْسًا فَكُلُّ قَبِيْلَةٍ فِيْهَا لَمِيرُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمُنِيرُ

" هذا موضع التتكرير لا التعريف، وكان قياسه فيها أمير المؤمنين، ألا تراه نكر ما بعده فقال ومنير على التتكرير الذي أومأ إليه. قال ابن حمام:

فَلَوْ جَسَاوُوا بِسَمَةِ أَوْ بِهَيْبَةٍ لَّيَأَيَقُوا أَمِيرَةَ الْمُؤْمِنِيْنَ

إلا أن وجه التعريف الذي في البيت أنه حكى ما يستعمل في الكلام، فكلمة قال: فكل جزيرة فيها رجل يقال له أمير المؤمنين. وذلك أن العرف والملة بهذا اللفظ جرت. ولذلك عني ساغ لعبد الله بن همام أن ينكر فيقول: أميرة مؤمننا، وذلك أنه لم يعد أن يقال أميرة المؤمنين وإنما للمألوف من هذا تنكير هذه اللفظة، فلما لم يعد أميرة المؤمنين، واران في البيت التتكرير البتة، جاء به منكر اللفظ على تنكير المعنى عنده، ولم يعد المؤلف عرف فتيته، وهذا جلي " (٣).

وما نشده أبو عبيدة لأبي القطمش لحنفي وبروي المعطش:

وَمَنَايِ مُخْلَخِلَهَا حَمَمٌ شَمَةٌ خَمَانِي الْجَزَاءُ أَوْ الْخَفَشِ

" كلن قياسه للتتكرير، أي مخلخلها أخمش، لأن المخلخل نكر، لكنه جاز ذلك لما كان المخلخل بعض المساق، وجرى مجرى قوله:

(الطويل)

فَمَا شَرِقتْ صدر القناة من الدُم

(١) المزدحمي: شرح ديوان الصمدية: حماسة (٧٩٢). (٢/ ١٧٧٧).

(٢) بسمه: حماسة (٥١). (٢١١/ ١).

(٣) ابن حي: مشكل أبيات الصمدية، حماسة (٩٥)، ص ١٤٥.

الخصائص البلاغية ===== الفصل الأول: علم المعاني ===== التنكير والتعريف

وذلك أن بعض الشيء يقع عليه اسم جميعه، ألا ترى أنك لو رقت صدر القناة لثقت رقت القناة، وكذلك لو ضربت بعض زيد لثقت قد ضربت زيدا، وكيف ليت شعري يقال: ضربت زيدا إلا على هذا. لئلا يضرب جميعه ظاهره ويلطنه، وجميع جهته وألحقه، وهذا محال. فلما شاع هذا والتسع حتى صار مجازاً أكثر من حقيقته حسن منهم أن يسوا البعض باسم الكل، فلذلك لو ضربت مخلخل الساق لساغ ذلك أن تقول: ضربت الساق. فلذلك لث، وهذا فاش فاعرفه " (١).

ومما كان محصوله محصول للمعرفة، ولكنه أخرج مخرج النكرة، قول أعشى ربيعة: (الطويل)

فَإِذَا نَبِيْنُ جَنْبِيْ عَمَلِيْمٍ بِضَا أَبْصَرْتُ غَوِيْبِيْ وَمَا مَنِيْبْتُ أَنْبِيْ

" أخرجه مخرج النكرة على أن محصوله محصول المعرفة. ألا ترى أنه لا يعني من الألفنة إلا فوله. ولهذا نطق منها قولك: زيد حسن وجهها وكريم أباه، وأنت لا تحي من الوجوه إلا وجهه، ولا من الأبياء إلا أباه. وقد ذكرنا ما يحتج مع الفزاد بالاشتقاق، وهو قولهم: المفنك للموضع اللطيف والشواء نحوهما " (٢).

وقد يحتل البيت تنكير اللفظة وتعريفها على السواء؛ إلا أنه على التنكير ألطف وأحسن، كقول شاعر

الحملة:

فَأَوْسُنِيْ خَنِيْذًا وَأَوْسُنِيْ قِيْرِيْ وَأَوْجِسْ بِخَنِيْبِيْ فَمَنْ غَابِيْبِيْ أَقْلِيْ

" حمل اسم كان نكرة، وخبرها معرفة، وهذا من حيز الضرورة - وشواهد ذلك كثيرة - فنطرح نكرها لشهرتها. ومن رواء الأكل فلهذا واضح، والتنكير هنا اللفظ معنى وأحسن. وذلك أنه موضع استرخص. وإذا أنكر الأكل كان أحقر له، وإذا كان كذلك كان أبلغ في الاسترخاص من أن يعرف لفظ الأكل فيصور له بذلك حجم فيكد لا يكون الحمد به رخيصا كما يكون إذا كان منكورا؛ فننظن له " (٣).

شعيا: التعريف:

" المعرفة ما دل على شيء بعينه ... ويدخل التعريف على المسند إليه لأن الأصل فيه أن يكون معرفة لأنه المحكوم عليه، والحكم على المجهول لا يفيد، ولذلك فبه يعرف لتكون الفائدة أتم، لأن احتمال تحقق الحكم متى كان أبعد كلفت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كلفت أضيق " (٤).

أما عن المصفا، فتكون على شكل المضمر (الإضمار)، العلم، اسم الإشارة، الاسم الموصول للمعرف بالألف واللام، المضيق إلى واحد منهما إضافة معنوية. المنادى. ويمكن تتبع أقسامها وأشكالها في أشعار الحملة، وفق ما يلي:

١ - المضمر (الإضمار):

- في مقام التكلم " ضمير المتكلم "؛ مثل قول بعض بني تميم بن ثعلبة، ويقال إنها لبشمة بن جزي

النهيلي:

(١) ابن حني: مشال أبيات الحملة، ص ٤١٢. ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) نسخة: ص ٢٨٤، ص ٤٢٢.

(٣) نسخة: ص ٣٣٥، ص ٣٨٢.

(٤) د/المند مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (٢ / ٢٨٢).

إِنَّمَا خُذْتُكَ يَا مَلْعَى فَخَيَّنْتَنِي وَإِنْ مَسَّكَتُ كَرَامَ الثَّمَامِ فَاتَّخَيْتَنِي

"يقول: إنا مسلمون عليك أيها المرأة فتغلينا بمثلها، وإن خدمت الكرام ومقبتهم فلجربنا محارهم فيها منهم .. وقول في سبوت ابن معناه: إن دعوت لأمثل الناس بالمسقية فادعي لنا أيضاً .. وعلى هذا يكون في الكلام إضمار، كنهه قال: وإن سبوت بظهر الغيب الكرام بالدعاء عند ذكرهم للعلي بنا مثله، وقولي سقاكم الله" (١).

- في مقام الخطاب: "ضمير الخطاب": مثل قول أمانة: (الطويل)

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي نَا وَعَنْتَنِي وَأَنْتَ بِي مَنْ خَسَنَ فِيكَ تَلُومٌ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَفَّتَنِي لَهُمْ غَرْضًا أَرْغَى وَأَنْتَ مَسْلُومٌ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا بَكَيْتُ الْجِسْمَ قَدْ بَعَا بِجَسْمِي مِنْ قَوْلِ الْوَسَاةِ مَلُومٌ

حيث شيع في الأبيات ضمير الخطاب بنوعه المنصل والمنفصل، بل ويتكرر في أكثر من موضع (أنت، أنت، وانتظر إلى أقوالها) أخلفتني، وعنتني، أنت بي، فيك أبرزتي، تركتني)، فيها توجه بالخطاب إلى الآخر على سبيل التبرير وتعمل الأعداء لما ارتكبته الشاعرة في حق من جريرة تغيلة، تملك لها رداء إذ "أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها، وتعد من جنابته طليها كفاء ما عنده وعصب به رأسها، فقالت: إن ما ارتكبته مني أشنع، وما خملته وقتاً بعد وقت أقطع، لأنك الذي تكنت عهودي، ونقضت مواعيدي، وأنت بي كل ناصح فيك، وصدقت مثل كل لائم بسببك، فظنوني بك مكذبة، وظنون الناصح واللوم مصنفة؛ ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس، واكله لمجامعهم، يتعللون بحديثي، ويتعللون عند أعدائي بقصتي، فقد صرت كالفرص المنسوب لكل فتح مبري، والعلم المقصود لكل مشاء بنعيم، يقرى بي من كان لي سلماً، ويرق لي من آل لي حرباً، وأنت سليم من المكراه، بعيد عن المتاعب، تحرك بجنبك ما يعمني، وتتقي بقلة الإكتراث ما ينضجني؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال، وعلر الشناعة الصق بحوائثهن منه بجوانب امثالك، فلو أن كلاماً كلم جماً لبدت بجسمي ندوب ومنفذ وجروح بأنياب المفتلين، وتبال الرماة المراصدين" (٢).

- في مقام الغيبة: "ضمير الغيبة": مثل قول: وقالت امرأة من طيء:

فَلَهْفَنِي غَيْفُ ابْنِ الْأَشَدِّ يُبْهِنُهُ أَفْزُ الْفَنَاءِ طَفْهَهَا وَضِيْرَتُهَا
مَنْحَى يَذْغُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ فُلْهُةٌ مَبِيعٌ إِذَا الْأَمَانُ صَنَمٌ جَوَابَتُهَا
هَوُ الْأَبْيَضُ الْوَضْخَاخُ لَوْ رَمَيْتُ بِهِ ضَوْخًا مِنَ الرُّيَانِ زَالَتْ هَضَابُهَا

تكررت الضمير " هو "، في قولها " (هو الأبيض الضخاخ) تريد خلوص النسب وزكاه المنصب، واشتهل الذكر في الألق. وقولها (لورميت به ضواخ) تريد نقاذة وحسن خروجه مما يدخل فيه وشدة صحتها للأمور، ولجابه لي إبرامها. فيقول: لو رميت يوارز هذا الجبل به لزعزعها، وهد جوانبها" (٣).

(١) المروزي: شرح ديوان الصنعة حماسة (١٤)، (١٠٠/١).

(٢) نفسه حماسة (٥٧٠)، (١٣٨١/٢).

(٣) نفسه حماسة (٣٩٤)، (١٠١٤/١).

للتنظيم: مثل قول المتنول للثني:

مَنْحَتْ سَجِيذًا وَأَعِظَ طَقِيزًا ابْنُ خَالِدٍ وَلِخَيْرِ أَهْلِيهَا يَتَوَسَّلُ
لَقَدْ كُنْتُ فَخْرًا مِمَّنْ بِحَقِّهِ الْكُزَي فَصَنَافَ ضَعِيفِي الْمَاءِ إِذْ يَتَزَلُّ

وهو ما عبر عنه الشارح بقوله: "يقول: اخترت من بين الناس ابن خالد ولطفت في شعري سجدا، وللخير حدود ووجود بها يتبين رسمه وعلامته، فكنت في اصطفتي إياهما، وصرفي ثنائي إليهما، كرجل يتطلب الماء بمحلقه من ثرى الأرض، فصاف عينه ومنبعه، إذ تتبع أثره ورسمه. والمعنى: أصبت في القصد والاختيار، ووضعت للثناء موضعه من الإيثار، فبق الخير إلى من مطلب، وحصل التوفر علي من مقصدي" (١).

٣ - الموصولية:

زيادة التوضيح والتقرير، مثل قول النظم من بني شقرة بن كعب بن تعله:

أَلَا زَيْدٌ مَنْ يَنْفَرُ أَهْلِيهِ وَدُؤُنِي أَلَيْسَ الْفِي وَدَعَى إِلَيْهِ وَيَسْتَنْبِ
غُلِي بِشَدَّةٍ مِنْ أَمْرِ أَوْ بِثَرَّةٍ لِيَقْبِزَهَا قَفْلٌ غُلِي الْأَمَلِ مُنْجِبِ

حيث استخدم الشاعر الاسم الموصول "الذي" ليعبر معنى الكلمة المعلقة عليه. وهي "أبوه"، موصلا المقصود منها، وهي تمنى أبوة النسب والعصب، بل إنه يود الألو على أي صورة كانت حلالا أم حراما، وهو ما يزيد صرحا فما بعده من قول، فـ "قوله (من يغتالي) من نكرة ويخاطبني في موضع الصفة له، (ود لتي) جواب رب. فيقول: رب إنسان بكل لصي يظهر الغيب ويتقنني، ومع ذلك ينمي أن أكون أباه الذي يسعى به وينسب إليه، وإنما يبعث على ذلك الحسد والبغضاء. وقوله (على ردة من أمه لو لمعة) فإن على ما يتعلق بقوله لتي أبوه، كنه يريده. ود أيوتي سواء كان ولد حلال أو حرام" (٢).

٤ - الصواب:

نقد وتأييد الموصول في سياق المتاب بين المتحابين، على سبيل التنبيه، مثل ما نجد في قول ابن النعمنة

وكذا كتب بها إلى ألامنة:

وَأَلَيْتِ الْبَيْتِي كَلْفَيْتِي تَلَجَ لِلْمَرْئِي وَجُوعُونَ اللَّطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُوعُومِ
وَأَلَيْتِ الْبَيْتِي فَطَلَعْتُ كَلْبِي خَرَّازَةً وَفَرَّقْتُ لَسْخَ الْفَلَبِ وَهُوَ قَلْبِي
وَأَلَيْتِ الْبَيْتِي أَخْفَلْتُ فَوْجِي فَكَلَّهْمُ يَعِدُ الزُّفَا دَابِي الصُّدُودِ غُظْلِيمِ (٣).

فليجته أمانة:

وَأَلَيْتِ الْبَيْتِي أَخْفَلْتُ بِي مَا وَهَنْتِي وَأَلَيْتِ بِي مَنْ غَسَانِ فَيْسَ يَكُومِ
وَأَلَيْتِ الْبَيْتِي لِلْبُكَاسِ لَمْ تَرْفَعْتِي لَهْمُ غَرَضًا أَرْسَى وَأَلَيْتِ مَنْ لِيْلِمِ
فَلَوْ لِيْ لَوْ لَا تَكَلَّمَ الْجِسْمُ فَمَا نَعَا بِجَوْنِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ خَلُومِ (٤).

(١) للمؤلف: شرح ميان الصلة: جملة (٧٩٩)، (١٧٧٩ / ٢).

(٢) نفسه: جملة (٣٦٠)، (١٠٣٤ / ٢).

(٣) نفسه: جملة (٢٦٩)، (١٣٧٩ / ٢).

(٤) نفسه: جملة (٥٧٠)، (١٣٨١ / ٢).

ويؤتى بالمسند إليه اسم إشارة لأحد أمور، وذلك:

١- للتبني: مثل قول متم بن نويرة يرثي مالكاً أخاه:

لَقَدْ لَانْتَبَيْ عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَقِيقِي لِتَنُورِافِ الدُّمُوعِ السُّمُورِافِ
فَقَالَ أَنْتَبَيْي كُلُّ قَبْرٍ رَأَيْتُهُ بِقَبْرِ ثَوْنٍ يَزِينُ اللَّسْفَى فَالذُّوْنِافِ
فَقُلْتُ لَسْفَى الشُّجَا يَنْعَشُ الشُّجَا فَنُذْغِي لِهَذَا قُلَّةً قَبْرِ مَالِكِ

"يقول: استسرف رقيقى بكفى عند القبور، واستنطفع سيلان الدموع من عيني فقال موبخاً: أمن أجل قير لك بين اللوى فالذوائك تبكى عند كل قبر تراه؟ فاجبتك بأن الحزن يهيج الحزن فقررتك، فكل قبر انتهى إليه فنكرني بق مالك، إذ ليس لي في قبر مالك إلا مثل مالي في القبور كلها. يريد أن أسباب الحزن ومهيجه تشبهه، فكل منها يقوم مقام الآخر ولا سيما وقد توافقت في الجنسية. وقوله لتنوراف الدموع السوراف أي من أجله، بعد قوله على البكاء فيه من الفاعلة المتجددة التبيه، على إجابة الدموع له، وانصبليها بحسب مراده، حتى لا جمود من الحجاج في شيء من الأوقات، ولا توفد من السيلان في حال من الحالات، وليس كل بكاء بهذه الصفة" (١).

٢- يقصد تمييز المسند إليه لإحضاره في ذهن السامع حساً: مثل قول الشنري:

هَذَا لَكَ لَا أَنْجُو حَيَاةً ثُمَّزِي مَنَجِسِ الدُّنْيَا لِي مُبْتَلَاً بِالْجِرَارِ

أشار بقوله "هناك" إلى الوقت الذي ينتهي فيه الأمد، وينتو فيه الأجل، لا إلى الوقت الذي بعد القتل وهو ظرف لا أرحو. والمعنى: في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارة لي. وأنا مخنول مسلم بجراري في القبور لا يرى إلا شامتاً مني، أو طالباً للانتقام مني. وقوله "سجيس الدنيا" يراد به امتداد وسلاسته في الاتصال وهو اسم الفاعل من سجن. وقد أحكمنا القول فيه في كتابنا الأزمنة. وهو ظرف لتوله مبسلاً بالحرار. وانتصب مبسلاً على الحال. والحرار: جمع الجريرة. وأبسلوا: أسلموا. وفي القولي "أولئك الذين أسلموا بما كسبوا" (الأنعام / ٧٠) (٢).

٣- وقول شمران مولى سلمان:

أُولَئِكَ قَوْمِي نَسَاكَ اللهُ فِيهِمْ عَلَى كُلِّ مَا أَعَفْتُ وَأَقْرَبَا
بِقَالِ الْجَفَانِ وَالْخُلُوعِ رَحَاهُمْ زَخَى الْعَنَاءِ يَفْثُلُونَ قَبِيلاً غَدَمُنَا
جَفَاةً غَضَرُ لَا يُصَيِّبُونَ مَفْصَلَا وَلَا يُأْتِلُونَ الْخُصْمَ إِلَّا تَغْدُمَا

"أشار بقوله أولئك قومي إلى قضاة، ثم أخبر عنهم بأنهم كثروا وطفوا ونموا بما جعل الله من البركة فيهم، فازدادوا" (٣).

(١) المردوف: شرح ديوان الحملة ص ٢٦٥، (١/ ٢٩٧، ١٩٨).

(٢) نسخة (١٦٤)، (١/ ١٩٠).

(٣) نسخة (١٩٠)، (١/ ١٩٠).

وقول عريب النوفلي:

ذهب الزقاذ فنا يخلص زقاذ ميا شجاك ونافيت الغواذ

" يقول طار النوم فلا يعرف له أثر، مما دهك وحزبك، ونام الذين كثرنا يحدونك ولم يسهروا لك. والمعنى: إني اختصمت بك بما عرني منه عوانك، وتحملت من الجزع ما سقط عنهم وخف عليهم. والرقاد: الرقود: النوم بالثيل، وعرف الأول تعريف الجنس، وبكر الثاني لأنه أراد نوعاً من الجنس. كل المراد: ذهب النوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختص أثر " (١).

وقد يتلوى تعريف الاسم و تكبيره في الدلالة، مثل ما جاء في قول ابن عنتل الأدي: (الكليل)

بيتا هلم بالظهر فمذ جللوا يؤمنا بخيشت يتنزع السنج
فإذا ابن بشر في مواكبهم تنفوي به خطارة نسرخ
فكأنما نطنزنا إلى السى فنسرب أو حيث علق قوسه فنسرخ

" يقول: بين أوقات الناس حالون بهذا المكان، حيث يقتلع هذا النبات، إذا ابن شمر وحلقه مواكبه، ترع به بجية هكذا، فكأنما نظروا إلى قمر، أي لما اجتار بهم شبهه في إشراقه ونوره، وبهاء موكبه. بالنمر، أو بطروا إلى حيث يتراءى للظفرين قوس قزح. فتوله " أو حيث " يحور أن يكون معطوفاً على قمر، فيكون المعنى نظروا إلى قمر إلى مكان قوس قزح. ونكر قمراً لأن قلعة المعروفة والنكرة إذا وقع في مثل هذا المكان لا تتغير. ويحور أن يكون " حيث " في موضع الطرب، كأنه ذل نظروا إلى القمر، أو بطروا حيث علق قوس قزح " (٢).

٦ - المضاف إلى واحد منهما إضافة معنوية:

وهو ما يعرف بالتعريف بالإضافة، ويكون لأسباب وأعراض مختلفة، نعرض الشراح لكثير منها، أمها:

١- التحليل: مثل قول لخر: (جميل)

أبوك خناب منابق الخفيف برودة وجدي يبا خجاج فارس شمر

" يقول: أبوك الذي سرق برد ضيفه وغدر به وخلفه، وجدي فارس هذا الفرس المعروف. وسارق الضيف برده، أصله سارق برد الضيف، لكنه أضافه إلى الضيف بناء على قولهم سرق الضيف برده، والمراد سرق من الضيف، لكنه لما حذف الجار تخفيفاً وصل الفعل فعمل فيه، ثم أضاف اسم الفاعل إليه " (٣).

وقول أبو شامة:

فجارك عذ يتيك فم ظنني وجاري عذ يتيي لا يترام

ففي " إضافة اللحم إلى الظني في نهاية الموافقة للمعنى الذي يقصده، والغرض الذي كلن يرميه. وقد جاء اللحم غير مضاف إلى اسم الصيد في الكناية عن النل والامتصام " (٤).

(١) المزدولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧٤)، (١ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) .

(٢) نسه: حماسة (٨٠٢)، (٢ / ١٧٨٣ ، ١٧٨٤) .

(٣) نسه: حماسة (١٠٢)، (١ / ٣١٥) .

(٤) نسه: حماسة (١٨٨)، (١ / ٥٨١) .

وقول القتال التلاشي:
(الطويل)
إذا جِماع لم يُفْرَخ بأفْلكة مناعة ولم يَنْبُئ من فُقدِها وهو مناجِب
حيث " أضف الأكلة إلى ساعة تقصيراً بها وإزراء، وإن كان ذلك وقاً لها " (١).

وقول عارق الطقي:
(الطويل)
لَمْ يَمَافْ غَزَرَ ما فَمَافْ قَابِلْ غَيْبَةً مَنْوَمٌ وَمَنْطَهْ مَهَارِفَةٌ
وَلَوْ نِيَلْ فِي عَهْدٍ لَمَّا لَحْمٌ أَزْنَبْ وَلَيْتَا وَهَسَذَا الْعَهْدُ أَتَتْ مَغَائِفَةٌ
أَكْسَلْ خَبِيصٍ أَخْطَأَ الْغَنَمَ مَرَّةً وَصَادَفَ خَيْبًا ذَانَبًا هُوَ سَابِفَةٌ
نجد " إضافة الغنمة إلى سوء يكون على طريق الإزراء والاستحثار " (٢).

للهويل: مثل قول شاعر الحملة:
(الطويل)
لَبِوْا أَنْ يُبَيِّخُوا جِارَهُمْ لِفَعْدَوْهُمْ وَلَقَدْ لَبِا زَلْجُ الْعَوْبِ خُشْيُ تَقْوَاتِ
" إنما أضف النع إلى الموت تهريلاً " (٣).

للتطليم: وقول ابن المقفع يرثي يحيى بن زبارة:
(الطويل)
رُئِنَّا لَبِا غَمَرِي وَلَا خِي مِثْلُهُ فَلَيْلِهِ زُيْمَتِ الْخَائِنَاتِ بَعْدُ وَفُغِ
" قوله له ريب للحلثات كلام مستقل بنفسه فيما يفيد من إكبار الشأن وتعظيم الحال. وإضافة الشيء إلى الله عز وجل تفخيم وتعظيم، على ذلك قولهم: بيت الله - وإن كان الساجد لله - والله دهره " (٤).

وقول الهذلول بن كعب العنبري: حين رآته امرأته يطحن للأضيلف، فقالت: أهنا بعلى؟! (الطويل)
لَعَنَرُ أَبِيكَ الْغُيْرَ إِيَّيْ لَخَابِمَ لِيْطْنَلِيْ وَإِيَّيْ إِنْ رَكِبَتْ لِقَارِبِ
" قوله لعنر أبوك استعطف لها، إذ أقسم بحياة أبيها لما جرى في المعانة من إظلام المقسم به، وإكبار موقعه. والعمر والعمر لفتان، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين. وإضافة الأب إلى الخير، كما يقال هو قبي صديق، وهو رجل كريم. وقوله إني لخاتم لضيفي اعتراض بما عهده ذليلان وبين أن التبعج فيما أنكرته، وأن التوفر على الضيف وإكرامه في قران الفروسة، ومن الخصال المحموده " (٥).

وتنظر كيف يستضيء الشارح بكتوال أهل اللغة في تحليله البيت الشعري، بل نراه لا يتبع في معانيته البيت برصد الظاهرة لغوية، حتى يقوم بنثر البيت معنوية موضحاً أثر ذلك على المعنى، وذلك في قول ممكن الدارمي:

(١) للروائي: شرح ديوان الهمامة: حماسة (٢١٧)، (١ / ١٥٣).

(٢) نفسه: حماسة (٧٨٠)، (٢ / ١٧٤٤).

(٣) نفسه: حماسة (١١٣)، (١ / ٢٢٨).

(٤) نفسه: حماسة (٢٨٧)، (١ / ٨١٣).

(٥) نفسه: حماسة (٢٣١)، (١ / ٧٠٠).

وَيُتَيَّانِ صِدْقِي لِمَنْتَ مُطْلَعٌ بِغَضَبِهِمْ عَلَى بَرٍّ يَفْضُ غَيْرُ أَتَى جَمَاعَهَا

"قوله: (وَيُتَيَّانِ صِدْقِي) أضاف اليتيان إلى الصديق. كما يقال فتيان خير. والمعنى أنهم يصدقون في الود ولا يخونون. وقيل الحيلول: يقال رجل سوء وإذا عرفت قلت الرجل السوء، ولم تضيف، بل تجعله نعتاً. وتقول: عمل سوء وعمل السوء، وتقول صدق وتقول الصديق، ولا نقل الرجل الصديق، لأن الرجل ليس من الصديق. فيقول: رب فتيان هكذا استأموا إلي واعتودوني أسرارهم، ذكنت أنا نظامها لا يفوتني من خبيثات صدورهم شيء، ثم أردت كلاً منهم بالوفاء له، وكتمان ما أودعني من سره، ولا أطلع بعضهم على ما يستكتمني البعض الآخر، بل أصونه من الإذاعة، وأحفظه من الشر الباطني والصيانة. وذلك لأن حفظ السر يحزي مجرى أداء الأمانات، فهو في الدين والتدنيا مأخوذ به ومبعوث عليه " (١).

- لإفادة معنى الانضمام والاحتواء: كما في قول امرأة من بني هزان: يقال لها أم ثواب في ابن

لها عتقا: (البسيط)

رَبِّيْهِ وَفَوْقَ مِثْلِ الْفَرْخِ أَغْطِيَهُ أُمُّ الطَّيْغِ دَامَ نَسْرِي فَيَسِي جَنْبِيهِ رَغْبَانَا
حَشَى إِذَا أَضَى كَالْفَرْخِ إِلَى شُكْرِيهِ أَبَاهُ وَنَفْسِي عَنْ مِثْلِهِ الْغُرْبَانَا
أَتَشَانِي بِنَسْرِي الْوَابِي يَوْمَئِذِي أَبَدَ شَيْبِي عُنْدِي تَبَقِي الْأَنْبِيَا

و " تسميته البطن بأم الطعام، كما قيل للجلدة الرقيقة الملتصقة الدماغ أم الدماغ، وكما سمي المحبرة أم السجور، وكل ذلك لما في الحجاب والمخاض إلى من الانضمام والاحتواء. وقد سمي الشفري تليد شراً يلم عيال، فقال: (الطويل)

وَأُمُّ عِيَالٍ كَذْ شَهْنَتْ نَفْسُوهُمْ إِذَا أَغْضُ شَهْنُ أَوْتَغُتْ وَأَقْلُتْ

لما كان يجمع من أمر أصحابه ويتكلم به لهم ويبرده. وقولها حتى إذا أض كاللحال حتى وضع للغاية، وأضيف إلى إذا وما بعده من الجملة التي انشراح إذا بها. والمضى إلى هذا الوقت " (٢).

لو قد تعيد معنى التملك إلى جفت معنى الانضمام والاحتواء، مثل قول أشعر بن عمرو السلمي: (السريع)

أَتَغْنِي لِنَفْسِي الْجُودُ إِلَى الْجُودِ مَا بِلَيْتُ عَنْ أُنْفِي بِمَوْجُودِ
أَتَغْنِي فَنَفْسِي مِمَّنْ تُكْرَى بِغَدَاةٍ بَلَاءُ الْعَمَامِ مِمَّنْ الْفُجُودِ

"قوله لغني نفسي الجود إنما أضافه إلى الجود أيدأنا بأن الجود كان يمتلكه فهو فتاه. لو يريد أن الجود كان يتدفع بكون هذا الرجل من أسرته وأصحابه، لأنه كان يتغنى في الجود وهذا كما يقال: فلان غني الحرب، وكما قيل: لا غنى إلا غنى في الوعى " (٣).

- للتعريف: مثل قول ابن السلمي:

لَقَدْ زَكَّيْتُ نَفْسِي وَنُفُوسَ مَنْ لَجَّيْتُ لِنَفْسِي وَلِجَنِّ مِمَّا زَكَّيْتُ أَنْفُسُهُمْ

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: مخطبة (٣٦٩)، (١/٢، ١١١٥، ١١١٦).

(٢) نفسه: مخطبة (٢٥٥)، (١/١، ٧٥٦، ٧٥٧).

(٣) نفسه: مخطبة (٣٦١)، (١/١، ٩٢٩، ٩٣٠).

الفضاضة البلاغية **===== الفصل الأول: علم المعاني =====** التذكير والتعريف
 " سلغ : موضع أضاف اليوم إليه تعريفاً " (١).

لو للتعريف والتخصيص، كما جاء في قول المعبر السلولي:
 (الطويل)
 ترغفا أنها الأضياف إلى ليلة الصبا يبرز ويمرّدى فكل خمم يجابنة
 " أضاف الليلة إلى الصبا تعريفاً وتخصصاً، كله كان للصبا شأن في تلك الليلة " (٢).

- للتبيين: مثل قول العربي:
 (الطويل)
 وفأنت منقالت الله خمر منلافة بنام منخاب خابز بين مضافان
 نجد الإضافة في قوله " خمر منلافة "، " وسلافة الخمر: أول ما يخرج من عصيرها. وإضافة الخمر إليها على طريق التبيين. وهذا كما يفيد " من " من قوله: " فلجستوا الرجز من الأوثان " (المعج / ٣٠) (٣).

وقول مالك بن جعنة:
 (الوافر)
 وأبلغ من لها عني ومنفا تحيات مأثرفا سلور
 فإنتك زوم ثأيني خرينا ثعل غلى يؤنبني ثذور
 " وبوم مضاف إلى ثأيني على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله ثعل على يومئذ نثور " (٤).

أو التبيين والتخصيص كما في قول حسان بن حنظلة:
 (الكامل)
 غطيت على أن أسمعك بطري وأنا لصر من طري الأجيال
 وأنا امرؤ من آل خيرة مثصبي وثأو جوفين، فأملاني، أخوالي
 " وقوله من طيء الأجيال يعني سلمى ولجأ. وهذه الإضافة على طرق التخصيص والتبيين، وذلك لأن طينا فرقتان: فرقة تنزل السفل من جبالهم، وفرقة تنزل العلو " (٥).

- لإفادة التشهير: مثل قول شاعر الحماسة:
 (الطويل)
 نغز بخيري أن أرى زفلة الفضى إذا كنت يؤمنا بعربي فلالها
 ولنت وإن أختيت من زمتن الفضى هاؤل راج خاجة لا تأنها
 " أضاف الرملة إلى الفضى تشهيراً لها " (٦).

أو للتشهير والتعظيم، مثل قول شاعر الحماسة:
 (البسيط)
 نؤم ارتككت بزخلي قبل يزدعري والذفل مثيرة وألقاب شقول

(١) العزولي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥٦)، (١ / ٧٥٩).

(٢) نساء: حماسة (٣١١)، (١ / ٩١٨).

(٣) نساء: حماسة (٧١٢)، (٢ / ١٦٢٨).

(٤) نساء: حماسة (٧١٧)، (٢ / ١٦٣٧).

(٥) نساء: حماسة (٧٤٠)، (٢ / ١٦٨٢).

(٦) نساء: حماسة (٥٠٩)، (٢ / ١٣٠٦، ١٣٠٧).

لَمْ أَصْرِفْتُ إِلَيَّ بَعْضَ لَابُطَةِ إِشْرَ الْخُنُوجِ الْغَوَابِي وَفَوْ مَظْهُولٍ

" أضاف البرم إلى الفعل تشبيهاً له وتعظماً لما اتفق فيه. وذلك أنه باعته حديث الفراق وما دم به المجتمعون معه في النعمة من الارتحال، ولما ورد عليه ما لم يحسبه ولم يحدث نفسه به تولة وخولط حتى صار لا يدري ماذا بقي عندما دم به من تشبيهم، والتعريض للكون معهم، فقال: أنكر يوم أقبلت أضاع الرجل على الناقة قبل الرذعة، وتكلى فابعد وتكلى مشغول بما دهمه من الحال " (١).

- لإفادة الغلو والإسراف: مثل قول صرو بن قمية:

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أَقْبِزْ بِهِ إِذْ فُتِنْتُ أُنْثَا
إِذْ أُمُحِبُّ الرِّبْطِ وَالْمَنْحَوطِ إِلَيَّ أَنْتَ بِيْجَابِي وَأَنْتَ لَمْ تَنْتَ
لَا تُفْسِدُ النَّزَمَ أَنْ يُقَالَنَّ لَكَ أَضْحَى فُلَانٌ بِضَرْبِ خَفَا
إِنْ مَسْرُوطٌ طَوْلٌ عِزِّيهِ فَلَمْ أَضْخِ عَلَى الْوَجْهِ طَوْلٌ مَّا سَلَبْنَا

يقول المشرح: " يتحسر على ما فقه من الشباب وحسن أيامه، ونضارة للعيش به، فقال: يا حسرة نفسي على مقتضى الشباب ومتوليه، فإن ما فقتني منه لم أفارق به أمراً قريباً، وشيناً هيناً، لكنني فقتت به صحة بدني، وروعة وجهي، وطيب عيشي، وقوة روحي، حين كنت أحر ريطتي (وهو الإزار الذي ليس بملق) وسروطي (وهو جمع مرط وهو ملحفة يؤتزر بها) إلى أقرب الخمارين إلى أنفض شعر رأسي إيجلياً به، واستعملنا له، وطرباً بداحلتي في جميع أسبالي معه. ثم قل مزرباً بالشيب وما يكتسبه المرء إذا علاه، من إكثار الناس له، وتقديهم في المجالس إياد، ومن الرخوع إلى قوله، واستشارتهم فيما يميز من الخطوب رايه، قلل: لا تنفطن الرجل ولا ترفن ولا تجعل محسداً إذا قيل فيه: صار فلان حكماً في عيورته لكثرة تجاريه، امتداد عمره، ودوام مزاولته للأمور، واتصال لقائه للناس وممارسته لهم وفيهم، لأنه إلى سره امتداد عمره، وتنفس عيشه فقلت ظهر في نفسه من ضعف واتحناء، وعلى وجهه من ذبول وسهوم إلى غيرها مما يدل على طول سلامته التي هي الداء الذي لا دواء له ... وقوله (التي تجاري) يظهر لظوره في سباه الخمر وسرقه، ثم تبجح بإضاعتهم إلى نفسه " (٢).

- للتأكيد: مثل قول حطيم:

وَلَمَّا نَلَيْتُ بِهِ نَشْوَةَ الْغَرَى نَعَامَتَا وَمَنْ يَطْلُقُ مَسْرَى اللَّيْلِ يَكُنْ
أَبْغُ نَفْسِي الْخَضَاءَ الْكُفَّاسِ نَوَافِهَا قَلْبِي وَزُقْتُ عَنْ قَلْبِي مَنْ ذُبِلَ
فَقُلْتُ لَكَ خَيْرُ الْإِنْسَانَةِ بِنَفْسِنَا خَذَا اللَّيْلُ عَزَّانَ الطَّرِيفَةِ مُنْجَلِي

" السرى: سبر الليل خاصة، وأضافه إلى الليل فقال سرى الليل، تأكيداً. ومضى البيت: وقال رفيقي وقد انتشى من الكرى وصار يتميل ولا يستقيم وهو ناص، ومن يمارس السير ويهاجر النوم يتسلط عليه الكسل: لنخ راحتك ندوا المطايا التي أنضاهما النعاس وهزلها الجهد، دواءها من الراحة والنوم، وسكن من قلانس مهازيل، وومع ما ضيق عليها من أرقها ... وقوله " فقلت له كيف الإنلحة "، يريد كيف الوصول إلى النزول وقد أصبحنا

(١) للرزوقي: شرح ميان المعاني، حميدة (١٣٨)، (١/٢٢٦).

(٢) لسه، حميدة (٢٠٥)، (١/١١٣).

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني التذكير والتعريف
رساق الليل صبح واضح الطريفة، منكشف الشريعة، يحلّ الظلام فيه ويفرق. يريد أن الراي وقد انصرم الليل أن
تبلغ إلى الماء الذي يتصدده ثم نزل " (١).

٧ - المنادى:

أنواع المنادى خمسة يتعرف منها بالنداء نوع واحد - في الراي الأرحح - هو: النكرة المقصودة دون غيرها (٢).
ويراد بالنكرة المقصودة: " النكرة التي يزول إيهامها وشيوعها بسبب ندانها، مع قصد فرد من أفرادها،
والإتجاه إليه وحده بالخطاب " فتصير معرفة دالة على واحد معين بعد أن كانت تدل على واحد غير معين،
ولولا هذا النداء لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف. مثل " رجل " في قولك: يا رجل ساعدك على
احتمال المشقة إلخ " (٣).

ومن شواهد التعريف بالنداء في أشعار الحماسة، قول موسى بن جابر: (الكامل)
لا إئتتهي نأ قوم إلا تخارفاً نساب الأبيير ولا يفاسع الخاويب - (٤).
لوقع التعريف بالنداء في قوله " يا قوم ".

وقول سعد بن مالك: (الكامل)
نأ بمومن إلخ نرب الئبي وضفت أزابي ط فاسن تراخوا
" قوله " يا يؤس بحرب " نداء على معنى التعجب، والمعنى ما أبذل هذه الحرب واشدها، وأتم اللام
بين المضطرب والمضطرب إليه توكيداً للإضافة وهو مما خص به النداء لما يراد من معنى المبالغة فيه والتشديد (٥).
وقد يحذف المنادى وهو نكرة مقصودة، ويستدل عليها من سياق الكلام، مثل قول شاعر الحماسة: (البسيط)
نأ قبيخ الله أقرأنا إذا نكبزوا يتي غنيرة زفط السوم والغار
قوم إذا خربوا بمن منوعة ولجوا لبي منوعة لم نجنونا بأمنثار
" المنادى في قوله يا قبيخ الله محذوف، كنه قل: يا قوم، أو يا ناس قبيح الله أقواماً، أي ليعدم الله " (٦).

وهكذا نجد أنه قد نتج عن تنوع التعريف ثراء القول الشعري من الزاوية اللغوية، فللشارح ينتج بالخبر
ممتلا في بنية التعريف على فضاء النص، مبرزاً ومحللاً أهم ظواهره من الناحية النحوية والتركيبية، ناظراً - في
كثير من الأحيان - المعنى الشعري، مستعيناً في تدعيم ذلك بما تولفر لديه من نصوص نظرية أو شعرية.

يتضح لنا من خلال ما تقدم أن مسألة التذكير والتعريف عند الشراح موظفة لخدمة النص وضبطه وليس
أول على ذلك تعليقات الشراح على مباحث علم معاني، التي قد جاءت جافة، خلت - أو تكاد - من تحليلات بلاغية

(١) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٨٢٠)، (١٨١٥ / ٢).

(٢) انظر: د/عبد حميد التوفلي: (١ / هفتش ٢١١).

(٣) انظر: نفسه: (١ / ٢١١ وما بعدها)، وانظر كذلك (٢٥ / ٤).

(٤) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٢٢)، (١ / ٢٦٢).

(٥) الأطل المستعري: تجلي غور المعاني، ص ٧٠.

(٦) المزدلف: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦٥٠)، (٢ / ١٥٢٣).

ذات قيمة، مفتقرة إلى التحليل البلاغي الكافي، حتى يبدو لنا دور الشراح في هذه المباحث مقصوراً على " رصد طريقة هذا الشاعر أو ذاك في استعمال اللغة على نحو ما. وبالرغم من أن ذلك لم يكن للهلجس الأوحى الذي يسكن الرواة للشرّاح إذ كلُّهم توثيق كل ما يساعد على فهم العربية وقرأتها فبقه لم يفتهم التوقف عند المقتل الشعري في خصائص بنيته وأبرز مقاصده لأنّ بدرجته مقلوثة" (١).

وقد انعكس ذلك على صنيع الشراح تجاه نصوص أشعار الحملة، حتى أصبح تعاملهم مع الأشعار وفق هذا المبحث محصور في النحو والنظ الغريب والخبر والمثل وللشاهد شعراً وقرناً وحديثاً.

وبالرغم من كل ذلك فإن مساهمة هؤلاء الشراح في شرح أشعار الحملة متطلّ تلقى بطلانها على من سبّاني بعدهم من انشراح وعبرهم

(١) د/الحمد البوديني: شرح الشعر عند العرب، ص ٦١.

القضايا البلاغية ————— الفصل الأول: علم المعاني ————— النكر والحذف

يقول الشارح: " ونكر المقرئين ولم يذكر الهجاء لأنهم وإن كانوا يأخذون ملخصهم في أنه لا يخص نحبهم، ولا يصو سبهم، فليقيم أحد نقداً، ومن يفهم أنكر قطعاً " (١)، ثم اختار الشارح أن يعزز تفسيره لهذا البيت بشواهد من أشعار العرب وذلك لـ " يقيم الصلة بين تجربة الشاعر الخاصة وبين تجربة أو تجارب أخرى علمة " (٢)، حيث يقول: " وكان عنزة العبي حنيناً فقل :

بقي امرؤ من خير عبي مثصباً شطري وأخيسي منابري بالفتى صل

نافياً للاكراه، فعمل أحد شطريه من خير عبي، وجعل الباقي بجميه من النم يستعمل السيف يوم للروع، وحسن البلاء في الحرب، حتى يلحقه بالخلص، ولا تقعد به هجنته عن الخول في زمرة الصرحاء " (٣).

٣ - النكر لتعليط القول وتخشينه:

مثل قول الشداخ بن يعمر الكنتي:

أكننا حازنات خزاغمة ثخ ————— فزوني غسائي لأمتهم جنل

يقول الشارح: " ونكر الام تعليطاً للقول وتخشيناً " (١).

٤ - النكر للإهانة والتحقير:

مثل قول كبشة أخت عمرو بن معد يكرب:

ولا تأخذوا منيهم إفاًلاً وأكبوراً ————— وأنزك في ينيب بصغدة مظلم

يقول الشارح: " فلي قيل: لم نكر الإفاًل والأبكر وما يزيد في الدبف لا يكون منهما ؟ قلت: أراد تحقير الدبف " (٢)، وفي سبيل شرحه للمعنى قد يفتتح على الاستشهاد بمذاهب العرب في الاستخدام وطرائقها في التعبير، فيعطى بذلك حدود الشاعر الواحد إلى أفق أرحب وأوسع، وهذا ما نراه حلياً في استعماله الشارح في تفسيره للبيت السابق بالقول " وهذا كما يقول الرجل إذا أراد تحقير أمر خلع خال بها إسل: إنما أعطى حرفاً وفلوساً وإن كفت الثياب المعطاة كسوة فاخرة، والمال الموفر جقزة منية " (٣).

وبذلك ما جاء في قول عارق الطائي:

فلي بـمئة غيزنا فإل فإيل ————— غمينه منوم ومنطئ منارفة
ولو نيل في عهد ثلأ لحم أرتب ————— وفئنا وهذا الفهد ألت مغالفة
أكل خبيس لخطأ الفسئ مرة ————— وصانف خيا فابنا فو منابفة

لـ " قوله لحم أرتب ذكره تحقيراً وأنه صيد مستباح " (٤).

(١) المرزولي: شرح ديوان الصمدية: حمضية (٢٢)، (١٦٩/١).

(٢) دالمع الوبرني: ترح الشعر عند العرب، ص ١١٤.

(٣) المرزولي: شرح ديوان الصمدية: حمضية (٢٢)، (١٦٩/١).

(٤) نفسه: حمضية (٤١)، (١٦٧/١).

(٥) نفسه: حمضية (٥٢)، (٢١٧/١).

(٦) نفسه: حمضية (٥٢)، (٢١٨/٢).

(٧) نفسه: حمضية (٧٨٠)، (١٧٤٤/٢).

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني ===== الذكر والحذف

ومما يتصل بهذا القصر، تنقيح وتنشيع، كما في قول شاعر الحماسة (موسى بن حمار) (الطويل)

إِذَا نُكِرَ ابْنَا الضَّيْبَةِ لَمْ تُضْبِقْ تِرَاعِي وَأَنْقَى بِاسْمِهِ مَنْ أَفْسَاخِ

فـ " ذكر الاستقبح لعله عد النكوص والانهزام، وتنشيع عليه في التولي والإخبار " (١).

وكذلك الإزراء والاحتقار، كما في قول أدهم بن أبي الزعرار: (الطويل)

وَبِالْحُفْلِ الْمَقْصُورِ خَوْفٌ بِبُوتَيْهَا تَوَاشِيَةٌ كَالْغَزَلِ نُجْلٌ غَوْنُهَا
وَأَنَا لَمْخَفُوفٌ بَيْنَ غَضَبَيْتُمْ بِأَيْمَنَةِ غِيَدِ اللَّهِ أَنْ سَتُوبُهَا
فَلَسْتُ بِمَنْ أَدْعَى لَكَ إِنْ تَقَفَاثَ عَنِيهَا دَمَامِيْلُ امْتِيَةٍ وَخُبُوبُهَا

فـ " قوله فليست لمن ادعى له يجري مجرى اليمين، أي للوالد الذي أنسب إليه، أن أنكح عبد الله فينا، وتشتت حراجات أمته عليها. وهذا الكلام إزراء به، واحتقار له، بنكر الرواة منه. وذكر التمليل تشيع للحال، وأن العزبة بلغت به هذا المبلغ لزهده الناس في مذاحتهم " (٢).

وأيضا الغض والإيهام، مثل قول الراعي: (الطويل)

مَادَا نَكْرَتُمْ مِنْ قُلُوصِ غَفْرَتُهَا بِمَنْفِي وَضِيَانِ الشَّتَاءِ تُبْوُذُهَا
فَقَدْ عَلَيْنَا أَتَى وَفِيَتْ لُزْنُهَا فَرَاخَ عَلَى غُثْسٍ بِأُخْرَى يَقْوُذُهَا
فَرِيَتْ الْجَلَابِي الَّذِي يَنْبَغِي الْقِرَى وَأَمْسَكَ إِذْ تَخَذَى إِلَيْهَا قَعُودُهَا

فـ " في ذكر الأم وأنه أضافها مع الكلامي بعض الغض والإيهام " (٣).

٥ - الذكر استعارة في الإظهار والكتمان: مثل قول الفضل بن عيسى بن عتبة بن أبي لهب: (البسيط)

مَهْلًا بَرِي عَنَّا مِنْهُ لَأَمْوَالُنَا لَا تَبْشُرُوا بِنَيْتِنَا مَا كَانَ مَنُورُنَا

" وذكر الدنان والقبس استعارة في الإظهار والكتمان " (٤).

٦ - الذكر للفتحة:

مثل قول رجل من بني نمير: (الوافر)

لَنَا ابْنُ الرَّابِعِ مِنْ آلِ غَضَبٍ وَفَرَسَانِ الْمَثَابِرِ مِنْ جَنَابِ
تَغْرِضُ لِلْمَنْوَبِ إِذَا التَّقِيَتْ وَجُوهَهَا لَا تُغْرِضُ لِلْمَسَابِ
فَأَبْنَاتِي مَنْزَرَةٌ بَيْتِي تُغْنِي بَرِ وَأَخْوَالي مَنْزَرَةٌ بَيْتِي بِحِلَابِ

فلشاعر " يفخر بأن لياه رؤساء خطباء ... وفكر عرا وجنبا ليرى أنه كريم الطريقين، يدل على هذا قوله فيما بعده:

فَأَبْنَاتِي مَنْزَرَةٌ بَيْتِي تُغْنِي بَرِ وَأَخْوَالي مَنْزَرَةٌ بَيْتِي بِحِلَابِ " (٥).

(١) اللرواني: شرح ديوان الحماسة: حمصية (١٢٦)، (٢٦٩ / ١).

(٢) نسه: حمصية (١٢٢)، (١١٧٦ / ٢).

(٣) نسه: حمصية (١٣٩)، (١٥٠٨ / ٢).

(٤) نسه: حمصية (٥٥)، (٢٢٤ / ١).

(٥) نسه: حمصية (٢٣٨)، (٢٩٤ / ١).

(الطويل)

مثل قول بريد بن قنافة:

لِعَنْبَرِي وَمَا عَسَرِي غُلِي بِهَيْبِي لِيَمْنِ الْفَتَى الْمَذْغُو بِالْأَوَّلِ خَاتِمِ
غَذَاةُ أَنْبَى الْبُورِ أَخْرَجَ فَمَاتِي بِجَهْتِهِ أَفْأَلَهُ وَفَوْ قَاتِمِ
غُلِي بِمَخْرَجِ الْمَرْبِطِ ثَغَامِي ثَابِرُفَا جَنَحَ الظَّلَامِ ثَفَاتِمِ
أَعَارِثُهُ رَجُلِيهَا وَفَسَافِي لَيْهَا وَقَدْ جَرِثَتْ بِبُضِّ الْفَتَى صَوَاتِمِ

حيث " ذكر الليل لشدة البهل فيه " (١).

هذا قليل من كثير تتناول فيه المصراع الذكر وأغراضه، معرزين رزاهم وتفسيرهم بما تواضع عليه العرب في الاستخدام، وما شاع في أشعارهم، إلى جانب النص الديني قرآنًا وحنثًا " إن لا سبيل إلى إحكم للعربية بمعاني عن معجزتها السعوية القرآن، فلا عرابية أن تكون لغة الشعراء الأول ذات وقع قرآني وعلى صلة ظاهرة لو خفية بالحديث باعتبار ذنك الضربين من النصوص يمثلان نموذج الفصاحة عند العرب. لذلك يكشف الراوي / الشارح من حذل رصد الاستشهادات مظاهر التقاطع بين النص الديني والشعر " (٢)، وهو ما نجد أثره واضحا في عرض الشراح لأسلوب الذكر، وهو ما يمكن تبين ثقالة الشارح الذي بعد النص الديني أبور مكون لها.

ثانيا: الحذف:

ندرج الحذف ضمن ما يصطلح عليه البلاغيون ببلاغة الإيجاز. والإيجاز كما عرفه أبو يعقوب السكاكي " هو أذاه المقصود من الكلام بقول من عبارات متعارف الأوسط " (٣)، ونميز فيه بين بلاغة القصر وبلاغة الحذف. بلاغة القصر مثل قوله تعالى " ولكم في القصص حية " (القرة / ١٢٩)، إذ عبر عن المعنى الكثير باللفظ القليل. أما بلاغة الحذف فهي " ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها اللغات الإسمية، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو إلى حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة الحالية كقت أو عتبة أو لفظية " (٤)، فهي ترتبط بحذف كلمات عمدة أو في حكم العمدة أو صلة أو في حكم الصلة. مثل حذف المسند والمُسند إليه والحال والمضاف والمُضاف إليه... وذلك لغاية بلاغية محضة. وقد عر عدد القاهر الجرجاني رحمه الله عن هذه البلاغة بقوله في دلائل الإعجاز: " هو باب دقيقٌ للمُؤلف، لطيفٌ المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر؛ فبك تروى بقرآن الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أريد للإفادة؛ وتجنك أنظر ما تكون إذا لم تنطق، وألم ما تكون، بيلًا لم تين؛ وهذه جملةٌ قد تنكرها حتى تغفر، ونفعها حتى تنظر " (٥)، وعنه ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بلجا قيسا من أبواب شجاعة العربية (٦).

(١) الرزوقي، شرح ديوان المسند: حكمة (٦١٥)، (٢ / ١١٦٤).

(٢) د/عبد الوهيد: شرح الشعر عند العرب، ص ١١٨.

(٣) السكاكي: مناجح اللغز، ص ٢٨٨.

(٤) د/طاهر سلاسل: حكمة: ظاهرة الحذف في الشعر العربي، دار المصرية للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ص ٤.

(٥) عبد القاهر العرقي: دلائل الإعجاز، ص ١١٦.

(٦) قنطرة: ابن جني: المصطلح، (٢ / ٣٦٠) وما بعدها.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني

وتتعدد الأسباب الداعية إلى الحذف في سياق التراكيب، فمنها " التخليف، الإيجاز والاختصار، الاستماع، التفتيح والإعظام، صيغة المحذوف عن الذكر تشريفاً له، التحقير، الجهل بالمحذوف ... " (١)، إلى حقبة العديد من الأغراض التي ليس هذا مجال إحصائها.

وهو ما عبر عنه الشراح ولكن بمفاهيم مختلفة، من مثل " الحذف لدلالة الحال وتعارف المتكلمين "، كما جاء في قول شاعر الحماسة:

وَأَيُّهَا الْغَامُ الَّذِي لَمْ يَذَرَيْتَنِي أَكُنْتُ الْبِذَاءُ لِـبِذَرِ غَامٍ أَوْ لَا
أَكُنْتُ الْبِذَاءُ لِـبِذَرِ غَامٍ لَمْ يَكُنْ نَحْمًا وَلَا بَذَنَ الْأَجْبَةِ زُؤْلًا

" وقوله (غام أولاً) مما ألف فيه كثرة الاستعمال، فوصف بصفة لم توصف به بظن قد اعتدأ على التعارف. والمراد بهذا أنه لم يزل شهر أول ولا حول أول، ول منتهى أولى، وإنما حص هو بذلك لكثرة الاستعمال، ولأن دلالة الحال وتعارف المتكلمين به سوغ الحذف والإحراء على ما ألف فيه " (٢).

أو لعلم السامع، كما علق الأعلام الشنفرى على قول ابن زبالة القيمي: (السرير)
أَنَا ابْنُ زَبَالَةَ إِنْ شُدَّ غِيِّي آتِيكَ . فَالظَّنُّ غُلِي الْفَاتِبِ
يقول: " إن توعدتني بإقدامك ونسبتني إلى الحين عكك والضعف عن مقاربتك ثم لتيتني علمت أن طنك كاذب، فرجع كذبتك عليك، وأراد والظن مبرود على الكاذب، فحذف لعلم السامع " (٣).

أو " الحذف لبيان المعنى "، كما ورد في قول خفاف بن ندبة: (المتقارب)
فِي شَيْءٍ رَأَى الْهَجْرَ وَبَيَّيْتُكَ لَا تُظْلِمُ
وَأَيُّهُنَّ إِلَهِي بِإِيَابِهِ إِذَا أَنَا لَمْ أَنَسْهَا أَنْفَعُ !!

يقول أبو هلال العسكري: " رواه هذا الشيخ: (إذا أنا لم أنسها أرفع) .. والمشهور الأول، أي: إذا أنا لم أنسها أرفع إلى تناسيها؛ للرد وللقرابة اللذين بينهما، فحذف، لبيان المعنى، وفيه وجه آخر أجود من هذا، وهو: لئلا ينسى أن أنسها أرفع عن الريشة " (٤).

وقد تنبه الشراح إلى أسلوب الحذف في أشعار الحماسة، فلنأروا إلى مواضعه، وأثره، وأسبابه، وأشكاله، والتي من أهمها:

١ - الحذف في الجملة الاسمية:

(أ) حذف المبتدأ:

يقول ابن جني في شرح قول عمرو بن كلثوم التغلبي:

(الطويل)

(١) انظر: دلائل حسنة ظاهرة الحذف، ص ٩٥ : ١٠٧.

(٢) المرواني، شرح ديوان الحماسة، جلد ١ (٤١)، (١٢٠٧ / ١).

(٣) الأعلام الشنفرى، جلد ١، غرر المعاني، ص ١٣٧.

(٤) مثل العسكري، رسالة في بسط وتوسيع موضوع من الحماسة، ص ١٧٨، ١٧٩.

ثَلَاثَةٌ ثَلَاثٌ فَأَمَّا أَنْ خَبِلْنَا وَأَقْوَاتُنَا زِمْنَا نَمُوتُ إِلَى الظُّلُمِ

" أي أموالنا ثلاثة لثلاث، فحذف المبتدأ، وحذفه أيضا فيما بعد في قوله: فَمَتَّانِ خَبِلْنَا أي قتلت أمتان خَبِلْنَا أو فَمَتَّانِ خَبِلْنَا ثَلَاثٌ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا...، وقال: ثَلَاثَةٌ ثَلَاثٌ، ولم يقل: ثَلَاثَةٌ أَمَلَمُ من قبل أن الأقسام قد تكون متساوية وغير متساوية، فلذلك صحة للقسم واعتدال للمساهمة " (١).

وقول الرماح الأسي: (الكمل)

بَيْنَنَا غَدَاتٌ رَأَيْتُ سِيَّ مَتَوَجِّحًا بِالنَّيْرِ فَمُوتُ جَلَالَةً بِرُفَاخٍ

" أراد بيننا نحن أو بيننا الحال كذا، فحذف للمبتدأ طما منه بموضعه، ألا ترى أن بينا لا يضاف مع الجئت إلا على الجمل، فلما كان ما بعدها حدثا أضيفت إلى المفرد، نحو قوله: (أبو ذؤيب) (الكمل)

بَيْنَنَا مَضْفُوفُهُ الْكَمَاءُ فَرُوعُهُ نَوْحًا أَبْيَحَ لَنَا جَرُّهُ مَسْلُفٌ

وقد يكون صاحب الجملة بعد بينا حدثا أيضا نحو قولك: بينا قتلناك نلغ لنا عرض ما أوجب لعمودك، وعليه أجزنا في البيت أن يكون تنديده: بينا الأمر كذلك " (٢).

(ب) حذف الخبر:

مثل قول مسافع بن حنيفة الحبسي:

(الطويل)

مَلَامَ بَنِي عَمْرِو عَنِّي حَيْثُ هَامَكُمْ جَمَالُ التَّنْدِي وَالْقَسَا وَالْمَمْنُورِ

" هلمكم مبتدأ محذوف الخبر، من جملة محذوفة مجرورة الموضع بإضافة حيث إليها، أي حيث هلمكم مقبورة أو موجودة... ومثل هذا المبتدأ المحذوف الخبر للعلم به في نحو هذا الموضع قولهم: جئتكم إذ ذاك، أي إذ ذاك كذلك، فحذف الخبر من الجملة المجرورة الموضع بإضافة إذ إليها ونصب حمل التندى لأنه بدل من بني عمرو. ولام التندى والى لأنه لعل من التندوة وهي موضع جلوس التندى والتندى " (٣).

وقول رجل من يشكر فيما كان بينهم وبين بني ذهل بن شيبان:

(الوافر)

فَإِنْ تَرَضُّنَا فَأَنَا فَرَضُنَا وَإِنْ تَسَابَقَا ، فَالْحَرَاكُ الرِّمَاحُ

" يقول: " إن رضيتم بمن قلنا منكم عن المظلي فتد رضينا، وإلا فالعرب بيننا وبينكم. وقوله " فلطراف الرماح " مبتدأ، وخبره محذوف لعلم السامع، وللتقدير فلطراف الرماح حاكمة بيننا وبينكم " (٤).

٢ - الحذف في الجملة الفعلية:

(١) حذف للفاعل: مثل قول سويد المرادي الحارثي:

(الطويل)

(١) ابن جني: مثقال أبيات المعلقة: حلبية (١٨) ص ١٥٠.

(٢) ناسخ حلبية (٢٦٩) ص ٢٢٤.

(٣) ناسخ حلبية (١٩٨) ص ٢٦٧.

(٤) الأعلام للتشعري: نجلي غرر المعاني، ص ١٢٥.

لَعَنِي لَعْنَةً نَزَلَتْ بِهَا رَأْفَعُ صَوْتِهِ نِعْمِي مَنْ يَنْدِي قَارِبَتْنِم هَوْنِي
أَجَلْ صَادِقًا ، وَالْقَابِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي إِذَا قَالَ قَوْلًا أَتَبَطَ الْمَاءُ فِيهِ الْفَرْقُ
إذ نجد " صانفا حال من الفاعل في فعل محذوف، أي نعم قلت صانفا " (١).

ويندرج تحته أشكال كثيرة للحذف، أشار إليها الشراح، منها:

١- حذف اللفظ العامل: مثل قول بعض بني أسد:

(الطويل)

لَمَّا نَهَى الْوَرْدُ الْخُلَاصَ لَبَّاقَةً بِكَزَمَتِي كَزَمَتِي فِي مَنِي وَفَرِيدَةً
أَجْدَى لَا لَغَمِي بِزَمَانٍ خَالِيَا وَغَضَبِي إِلَّا فِي مَنِي أَيْدِي تَرِيدَةً

يقول الشارح: " " أجدى " هي موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإساءة والمراد الإساءة والإصباح جميعاً، لكنه اكتفى بذكر أحدهما لطم للناس بأن حاله فيما ذكره يستوي فيه الليل والنهار " (٢).

٢- حذف اللفظ (للماضي) المجزوم: مثل قول شاعر الحملة:

(الوافر)

لَمَّا أَرْمَضَ شَرًّا كَتَبَتِي مَزِينِ ثَلَاثُ مِثْمِ الثَّوَالِيحِ وَالْثُجُودِ
أَجَلْ جَلَانِي وَأَعَزُّ قَفَانَا وَأَغْضَى لُبْخُفُوقِي وَهُمُ قَفُودِ
وَأَتْلُوزَ نَابِثَانَا مَغْرَقَى خَرْبِ نَعْمِينَ غَلَى السَّمِيذَانِ أَوْ يَسْمُودِ

حيث " نتصب أجل بفعل مضمر، كقوله قل: لم أر أجل جلاله منهم، لكنه اختصر وحذف " (٣).

(ب) حذف المفعول:

مثل قول عمرو بن ضبيعة الرقشي:

(الطويل)

أَلَا يَتَقَلَّبُ مَنْ شَاءَ ، خَا شَاءَ ، إِنْ شَاءَ يَلَامُ الْفَتَى فِينَا اسْتِطَاعَ بَيْنَ الْأَشْرَ

المشطر الأول من البيت حذف فيه المفعول على تقدير " أي من شاء القول، فحذف
المفعول ما شاء قوله ، ثم حذف المضارع أصار ما شاءه، ثم حذف العائد المنصوب على العبرة " (٤).

ونظر كذلك تعليق ابن جني على قول شاعر الحملة:

(الطويل)

قُلْتُ لِي : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا بِهَوَالِي شَارٍ مُخْشِدٍ مَنْ يَزُودُهَا

بالقول: " مفعول محذوف، أي محمد لها أو محمد ها من يزودها. وحذف المضارع، أي محمد أهلها.
وهذا اسم الفاعل من أهدت الشيء إذا وجنته محمودا " (٥).

ولقد حذف أحد المفعولين، كما في حذف أحد مفعولي كفى، في قول قبيصة بن النضر التميمي:

(الوافر)

(١) ابن حمزة: مثل أوليت الحملة: حملة (١٦٥)، ص ٢٢٥.

(٢) اللزوي: شرح ديوان الحملة: حملة (٥٨٢)، (١٤١٢ / ٢) .

(٣) نساء: حملة (٦٩٧)، (١٦٠٠ / ٢) .

(٤) ابن جني: مثل أوليت الحملة: حملة (٢٨٤)، ص ٣٤٢.

(٥) نساء: حملة (٣٥٥)، ص ٣٩٥.

القضايا البلاغية الفصل الأول: علم المعاني النكر والحذف

أَلَا إِنَّا عَمِينَ فَأَخَذْتَنِي وَيَكْفِي عَلَى فَرْحٍ لِيَزِيدَ الدَّهْرُ فَتَابَ
وَمَا لِلْفَتَنَيْنِ لَا تَبْكَى لِحُزْنٍ وَزُرْنِي وَأَبْنِي عَنْهُمَا نَفَابَ
وَعَبْدِي إِذَا مَا لَوْلِي شَيْءٌ وَمَا يَخْفَى بِزُرْنِي مَنَاءَ خَابَ
وَجِئْنَا أَفْزُونَ الْأَنْوَالِ هُنَا وَجِئْنَا مَنَاءَ نَصَبَتْ لَنَا الْإِنْفَابُ

لـ " قوله (الرب الدهر كاف) قد حذف أحد مفعولي كنى، كنهه كاف التمس ريب الدهر، أي ما ريب من أحداثه " (١).

أو قد بحذف المفعولين، كما في قول سلمى بن ربعية:
وَمَنْحَاخٍ نَارِئَةٍ كَلْبِيَتْ وَفَارِسٍ نَوَاسِتٍ قَلْبِي مِنْ مَنَاءِ مَطَاةٍ وَعُلْبِ

إذا نجد أن " وكنيت يتعدى إلى مفعولين وقد حذفهما، كله قال: كنيته المنيورة. يقول: ورب منزلة فلخت، لما دفعت أشر فيها، وكنيت قومي الاهتمام بها؛ ورب فارسي سميت رمحي من دم ظهره للحال بعد النهل " (٢).

وقد كثر ورود هذا الشكل من أشكال الحذف - أعني حذف المفعول - كثرة مفرطة، ولعل من أكثر الشعراء الذين أشاروا إليه وفيهوا عليه المرزوقي (٣)، ولكنها إشارات تقف - في معظمها - عند الجانب النحوي، مفتقرة إلى الجانب البلاغي في التحليل والتفسير.

(ج) حذف الجملة الفعلية:

وقد تحذف الجملة الفعلية، للاختصار والإيجاز، كما جاء في قول شاعر الحملة: (حسان بن شبة) (الطويل)
مَنْعُوا نَحْنُ قَيْلِ الْقَوْمِ يَنْتَبِزُونَ بِأَسْبَابِهِمْ خَشَى خَوْفُ فَتَنْطَبِرُونَ

" في الكلام اختصاراً، كنهه قال: ابتكروه بالأسباب وضربوه حتى سقط، فحذف ضربوه " (٤).

٣ - الحذف في جملة الشرط:

(أ) حذف جواب إن:

مثل قول رجل من لعنير، وقد قرئ لأبي الغول الطهوي:

إِذَا لَمَّامٌ بِشَمْرِي مَفْطَرٌ خُشْنٌ جُنْدُ الْخَلِيفَةِ إِنْ نُو لَوْثَةٌ لَانَا

" فلن قلت: فلين جواب قوله: إن نو لوثة لانا، قول: محذوف، دل عليه قوله: خشن، أي إن لان نو لوثة خشنوا هم. ودل المفرد الذي هو خشن على الجملة التي هي خشنوا لو خشنوا، وذلك لمصلحة اسم الفاعل وما يجري مجراه الجملة، بما فيه من الضمير " (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (٣٥٨)، (١٠٣١، ١٠٣٠ / ٢).

(٢) لسان: حماسة (١٧٨)، (٥٤٩ / ١).

(٣) قطر على سبيل المثال لا الحصر: المرزوقي: شرح ديوان الحملة، حماسة (٤٠١)، (١١١٩ / ٢)، وحماسة (٤٠٣)، (١٠٣ / ٢).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (٥٧٨)، (١٣٩٠ / ١)، وحماسة (٥٧٩)، (١٤٠٥ / ٢)، ... الخ.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حماسة (١١٣)، (٢٣٩٠، ٢٣٨ / ١).

(٥) من جلي: مثل بيت الحملة، ص ١٨، ١٧.

وقول عمرو بن معد يكرب:

لَسِيَنَّ الْجَنَّةَ أَلْ بِمَنْزِلِي . فَكُلُّ عِلْمٍ فَإِنْ رُؤِيَ بِيْ بِيْزْدَا

"جواب إن محذوف بدل علميه ما يصحبه، وهذا كقولك: أنت ظالم إن فعلت، أي على معنى إن فعلت ظلمت، فكذلك هذه فكلمة قل: "إن ربيت بردا" فاعلم أن الجمال في إعداد آلة الحرب لاجتياز المجد، لا فيما نلته، وتجميل به" (١).

(ب) حذف جواب لما:

مثل قول المساور بن هند:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فَبُتُّ غَمِيضًا تَوَقُّدًا نَارِيًا وَتَمَنُّرًا

"جواب لما منتظر، وهو هنا محذوف بدل عليه الكلام، كنه قل: انقبضنا عن النهوض ليها والحراك، لننظر ماذا نكون" (٢).

(ج) حذف جواب "لو":

كما في قول الضمير الحارثي:

وَقَدْ نَاصَبِي مَا جِزْتُ الْخَرِبَ بَيْنَنَا بَنِي غَمَا ، لَوْ كَانَ أَمْرًا مُذَاتِيَا

"جواب لو محذوف أي لو كان أمرا مدانيًا قريبًا يغتفر مثله لغفرنا، دل عليه قوله: بني غمنا لأنهم إذا كفروا بني عم كانوا بالعمو فيما يحسن فيه العفو خلقاء" (٣).

٤ - الحذف في شبه الجملة:

(أ) حذف المضاف:

وشواهد كثيرة ومتعددة، وسكتني هنا بشاهد أو اثنين، مشيرًا في الهامش إلى باقي الشواهد الموجودة.

مثل قول أبو حنك الأبراه بن رعي الفقيهي:

ثَنَانِيَّةٌ خَسَتْهَا ثَوَابِيَّةٌ فَمُؤْمَنَةٌ بِهِمْ كُنْتُ أَغْبِي مَا أَشَاءُ وَأَتَنَعُ

يقول ابن جني: "أصل هذا ما أشاء أعطاء، لحذف المضاف لدلالة الموضع عليه، فصارت أشاء، ثم حذف الضمير من المصلة على جري العرف فيه وللعادة" (٤).

وقول بشر بن المغيرة بن المهلب بن أبي صفرة، وقال بُشَيْر:

وَكُلُّهُمْ أَلَا نَالُ شَيْئًا لِيَنْظُرَ بِهِ . وَشَيْئٌ الْفَتَى نُؤْمُ إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ

(١) ابن جني: مشكل لبيت المصنف ص ٧٣.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان المصنف: جملة (١٥٥)، (١/١٦١).

(٣) ابن جني: مشكل لبيت المصنف، ص ٥٨.

(٤) نفسه، ص ٢٢٠.

له " الشيع الشيء من الطعام المشبع، والشبع مصدر شبع وت إذا كان كذلك وجب حذف المضاعف، أي ونيل شبع الفتى لؤم. ألا ترى أن نفس الجوهر المشبع ليس لؤماً ولا كرماً " (١).

وبيضق المقام عن ذكر باقي الشواهد التي شغلت حيزاً كبيراً من أسلوب الحذف عند الشراح (٢)، والتي يظهر من حللها اكتفاء الشراح بالتنبية على موضع الحذف، ونوعه، دون التطرق - في كثير من الأحيان - إلى غرضه، وأثره البلاغي في السياق.

(ب) حذف اسم الزمان:

وقد كثر بشكل مفرط، لذلك سنكتفي بشاهد، ونشير إلى باقي تلك الشواهد في الهمش، مثل قول شاعر الحماسة: (عمرو بن معتكرب)

وإنَّ صُنَّجٍ مَسَابِرًا يُوعِـنُنِي مَالِئَةً فِي السَّاسِ مَا عِشْتُ حَبِيرُ

له " موضع ما عشت ظرف، بيانه أن ما مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزمان محذوف معه، كقوله قال: مدة عشتي " (٣).

٥ - حذف الحرف:

ولم يحذف الحرف تخفيفاً في النطق، وبعنا عن الاستغناء. ومن أهم الحروف التي تحذف وحصر الشراح على الإشارة إليها:

(أ) حذف حرف الجر " من ":

مثل قول شاعر الحماسة:

إنَّي امْرُؤٌ نَجِدُ الرَّجَالَ غِذَاؤِي وَجِدُ الرَّجَالَ مِمَّنِ السُّبَابُ الْأَذَى

" أراد من عذائتي، ألا تراه قال فيما بعد: وجد الركاب من السباب " (٤).

موضحين سبب الحذف أحبباً، كما في قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

شَفَقْتُ الْقَتْلَ ثُمَّ نَزَرْتُ لِيهِ فَنَوَاكُ فَبِئْسَ فَاثِمًا الْفُطُورُ
تَغْفَلُ حَيْثُ لَمْ يَنْلُغْ شَرَابٌ وَلَا خَزَنٌ وَلَمْ يَنْلُغْ مَنَزَلُورُ

" قوله التام الفطور، أراد الفطور منه، فحذف تخفيفاً، لأن المراد معلوم " (٥).

(١) ابن حسي: مثل بيت المعلقة، حمسية (٥٩)، ص ١٠٦.

(٢) انظر على سبيل المثال ابن حسي: مثل بيت المعلقة، حمسية (٦٠)، ص ١١٠. وانظر كذلك على سبيل المثال لا الحصر: المروزي:

شرح بيوت المعلقة، حمسية (١٢) (٩٠ / ١)، وحمسية (٣٢) (١٦٠ / ١)، وحمسية (٣٢) (١٧١ / ١)، وحمسية (٤٢) (١ / ١)، وحمسية (٦٦) (٢٤٩ / ١)، وحمسية (٧٢) (٢٦٤ / ١)، وحمسية (٤٣٨) (١١٨٠ / ٢)، وحمسية (٤٥٥) (٢ / ٢)، وحمسية (٤٥٩) (١٢٢٣ / ٢)، وغيره الكثير مما لا يتسع للملح لذكره.

(٣) المروزي: شرح بيوت المعلقة، حمسية (٣٥)، (١٨٣ / ١)، وانظر على سبيل المثال لا الحصر كذلك حمسية (١٤٧) (١ / ١)، وحمسية (٢١٢) (٦٤٤ / ١)، وحمسية (٢٦٠) (٧٧٥ / ١).... إلى آخره من الشواهد التي يحصى النظم عن ذكرها جميعاً.

(٤) ابن حسي: مثل بيت المعلقة، حمسية (٧٩)، ص ١٢٧.

(٥) المروزي: شرح بيوت المعلقة، حمسية (٥٥١)، (١٣٥٤ / ٢).

وقول يحيى بن رباب (الطويل)

مخنى مناجيبي واستقبل الدهر منزعني فلا بد أن أنقى جنابي فأصبرعا

" ويقال: لا بد من أن يكون كذا، ولا بد أن يكون كذا، وأن يحذف حرف الجر معه كثيراً " (١).

(ب) حذف حرف الجر " عن ":

مثل قول بعض شعراء حمير: (المنروح)

ولا يخيم الظلماء فإربهم حصى يثقي الصوف مسن خزيمه

" يقول: ولا يجين عن الظلماء فارسهم ليجم، ولا يضعف دونه فيحار، بل يقدم إقداماً تخرق الصوف به عرة مفي، وكرم عرق. والظلماء يتصب على المنعول، الأصل عن الظلماء، فلما حذف حرف الجر تخفيفاً وصل الفعل فعل " (٢).

ومثله قول الربيع بن زياد الحبشي: (المتقارب)

غداة منزرت بالزنا ب تعجبل بالركض أن تلجم

" كان الواجب أن يقول تعجل بالركض عن أن تلجم، فحذف الحار ووصل الفعل فعل. وفي القرآن: "وما أعجلك عن قومك يا موسى" (طه / ٨٣) " (٣).

(ج) حذف حرف الجر " في ":

كقول أوس بن جنابه: (الطويل)

فإن أنت لم تثبز غلى أن تثبزه فمئزة إلى النجوم الذي أنت فابزة

يقول المرصفي: " (أنت قلدره) يريد أنت قلدر فيه فحذف الجار وهو بريدة " (٤).

ويقول الأعلام الشنمري في قول سعد نقيب المازني: (الطويل)

وليس اللون ضفت ، والشراية هينة ومن لا يهتب يحمى غلى مزغب وغبر

" أراد " في الشراية هينة " فعطف حرف الجار لما تقدم ذكره، وهذا كثير في الكلام والشعر كما قال تعالى: " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (يونس / ٣٦ ، ٣٧) ثم قال بعد: " والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة " أراد وللذين كسبوا، لحذف لعلم الملمع " (٥).

وقول الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: (البسيط)

لا تطفوا أن تثبؤوا وثقتكم وأن تفت الأذى غنم وثؤودا

(١) المرزولي: شرح ديوان الحماسة: جمالية (٢٨١) ، (١ / ٨٦٢) .

(٢) نفسه: جمالية (١١١) ، (١ / ٢٢٢) .

(٣) نفسه: جمالية (١٦٢) ، (١ / ١٨٥) .

(٤) المرصفي: أسرار الجملة، ص ٨ .

(٥) الأعلام الشنمري: تولى هرو المقي، ص ٢٥٠ .

"يقال: طمع فلان في كذا طعاماً وطعاماً ومطعماً. وأرسل الفعل بنفسه من دون في، لأن أن الخفيفة والثبينة إذا اتصل بها حروف الجر حسن حذفها لطول الكلام بها. تقول: أنا راغب في أن ألقاك، وطمع في أن يحسن زيد إليك، وحريص على أن أصلك لحار. ولو جعلت مكان أن المصدر قلت: أنا راغب في لقلك، وطمع في إحسان زيد إليك، وحريص على صلتك، لم يحذف حرف الجر. لا تقول: أنا راغب لقائك، وطمع بإحسانه إليك، وحريص صلتك، لأن ما كان بطول الكلام به لم يحصل. يقول: لا تقدروا أنكم إذا أحتتمونا قبلناكم، بالإكرام، وأنكم إذا أتيتمونا كفنا عن أذاكم، لأن عزتنا تمنع من ذلك" (١).

(د) حذف حرف الجر " اللام " :

(الطويل)

مثل قول جزء من بن كليب النقيعي:

ثَبَّتْني ابْنُ فُؤَادٍ وَالْمُطَاغَةُ كَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَاثَا أَنْ شَتَوْنَا لِنَاثَا

"قوله " أن شتونا " موضعه نصب، أصله لأن شتونا، فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل لفعل. ومعنى شتونا: قحطنا وأثمتنا في التحط كما تقول شتونا بمكان كذا. ويقال: اثبتنا، إذا أريد خلقنا في الشتاء" (٢).

(هـ) حذف حرف الجر " الباء " :

وحذف الحار - ومنها الباء - مع أن كثيراً، كما في قول تيلة بنت النضر بن الحارث: (الكامل)

ثَلَاثَ سَيُوفٍ بَنِي أَبِيهِ تَوَاتُوهُ هَهُ أَزْهَامٌ هَـ هَـ هَـ تَشْتَقُّ
أَحْمَدٌ وَأَتَتْ نَجْدًا نَجِيَّةً مِنْ قَوْمِهَا وَاللَّحْنُ فَحْلٌ مَفْرِقٌ
مَا كَانَ مَنَزَلُكَ لَوْ مَثَلْتَ وَزَيْمًا مَقَى الْفَتَى وَفَوْقَ الْغَبِيطِ الْغَضَبُ
وَالْمَضْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَسْبَبَتْ وَسَبِيلُهُ وَأَحْفَقُهُمْ إِنْ كَانَ عَشَى يُطَوُّ

وقولها وأحقيهم إن كان عشى يعنى أرائت: وأحقيهم بأن يحق إن كان عشى، أي إن وقع عشى، فحذف الباء، وحروف الحر مع أن تلقى كثيراً" (٣).

(و) حذف حرف الجر " على " : مثل قول كنزة في مية:

أَلَا خَبِذَا أَفْلَ الْعَالِ عَزَّ أَهْ إِذَا تُكْسِرَتْ مَرْيُ فَلَا خَبِذَا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَرْيُ مَسْخَةٌ مِنْ مَلَاخِي وَتَحْتَ الثُّيَابِ الْحِزْنُ لَوْ كَانَ بَابِيَا
أَلَمْ تَرَ لِي الْعَمَاءَ يُخْبِلُ طَفْعُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْ الْعَمَاءُ فِي الْفَتَنِ صَالِيَا
إِذَا مَا أَشْفَاءُ وَارِدٌ مِنْ ضَرْوَةٍ ثَوْنِي بِأَضْغَابِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
غَدَلِكِ مَرْيُ فِي الثُّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَتَوَاتِيهَا يُخْبِلِينَ مَذْهَبَا الْمُغَايِرَا
فَلَوْ لِي غِيلَانُ الشُّكْلِ بَدَتْ لَه مَجْرَدَةٌ يَوْمًا لَنَا قَالَا لِيَا
فَقَوْلِي مَضَى مِنْهُ وَلَيْكِنْ لَرَدُّ إِلَيَّ لَحِيرٍ مَرْيُ أَوْ لِمَنْبَغِ مَنَالِيَا

(١) اللطرونقي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٥٥)، (١٢٤ / ١) .

(٢) نفسه: حماسة (١٢)، (٢٤١ / ١) .

(٣) نفسه: حماسة (٢٢٢)، (١٦٦ / ١) .

"قولها بأضغاث الذي جاء، تريد جاء عليه، فحذف حرف الجر ووصل الفعل بنفسه، فصار جاء، ثم حنف الضمير من الصلة استقلالاً واستطالة لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً: الموصول، والفعل، والتفاعل، والمنقول. ومن حوز حنف الجار والمجرور من الصلة فالأمر عنده أقرب" (١).

ومما وقع فيه حنف "على" مع "أن" لطوله بصلته، قول حنف بن حذاف: (السيط)

مَا أَقْدَرُ اللَّهَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَيَّ شَخِطٌ مِنْ دَارَةِ الْخَرْنِ مِنْ دَارِهِ مَنْوِلٌ
اللَّهُ يَنْطَلِقُ بِسَنَاطِ الْأَرْضِ يَبْتَهِنَا خَشْيَ يُسْرِ الرُّبْعِ مِثْلُهُ وَهُوَ مَاوِلٌ

"قوله" ما أقدر الله "لفظه تعجب ومعناه الطلب والتمني. وكان الواجب أن يقول: ما أقدر الله على أن ينجني، فحنف الجار، ومثل هذا الحنف يكثر مع أن لطوله بصلته" (٢).

(ز) (الالف: كما في قول رجل من شعراء حمير:

كَلَّمْنَا الْأَمْسَدَ قَبْلِي غَمِيرِيهِمْ وَنَحْنُ كَالنَّيْلِ جَائِعٍ قَبْلِي قَتْبِيهِ

"ينبغي أن يكون ما أراد في قتلته، فحنف الالف تخفيفاً" (٣).

وقول عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

عَلِمَ تَقُولُ السُّرْمُخَ تَقُولُ سَابِجِي إِذَا أَنَا لَمْ أَظُنْ إِذَا الْخَيْلُ قُرِبَ

يقول الشارح: "ما في الاستهلال إذا اتصل بحرف جر بحنف الالف من آخره تخفيفاً، على ذلك فم وبم ولم، إلا إذا اتصل ما بدا قلت: بمانا ولماذا، لأنه يترك على ثمانه" (٤).

(ح) (الهاء: كما في قول عبد الملك بن عبد الرحيم العارضي، ويقال إنه للسروء ابن عاتيا اليهودي: (الطويل)

وَمَا قُلْتُ مِنْ قَاتِلٍ بِقَاتِلِهِ مِثْلَنَا شَيْءٌ شَتَانِي بِالْغُلَا وَقَهْوِلُ

"وقوله شامى أراد تسلى، فحنف إحدى التامين استقلالاً للجمع بينهما" (٥).

وقول حبيبة لبنة عبد الحمزي: (الكامل)

أَلَيْسَ الْفَتَى نَزَّ بِمَنْكَأ نَائِيٍّ فَفَصَحَا مَفَاسِمَهَا التَّجْبِيعُ الْأَسْوَدُ
إِلَيْهِ وَزَيْدُ الرَّاقِصَاتِ إِلَيْهِ مَنِيٍّ بِغَنَابٍ مَنَافُةٌ هَذِيئٌ مَنَافُةٌ
أَوَّلِيٍّ عَلَى هَذِهِ الطُّفْطَامِ أَيْلُةٌ أَيْلُةً وَلَكِنِّي أَوَّلِيٍّ وَأَنْشَفُ

"تريد ابتلاك ناهي، أي أنتحبس وتبطل، فحنف إحدى التامين تخفيفاً، لأن الإدغام ممتنع هنا" (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٦٦٨)، (٢ / ١٥٤٢، ١٥٤٣).

(٢) نفسه: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٣١).

(٣) ابن حني: مشكل لبيب، الحماسة: حماسة (٧١)، ص ١١٩.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٩)، (١ / ١٥٩).

(٥) نفسه: حماسة (١٥)، (١ / ١١٢).

(٦) نفسه: حماسة (٧١٦)، (٢ / ١٦٣٦).

(ط) حذف حرف " التو " : والتي قد تحذف النون استطلاعة للاسم بصلته، كما في قول العديل بن النفرخ المعلي:

هَذَا نَفْسُ الْأَرْضِ الْأَذَا لَوْ تَرَفَّرَهَا تَرَفَّرَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى الْمَ
" أراد اللذان، فحذف النون لطول الاسم بصلته " (١).

" أراد تشويقني، فحذف النون الثقبة على ما تقدم " (٢).

أو للتخفيف كما في قول الطرماح بن حكيم الطقي:

(الطويل)
وَأَنْسَى شَقِيًّا بِأَلْسِنَامٍ وَلَا شَرِيًّا شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا غَرِيمَ الشُّنَابِلِ
" قوله " وبني شقي " أصله أنني، لكنه حذف النون الأولى من أن تخفيفاً لأنه اجتمع ثلاث نونات " (٣).

وقد يروق الشارح في ذلك ما يدعم رايه من أشعار العرب، من خلال نثره للمعنى، وشرحه له، كما جاء في قول رجل من بني كليب:

(الوافر)
وَحُشِنَتْ نَاقَاتِي طَرِيًّا وَشَوْفًا إِلَى مَنْ هَلْجَبِينَ شَوْقِيئِي
يقول الشارح " قوله شوقيني حذف نونه استقلاً لاجتماع نونين، والأصل شوقيني. ومثله في الحذف قول الآخر:

يُسَوِّدُ الْفَالَيْتِ إِذَا لُنِيَّتِي

يريد فليتنى. والمعنى: اشتكت نلقتي حقاً لطربها وشوقها. ثم أخذ بحاضها منكراً عليها ما ظهر منها فقال: شوقيني بحنينك إلى من؟ أراد أنه مع حصول اليأس يحب ألا تحن ولا تشوق. ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتاق إليه، فكأنه قل: تشوقيني إلى من بحنينك؟ أي إلى إنسان وأي إنسان؟ ومن من قوله إلى من في هذا الوجه يكون نكرة غير موصوفة وإن كان الكلام خبراً، وفي المعنى الأول يكون من استنهداً. ونقول: مررت بما صالح، ومررت بمن كريم. تريد بقسني كريم " (٤).

(هـ) حذف " الباء " : مثل قول بشر بن المغيرة:

فِيَا عَمَّ مَهْلًا وَتَجَلَّيْ لِنَوْنِي تَبْلُمُ فَنِي السَّهَرُ خِمٌّ نَوَائِي

" وقوله " يا عم " حذف الباء منه لوروعه موقع ما يحذف في هذا الباب، وهو النونين، ولأن باب النداء باب إيجاز، ولأن الكسرة تدل عليه " (٥).

(١) ابن جني: مشكل أبيات الحماسة: حماسة (١٣٣)، ص ١٩٣.

(٢) نفسه: حماسة (٥٨)، ص ١٠٩.

(٣) المروزي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٥٦)، (١ / ٢٢٧).

(٤) نفسه: حماسة (١٠)، (١ / ٢٦٩).

(٥) نفسه: حماسة (٧٢)، (١ / ٢٦٦).

(ك) حذف الهمزة: قبلى جلق حذف الهمزة تخفيفاً، كما في قول المهلول بن هبيرة: (الطويل)

أَتَقْنِي وَفَزَ لَا تَنْزِ الْغُرْمَةَ عِزْمَةً إِنْ لِي خَالِدٍ مِنْ آلِ مُلْعَى بِنِ جُنْدَلٍ
فُنَا أَيْتَقِي لِي مَا لِيكَ يَغْدُ ذَابِعٌ وَلَا أَيْتَقِي لِي دَابِعٌ يَغْدُ نَهْشَلٍ
وَمَا أَيْتَقِي لِي نَهْشَلٌ يَغْدُ جُنْدَلٍ إِذَا مَا ذَعَا الدَّاعِي لَأَمْزٍ مُجْدَلٍ
وَمَا أَيْتَقِي لِي جُنْدَلٌ يَغْدُ خَالِدٍ لِبَطَارِقٍ لِيْلٍ أَوْ لِيْلَانٍ مُكْدَلٍ

" قوله (الكتبي) أي أعنى على إداء اللفظ، وهي الرسالة. وقد تقدم القول في هذه اللفظة: وإن أصلها اللفظ، فقلب وقد لزم على الهمزة فصار للكتبي، ثم حذفت الهمزة استغناءً وأقيمت حركتها على اللام فصار اللفظ " (١).

أو لكثرة الاستعمال كما في قول قرط بن حنشل الصاردي: (الطويل)

لَقَسُومِي أَرْغَى لِقَاسِي مِنْ عَمَانَةٍ مِنْ النَّاسِ نَا خَارٍ بُنْ عَمِرٍ مَسْنُودَهَا
وَأَنْتُمْ مَسْنَاءُ يُعْجِبُ النَّاسَ بِزَهَا بِأَبْدَةٍ تَجْجِي شَبِيدَ وَبِيدَهَا
نَقَطُوعٍ أَطْنَابِ النَّبِيبِوتِ بِخَابِيبٍ وَأَقْلَبُ شَرِيحَ بَزَقْهَا وَزَعُودَهَا
فَوَيْلُهَا لَخَيْلٍ يَهْمَاءُ وَشَارَةِ إِذَا لَأَقْلَبُ الْأَعْدَاءَ لَدَوْلَا مَسْنُودَهَا

" وقوله لويلها خيلاً انتصب خيلاً على التمييز، وحذفت الهمزة من أم في قوله ويلها لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هنا بقبول. واللفظة تفيد التعجب " (٢).

قد يحذف أكثر من حرف في الكلمة، مثل:

- حذف الهمزة والياء: كما في قول مرة بن محمّل: (البيط)

مَآذَا تَزَيَّنَ أَتْلِيهِمْ لَأَرْحَلَا لِي جَانِبِ الْبَيْتِ أَمْ تَبِيَسِي لَهْمٌ قَيْنَا
لِعَزْمِ السَّرَادِ مَقْصِي بِحَاجَتِهِ مَنْ تَمَانِ وَغَرَّةَ تُمَا أَوْ يَقِي خَمْتَا

" ترين: أصله ترأين، لأنه فعلين، فحذفت الهمزة استغناءً بعد أن أتت حركتها على الراء، فصار ترين ثم قلبت الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان، وحذفت الألف منهما فصار ترين. والمعنى: أخبريني بعد رحولك إليهم ماذا نكته في شأنهم، وما الذي يرونه في إقامتهم وطمعهم، لأن أرادوا إطالة اللبث بنيان لهم قبلما يتفردون فيها، فذاك لئس لهم، وأبقى لحشمتهم؛ وإن أرادوا تخفيف اللبث حططناهم يأنسنا، وأنسبهم من رحلتنا في حوائج بيوتنا، لأن الصير مع خفة التلوم منهم على ما يحترض من أحوالهم ممكن " (٣).

- أو حذف النون والياء، كما في قول سويد بن مشنوء: (الطويل)

نَمِي عَمَلَكِ مَسْمُودًا فَمَلَا تَقَرُّوْهُ إِنْ لِي بِسُومٍ وَأَعْرَضِي بِسَبِيلٍ
نَهَيْتُكَ غَلَةً فِي الزَّوَانِ السُّوِي مَضَى وَلَا يَنْتَهِي الْغَاوِي لِأُولَى قَيْلٍ

(١) المرواني: شرح بيان الصلابة: حلاصة (٢٥٦)، (١٠٢٧/٢).

(٢) نسه: حلاصة (٥٦٦)، (١٤٣٠/٢)، (١٤٣٩).

(٣) نسه: حلاصة (١٧٦)، (١٥٦٥/٢)، (١٥٦٦).

" وقوله: لا تذكرته إلى كسر الراء منه لأنه محاطبة مؤنث، والأصل تفكرين، فحذف النون الأولى للجزم، ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين، فصار تفكرن. والمعنى: لا ينتهين نكره إلى، ولا يتجاوزن نكره إلى بسوء. فعلى تفكرن تحبة تتجاوزن إلى، حملاً على المعنى " (١).

٦ - حذف التثوين، كما في قول أعرابي:

(الرحز)

١ - ألا فتى ثاق الغلا بهنه

٢ - لئمن أبوه باتن غم أنه

٣ - قزى الرجال شهتدي بأهه

" قوله ألا فتى تمن، وألف الاستفهام دخل على لا التافية لهذا المعنى، ولذلك حذف التثوين من فتى " (٢)

٧ - حذف الضمائر:

وقد تحذف ضمائر الصلة؛ استطالة للاسم بصلته، مثل قول مع بن أوس:

(الطويل)

وقُذِئت إذا صـاجِبَ رامَ ظُنِّيـي فـهـدَن سـوْعًا بِأُذِي قُذِئت أَفْـعُـسَ
قُذِئت لـهُ ظَـهُـرَ البـجـيـن قُذِئت أَنـم غـنـسـي ذَاقَ إِلا زُرِئت مـا أَتـخـوُلُ
إذا أَصـزَفْتَ ثُـمـسـي عَن الشـئـي لـم تـفـد إِلـيـهِ بِوَجْهِهِ آخِـزَ الدُّهـرِ تَقْبِـلُ

"يقول وادا رأيت صاحبي يتحنى علي ويحترم، ويتطلب علي ما ينتج طنه ويركبه فسمه، وطلق بفتح ثاري، وبسند حسني، فحذته عوا. وقلت له طهر الترس متبياً منه، ومنعاً له، ولم ادم على تلك الحال المستمرة معه إلا قر ما تحول، وبه ما كتلت. فقوله (رام ظنني) أي: رام ارتفاع الشبهة على وقوله (بالذي كنت اعدل) أي: فعله، فحذف الضمير استطالة لصلة الذي" (٣).

وقول عروة بن الورد:

(الطويل)

أرى أُمَ حـمـانَ الغـسـادة تـلـومـنـي تـلـومـنـي الأـغـنـاءَ وَالـثـمـنَ أَخـوَفَ
نـفـسـي الـذي حـوَلَّتْـمـا مِنـ أَمـانـمـا رُـصـابـفـهِ قـمـي أَهـلـهِ المـتـخَلِّفَ

" يقول: لما هممت بالسفر وجعلته مني بيل اعترضت هذه المرأة على وأقبلت تلومني وتحذرنني الأعداء في الوجه الذي أردت تبميمه، ونفسي أشد خوفاً لأنها حلسمة حذرة، لكني تجللت لها وأجبته بأن الذي لاذلتاه من قدامنا، والسمت الذي هو نيتنا وطيتنا، لعله يلقاه المتخلف عن السعي في طلب الرزق المقيم في أهله راضياً بأهول العيش؛ لأن الحذر لا يضي عن القدر، وقد يؤتى الإنسان من ناحية أمنه، ويصاحف فيه ما لا يصاحفه الخلف من ناحية خوفه. وقوله حوَلَّتْنا حذف الضمير للعقد إلى الذي منه، استطالة للاسم بصلته " (٤).

أو يحذف الضمير تخفيفاً، كما في قول إلياس بن مالك:

(الطويل)

بـلـا ثـلـثـتـمـا طـمـاعـ بـقـبـيـمـة . وَالـذِ قـبـدَرُ الرُّخـصَـنَ مـا هـوَ قـبـابُزُ

(١) الموزوني: شرح ديوان السلف. حلبية (١١٣)، (١٤٦١، ١٤٦٢).

(٢) بسمه حلبية (٧١٠)، (١٧٦٠، ١٧٦١).

(٣) بسمه حلبية (٤٠٤)، (١١٣١ / ٢).

(٤) بسمه حلبية (٧١٥)، (١٧٦٢، ١٧٦٣).

الضمائر البلاغية ————— الفصل الأول: علم المعاني ————— الذكر والحذف

" المعنى: كل واحد من الفاعلين طمع في اختتام صلح به، أي بعده ضيمته، لثقت به بيلمه ونجسته. والله عز وجل قد قدر من الإظهار وإعطاء الفلج والغلبة ما قدره لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره. ويقال قدر من التقدير، قدرأ وقدرأ. ر" هو قدر " إن شئت جعلت ما موصولا بمعنى الذي، وإن شئت جعلته موصولا بمعنى شيئا. وعلى الوجهين وجب أن يقول ما هو لقدره، فحذف الضمير تخفيفا " (١).

أو لأن المراد مفهوم، مثل ما جاء في قول المتنم بن رباح:

وَقَدْ نَزَّاهُ نَاجِزَةً وَضَعْتُ بِالْفَرَّةِ وَالطَّرِيقِ غَائِثِيَّةً لِقَوْلِي وَقَدْ
بَنَيْتُ لِي فِي جَانِبِيَّةٍ جَزْئِيَّةً يَنْبِرِي الْأَصْنَمَ مِنَ الْجِطَامِ وَيَقْطَعُ

" قوله " غائثية العوافي " وجب أن يكون فيه ضمير للثقات، حتى يكون بين ذي الحال وبينه تعلق، فحذف ذلك الضمير لأن المراد مفهوم، ولو أتى به لكان والطير غائثية العوافي إياها وقع عليها " (٢).

أو لأن الضمير لا يخل، مثل ما جاء في قول برج بن مسهر:

مَنْزَتْ مِنْ لِسَى الْمَرْبُوتِ حَتَّى تَخَاوَزَتْ إِلَيَّ وَتَوْبَسِي مِنْ قَنَافَةِ شُجُونِهَا
إِلَى رَجُلٍ وَتَجِسِي النُّطْقِي عَلَى الْوَجْهِ بِقَافَا وَتَنَاقِلِي بِالْأَسْتَامِ مَسْمِيْنَهَا
فَلَيْلَ لَوْمْ مَبْنُوعَا بِالْفَرَاوِيلِ طَبْخَةً وَلِلطَّرِيقِ مَبْنُوعَا فَرَشَتِهَا وَجَنِيْنَهَا

يقول للشارح: " ويشقى بالمتن سمينها، أي بالمتن له، فحذف الضمير لأنه لا يخل. والمعنى أنه لا ينحر سمان الإبل للغة والضيوف. وقوله فللقوم منها بالمرحلة طبخة منها رجع الضمير إلى قوله سمينها، لأنه أراد بها الجنس. وهذا إخبار عن حالتها وقد جزرت. فيقول: للوارد منها طبخة في المرحلة، وللطير لفرشها والولد الذي في بطنها " (٣).

٨ - حذف المصدر:

مثل قول زبغة الحارثي:

وَمَا تَزْدِينَا الْكَبِيرَ إِذَا غَلَبَتْهُمْ إِذَا كَلَمُونَا أَنْ تَغْلِبَهُمْ نَزَرَا

" ينقص قوله " نزارا " على أنه صفة لمصدر محذوف، لكنه قال: نكلهم كلاماً نزاراً. والمعنى لا يستخفنا التكبر إلى أن تتعالى عليهم، ونقل الكلام معهم ترففاً عن مساواتهم، بل نبسطهم وتكثروهم في القول والمقال، اينما لهم وتمكيناً منهم " (٤).

وقول حجر بن خالد:

مَشَى تَلْعَ تَلْعَ الْبَأْسُ وَالْجُودُ وَالْثَقْدَى وَشَصْبَحَ الْوَصْنُ الْخَمَزَ جَزَاءً خَائِلًا
لَا مَلِيكَ مَا يُزِيغُنَا مَضِيَّةً وَلَا مَسْوِفَةً مَا يَنْتَحِفُ نَابِلًا

(١) المروقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (١٩٤)، (١ / ٥٩٨، ٥٩٧).

(٢) نفسه: حاشية (٢٢٧)، (٢ / ١٦٥٢، ١٦٥١).

(٣) نفسه: حاشية (٧٨١)، (٢ / ١٧٤٨، ١٧٤٧).

(٤) نفسه: حاشية (٦٢)، (١ / ٢٤٥).

للتأليف البلاغية **=====** للفصل الأول: علم المعاني **=====** الفكر والحذف
 "وقوله ما يمدحك باطلا أولا مدحا باطلا، فقتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف" (١).

٩ - الحذف في أسلوب النداء:

مثل حذف المنادى، كما في قول حفص بن عليم:
 فَيَا رَبِّ إِن لَّمْ تَقْضِهَا لِي فَمَا تَذَعُ فَيَذَرُوهَا وَأَقْبَضُ فَيَنْزِلُهَا مِنَّا هِيََا
 وَيَأْتِيَتْ لِي أَنَّهُ إِنْ لَّمْ أَقْبَضْهَا فَيَضِي بِئِنَّ مُنَى ثَلَاثِينَ أَلَا تَلْهِمُنَا
 فـ " قوله باليت يريد: يا قوم ليت، والمنادى محذوف، والكلام بعده ممن في ألا يحصل الاجتماع بين
 متحليين إن لم يبرزق مثله في صديقه" (٢).

هذا إلى جانب أشكال كثيرة من الحذف أشار الشراح إليها، ويضيق المقام عن ذكرها، مثل: الحذف في
 أسلوب القسم (٣)، الحذف في أسلوب التفضيل (٤)، الحذف في أسلوب الاختصاص (٥).

ومن خلال هذه الأشكال والأنواع من صور الفكر والحذف، نستطيع أن نلمح مسلك الشراح في تناول
 تلك المسح من مباحث علم المعاني، الذي جاء جزء من كل، فما ينطبق على علم المعاني ككل ينطبق عليه بقتبية
 من حيث: درجة اهتمام الشراح، وأسلوب التناول .. إلخ، والتي سبق الإشارة إليها من قبل.

لذلك جاءت إشارات الشراح في هذا المقام تجاه هذا المبحث - شأنه شأن غيره من مباحث علم المعاني -
 مختصرة موجزة، ونظم وفق الإجمال التحويلي أكثر منه البلاغي، وإن لم يخل من بعض التحليلات التي ترتبط
 بالمعنى والبيان، الذي يكشف الشراح من خلالهما عن دواعي وأغراض الفكر والحذف وأنواعهما.

(١) المزدولي: شرح ديوان الحماسة: ج ١ (٧١٩)، (٢ / ١٦٤٢).

(٢) نفسه: حماسة (٥٣٧)، (٢ / ١٣٣٧).

(٣) انظر على سبيل المثال: حوزة شرح ديوان الحماسة، حماسة (١٤٠)، (١ / ٤١٠)، وحماسة (٣٧٥)، (٢ / ١٠٦١).

(٤) انظر على سبيل المثال: شرح ديوان الحماسة، حماسة (١٩٤)، (١ / ٥٩٥).

(٥) في: ديوان الحماسة: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٢٦٩)، (١ / ٨٠٨)، وحماسة (٣٨٧)، (٢ / ١٠٨٨)، وحماسة

(٢٨١)، (٢ / ١٠٨٢)، وحماسة (٤٥٣)، (٢ / ١٢١٠)، وحماسة (٧١٤)، (٢ / ١٧٧٢) الخ

الفصل الثاني: مباحث علم البيان وتضاريفه

أولاً : التشبيه

ثانياً : الاستعارة

الفصل الثاني: مباحث علم البيان وتضاميه

أولاً: التشبيه:

التشبيه لغة التمثيل فقد جاء في لسان العرب " الشبه والتشبيه: المثل، وأشبه الشيء مثله، وأشبهت فلاناً وشابهته وأشبّه علي، وتشابه الشينان واشتبهتا: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل " (١).

أما اصطلاحاً فيتفق البلاغيون - علي كثرة تعريفهم له - علي أن مدار التشبيه هو الاتفاق بين شيئين، في صفة أو أكثر، فهو " صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جيات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو نسبته مناسبة كلية لكان إياه" (٢)، أو "هو الوصف بأن أحد الموصوفين بنوب مناب الآخر بلادة التشبيه، نوب منبه لو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه" (٣)، أو "هو الدلالة علي مشاركة امر لآخر في معنى" (٤).

وقد اختلف البلاغيون في موقع هذا الفن من علم البيان، فالفلساكي ومن تبعه لا يعنونه منه - وإن بحثه فيه - لأن دلالاته وضحية، بينما عده آخرون ركناً أساسياً، بل أهم الأركان فيه (٥).

والتشبيه " فن جمل من فنون القول، وهو يدل علي دقة وملاحظة الأشياء والتطائر في الأشياء، سواء أكتت مخليات تترك بالحواس الضاهرة أم معنويات " (٦)، فهو " يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه توكيداً، ولهذا أُلِيق جميع المتكلمين من العرب والمعم عليه، ولم يستغن أحد عنه " (٧).

وقد تنبه العرب منذ القدم لأهمية التشبيه ودوره في توضيح الصورة الفنية، وكان لتشبيهات القرن وما زخرت به أحاديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - من التشبيهات البديعة، التي يرجع معظمها إلى روح القرن وصوره البيغية، أثر في كلام العرب فأدارها الشعراء في قصصهم واتخذها الكتاب أسساً لتصويرهم، فقلزوه مكفة متميزة في طوم البيان، وعقدوا له باباً واسعاً يحدد معناه، ويبين أركانه، ويوضح أقسامه وأنواعه، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فألف الكتب الخاصة، كان نقيباً البغدادي (ت ٤٨٥ هـ) صاحب " الحمان في تشبيهات القرآن"، وهو أول كتاب يجمع الألف القرآنية التي نوسحت بهذا الفن، ودرسها دراسة فيها أصالة ورفق سليم (٨).

وقد تأثر سراح الحماسة بمن سبقهم، فماروا على نهجهم، ولم يغفروا بعيداً عن السورب، فاحتفوا بالتشبيه أيما احتفاء، ونهبوا عليه وعلى مواضعه داخل شروحهم، متجهين إليه بالشرح والتحليل.

(١) انظر: ابن منظور: لسان العرب: (شبه).

(٢) ابن رشيق: الصنع: ٢٨١/١.

(٣) أبو حنبل العسكري: الصنائع: ١٢٩.

(٤) القزويني: الإيضاح: ٢١٣.

(٥) نظري: ابن بطرب المغربي: مواهب السناج: ٢٩٠/٣، محمد بن عرفة السموكي: حاشية السموكي: ٢٩٠/٣.

(٦) عبد الرحمن حسن جينكة البوداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، وصور من تشبيقاتها، ببكر حديد من طريف وتليد: ١٢٦، دمشق: دار الشامية، بيروت، ط ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م، (٢ / ١٦٥).

(٧) أبو حنبل العسكري: الصنائع: ص ١٩١.

(٨) انظر: د.محمد مطلوب: فنون بلاغة النبل والذريع، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م، ص ٢٧، ٢٨.

ونراهم في تحليلهم للصورة للتثبيبه، يتعمقون في معناها الدلالي، وطرق الشعراء في صوغها، ومدى توفيق الشعراء أو إخفاقهم في تتولوها، وذلك عبر أحكام ومقاييس نقدية تتوافق مع العدالة والموضوعية في النقد والشحيص. وغيره الكثير من أشكال التعليق والتحليل التي سنكتشف عنه الصفحات التالية.

شرح الصورة التثبيبه وتحليلها:

نعد الصورة التي يدل عليها التشبيه أكثر ميقا وأوضح دلالة وأنى أداء من الكلمات التي نل بوصفها المعنوي على المعنى مباشرة، دون استخدام التشبيه، لذلك فقد تناول الشراح الصورة التثبيبه بشرح والتحليل من أجل هذا المقصد.

ولذلك كل اهتمام الشراح في إطار هذه الصورة بالتشبيه، واعتنوا عليه - خاصة المرزوقي - في إضاءة المعنى الشعري والكشف عن دلالاته، بل إن التشبيه - عديم - أصبح لب الصورة الشعرية، فهو إلى كل بصره عصارا من عناصرها، فهو بختم جواب أخرى. ومن ما يحطّل الشراح من خلال تلك السطوة الفنية بتوضيح أركان التشبيه وأطرافه في إطار ضبط الصورة وتنقيها.

هم يكونون أحبنا شرح التشبيه في تفسير معنى البيت وكشف دلالاته، كما فعل المرزوقي في تعليقه على هذا البيت في وصف صفاء الأنساب:

قال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسوداء ابن عاتيا اليهودي: (الطويل)
فَنَحْنُ فَمَاءُ الْمَرْزُوقِ مَا قَبِي نَصَابِنَا فَهَامٌ وَلَا فِينَا بَعْدُ بَغِيْلُنْ

" ماء المطر أصفى المياه عندهم، فثبه صفاء أنسابهم بصفاء ماء المطر. والمزّن: السحاب. وقوله: ما في نصابنا كهاتم، أي ليس فينا خليل الحده، ولكن كلّ منا ماضٍ نلتذّ، ولا فينا بحيل فيعد. وهو نفى للجل رأساً، وليس يريد أن فيهم بخيلاً ومع ذلك لا بعد " (١).

وكما فعل أيضا الشراح في تعليقه على هذا البيت لتشبيب بن اليرصاء المري: (الطويل)
أَلَمْ تَرَ أَنَا نَوْرٌ قَمُومٌ وَأَنَا يَتِيْنٌ فَمِي الظَّلَامِ لِلْأَسَاسِ نُوْرُهَا

فقال: " شبه قومه في شهرتهم والاعتناء بصحة رأيهم بالنور في الظلام " (٢).

ويأتي تحليلهم للصورة للتثبيبه ضمن تحليلهم لمعنى البيت، حتى يبدو كله منبثق عنه، مما يدل على قوة الصلة والوشيجة التي تربط التشبيه بالدلالة والمعنى. وأكثر ما نطالع ذلك عند النمرى على وجه الخصوص، لأن إيضاح المعنى - كما أثرنا - هو جهته وقبلته.

(١) نشر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١٥)، (١١ / ١٢٠).
(٢) الأشم تشنمري: تعلي غور المعنى، ص ٦٦٣.

وامتداداً لذلك الوشيجة التي تربط التشبيه بالدلالة، فقد شرع الشراح - أحيقاً - في انعويل على التشبيه في توجيه ألفاظ البيت ومفرداته. فمن نماذج الاعتماد على التشبيه في توجيه الألفاظ ما ورد في تحليل المرزوقي لقول
 اعترتة بن شداد:

يَنْبَغُ لَا يَنْبَغُ عِي غُرَّةً بِسَائِضِ كَالْقَبَسِ الْغُلَّةِ ب

" والباء من قوله " بلبيض " يحوز أن يريد به شيئاً. والقبس: النار. شبه بها في بريقها ولمعها ويجوز أن يريد به رجلاً كريماً، ويكون على هذا " يتلعب " للنرس. وشبهه بالنار لنكته ونفاهه. واستعمل البياض في الكرم ونفاه المرض كثيرٌ معروف، على ذلك قول الآخر:

لَمْ يَنْبَغُ مِنْ فُضَاعَةٍ^(١)

ولم يكتب الشراح أثناء تعرضهم للصورة التشبيهية، بالإشارة إلى طرفي التشبيه لفظاً، بل تطرقوا كذلك إلى مكوناتها المتعينة، من المشبه، والمثبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، ولكن اهتمامهم بالمثبه به طغى على اهتمامهم بباقي مكونات الصورة التشبيهية، فنراهم يتعرضون له بالتحليل والتدقيق، والكشف عن خصوصيته والسب في اختياره.

ففي تحليله لبيت عمرو بن معد يكرب:

(الطويل)
 لَخَا اللهُ جَزْأً كَلْنَا لُرْ شَارِقٌ وَجُوءٌ بِلَافٍ هَارِشَتْ فَازَنْزَارَتْ

بين المرزوقي المثبه وصفته الدالة في قوله: " كفته شبه وجوههم بوجوه الكلاب في الحالة المذكورة. ويجوز أن يكون اتصل به على البدل من قوله جرماً. ومعنى لحا الله: قشر الله، أي فعل بهم عادة كل يوم، أفكر قوماً يشبهون الكلاب إذا وثبت غيرها وسلورت، ففتقت وتجمعت للوثب؛ وتلك الحالة من لحوالها لشنع وتكر: وهذا تحقيقٌ للشبه، وتصويرٌ لقباحة المنظر " ^(٢).

وفي كشفه للصورة في بيت الأحمص بن محمد:

(الكامل)
 (بُيْ) إِنَّا خَفِىَ الزَّيْجَالُ وَجُتْنَتِي خَالِشُنِي لَا تُخَفِّسِي بِكُلِّ مَقَامٍ

بين المرزوقي للمثبه وصفته عندما قال: " يصف استناره في الأماكن وجلالته في النفوس، فيقول: إذا غشي الرجال خمولٌ لثبتي في شهرتي وبهاغتي كالشمس التي يتصل شعاعها بكل مكان، ويعرف شأنها في كل نفس وكل زمان " ^(٣).

(١) شريوني: شرح ديوان الحماسة - حماسة (١٤٤)، (١ / ١١١ ، ١٢٠) .

(٢) نفسه: حماسة (٢٩) (١ / ١١٠ ، ١١١) .

(٣) نفسه: حماسة (٥٤)، (١ / ٢٢٢) .

وشبهه سعد بن مالك المرأة بالبيض في قوله:
فَالْهَمُّ يَنْحَضُّ الْخُضُودَ وَ هُنَّ لَا السَّمُومُ الْمُسْرَاخَ

" لنللمها وزوال الحجوم عنها. وقال الخليل: بيضة الخدر هي المجارية المخدرة الجميلة " (١).

أما عن التشبيه به وصفته الدالة، ليعود في قول المرزوقي على قول الفند الزمقي: (الهمزج)
تَنْتَبِهُنَّ بِهَذَا إِذْ فَـ هِرَّةُ الْفُتَّةِ أَمْثَلُ الْبِ
فَجَزَى الْبِ الْفُتَّةِ الْوُزْنُ وَ رِيحُ نَفْسِهِ إِخْفَ الْ

" ولوله " كجيب الدفء " شبه اتساع اللطعة وسرعة خروج الدم منها بتساع جيب المرأة الحمقاء،
ونزوها في روعها، واضطرابها في متخرق لميصها ... وخص جيب الورهاء لأن عادة مثلها أن تخرج اليد منه،
فيتسع خرقه وجعلها مروعة لتنتفع في الإجمال وتزور " (٢).

وفي ليضاح النمري للصورة وبين ما فيها من تشبيه في قول شاعر الحملة: (من الطويل)
وَمَوْفِي جَفَلَتْ غُفَا الْفَوَالِي كَأَنَّ مِسْنَ الْبُؤْسِ مَطْلَبِي بِهِ الْفَسَا أَجْزِي

فيه تشبيه " فالعوى ما هنا ابن العم، وشبهه بالبحر الأجرب المهنوء، من أجل أن البحر إذا كان كذلك لفرد
من الإبل لئلا يحدها على مذهبهم في العوى " (٣).

وفي قول المرزوقي عن التشبيه الواقع في أبيات الحملة هذه: (الرجز)

بِئْسَ إِذَا مَا التَّوْمُ كَانُوا أَنْجِيَةً

وَاضْطَرَبَ الْفَوْمُ اضْطِرَابَ الْأَرَشِيَّةِ

وَشَدَّ فَوْقَ بَضْنِهِمُ بِالْأَرَشِيَّةِ

هَكَذَا أَوْصِيَنِي وَلَا تُوصِي بَيْنَهُ

" شبه ميلانهم وترجعهم في اختلافهم، بترجع الأرشية عند الاستفتاء عليها من الأبواب البعيدة القعر،
وميلانها " (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصامة: حاشية (١٦٧)، (١ / ٥٠٥).

(٢) لنس: حاشية (١٧٦)، (١ / ٥٤١).

(٣) النمري: معنى أبيات الصامة، حاشية (٤٣٥)، ص ١٥٥.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الصامة: حاشية (٢١١)، (١ / ٦٥٧، ٦٥٦).

أما عن دروسهم للبر في اختيار المثبه ووجه خصوصيته، فمن ذلك ما عقب به المرزوقي على هذا البيت، قل برج بن مسهر الطائي:

وَيْتَرُكَ ذَا الْبَلَاءِ السَّيِّدُ قَاتِلَهُ مِنْ الدُّنْ وَالْبَغْضَاءِ شَهْنَاءُ مَا جُضْ (الطويل)

"أخذ يبين مساس الحاجة في الغزو إلى لتلاف الأوداء، وتعلون الأشقاء، فيقول: وإذا كان الغزو يترك المتكبر الذاهب بنفسه مذاهب نوي الجبرية والعز، وكلته مما لزمه من القتل والبغض للخلاف والحرب، وتسلو الاعتلاء والقهر، ناقة شهباء أثر وجع الولادة فيها فضطت وسقطت. وإتما خص الشهاء بالتكر لأنها أنعم الإبل وأرفها، وأقلها صبراً واضطها" (١).

ولم يغفل الشراح كذلك التنويه عن لفظ التثبيته، أو أداته، والذي قد يكون ظاهراً أو مستتراً إذ كان مضاه من الكلام مفهوماً. وقد تعددت أنواع التثبيته التي استخدمها الشعراء وتنبه إليها الشراح في تناولهم لتحليل الأبيات، كما يبدو من قول المرزوقي عن بيت عمرو بن معد يكرب الذي استخدم فيه التثبيته بالكاف: (مجزوه الكامل)

وَيَنْتَبِذُ لِمِيسِرٍ قَاتِلَهُ نَبِيذُ السُّمَاءِ إِذَا تَبَيَّنَ ذِي

"كلها بدر السماء في موضع الحال للمرأة، أي بدت مثبته النمر" (٢).

وشبه تلميحاً لذكر أنه لخلع الأحمر، وهو الصحيح. نفسه بالحية عندما قال في وصف إبطائه وسكونه. (المديد)

مَنْطَرَقِي يَزْنِيخُ مَوْتَنَا خَصَا طُ نَزَقِي أَقْفَى تَغْلِيثُ السَّمْنِ صَبْلُ

"شبه نفسه في إبطائه وسكونه، منتظراً الفرصة ينتهزها في إدراك ثأره بالحية، وأنه في إمساكه يرشح بالموث لمدهو كما أن الحية إذا أطرق نفت بالسم" (٣).

واستخدم العرفنس أحد بني أبي بكر بن كلاب "مثل" كدابة للتثبيته عندما قال في وصف شهرة القوم وتميزهم:

فِيهِمْ وَبَيْنَهُمْ يَفْدُ الْخَيْزُ مَتَا وَلَا يُغْدُ نَحْنَا جَزِي وَلَا غَارِ لَا يَطْفُؤُونَ عَلَى الْفَخْشَاءِ إِنْ نَطَفَسُوا وَلَا يُنْصَارُونَ إِنْ مَارَزُوا بِإِثْلَارِ مَنْ تَلَقَى مِنْهُمْ تَقْلُ لَأَقْبِيثُ سَيِّدُهُمْ بِشَلِ النَّجُومِ لَتِي يَمْرِي بِهَا السَّيَّارِ

"وهم في الانتشار والتميز عن طوائف الناس كالنجوم المعروفة النيرة، التي يهتدي بها السابلة والمارة، وينتقد المعرفة بها في طلوعها وأقولها أولو النحل والممارسات" (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصاعدة، حملية (٢٠١)، (١/١٨٨، ٦١٩).

(٢) نسه حملية (٢٤)، (١/١٧٨).

(٣) نسه حملية (٢٧٢)، (١/٨٢٩).

(٤) حملية (٦٩٢)، (٢/١٠٩٥، ١٠٩٦).

وقول الحصين بن المعلم المري:
ثَاخِرَتْ أَسْتَبْكِي الْخَيَاةَ فَلَمْ لَوْحَدَ تَبْلَسِي خَيَاةَ مِلْسَلٍ أَنْ أَتَقْدُمَا
" حياة مثل أن تقدم معناه حياة تنبه الحياة المكتسبة في التكم والتتكم " (١).

وتعلق المرزوقي على استخدام عمرو بن شلس " مثل " أيضا كدالة للتثبيته في قوله: (الطويل)
وَالَا لِمِجْرِي مِلْسَلٌ مَا سَنَازَ وَكَيْسَبٌ تَجُثْمُ جُنْمًا لَوْحَدَ لَيْسَ مَنِيرٌ لَنَمِ
بالقول " ليكن سيوك سير الراكب تكلف ورود الماء لخصب، وليس في سيره قصد ولا قرب. وقوله " مثل
ما سار راكب " أي سيرا وشبهه سيره. وقوله " تجثم " من صفة راكب " (٢).

ومن التثبيته التي حنف فيها لفظ التثبيته، قول هشام أخي ذي الرمة: (البسيط)
خَوَى النَمَجْدُ النَقُورُ بَعْدَ ابْنِ نَلْهَمِ وَأَسْنَى بِأَوْفَى قُوْنَةٍ قَدْ تَضَفَضُوا
" أراد أن يشبه تضعضع القوم بعوت أوفى، بخراب المسجد بعوت ابن دلهم فلم يكت بلقب التثبيته إذ كان
معناه من الكلام مفهوماً " (٣).

وقد أظهر الشراح - كذلك - عنايتهم بوجه التثبيته، أو الجامع بين طرفي التثبيته؛ فنبهوا عليه، ولشأروا إليه،
ولبثوا عن اثره في تحقيق التواصل بين أطراف وعناصر التثبيته المختلفة، وذلك " على سبيل ضبط قراءة الصورة
على نحو دقيق يتيح معرفة ما تتوفر عليه من طرافة وإضالة " (٤).

ولذلك وجدناهم يتنبهون على الصفة الجامعة بين طرفي التثبيته، كما يبدو من قول المرزوقي عن بيت عبد
الشارق بن عبد العزى الجهني: (الموالف)
فَجَاغُوا غَايِضًا بِنَرْنَا وَجَنَّا كَبَلِ السَّمِيتِ نَزْعِيًا فَارْعِيَا

" بقول: تسارعوا مثقلين نحونا، وكثرتهم في كثرتهم وتمجدهم قطعة من السحب فيها برء - ووجه التثبيته لن
لهم حفيظا ووقفا شديدا متهافئا، كما يكون لذلك السحب - ونحن لكثرتنا وإبتغنا على ما يعترض في طريقنا كالسيل
الذي لا يبقى ولا ينز " (٥).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٤١)، (١٩٧/١)، (١٩٨).

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (٨٤)، (٢٨١/١).

(٣) نفسه: حاشية (٢٦٤)، (٧٩٥/١).

(٤) ديلمع الوديعي: شرح الشعر على العرب: ص ١١١.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حاشية (١٥٢)، (٤٤٥/١).

ومن قول أبي حلال العسكري عن قول شاعر الحماسة: (الطويل)
نَئِنَ كَانَ بُهْمِي بِسَرِّ أَتْيَابِهَا الْقَلَا خَنَافِنَ مُوَدًّا فِي صَرَاةٍ قَلِيَسَبْ

" شبه أتيابها بالخنالين، في مولدها، وريقتها بالصراة، وهي: الماء المتغيره وجعل فيها ككتابت، في سعة " (١).

وتشبيه أبي الطمحلان الأندلي الشعر بتقليد الكرم في قوله: (الطويل)
وَبِالْجِرَةِ الْيَنْضَاءُ مُنْجَعٌ مُنْطَلُ إِذَا خَلَفَ الْإِيْمَانُ بِإِيَّاهِ بُرْتُ
لَقَدْ حَلَفُوا مِنْهَا غَدَاةً قَاتِلَةً عَالِيَهُ فَمَنْزِمٌ أَيْتَفَتْ فَاتِ بُرْتُ
فَطَلَّ الْعَذَارَى بِؤْمُ تَخْلُقُ بِعُتِي عَلَى عَجَلٍ وَلَقَطْنَهَا خَيْبُ خُسْرُتْ

يقول المرزوقي: " شبه الشعر في طوله ولينه ولونه بعاقيد من الكرم استرسلت " (٢).

وفي تعليق الأعلام الشنمري على قول آخر: (الطويل)
عَلَى بِأَيْدِيهِمْ تُجُونَا طَوَائِفَا لَهَا فِي زُفُوسِ الشَّامِكَيْنِ غُرُوبْ

بالقول: " شبه السيوف بالحدوم الطوالع في بياضها وبريقها، وحملها صد مصاتها في الهم كالحوم في غروبها " (٣).

وقد يحذف وجه التشبيه عند أمن الالتباس، كما جاء في بيت أنيف بن حكيم الشيبني: (الطويل)
ذَعُوًّا لَمْ تَزَلْ تَشْتَمِيْنَا بِطَيِّبِي فَأَسَدُ الشُّنْزِي إِقْدَاشَهَا وَنَزَالَهَا

" وقوله كاسد الشرى حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كقوله قل: وكإقدام أسد الشرى إقدامها ونزالها وجاء الحذف لأنه لا يلتبس وجه التشبيه بغيره " (٤).

إن الشراح في إطار قراءتهم للتشبيه، نهوا على المتداول المطروق أو الكثير المشهور والموروث عن العرب. هذه التشبيهات لم ينفقوا بها كثير، وربما كانت غايتهم من النص عليها مجرد الإشارة إليها على سبيل الحصر، والتأكيد على أنها مبالغة للجميع؛ استيفاء للمعنى وفتحاً لدروب القراءة.

ومن النماذج في ذلك على سبيل المثال لا الحصر تشبيه اللسان بالمبرد في قول الشاعر: (الطويل)
فَمَا نَلَسْتُ جُنَى وَلَا فُلُّ مَبْزِي وَلَا أَصْنَحْتُ طَوْبِي مِنْ الْكُؤُوبِ وَقُفَا

" وتشبيه اللسان بالمبرد وحد السيف أكثر من أن يحتاج له إلى شاهد " (٥).

(١) أبو حلال العسكري: رسالة في ضبط وتحرير مواضع من العملة: نسخة (٤٥) من ٢٥٢، ٢٥٣.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان العملة، حاشية (٨٦٣)، (٢/ ١٨٦٣، ١٨٦٤).

(٣) الأعلام الشنمري: تعلي على بحر المعاني من ١٤٨.

(٤) لم - في: شرح ديوان العملة حاشية (٣٣)، (١/ ١٧١).

(٥) نفسه حاشية (١٢٨)، (١/ ٣٢١).

وتشبيه السيف بالجدع، في قول شاعر الحملة:
أَقُولُ وَمَنْ يَلِيَّ لَيْسَ مَقَابِقُ أَغْلِبَ وَلَقَدْ خَرُّ فَا لْجُدُجِ الْمُنْخَوِقِ الْمَشْتَبِ
"من فهم التشبيه، وفي القرآن: " كلهم أحوال نخل خالوة " (الحاقة / ٧). وجعله شبيها ليكون طوله لظهور"^(١).

ومن التشبيهات الشائعة عند العرب، المقارنة عند الشعراء، تشبيه الحرب في ابتدائها بالفتنة المخدرة وتمترها، وعند نقلها بالعمور واطراحها لقناعها، في قول شاعر الحملة: (سعد بن نساب) (المطول)
فَإِذَا إِذَا مَا الْخَرْبُ أَفْلَحَتْ جَانِحَهَا بِهَا جَيْنَ نَجْوَفاً بَتَوْفاً لِأَبْرَأِ
" مشهور في عاداتهم وطرائقهم "^(٢).

هذه التشبيهات كلها، وغيرها كثير، لا يواخذ الشاعر على الإتيان بها أو تناولها، فهي تمثل عند بعض الشعراء طور المحاكاة والتقليد، استطاعوا بعدها أن يعيدوا تشكيل الكثير منها ويحبسونها بشخصيتهم الفنية ورواهم الإبداع، مما يمكن شاعرهم وأصابتهم. وهذا أمر قد عني بتوضيحه كثير من النحاة والمرزوقي منهم على وجه الخصوص.
وقد فطن النحاة لتلك الزوائد التي أضلقها بعض شعراء الحملة على تشبيه قد يكون سائر متداول بين الشعراء، بل وما ولدوه من شعر غيرهم في أسلوب إبداعي يشهد لهم بفضل الإضافة والتجديد.

ومن الشواهد على ذلك قول ملحمة الجرمي:
وَمَاتَ الْحَبِيُّ الْجَوْنُ بِنَهْضٍ مَقْبِلَا كَنَهْضِ الْغَدَابِي قَبْلَهُ الْوَجْعُ الْبُغْضِ
يقول المرزوقي: " الحبي من السحاب: المشرف المترام. والجون؛ الأسود هنا، وجعله كذلك لا رتوانه وكثرة مقه. وقوله " نهض مقبلا " انتصب مقبلا على الحال، يريد أن سير السحاب لنقله وحركته مثل سير هذا البعير وحركته؛ ثم وصفه. والمداني قيده: الذي قصر عقله وضيق عليه قيده. ولم يرض بذلك حتى جعله سائرا في الوعث، وهي الأرض اللينة الكثيرة للتراب والرمل؛ والسير فيها يصعب. ... ثم لم يرض بعد ذلك أيضا حتى جعله نقضا، وهو المهزول الضعيف. ويقال نقضت البعير نقضا، والمنقوض نقض "^(٣).

فهنا الوصف وإن لم يكن له فيه فضل السابق فقد كان له فيه فضل الإضافة والزيادة فقد " زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قل - وإن كل الأعشى وصف امرأة بالنعمة والترف، وهذا يصلح سحابة ثقيلة - :
(السبسط)

شُعْبِي الْهُؤَيْتِي قَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجِلْ

لأن هذا جعل البعير مداتي التقيد أيضا "^(٤).

(١) للرزوقي: شرح ديوان الحملة: جملة (٢٣٦)، (١ / ٦٦٠ ، ٦٦١).

(٢) نفسه: جملة (٢٢٢)، (١ / ٦٦٦).

(٣) نفسه: جملة (٨١٩)، (٢ / ١٨١٠).

(٤) نفسه: جملة (٨١٩)، (٢ / ١٨١١).

القضايا البلاغية الفصل الثاني: علم البيان ————— التنبيه

ومن محيط اهتمام الشراح بالتنبيه، تطرقهم إلى بعض صوره وأشكاله مما تفتن وابدع فيه شعراء الحملة. من تلك تركهم للفظ التنبيه، حتى يظن في السباق أنه يخبر عن حقيقة، في قول وقال جونس لومنا:

فَأَنَّهُ يُذَكِّرُنِي لَا أَمُرُّهُ سَهْفِيْنَا وَغُلَى شَفَقْنَا بِالرَّضْمَاكِ عَزَايَا
جُنُومٍ مِنَ الْخَجَرِ الْبَرْدِ نِبَاطُة وَالشَّمْلُ تَتَجَرَّرُ فَنَاهَا وَفَنَاهَا
إِذْ أَقْبَلْتُ فَمَيْتٌ كَسَلِي غِيُونَهَا حَقَّقَ الْكِلَابُ وَأَظْهَرَتْ سِيَمَاهَا

" وقوله كَانَ عيونها حديق الكلاب وأظهرت سيماء قصده إلى الذم وإلى أن نظروهم نظر الكلاب لكنه جرد التنبيه أولاً، ثم قال: وأظهرت سيماء أي أظهرت سيماء الكلاب في إقبالها، فترك لفظ التنبيه، وصار كانه يخبر عن حقيقة " (١).

والتفت الشراح أيضاً إلى بعض أنواع التنبيه وألوانه، من ذلك:

١- تشبيه التفضيل:

قال الوطواط: " تشبيه التفضيل، وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئاً بشيء آخر ثم يعود فيفضل المشبه على المشبه به " (٢)، كقول الشاعر:

حَسِبْتُ جَمَالَهُ بِسَدْرٍ مَضْرُوتَا وَأَيُّنَ الْبَسَدِ مِنْ ذَلِكَ الْجَمَالِ ؟

وقول أبي الفرج حنود:

مَنْ لِمَا سِجْنُوكَ بِالْفَضَامِ فَصَا أَنْصَفَ فِيهِ الْخَفَمِ وَنَيْنَ هَفُونِ
أَنْتَ إِذْ جُنْتُ ضَاحِكٌ أَبَدَا وَهَوَ إِذْ جَادَ ذَلِيعُ الْفَسُونِ

وقال الحلبي والنويري: " هو أن تشبه شيئاً بشيء ثم ترجع تترجع المشبه على المشبه به " (٣)، وتكررا الأبيات السابقة.

ومما وقع في ذلك في شعر الحملة، تشبيه بشر بن المفيرة نفسه بالسيف ثم رجوعه فيفضل نفسه على المشبه به (السيف) في قوله:

لَنَا السِّيفُ إِلَّا أَنْ لَلْمُتَنَزِّهِ نُبُوَّة وَمِثْلِي لَا تُبْهِو عِزًّا مَضَارِبُهُ

" يفضل نفسه في نفاذه في الأمور ومضقه، على السيف؛ فقال أولاً: لنا السيف، أي إنشبهه، ثم تلاى فقال: إلا أن السيف ربما نبأ عن الضربة وكما، ومتلى لا تكل ولا تبدو حدوده عن شيء تلاقيه " (٤).

(١) النوروزي: شرح ديوان السلف، حماسة (٦٣)، (١٤٩٨ / ٢)، (١٤٩٩).

(٢) الوطواط وشيد الدين محمد الحري: حقائق الشعر في دلائق الشعر، نقله إلى العربية إبراهيم الشورس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٤ هـ، ١٩٤٥ م، ص ١٤٨.

(٣) تشبه محمود بن سليمان حسن: نوسل إلى صناعة الترس، تحقيق دكتور محمد عثمان يوسف، دار العربية، بغداد، ١٤٠٠ هـ، ١٩٨٠ م، ص ١١٩، النويري: بهية الأرب في لون الألب، منعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣١٢ هـ، ج ٧ / ص ٤٤، وتقرر: الم حارث ج: نود الجمل في علم الشعلي والدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨ هـ، ١٩٣٩ م، ص ٩١.

(٤) شرح ديوان الحملة، حماسة (٧٣)، (١ / ٢٦٦).

٢ - تشبيه الجمع:

وهو " تعدد المشبه به دون المشبه، كقول البحراني:

(السريع)

خَلَقْنَا بِتَمَنٍّ غَنٍّ لَوْلِيٍّ مَثَلُكَ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَفْجَاحٍ

(المتقارب)

وقول امرئ القيس:

فَلْيُكَلِّبِ النَّفْثَامَ وَصُوبَ الْغَنَامِ وَبِذِي الْخَزَانِي وَبِذِي الْفُطُرِ
يَعْلَمُ بِهَا بَرْدَ قَتَابَةٍ إِذَا طَرَبَ الطَّالِبُ الْغَسْتَجِرَ ^(١)

(الطويل)

وقد وقع في قول شاعر الحملة:

أَلَمْ عَلَى بَعْضِي لِمَا بَيْنَ خُرْبَةٍ
تُخَاكِي نَجْمًا زَلَّ فِيهِ فُجَيْحٌ وَجْهَهَا
هِيَ الْخُرْبَانُ فِي الْغَفَاظِ خَالِيَا
إِذَا سَلَفَتْ كَانَتْ بِحَيْزِكَ مَخْفَا
وَأَنْ خَدَّتْ كَانَتْ جَمِيعُ مَصَاتِبِ
خَبِيثٌ كَقُلُوبِ الْخُرْبِ أَوْ تُشَفَّ شَارِبِ
وَتَفْتَرُ عَنْ قُلُوبٍ غَبِطَتْ خَبِيثَهَا
وَضَبِيعٌ وَتَفْسَاحٌ تَفْشَاكَ مِنْ نَخَرِ
وَضَلَحَتْهَا لَهَا نَفْثٌ مَطْوَةٌ الدُّهْرِ
وَتُشَقِّقُ بِرُفْعِهَا ضَمْنَتْ إِلَى التُّخْرِ
وَأَنْ يَزْفَعَتْ فَاَلْفَرُ فِي غَايَةِ الْفُكْرِ
مُزَوَّجَةٌ تَلْبِي وَفَا بَصِغَةِ الظُّهْرِ
وَعُنْجٌ تَخْطُمُ الْأَنْفَ عَيْلَ بِهِ مَنَبِي
وَعَنْ جَبِي طِيٍّ وَعَنْ هَزَمٍ مِصْرِ

حيث " جمع بين الحية والضبع والمتساح، لأنه ليس بقصد التشبيه من وجه واحد، وإنما يريد التشبيه من وجوه كثيرة من الخلق والخلق " ^(٢).

٣ - التشبيه الوهمي:

وهو ما لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مدرجاً بلعدي الحواس الخمس، وقد لال الحلبي إنه يقرب من النوع المسمى " التشبيه التخيلي " ^(٣). ومنه قوله تعالى: " إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم. طلعمها ككف رؤوس الشياطين " (الصافات / ٦٤ - ٦٥)، وقد استقر في نفوس الناس من بيع الشياطين ما صار بمنزلة الشاهد كما استقر في نفوسهم من حسن الحور العين ما صار بمنزلة الشاهد ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الزقوم ورؤوس الشياطين. ومنه قول امرئ القيس:

أَيْتَنَّبِي وَالْمَشْرِقِي مَضَاجِعِي وَمِثْلُونَةُ زُوقِي كَذَلِكَ سَابِ اغْشَوَالِي

وأدخلوا هذا النوع في تشبيه العقلي بالعقلي لأنه لا يدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يكن مدرجاً إلا بها ^(٤).

(١) الترويض: الإيضاح من ٢٤٨، الترويض: تلخيص من ٢٧٢، شروح للتفخيص، مطبعة حمى الدي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت، ج ٣ / من ٤٣٠، سعد الدين التتقاني: المطول، مطبعة لمد كليلة سنة ١٣٢٠ هـ، من ٢٢٨، الموطأ: شرح عقود الجمل، من ٨٧.

(٢) المروزي: شرح ديوان الصلابة: حمالية (٨٧٤)، (٢ / ١٨٧٦ - ١٨٧٧)،

(٣) لشهاب محمد بن طه: حن شمر: من ١١٢.

(٤) الترويض: الإيضاح: من ٢٢٠، الترويض: تلخيص من ٢٤٤، شروح للتفخيص: ج ٣ من ٣١٦، سعد الدين التتقاني: المطول: من ٣١٣، الأطول: ج ٢ من ٢٨.

ومن شعر هذا النوع، تشبيه الخيل بالسماعي، في قول الأمتير النخعي:
خَمِيلًا قَامَ مَالِ السَّحَابِ شُرْطًا تَقْدَمُو بِيضَ فَيْسِ الْكَرْبَةِ شُومِ
" شبه الخيل في ضميرها وسرعة نفاذها بالجن " (١).

وتشبيه الفرسان بالجن في قول وضاح بن إسماعيل:
فَتَبَّكَ لَوْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ تَفْعُو غَوَاسِمَ وَتُخَذِّلُنَّ التَّلَاحِثَ نَيْلًا
رَأَيْتَ عَلَى مَنُوبِ الْخَيْلِ جُنَا تَقْبِضُ نَفَابًا وَتَقْبِضُ نَيْلًا
حيث يرى الشارح يعبر عن ذلك بقوله: " شبه الفرسان بالجن لمصاحمتهم ونفوذهم، وإذا بلغت العرب في وصف الرجل جعلته من الجن، لما وقع في النفوس من تكرتهم، وقوله " تبعت مخفما " أي: تبيتها من أيدي أهلها. ومعنى " تقيد نيلًا " تجعل لأصحابها فائدة مما غنموا وتلوا " (٢).

٤ - التشبيه البليغ:

وهو تشبيه للذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وبقي طرفاه وهما (المشبه و المشبه به)، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من احتصار من جهة وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى؛ لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الطر فيه كل مذهب وفتح بلب التلويح، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتثيراً، قال المصري: " حد تشبيه البليغ إخراج الأغصان إلى الأظهر بتشبيهه مع حسن التاليف " (٣).

وعن القرويني البعيد من البليغ لغرابته ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان بيله أحلى وموقعه من النفس الطيف. وليس للسعد في التشبيه هو التعتيد لأن التعتيد سوء ترتيب الألفاظ واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني " (٤). ومن النماذج التي وقع فيها هذا النوع، قول عمرو بن الإطبلية: (الكامل)
وَالْقَاتِلِينَ لَذَى السَّوْغَى أَفْرَاقَهُمْ فِي الْعَنْزَةِ مِنْ ذَرَايَ الْغَالِيَلِ
خَمْرُزُ غِيُوْنَهُمْ إِيْسَى أَغْضَابِهِمْ يَفْعَلُونَ مَشْنَى الْأَنْبِ تَحْتَ الْوَابِلِ
" وإذا مشوا رأيتهم كالأمم تحت المطر الشديد وهي تبلل إلى مواضعها من لعين " (٥)، فحذف وجه الشبه وهو الإقدام والشجاعة وكذلك حذف أداة التشبيه وهي " الكاف ".

وقول سهل بن شيان:
مَشْنَى مَشْنَى اللَّيْلِ لَيْلٌ غَمْدًا وَاللَّيْلِ لَيْلٌ غَمْدًا
" أخرج - بهذا التشبيه - ما لا قوة له في التصور إلى ما له قوة فيه، ذلك أنه قال: سمينا إليهم مشية الأسد ابتكر وهو جلع، وكفى عن الجوع بالفضب لأنه يصحبه " (٦).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٥)، (١ / ١٥٠).

(٢) الأظم للشمرية: نعلن غور المعلي، ص ٢٧٥.

(٣) ابن أبي الأصمحمري: نمرير الشعر في صناعة الشعر ونهر ويول إحصار القرآن، تحقيق خنن محمد شرف، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٥٩.

(٤) القرويني: الإيضاح: ص ٢٥٩، والتفصيل: ص ٢٨٥.

(٥) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٧١٥)، (٢ / ١٦٢١).

(٦) نسه: حماسة (٢)، (١ / ٣٥).

وقول قلعة بن مسلمة الحنفي:

ومعني أسود من خبيثة في المؤذي إليبيض فسوق زوبهم ثموم
فمزم إذا لمعوا الخبيث فمالمهم في البييض والخليل الدلاص نخوم
فلمين بغزيت لأخافني بفزوة نخوق الظالم أو يثوث فمزم

"وتتبره معي رجل يشبهون الأسود شجاعة وإقداماً في الحرب حنفون" (١).

وإذا مجتمع التثبيته الهمي مع البليغ في بيت واحد، كتثبيته الأم بجنية، وتثبيته أبنيتها بالسيوف الصوارم مع حذف أداة التثبيته، مثل قول قيس بن زهير العنسي:

بشوجنية ولدت من يوفاء صوارم كلها فمزم صنيغ (٢)

له "كما جعل الأم جنية لخروجها فيما لثت به عن المعتاد من الإنس حط الأولاد سيوفاً. ومعنى البيت: هم أولاد امرأة ولدت رجالاً كلهم في التلفذ سيوف قواطع، كل واحد منها ذكر الحد، مصنوع صقيل" (٣).

٥ - تشبيه الكناية:

قال اللوطاوي: تشبيه الكناية، وتكون هذه الصنعة باليكنى عن المسمى بلفظ المسمى به بنير أداة من أدوات التثبيته (٤).

وقال الحلبي والنويري: "هو أن تشبه شيئاً بشيء من غير أداة التثبيته" (٥)، ويسمى أيضاً بـ "التثبيته المؤكدة" (٦) أي المحذوف الأداة، ومنه قوله تعالى: "وهي تمر مر السحاب" (النمل / ٨٨).

ومن النماذج في ذلك تشبيه الرجال بالبحر في الكرم عند العطاء، وباليهم في الإقدام والتفك بالأعداء عند اللقاء كما في قول زيد بن حله وقيل زيد بن منفل:

فم الخور خطاة حين ثمالهم وفي التفام إذا ثلغى بهم بهم
فم إذ الثول خالوا في قوايتهم فوايس الخول لا مزل ولا قمزم

"والمطر: هم البحور إذا اجتدهم المجتدي، لكثرة عطيتهم، أي لا ينفذ عطيتهم على كثرة الاجتداء، كما لا ينفذ ماء البحر على كثرة الورد، وهم بهم في اللقاء إذا تقوت بهم الأعداء، وإذا ركب الفرسان الخيل وثبتوا في كوايتهم - والكناية: قدام المنهج منها - فترسقا لاثام ضعفت الأجسام، ولا مثلون عن وجوه الأعداء" (٧).

(١) لمرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (٢٥٨)، (١ / ٢٧٠).

(٢) نفسه: حمصية (١٥٨)، (١ / ٤٧٠)، يعني ولد زيد بن حله بن قاتلهم الحسي، يقول: هم بنو امرأة كلها في لصلها ودهمها من الحر. وهذه المرأة هي فليمة بنت الخزرج الأسلمية، وهي إحدى الفتيات من الخزرج، وكلفت قد رأت في منفيها كأن قتلها ليل لها: "أعشرة مرة، أحب إليكم أم ثلاثة كمثرة" لما قتمت اتصت زوجها على زوجها قتل لها. ل عودته فتولي: بل ثلاثة كمثرة. فرجعت إلى المنام ورات مثل ما رأت من قبل، لمعنت قول في الجواب: بل ثلاثة كمثرة. فولنت بين ثلاثة صرا كل منهم أبا لنبيلة، ومعضماً في قومه وعشورته، وهم ربيع الحنظلة وصلة قومهم، وأنس التورهم.

(٣) لمرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (١٥٨)، (١ / ٤٧٠).

(٤) اللوطاوي: حقائق الشعر: ١٤٢.

(٥) لشهاب: حمصية بن سليمان: حسن التورهم من ١١٧، النويري: نهاية الأرب ج ٧ / ص ٤٣.

(٦) ترويض الإيضاح: ص ٢١٢، ولشهاب: ص ٢٨٦، شروح التلخيص ج ٢ / ص ٤٦٥، ولشهاب: المطول: ص ٣٤٤، والمسيوطي: شرح غرر المعاني: ص ٩٠.

(٧) لمرزوقي: شرح ديوان الصنعة: حمصية (٥٧٨)، (٢ / ١٣٩٢).

٦ - تشبيه المحسوس بالمعقول:

وهو تشبيه ما يدرك بالحواس بما لا يدرك به ^(١)، مثل تشبيه القوم في الكثرة والجهل والإحاطة بالأعداد وإدراكهم بالليل، في قول بعض شعراء حمير:

فَأَتَمْنَا الْأَسَدَ فِي سِي غَرِينِهِمْ وَتَخَسَّنَ كَالْزُّنُجَلِ جِائِشٌ فِي سِي قَتِينِهِ

"يقول: إن هؤلاء القوم يتمتعون على الأعداء، ويبتشون بهم، تمنع الأسد في أجمتها ويطشها منها، وحن كالليل، يريد نحن في كثرتنا وهولنا وإحاطتنا بهم، وإدراكنا ليأهم كالليل إذا جاش ظلمته، وتراكم سواده ... كنه قل كلما هم الأسد في مقتلهم، ونحن كالليل في هولنا وإدراكنا" ^(٢).

٧ - تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى: "والذين كنوا أصنامهم كسراب بقيعة يحسبه الظلماني ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا" (النور / ٢٩)، فتشبيه أصنام الكفار بالسراب من الباطل للتشبيه وأيدعها، ومثله قوله تعالى: "مثل الذين كنوا بربهم أصنامهم كرماد تشتت به الريح في يوم عاصف" (إبراهيم / ١٨)، ومن انظم قول أبي علي ابن سينا:

يَتَنَا السُّنْفُنُ كَالزُّخَاخِجَةِ وَالْعَبَسُ مِيزَاجٌ وَجَعْنَةُ اللَّهِ زِيَّتُ

وقول ابن مبرير الطرابلسي:

زَعَمُ كُنْتُ بَلِيجَ السَّمْبَاحِ وَرَأَى غَرَمُ فَعَدَّ السَّحَابَ صِنَافَةً مَثَلًا ^(٣).

وقد استحسّن البلاغيون هذا النوع من التشبيه ولبقوا عن أهميته ومكانته بين أنواع التشبيه المختلفة، فيه تنطلي الصرورة لحجز الحفاء إلى الجلاء، وحمود للمجهول إلى المعلوم فينون ثقلة تناعلا وإدراكا، يقول عبد القاهر الجرجاني: إن "أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتكتبها بصريح بعد مكني، وأن ترددها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشيء أصطب وقتها به في المعرفة أحكم، يحذر أن تفلها عن الحل إلى الإحساس، وما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم للمستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، وفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخبر كالمعلنة، ولا الظن كاليقين ... " ^(٤).

ومن النماذج في ذلك قول يزيد بن عمرو اللطفي:

أَصْنَابُ الْغَيْثِ غَبَرَتِي فَأَمْنَانَهَا وَغَارُ اخْتِصَامِ ثَبَرَتِي فَأَطْلَانَهَا
أَلَا مَنْ رَأَى قُوسِي خَلِيَّ بِجِثَانِهِمْ نَجِيْلُ أَثَاكِهَا غَاثِيَّةٌ فَأَمَانَهَا

"قوله كان رجالهم نخيل شبيههم وقد صرعوا بنخيل محضودة. وهذا التشبيه ورد مثله في القرن، في قوله تعالى: "كنهم أعجاز نخيل خلوة"، وجملة المعنى كانه ينكر أن يكون قومه بهذه الصفة، فقال مستتبنا على طريق

(١) لفر الدين الرازي: نهاية الإيجاز، ص ٥٩، وبسر الدين الزركشي: الزهرج، ج ٣ / ص ٤٢٠، والشهاب محمود بن سليمان: حسن شمول: ص ١٠٨، وشويري: نهاية الأرب ج ٧ / ص ٤٠، والبخاري: خزانة الأدب، ص ١٨٢.

(٢) المرجوع: شرح ديوان الحامسة: حاشية (١١١)، (٣٢١ / ١).

(٣) فنار: شويري: نهاية الأرب (٤٠ / ٧)، الشهاب محمود بن سليمان: حسن شمول: ص ١٠٨.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ١٢١.

القضايا البلاغية **===== الفصل الثاني: علم البيان =====** التشبيه
التحسر: من رأى قومي مقتلين مصرعين كأن فرسانهم نخيل قصدها عاصد فأملاها. وفقدة أمالها، على فصلحته في
هذا الموضع، تصوير حالة الرجال حين تركوا بالمرء كيف تركوا^(١).

ومن ذلك تشبيه الليل بالأجسام في قول حندج بن حندج:
(البسيط)
فِي لَيْلٍ مَّوَلٍ تَنَاهَى الْغُرُضَ وَالطُّوْلَ خَالَفْنَا نَيْلَهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولَ
لَا فَسَازِي الصُّبْحِ غَفَاذِي إِنْ ظَلَمْتَ بِهِ فَإِنْ بَدَأْتَ غُرَّةَ مَيْلِهِ وَتَخَجَّيْلَ
بِسَنَاهِ طَالٍ فِي مَوَلٍ تَغْلُكُ خَالَفْنَا خَيْبَةَ بِالْمَوْطِ مَقْصُولَ

"جعل الليل كالمجسمات حتى صار ذا طول وعرض عنده. وقال: "تناهى الغرض والطول" لأنه قد علم
لنهما لليل، كما أنك تقول: زيد حسن الوجه، لأنه علم أنه لم يرد إلا وجهه. والمعنى أن في ليل هذا المكان بلغ الطول
والعرض نهايتهما وغنيتهما، حتى وقفا لا مستزاد فيهما، فكما قبل صولموصول بجنسه كله، فليس ينقطع ولا
يكثف. وقد قال أبو تمام الطائي مستطيلاً ليوم:

يَبْقَى فُطُولُ الدَّهْرِ فِي غُرْبِ مَيْلِهِ

ومن كلام الناس: عشنا زمنا طويلا عريضا، والدهر الطويل العريض. وكل ذلك تشبيه بالأجسام، وعلى ما
فسرناه يتعلق الجار من قوله: في ليل صول بتناهي. وقد استعمل العرض منفردا عن الطول والمراد به السعة،
على ذلك قوله تعالى: "فقد دعاء عريض" (فصلت / ٥١)، وقوله عز وجل: "وجنة عرضها السموات
والأرض" (آل عمران / ١٣٣)^(٢).

ومنه قول شاعر الحماسة: (طرفة)
(البسيط)
وَالْغُرْبُ يَتَخَلَّقُ فِيهَا الْغَارِفُونَ فَمَا تَقْتَوِ الصَّغَاخَ إِلَى الْجَزْئِي فَتَغْبِيهَا

"يقول: شر للحرب يمدي إعداء للجرب، فترى الكاره لها يلتحق بها وإن كان غير حازم لها، وتلقى البعد
منها بصطلي بحرهما وإن لم ينكها ولم يشيع موقدها. وفي هذا التشبيه خروج المشبه من الكمون إلى الظهور، ومن
الخفاء إلى البروز، حتى يتجلى لمتأمله والمفكر فيه على بعده في التصور تجلي القريب في العرف والاعتقاد"^(٣).

وهذه الصورة عند المرزوقي هي "علية المراد من التشبيهات"^(٤)، فتشبيه المجرد بالمجرب، وقيل
الغائب على الشاهد، في البيت السابق عول عليه المبرع في إنشاء المعاني ليعتبرا شعريا في لحن ولقي مدي مهيب.

نذ الصورة التشبيهية:

إن تحليل الصورة التشبيهية وتعميرها بصفة عامة معين للشرح على فهم النصوص الشعرية، وتمثل
مكوناتها، ومن ثم فندها، وتفيدها. وقد اعتمد الشراح في طريق حكمهم على التشبيه ومدى توفيق الشاعر أو إخفاقه
في استحضار الصورة التشبيهية الملائمة، على مجموعة من الأسس والمعايير الجمالية للنقد، عبروا من خلالها عن
استحسانهم للصورة أو استقباحتهم لها، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٣٢٩)، (١ / ٩٥٥).

(٢) نفسه: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٢٨).

(٣) نفسه: حماسة (١٣٩)، (١ / ٤٠٨).

(٤) نفسه: حماسة (١٣٩)، (١ / ٤٠٨).

١ - التشبيهات المستترة الممتزجة:

ويقصد بها تلك التشبيهات الخارجة عن القصد، كقول قيس بن الخطيم:

(الطويل)
خَلَفْتُ بِهَا خَلْفِي فَلَا تَهْزُتْ فَتَنْقُهَا رُزَى قَابِلًا مِنْ نُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

" معنى أنهزته: وسطه حتى جعلته كالنهر سعة، وأنهز نفسه ممي بذلك لامتزاعه. وفي هذا الوصف سرف مستترة، وخروج عن القصد مستهجن " (١).

٢ - الإصبة:

وهي " أن يصور للمتكلم ما أراد التعبير عنه من المعنى تصويراً مطابقاً لما عليه الشيء الموصوف في الخارج والواقع من غير لتمكُّس ولا لتفكُّص " (٢)، ومن هنا كان الشاعر أكثر تعرضاً لهذا من الكعب، لأنه يتعرض للكثير من المعاني الخيالية التي ليس لها وجود على أرض الواقع، فتبرع موهبته في مدى مقدرته على توصيف الصورة بما يلائمها من غير زيف أو نقصان.

وعيار الإصبة في الوصف كما يرى المرزوقي: " النكاه وحسن التمييز، فما وجدناه صافياً في الملوِّق ممازجاً في الموصوف يتصر الخرج عنه والتبرؤ منه فنلك سيما الإصبة فيه " (٣).

لذلك وحب على الشاعر توخي الحقة في اختبار أنسب الصفات التي تجمع بين طرفي التشبيه، ومن هنا كان التشبيه الواقع في قول عمرو بن معد يكرب:

(الطويل)
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ زُورًا فَخَلَّتْهَا خِيَانَتِي زَرْعَ خَلَّتْهَا فَاغْتَرَبْتُ

ملحاً؛ لأن " التشبيه وقع على جري الماء في الأنهار لا على الأنهار، كلفه شبه امتداد الخيل في انحرافها عند الطعن بامتداد الماء في الأنهار، وهو يطرده ملتوياً ومضطرباً. وكما وصف الخيل في انحرافها بزور وصف أيضاً بنكبة، فقال بعضهم:

لَا خَدَّائِيَا نَكَبَ إِذَا الطُّغَى أَفْرَا

فالنكبة: جمع نكبة، وهو الذي ينحط لحد منكبيه عن الآخر، كما أن الزور جمع أزور، وهو المعوج الزور. وهذا من التشبيه الحسن الصائب " (٤).

أما فيما يخص الدلالة على حالة المشبه، فجاء قول امرأة من بني عامر:

(الطويل)
وَحَرْبٌ وَمُضْجُ الْقَوْمِ مِنْ ثَلَاثَيْهَا ضَجِجَ الْجَنَالِ الْجُأَةِ التَّبْرَاتِ

أكثر دلالة على حالة قومها عند الحرب حيث تضج العشرة لما يقلصونه من هذا الحرب ضجيج تلك الإبل عند ما تقلص من العمل " وهذا للتشبيه الصائب المتناهي في الدلالة على حالة المشبه. وقد قال الراجز في هذه الطريقة بصف حراً:

(الراجز)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصلبة: حلبة (٢٦)، (١٨٤/١).
(٢) الطاهر ابن عنتور: شرح النسخة الأدبية لشرح المرزوقي لديوان الصلبة، ص ٧١.
(٣) المرزوقي: شرح ديوان الصلبة، النسخة ص ٩.
(٤) تسم: حلبة (٢٩)، (١٥٧/١).

وَأَغَشَيْتِ النَّاسَ الضُّجَّاجَ الْأَضْحَجَا وَصَاحَ خَائِبِي شَرْهَا وَهَجْجَا^(١).

وقول شاعر العمامة:

وَلَمَّا رَأَيْتُكُمْ لَنَا أَبْلَاً وَلَمَّا لَكُم مَوْلَى مِنَ النَّاسِ نَاصِبٌ^(٢)
ضَمَمْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ فَكَّرِ إِنِّيْكُمْ فَخَا ضَمَمْتُ السَّاقِ الْكَمِيرَ الْجَبَانِ

" وصف حالهم القديمة معهم، وكيفية اتصالهم بهم وانعطفهم عليهم حتى أبطرهم ذلك، فاستعصوا عليهم، ووسمت نفوسهم إليهم بالاستغناء عنهم، والاكتفاء من دونهم. فيقول: لما رأيناكم أنبياء في أنفسكم، أنقاه في أحراركم لا ناصر لكم، ولا مدافع دونكم، فحططنا عليكم لنرفع حسيبتكم، رحمة لكم، وضممتكم إلى أنفسنا من غير حاجة إليكم ولا نكثر بكم لنجبر كسرهم، ونوفر نقصكم كما نضم العصائب التي يعصب بها الكسر. والجبار التي يسوى بها العظيم الكبير المجبور. وهذا من التشبيه المصائب، والكلام المتخير " ^(٣).

ومن أحسن التشبيه وأبلغ التعريض قول ابن زبلة للتميم: ملغوذ من زيب الرجل:

ثَبَّيْتُ عَنْكَ غَارِبًا رَأْسَهُ بِسَيِّئَةٍ يُوْضِدُ أَخْوَالَهُ

لأنه " جعل عرز الرأس كناية عن الجهل والذهاب عما عليه وله من التحفظ ... وهذا من أحسن التشبيه وبلغ التعريض " ^(٤).

٣ - المعقولة:

ويقصد به قوة وج الشيء في الم شبه بحيث يستغني المشبه عن ذكر وجه الشبه، بقول تدامة بن جعفر (ت ٢٣٧ هـ) في نقد الشعر: " لمحسن التشبيه ما لوقع بين بين شيئين حتى يذني بهما إلى الاتحاد " ^(٥). وهو ما يجعل التشبيه بسيطاً قريب المخذ، سهل الإدراك والتناول، وما اتصل به من من أساليب وطرائق الأداء، وأغراضها المختلفة: كتجميع، أو التشخيص... إلخ من الوسائل والأغراض.

وعبارته " اللفظة وحسن التدوير، فأصنفه ما لا ينتقص عند العكس " ^(٦).

وأحسنه " ما لوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات لكثير من أفرادهما أيبين وجه التشبيه بلا كلفة إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشير صفات المشبه به ولما كان له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس " ^(٧).

ومن يتعرض لأشعار ديوان العمامة يتجلى أمامه بوضوح تفنن شعراء العمامة وإبداعهم في تصوير المحسوسات والذخنيات والمضويات على حد سواء.

(١) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٢٥٢)، (١ / ٧٤٨، ٧٤٩).

(٢) وآلاف: جمع النقي، وهو الرجل الشل، الفص. وشل دق نكة.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٦٢٧)، (٢ / ١٤٨٥).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان العمامة: حماسة (٢٢)، (١ / ١٤٢).

(٥) تامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق وإعداد عبد المنعم حطلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص ١٢٤.

(٦) المرزوقي: شرح ديوان العمامة، المقدمة ص ٩.

(٧) نفسه: المقدمة ص ٩.

المضارب السلاعية تصل الثاني: حلم البيان انتشبه
وبحسب تامل الشاعر مع الصور التشبيهية - حسية كانت أم مغشوبة - تعاملها بآداب، عذر من خلالها
الشعراء عن مكنون تلافيتهم ومقترنتهم الغبية الرصيبة.

وقد أولى الشراح الصور التشبيهية الطفولية والاهتمام، وتوعدت عباراتهم للدالة على هذه الحيلة وهذا
الاهتمام، فتراهم يتون على ما استحسنوه منها، ويعرضون عن تلك التي لم تحظ بالقول عندهم، والشواهد على ذلك
كثيرة أثراها على نحو مفصل فيما سبق.

ومن انتشبهات التي يتمثل فيها جلق المقاربة، وبسطة التشبيه وسبولة إدراكه، تشبيه النجوم في كثرتهم
وإدراكهم لأعدادهم بقليل^(١)، والتشبيه بالليل قصد به إظهار الهول والإحاطة بالأعداد وإدراكهم.

وتشبيه جلد الحبة بالتهلول التي تزخرف بها الإبل في قول عنترة بن الأبرص: (الطويل)
ملى بضاجي جلد حبه وسراجه ومخاض ليثبه تهاويل زخرف .

" أراد أنه ملون الجلد ... فشبّه بوزن جلد الحبة وظهره ومجمع صنفتي عنقه لاختلاف ألوانها بالتهلول
التي تزخرف بها الإبل " ^(٢).

وتشبيه الممنوح في أثره على الناس واستمراره حتى بعد موته ، بالغيث الذي يحيا نسل في خبره حتى بعد
انقطاعه ، يقول الحسين بن مطير: (الطويل)

فمن عيش في مرقوقه بغد مؤثبه فما كان بغد السيل نجس
ولما مضى من مضى الجود فتنقضى وأصبح عرين الكارم أجدا

" شبهه بالغيث يصوب فيحيى للبلاد ثم يعيش الناس في آثاره بعد انقطاعه ومصبه " ^(٣).

وتشبيه الليل بالمتحير ، والنجوم بالقليل، في قول حنظل بن حندج: (المبسط)

منى أرى الصبح قد لأخت مغابله والليل قد مزقت غنة السرايل
لئن تخوّل ما نخط في جهه فأله فوق منن الأرض مشقول
نجومه زقد ليمت برؤيه فأما من في الجؤ القبايل

حيث جعل " الليل لامتاده واتصال دوائه كالمتحير كواكبه عن المسير. التقم على حد لا يزول عنه " ولا يحول ،
ولا يجمع ولا يمل. والمشقول: المفيد... وشبه النجوم في إضاءتها بالقليل. وإنما يعلو ضوء الكواكب ويزهر عند فراقهم الظلام
واستحالكه. والرك: جمع الرلك. وجعل للكواكب في الجو لأنه توهمها كالقليل المعلة " ^(٤).

(١) البرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (١١١)، (١ / ٢٢١)، قول بعض شعراء حمير:
قلنا الأبد ليس ضارناهم ونشعل كالبدر خيلن ليس لينة
(٢) الفضلي: للبارز للنسب في الأصل والمزاد به هنا ظاهر للجلد. والتهلول: ما يعلق من المعين على الإبل، ولا واحد له من لفظه، والتهليل
تهليل كما يقال تهليل وتجليف. ولزخرف: كل ما حسن به شيء، وأصله الذهب.
(٣) البرزوقي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٨١٨)، (٢ / ١٨٠٦ ، ١٨٠٥)،
(٤) نفسه: حماسة (٣١٩)، (١ / ١٢٧)،
(٥) نفسه: حماسة (٨٢٧)، (٢ / ١٨٣٠)،

بحضورهم. وبين الصفتين تفاوت عظيم، وتباين شديد. وصنفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على توهم تقارب بينهم، لأن ليس يمتش من لا يبين المبلغة الفاحشة، ولا يخالف المخالفة المنكرة" (١).

وهكذا ومن خلال الشواهد التي اطلعنا عليها ولترناها داخل هذا المبحث نكون قد أتينا على أشكال التشبيه وتحليله، وعلى أحكام ومقاييس تدقته ونقده، التي تحتاج إلى دربة وثقافة فنية وشعرية حظي بها شراح الحماسة، ووجدنا صداها في شروحيهم وتعليقاتهم، فـ "الثقافة الشعرية هي المد الأنسي لممارسة الشرح إذ لا بد من إثرائها بضروب أخرى من التعلقات التي لها صلة بامتصاص الشارح من بعد لو قريب" (٢)، مما كان لها أكبر الأثر في إثراء هذا الحاتب، وإحسانه ثقافيا وفنيا.

(١) المبروراني: شرح ميزان الحماسة: حصة (١٢٢)، (١ / ٢٦١).
(٢) د. أحمد القويطاني: شرح شعر عبد العرب، ص ١٠٩.

والاستعارة من أوائل فنون التعبير الجميلة في اللغة العربية، فقد ظهر هذا الفن منذ القدم في الشعر العربي، لكن ظهور المصطلح كفن متأخرًا، وذلك بعد بحوث للعلماء في الرد على الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، وبعد المفاضلة بين الشعراء في المصور المختلفة .

وهي باب من أبواب المجاز اللغوي، أوردتها للعلماء السلفون بعد التشبيه لما بينهما - أي الاستعارة والتشبيه - من صلة إذ لا يخفى أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه الأصليين وألقاه وجه الشبه، فهي " مجاز قلم على التشبيه استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضحت له في أصل اللغة، لعلاقة بينهما، وهي تعتمد على التفاضل التام بين طرفيهما، بحيث يخل للمتلقي أن المشبه هو نفس المشبه به وذلك بإيقاط للمشبه من الصورة، وإن الاستعارة لتخييلية المكنية كالاستعارة بالتمثيله ضربان من ضروب التمثيل لاعتماد للعلاقة التي تربط بين طرفي كل منهما على التوليد والتخييل وكونها منتزعة من قبل العقل لا الحس " (١).

ولكنها على الرغم من ذلك هي أبليغ من التشبيه " لأننا مهما بلغنا في التشبيه فلابد من ذكر الطرفين، وهذا اعترا ببلينهما، وأن العلاقة بينهما ليست إلا التشبيه والتداني فلا تصل حد الاتحاد، إذ جعلك لكل منهما اسمًا يعزى به لبيل على عدم امتزاجهما واتحدتهما، بخلاف الاستعارة فإن فيها دعوى الاتحاد والامتزاج، وأن المشبه والمثبه به صارا شيئًا واحدًا يصق عليهما لفظ واحد، فإن قلت: رأيت بحرًا يعطي الباقس والمحتاج، كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئًا واحدًا حتى صبح لي تسمي أحدهما باسم الآخر، ولو لا ما أفعت من الدليل (القرينة) على ما تريد، لما خطر ببال المخطئ غير البحر الذي تعرف بهذا الاسم، ومن قبل هذا اشترط فيها تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، فلا ينكر وجه الشبه، ولا أدقته، لا لفظًا ولا تقديرًا ... " (٢).

وقد أدرك القدماء مكنة الاستعارة، وقيمتها بين فنون البيان، فقال ابن رشيق عنها: " الاستعارة أفضل للمجاز ... وليس في جلي الشعر أنضل منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، وبزلت موضعها " (٣).

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني هذه المكنة بقوله: " اعلم أن الاستعارة ... أمد مبدأنا، وأشد افتقارًا، وأكثر جريئًا وأعجب حُسْنًا وإحسًا، ولوسع سعة بُعد غَوْزًا .. ولأحضر مبدَّرًا، وأملًا بكل ما يملأ صنزًا، ويمتّع عقلًا، ويؤنس نفسًا، ويوفر أنسًا ... ومن للتشوية الجلصة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدًا في صورة مُتَخَنَّة تزيد فترة نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلًا ... وإنا تأملت لكلم الصنعة التي بها يكون الكلام في حد البلاغة، ومعها يستحق وصف الدراعة، وبها تقتدر إلى أن تعبرها حلاها، وتقتصر عن أن تتازعها مناهها، وصلختها نجومًا هي بدرها، وروضًا هي زهرها، وعرائس طلم تُعَرِّها خليها فهي عولطه، وكواعب ما لم تُخَمَّنْها فليس لها في الحسن حظ كامل . فإني لآرى بها الجماد خيًّا نلجأ ... " (٤).

(١) د. محمد عبد الحميد لامي: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة العلمية للتراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٩٨٤ م، ص ١٢٠.

(٢) أحمد مصطفى الراعي: علوم البلاغة: البيان والمعاني والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م، ص ٢٥٨.

(٣) ابن رشيق: القصيدة: ٢٦٨٦.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: لسان البلاغة: ٤٦-٤٣.

أما عن دورها، فقد تحدث عدد القاهر للجرجاني عنه حين لخص الاستعارة إلى: استعارة مفيدة، وهي التي تكون في الشعر، واستعارة غير مفيدة، وسبب استخدامها هو " للتوسع في أوضاع اللغة، والتتوق في مراعاة دقائق في العروق في المعاني المنول عليها. كوضعهم للعضو الواحد لاسمي كثيرة بحسب اختلاف أجناس الحيوان، نحو وضع الشفة للإنسان والمنفر للبحر، وما شاكل ذلك من لفروق " (١).

ولعل السبب الرئيس في هذه المكنة المتميزة التي حازتها الاستعارة، هو " أنها تنحل في نفس السامع ما لا تفعل في الحقيقة " (٢). فهي أبليغ من الحقيقة لأنها " تعبير تصويري، ونعني أنها تعبر عن المعنى في صورة تتشكل في ذهن القارئ المتلقي، لتكون لذلك لوقع في نفسه، وأصق تأثيراً فيها، لأن الصورة أبين وأظهر. وكان القارئ يشاهد المعنى ويعاينه. والمشاهدة أدعى وأبلغ في الإدراك. وهذا هو نضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة " (٣)، وعبارة كما أبان المرزوقي " الذهن والنظنة " (٤).

ومع هذه المكنة الكبيرة التي أقر بها القماماء، فقد ظل احتفالهم بالتشبيه وإعلاء بلاغته كبيراً مقارنة بالاستعارة، " فالأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التشبيه، ولذلك عد أصلاً وعدت الاستعارة لرغائمه، ومنذ ابتداء البحث فيهما والعلماء يخلطونهما، فيجعلون بعض الاستعارات تشبيهات، وكثيراً ما يعمسون، فيطلقون على بعض التشبيهات لقب الاستعارة " (٥).

بالإضافة إلى أن " درس للتشبيه عند البلاغيين للعرب قد أخذ حظاً أوفى من درس الاستعارة، ولأن العرب قد أولوا التشبيه عناية تفوق عنايتهم بالأنواع البلاغية الأخرى، حتى عدوه أحد أعراض الشعر للرسمية، أما درس الاستعارة، فلم يزل حقه من العناية إلا على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه " أسرار البلاغة " (٦).

وك وجد هذا الأمر صده عند شراح الحماسة، فلم يكن لشرح الحماسة وقد اطلعوا على مصنفات أسلافهم من البلاغيين والنقاد، والمتشبعين بأرائهم وأحكامهم، أن يفرحوا بصدا عن السرب، فنراهم قد تلقوا تلك الرؤى ممن قبلهم، فلم ينزلوا الاستعارة مكانتها في علم البيان، ولم يتفروها حق قدرها، مقارنة بالتشبيه، وهو ما انعكس على شراح شعر ديوان الحماسة، فلم تلق الاستعارة من العناية والاهتمام ما لاقه التشبيه، فتناضوا عن تحليل كثير من الاستعارات الواردة في ديوان الحماسة، ولم يحدوا صورها.

وهذا لا يعني أن شراح الحماسة لم يلتفتوا إليها، ولم يولوها أهمية، وإنما يعني أن اهتمامهم بها تم من خلال سياق مختلف، ولعل الملحوظة الأولى في هذا السياق أن بعض الشراح قد اقتصروا بها، وتحدثوا عنها، وخصوها

(١) عدد نقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص ٢١٠.

(٢) أبو هلال العسكري: الصنائع: ٢٧٥.

(٣) دلائل السوسي للبدوي: العناصر البلاغية والتشبيه في شرح المرزوقي على ديوان الحماسة: ص ١٩٦.

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، الصفحة ص ١١.

(٥) دبري طبقة: البيل العربي دراسة تاريخية قديمة في أصول البلاغة العربية. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٧ هـ.

(٦) ١٩٥٨ م، ص ٣٠٠.

(٧) دلائل سيرة: شرح المرزوقي الحظيرة والإجازات، ص ٦٧.

بجزء من دراستهم، وتغنوا في كيفية معالجة صورها، وأبقوا عن فضلها وأهميتها ومكنتها، واستحسنوا بعضها، وعلوا البعض الآخر، مدعين أنانهم بالشواهد والأمثلة المختلفة.

ومن هنا وجدنا في شروحهم التفاتات حمولة، ولتباينت نكل على نكاه ولماحية في تتبع أصل الفكرة التي أراد الشاعر تناولها، وهو ما سيبتدى لنا في الصفحات التالية.

شرح الصورة الاستعارية وتحليلها:

سار الشراح في تناولهم الاستعارة على العنوان نفسه الذي اتبعوه في شرح التشبيه. فهم يشرحون الاستعارة لتوضيح وبيان معنى الصورة الشعرية.

يقدم الشارح تعليقه المتصل بالاستعارة وفقا للمسبق الواردة فيه، وهو "ما يبيوح بإمكانية الخروج عن الاستعمال الجاري للفظ غير أنه خروج مشروط ليس على طريقة للمفارقة التي تعوزها القران" (١). لذلك وجدنا الشراح في كثير من الاستعارات التي يتعرضون لها بالشرح والتحليل، يكتفون بهذا الشرح عن نثر المعنى وفرد، يحل بذلك شرح الاستعارة محل شرح النص الشعري، من ذلك مثلا تعليق المرزوقي على هذين البيتين:

مثل قول تالط شزاء، ونكر أنه لظف الأحمر، وهو الصحيح: (المديد)
ثُمَّنْكَ السُّنْبُ لِقَتْبِي هُنْثِي وَتَزِي السُّنْبُ لَهَا زِمْتَهْلُ
وَعِنَانِي الطَّبِيرُ تَهْلُو بِطَانِيَا تَخْطُ لَهَا لَهَا تَمْتَهْلُ

"استعار الضحك للضبع، والاستهلال للذئب. وأصل التهلل والاستهلال في الفرح والصباح، والمراد رعد العرش لهما، واتصل طمعهما بقصص قله في هذيل. وليس قول من قل معنى تضحك: تحوض، بشيء" (٢).

ومقصد الشاعر "أنهم قد أولعوا في قبيلة هذيل وقعة عظيمة، حتى كثرت فيهم المتلى، فبر عن هذا المعنى المراد بفرح الضبع والذئب بجثث القتلى، فاستعار للضبع الضحك، وللذئب الاستهلال وهو الصباح عد الفرح" (٣).

وقد يتعرضون للاستعارة بالتحليل والشرح في سياق شرحهم لدلالة البيت، وكل كلاما يكمل الآخر ويؤكد. بتوضيح ذلك من تحليل المرزوقي لهذا البيت: قللت عمرة الغنمية، ترني انبها: (الطويل)
هَذَا تَلْبَسَانِ الْعَبْدَ لَحْمَنَ بِنْتَهُ شَجَبِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ جِلَافُنَا

"وصفتها بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل اكتساب، وأنهما يضلن به حيث ظهر وطلع فلا يتركنه لأحد ماداما يستطيعان كسبه والفوز به ... ومعنى (يلبسان المجد)، أي يتمايلن ويمتعان به. وقال:

(١) د/عبد الوهبي: شرح الشعر عن العرب، ص ١٦٧.
(٢) المرزوقي: شرح ديوان المصطفى: حماسة (٢٧٣)، ص (٨٣٧/١).
(٣) د/إمام الموسوي: المعاصر البلاغية، ولتنبه في شرح المرزوقي على ديوان المصطفى: ص ١٩٦.

لَبِثْتُ أَمْسِي خُشْيَ ثَنَانِيَّتْ غَرِيَّةٍ وَيَثُوتُ أَغْصَابِي وَيَثُوتُ خَالِيَا " (١).

وقال الكروبيون بن زيد:
رَأَيْتُ بِي وَنَحْنُ لِنُسَمِّي الْمَشْيِبَ فَأَمْلَتْ غَضَابِي فَكُوتِي أَمَلًا خَيْرَ أَمَلٍ (الطويل)

" يقول: رأيتني هذه القبيلة، وقد قنعني المشيب بخماره، وتجذني الدهر بأحداثه ومصائبه، فملكت رجاءها بغفائي وكففتي، وشدعت أزرها لما تفرست في نظري وشهامتي، فقويت أملياً، وأكنت طمعها، وقلت: كوني أملاً خيراً أملاً. وهذا الكلام يجوز أن يكون معناه دومي على أملاك وكوني خير أملاً، فأصق ظنك وأحق طمعك. ويجوز أن يكون دعاء لها، كأنه قال: جعلك الله خير أملاً. وخير الأملين من يبلغه الله ما موله، ويبلغه طلبته وسوله. وإنما قل " كوني أملاً " ولم يقل أملاً، لأن المراد كوني حياً أملاً، فلم يتصد قصداً " (٢).

أما قول أبو الغول الطهوي في الفخر بشجاعة قومه:
وَلَا تَبْلَى بِمَنَاثِلِهِمْ فَإِنَّ هُمُ صَالُوا بِالْخَرْبِ جَيْشًا بَغْذَجِينَ (الوافر)

نجد الاستعارة قد وقعت في قوله " ولا تبلى بمناثلهم "، وقد شرحها المرزوقي فقال: " يقال: بلى الثوب، بلى بلى وبلاء. يستعار فيقال: لبست فلاناً وبليته، إذا استمتعت به وتعليته. وإنما يصفهم بالاستمرار على حالة واحدة في مزاولته الحرب. ولن شجاعهم لا تنقص، ولا تبلى عند امتداد الشر، واتصال البلاء " (٣).

وهذا شرح واضح للصورة الاستعارية، يفيد في بيان معنى البيت. ويزيد في قوة هذه الصورة قول الشاعر " صلوا بالحرب " وهو تعميق لمعنى الاستعارة، إذ جعل الشاعر الحرب نازلاً يصلى بها الفرسان المحاربون.

وقد ينتبه الشارح إلى ما في البيت من استعارة، ويقوم بشرحها وتحليلها، ولكن دون التصريح بمصطلحها، والامتعاضة عنه بمصطلحات أخرى، فقد يستخدم مصطلح " المثل "، كما وقع في قول أبو صخر الهنلي:

رَأَيْتُ فَضِيلَةَ الْفَرْبَسِيِّ لَنَا وَرَأَيْتُ الْخَيْلَ تُشَجُّزُ بِالزَّنَاجِ وَرَأَيْتُ الْمَنِيَّةَ فَهِيَ ظِلٌّ غَلَسَ الْأَبْطَالُ دَانِيَةً الْجَنَاحِ (الوافر)

في البيت الثاني استعارة انتبه إليها المرزوقي، وشرحها مع بيان وجود تركيبها. ولكن العجيب في الأمر أنه لم يصرح بأن في البيت استعارة، بل ذكر مصطلح " المثل " للدلالة عليها، وذلك بقوله: " يقول: ولما استدارت المنية وحلقت على رموس الأبطال، فهي ظلٌ دانية الجناح من قمم رموسهم. وهذا مثل. والمعنى: لما أشرقت المنية عليهم إشراف الطائر على ما يريد إنكداره عليه، بقت فضيلتهم. ويقال: راق الطائر في الهواء، إذا حلّق واستدار،

(١) المبرودي: شرح ديوان الحماسة: حماسة (٢٨٦)، (٢/ ١٠٨٤).

(٢) نسه: حماسة (٢٦٠)، (١/ ٦٣٩).

(٣) نسه: حماسة (٣)، (١/ ٤١).

وجعل للمنية ضلاً تحقيقاً للاستعارة من الططر، لأنه يوقع ظله في تلك الحالة. وجعل الجناح دانياً تأكيداً لطمع الموت في الفوز بالأرواح الاختلاس. وكذا الططر في التحليق عند الانتضاض " (١).

فالاستعارة هنا غنية التركيب كما بين المرزوقي في تحليله وهي " ذات أبعاد وأجزاء عديدة، يتجمع بعضها إلى بعض، وتكأن فيما بينها وتؤلف صورة شعرية واحدة قوية الدلالة والإيهام.

أ - فالاستعارة تبدأ بقول الشاعر " ورنفت المنية "، أي برزت المنية في صورة ططر الموت، وهو يحلق فوق الأبطال في ساحة القتال. وهذا تصوير لشدة القتال والتحام الأبطال.

ب - وتتسع الاستعارة بقول الشاعر " فهي ظل على الأبطال "، أي المنية - الططر لها ظل واسع يمتد ويظلل الأبطال جميعاً. وهذا تصوير لكثرة القتلى في هذه الحرب وشمول البلاء كل المحاربين.

ج - ويؤكد الشاعر الاستعارة ويقويها بقوله " دانية الجناح " فتبلغ ذروة الإيهام بالموت.

فالمصورة الاستعارية بوحه تركيبها و كل أجزائها تدل على شدة الحرب وشمول البلاء. وتوحي بتحليق الموت فوق رؤوس الأبطال. وقد أشار المرزوقي إلى كل ذلك حين شرح المعنى دون تصريح بالاستعارة " (٢).

أو يستخدم مصطلح " المجاز " للتعبير عن " الاستعارة "، كما في المثال التالي من قصيدة دريد بن الصمة:

وَعَبْدٌ يَغْمُوثُ تَخْذِيلُ الظُّنُوزِ خَوْلَةً وَغَزْرُ الْمَصَاتِبِ جُثُو قُبْرِ غُلَى قُبْرِ

بقول: "... واستعمل الجثو محاز هنا، لأن القبر لا يجثو، والحثو من التراب وغيره " (٣). وهذه استعارة ظاهرة للعين، وليس للمجاز هنا وجه.

وقد يعتمد التعبير المصطلحين معاً، المجاز والاستعارة؛ نتيجة للطريقة التي يستخدم بها الشارح مصطلحات الصورة مما قد يدفع المتلقي إلى التحويل على جانب الإيهام لتفسير رؤياه وتلميم وجهته، أو لتبنيها كما أرادها له الشارح أن تكون، كما جاء في شرح قول دريد بن الصمة:

فَمَبِيشُ الْإِزَابِ خَارِجٌ بِصَفِّ سَنَابِلِهِ يَجِيءُ مِنَ الْأَفْصَاتِ طَلَاغُ أَنْجَبِ

بقول المرزوقي: " للكمش والكمش: الخفيف السريع للحركة، يقال: اكمش في حاجتك أي تخطف وأسرع، وأضاف الكمش إلى الإزار على المجاز " (٤).

(١) المرزوقي: شرح ديوان الصمة، جلد ١ (١٠٩)، ١/٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) د. الهادي السوي للمد القومي: تفسير البلاغة والشعرية في شرح المرزوقي على ديوان الصمة: ص ٤٩٧.

(٣) المرزوقي: شرح ديوان الصمة: جلد ١ (٢٧٢)، ١/٨٢٣.

(٤) صم: جلد ١ (٢٧١)، ١/٨٢٨.

نقد أشر المرزوقي إلى الاستعارة في تطبيقه على إضافة الكميش إلى الإزار، ولكنه لم ينص على تعبير الاستعارة، بل استخدم مصطلح المجاز، للتعبير عن تلك الصورة، وهو مجاز مرسل يتحدث فيه عن نوع محدد هو النوع "الذي يشكل علاقة لحتواء بين الإزار وصلبته، أي أن صفة الخفة لا تلتحق بالإزار، بل بمن يرتديه، وها هنا يبدو المجاز من السلب الاختصار في الكلام، فبدلاً من أن يقال: إن صاحب الإزار سريع الحركة يختصر التعبير إلى أن الإزار سريع الحركة، ووفقاً لهذا التفسير فإن المجاز المرسل في هذه الحالة لا يخلق صورة، ولا يعد بعض البلاغيين الغربيين تبعاً لذلك من الأنواع التصويرية، بل إنه من الطرائق التي تلجأ إليها اللغة في الاختصار، لكن لتعبير "كميش الإزار" منظور آخر، فمن الممكن أن يعد هذا التعبير صورة، ولن تحقق صفة الخفة في الإزار نفسه، وإن فُتحت أمام مجال يثبت فيه الحيوية في الجمادات، ثم يتم بعد ذلك - عن طريق عملية من عمليات الإحياء - نقل هذا المجال إلى المجال الإنساني نفسه ليتحقق من خلالها تصور صحيح للتعبير. وإن فُتحت أمام استعارة، ووفقاً للاحتمالين السابقين يبدو تعبير "كميش الإزار" محتملاً لمجاز المرسل قارة، وللإستعارة قارة أخرى^(١).

وقد لا يستخدم الشارح أي مصطلح في شرحه للاستعارة، مثل شرح المرزوقي لهذا البيت من قصيدة لجعفر بن عتبة الحارثي:

(الطويل)

لا يَكْشِفُ الْفَتَاءُ إِلَّا ابْنَ خُمْرَةٍ نَسَرَى غَضَرَاتِ الْعُقُوتِ ثُمَّ يَرُوزُنَا

بالقول: "معنى (غمرات الموت) أن يتحققها بالممارسة حتى يصير كله أمركها بحاسة العين وشاهدنا"^(٢).

وقد يهمل الشارح - أحياناً - ذكر الاستعارات الواقعة في أقوال شعراء الحماسة، بل يمر عليها مرور الكرام، من غير عناية أو اهتمام، ومن غير شرح ولا تحليل. مثال ذلك قول الشاعر:

(الكامل)

مَنَاقِبُهُ قُلَمٌ لِلرَّزَى بِأَبْيَنِّةٍ قُلَمِي مَوَاقِفَ الشُّقَارِ جَسَدًا
فَتَلَطَّفَ وَالْخَيْلُ فِيمَا رَفَعَ الرُّوْعَى نَجْدًا تَضَعُ مِثْلَ نَوْبِ الْجَبَدَى

في هذا البيت استعارة في قول الشاعر "كلل الرزدي"، وهي استعارة بارزة للعنان، وظاهرة غير خفية. وقد مر بها المرزوقي مر الكرام من غير إشارة أو تلميح. ولم يكلف نفسه عناء شرح الصورة فيها وبيقها^(٣).

ومثال هذا الصنيع كثيرة في الكتب. منها إهمال ذكر الاستعارة في قول القتال التلابي:

(الطويل)

أَرَى الْهَيْمَ إِذْ ضَمَّافَ الزُّنَاعِ قَامَتْ نَحْتٌ مَنَاقِبُهُ تَفْشُرُ فِيهَا الشُّعَالِبُ^(٤)

والاستعارة هنا في قول الشاعر: "أرى الهيم، إذ ضامف الزماع"، ولم يشر إليها المرزوقي كما لم يعد إلى شرحها.

(١) د. الصمد حمزة: شرح المرزوقي النظرية والإجراءات، ص ٥٦، ٥٧.

(٢) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جلد ٥ (٥)، (١١/١)، (٥٠).

(٣) د. إمام الواسي الحداد: الخناس البلاغية والتعبير في شرح المرزوقي على ديوان الحماسة: ص ١٩٩، وانظر المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جلد ٥ (٢٢٤)، (١١/١)، (١٧٣)، (٢٢٤).

(٤) المرزوقي: شرح ديوان الحماسة: جلد ٥ (٢١٧)، (١٠/١)، (٢٥٢).

ويشبه هذا المثال قول الشاعر خلف بن خليفة:
 وَيَا لِدُورِ أَشْجَايَ وَفَيمَ مِنْ شَيْءٍ لِي
 زَيْسٍ خَوْلَهَا أَشْأَلَهَا إِنْ أَتَيْتَهَا قَرِينِكَ أَشْجَايَا وَفِي مَنْ مَنُونٍ^(١)
 (الطويل)

والاستعارة هنا في قول الشاعر "قرينك أشجأ"، ولم يشرحها المرزوقي.

وربما مرد ذلك - أعني إعراض الشارح عن الإشارة إلى أمثال تلك الاستعارات - يرجع إلى بسطتها ووضوحها وضعف جاذبية التصوير فيها.

وقد حمل هذا التناقض - أعني تغافل الشارح عن صور استعارية باهرة ومؤثرة - الشارح "بقم تفسيرات غير مقولة - حتى بمقاييس الذوق القديم - لبعض الصور الاستعارية"^(٢)، من مثل تعليق المرزوقي على الصورة في قصيدة الصمة بن عبد الله القشيري "حننت إلى ريا"، وهي قصيدة مشهورة:
 (الطويل)
 وَأَنَا رَيْنُوثُ الْبَيْتِ أَغْرَضْتُ نُونِيَا وَخَالَتُ بِثَلَاثِ الشُّوْقِي وَخَشِيْتُ نَزْعَا
 بَكَتْ عَيْنِي الْيَنْثَى فَلَمَّا زَجَرْتُهُمَا غِنَى الْجَهْلِ بِفَذِ الْجَلَمِ أَسْبَتَا مَغَا

يقول: "وإنما قل: "بكى عيني اليمنى" لأنه كان أعور معتما بعينه اليسرى، والعين العوراء لا تدمع، فيقول بكى عيني الصحيحة، فاحتشنت في زجرها عن تعطلي العهل بعد أن كنت تحلمت. وتركبت الصبر، فلما تكلفت ذلك لها، أنلت العوراء تنمع معها وتبكي، وفيه بهذا على عصيات النفس والقلب، وقلة لتمامها له، وأنهما إذا زحرا، وردا عن مواردما زادا المنكر منهما"^(٣).

فشرح المرزوقي للبيت لا يعدو كونه إشارة لمعنى البيت من غير تحليل لخصائص الصورة الاستعارية، ولا يبين لالفتها الرمزية.

وفي بعض الحالات نرى من الشارح من ينص على الصفة الاستعارية للصورة، كما في قول شاعر الحملة: (بلعاء بن قيس)
 (البيسيط)
 وَقَارِيسٍ لِي غُصَارٍ الْمَوْتِ مَنُفَّحِينَ إِذَا تَأَلَّى غُلَسِي مَقْرُوبِهِ مِنْ تَلَا

يقول المرزوقي: "جعل للموت غماراً على التشبيه بالماء، ثم جعله منفساً فيها، فحسنت الاستعارة"^(٤).

وقول شاعر الحملة: (تاج شرا)
 شَخِخْتُ السَّخْبَ بِقَتْلِي مُنْذِرِي
 وَعَدَّائِي الطُّيُورِ تَهْفُو بِطَارِهَا
 وَتَزِينُ السَّخْبَ لَهَا زِينَتَهُلْ
 تَخْطِطُ لَهُمْ فَمَتَا تَمْتَتِيلْ
 (المديد)

(١) المروقي: شرح ديوان الصمة: حملة (١٩٦)، ١/٨٨٩.

(٢) دأب مدحمة: شرح المروقي الشعرية والأجرام، ص ٦٦.

(٣) المروقي: شرح ديوان الحملة: حملة (١٩٦)، ٢/١٢١٧.

(٤) حملة (٨)، ١/٥٩.

يقول المرزولي: " استعار الضحك للضعف، والاستهلال للفتن، وأصل التهليل والاستهلال في الفرح والصباح، والمراد رعد الحش لهما، واتصال طعمهما بقصائل تله في هذيل، وليس قول من قال معنى تحضك: تحيض بشيء " (١).

وفي سبق هذا الشرح، وجفانهم يحتجون لها بنظائر من الشعر، أو الأمثال، أو مما حكى عن العرب وما عرف من طريقهم في التعبير المجازي.

نمن احتجاجهم بما ورد عن العرب من أمثال وأشعار، استعارة الإناء للحرمة والحمى في قول حسان بن عطية:

قُلْ إِنِّي أَخْبْتُ الْقَوْمَ مَصْفًى إِذَا لَمْ يُزَاجِمْ خَالِصَةً بِأَبٍ جَلِيٍّ (الطويل)

" يقول: ابن أخت القوم منعوس الحظ مفقوس الشرب، ممل الإناء والحوض متى لم تتجده أبوة يشند بها أمومه، وعصومة يتلبد بها خزولته. وهذه الأمثال مضرورية للهضيمة تلحق فلا يتحرك لتلعها الأخوال وإن كان بين ظهراتهم، ولأن الحمية إنما يبعثها ثرائد بني الأعمام، أو المنتسجين إلى الأبناء، وجواب إذا لم يزاحم مقدم، وهو ضرفت لإصفاء الإناء. واستعارة الإناء ها هنا كما قال زهير:

وَمَنْ لَا يُشَدُّ عَنْ خَوْضِهِ بِبِلَاجِهِ يُلَاقِمْ وَنَنْ لَا يُظَلِّمُ النَّاسَ يُظَلِّمُ (الطويل)

ومن هذه الطريقة قوله:

يَا جَفْنَةُ كَسْبِجِ الْخَوْضِ قَدْ كُنْتِ بِنَيْبِي صِلْفَيْنِ يَتَلَوْنَ قُرُونًا الْقُرُ (البيط)

وإن كان في الكفاء ما ليس في الإصعاء، فاعلمه " (٢).

ومما حكى عن العرب وما عرف من طريقهم في التعبير المجازي. ما جاء في قول شاعر الحملة:

(تليط ثرا)

أَفْهَوْنَ لِلْخِيَانِ وَقَدْ ضَلَّزَتْ لَهُمْ وَطْأِي وَيَتَوَسَّى ضَيْقُ الْخَجَرِ مُغْفَرُ (الطويل)

يقول المرزولي: " من كلامهم (نعوذ بالله من صفر الإناء ، وقرع الفناء) وهذه استعارة من شمول القحط وهلاك المال " (٣).

وقد التفت الشراح في إطار تحليل الاستعارة إلى أهميتها، ودورها في إثراء اللغة، من خلال تطويقهم على كثير من الألفاظ كما في تعليق المرزولي على هذا البيت: (بلعاء بن قيس) (البيط)

غَشِيَتْهُ وَهْوٌ لِي جَاءَهُ بِأَمَلَةٍ غَضَبًا أَعْنَابٍ مِنْوَاةِ الرَّأْسِ فَتَنَفَّلَا

(١) المرزولي: شرح ديوان الحملة: حملة (٢٧٣)، (١ / ٨٣٧) .

(٢) نفسه: حملة (١٧٢)، (١ / ٥٢١) .

(٣) نفسه: حملة (١١)، (١ / ٧٧) .

" يقول: العصب القطع، وتوسعوا فيه لقلوا: عضبه عن حلجته، أي حبله، وامراً معضوية، أي معضولة، وسيف عضب أي قطع، كآله وصف بالمصدر، والتعشي أصله الإتيان والملابسة، ومنه العشاوة: الغطاء، وتوسعوا فيه حتى قيل تغشاهم بالعدل أو الجور " (١).

ففي المثال السابق نجد المرزوقي يقف " أمام كلمتين في البيت: عضبا و غشيته، ويرى أن لهما معنيين أصليين هما القطع لعصب، والإتيان والملابسة للعشاوة، ثم حدث لهما نوع من التوسع في المعنى، فلم يصبح العصب هو الحبس أيضا، وأما العشاوة فإن التوسع فيها تم عن طريق التركيب، إذ الأصل في مضاهما أن ينسحب على كل ما يلائم أن يكون غطاء، فحدث نوع من التوسع المعنى ليكون أيضا في العدل أو الجور، أو التعتاس كما في الآية القرآنية " إذ يفتشكم النعل أمنة منه " (الأنفال / ١١) " (٢).

وفي أثناء ذلك قد يكشف الشارح عن معنى إضافي للكلمة، وهو مضى تم عن طريق الاستعارة، كما في تعليق المرزوقي على بيت: (سعد بن ناسب)

لَإِنْ تَهَيَّأُوا بِالْفُتْرِ نَابِي فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَسِيرٍ لَا يَتَّالِي الْفُتْرَاجَا

" يقول: الهمد: التلق والتخريب ... وتوسعوا فيه فقل للثوب الخلق هدم، وجمعه أهدام، وقيل: عحوز متهمة، أي همة فقية " (٣).

فنجد المرزوقي في تحليله للبيت ومفرداته، قد كشف لنا عن " معنى إضافي لكلمة " تهدموا "، وهو مضى تم عن طريق الاستعارة، فالثوب للخلق يشبه تثبيت التندم الموشك على الهمد، وإن فإن عملية نقل المعنى أو لتوسع في المعنى الأصلي جاء من خلال توازن بين صورتين، جاز فيهما أن ينقل لفظ من إحداها، ليطلق على الأخرى " (٤).

وفي أثناء تعرضهم للاستعارات بالشرح والتحليل نلمح حرص الشراح على التنبيه على المطروق المتداول أو الكثير المشهور من الاستعارات، وكذلك الزيادات التي أضفها شعراء الحملة على تلك الاستعارات المستعملة، بحيث أفردت لهم لونا من الخصوصية والتفرد، ميزتهم عن غيرهم من الشعراء.

فمن الكثير المشهور، قول سعد بن ناسب:

فَإِنَّمَا إِذَا ضَا الْخَرْبُ أَتَتْ قِنَاعَهَا بِهَا جَيْنٌ يَخْلُوفَا بِتَوْفَا الْأَرْزَا

(الطويل)

الاستعارة في هذا البيت " للحرب ألقت قناعها "، وقد أشار إليها المرزولي بقوله: "وقوله: لقت قناعها مثل" (٥)، ومثل بمعنى تمثيل، أي تصوير. وهو يريد بذلك الاستعارة. وقد شرح المرزولي الصورة الاستعارية هنا

(١) المرزولي شرح ديوان الصنعة - حلبية (٨) - (١٠ / ١) .
(٢) د/أحمد صبرة شرح المرزولي نظرية الإحراءات، ص ٦٦ .
(٣) المرزولي: شرح ديوان الصنعة - حلبية (١٠) - (٧٠ / ١) .
(٤) د/أحمد صبرة شرح المرزولي نظرية الإحراءات، ص ٦٤ .
(٥) المرزولي شرح ديوان الصنعة - حلبية (٢٢٢) - (١١ / ١) .

فلحسن شرحها بقوله: "لثقت قاعها وجفاها لبنزها. وقوله أثقت قاعها مثل: يريد: إذا اثنت فثقت، وزالت السقرة بين لولادها فترجت، في كبح زيبها وأظن صورتها. وتشبيه العرب في ابتدائها بالفتية المخدرة وتمسرها، وعند تمسكها بالعجوز وأظلمها لقاعها، مشهور في حلقهم وطرائقهم" (١). يعني عادت الشعراء وطرائقهم في شعارهم.

ولم يكن شعراء الحملة مجرد محكون أو مقلدون، بل إنهم استطاعوا أن يعيدوا تشكيل الكثير من الصور الاستعارية، ويصوغونها بشخصيتهم الفنية ورويتهم الإبداعية، بما يمكن شاعريتهم وأصالتهم. وهذا أمر قد عني به المرزوقي على وجه الخصوص.

فهناك الزيادات التي أضالها شعراء الحملة على استعارات قد تكون معروفة أو متداولة بين الشعراء، ومن الشواهد في ذلك قول العنود بن العرخ العجلي "التصيدة من المنصفت": (الطويل)

غَلَسِي خَزْنًا أَلَا أَرَأَى الْفَتَا يَنْجُ نَجِيفًا مِنْ فَرَاغِي وَمِنْ غَضْدي

"المعنى: كفى من حزن أنى لا أزال أرى الرماح تصب دماً من ذراعي ومن عضدي. أي من قوم بهم أظن وأعزّه فهم منى بمنزلة الذراع والمضد. وهذا في الاستعارة لمن يقوى به الرجل ويعتضد أبلغ واتسع وإن تساوت الطريقتان - من قول الآخر: (فيس بن زهير)

فَإِنْ أَكْ قَدْ نَزَرْتُ بِهِمْ غَيْلِي مِي فَكَمْ أَقْطَعُ بِهِمْ إِلَّا بَتْنَانِي" (٢).

وما وقع في قول لبان بن عجة بن العيار:

إِذَا نَحْنُ بِمَرْقَا نَسُونُ شَرْقِي وَمَغْرِبِي تَخْرُكُ يَغْظَانُ الشُّرَابُ وَتَابِيَّةُ

وعلق عليه المرزوقي بالقول: "لم يرض بما انتهى إليه من الوصف في كثرتة، فزاد وقال: إذا سرنا بين مشارق الأرض ومغاربها طبقنا الأرض بكثرتنا، فنزل لنا الطريق المسلوكة وغير المسلوكة، والبطلى: ما وطئ بالأرمل وسلك، فكان تربيته منتبة. والسلام: الذي لم يوطأ ولم يسلك، فكان تربيته ناتم. وقد أحسن ما شاء في الاستعارة، والطبق بالنوم واليقظة. فأما قول زهير:

يُهْدِنَا نَهْدًا دُونَ زَهْدِي غَالِيحٍ وَمِنْ أَهْلِي بِالْغَدِ زَانَتْ لَزْلَةٌ

فقد حسنه التقسيم وإن كان شلوه مقصوراً عن شلو هذا" (٣).

ويظهر بشكل جلي النزعة التعليمية التي حرص تراج الحماسة على استحضارها أثناء تحليل الاستعارة وشرحها. ويبدو ذلك واضحاً من خلال حرصهم على تلمس الشيء المستعار، وبيان لوجه استخدامه واستعماله .. فـ (الملق) في قول شاعر الحملة: (مورج)

(البيسط)

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حاشية (٢٢٢) . (١ / ٦٦٦) .

(٢) نفسه: حاشية (٢٤٩) . (١ / ٧٢٤) .

(٣) نفسه: حاشية (٢٠٨) . (١ / ٦٣٦، ٦٣٧) .

١ - القرب للمعوس والشبه الواضح بين طرفي الاستعارة:

١- "ملاك الأمر تقريب التشبيه في الأصل حتى يتناسب المشبه والمثبه به، ثم يكتفي فيه بالاسم المستعار لأنه المفقود عما كان له في الوضع إلى المستعار له" (١).

ومن الشواهد في ذلك قول جابر بن ثعلب الطائي في وصف الفتى: (الطويل)
فَلَيْتُ الْفَتَى ذَا الْخَزْمِ رَامٍ بِنَفْسِهِ جَوَاشِينَ هَذَا الْوَيْلُ مَنِ يَتَمَوَّلَا

"في الكلام اختصار، كقوله قال: فأجبتن فقلت: إن الفتى الحازم يحمل نفسه المشتق، ويرمي بنفسه المتالف للمجبت، ويمتطي الأموال، كي ينال الأموال، غير مفكر في ظلمة ليل، ولا مستصعب لركوب خطب. وقوله: جواشين هذا الليل يعني صدورها وأولئها. والليل بإزاء النهار في الاستعمال، والليلة بإزاء اليوم. والإشارة بهذا على طريق التريب. وهم يستحيرون الجواشين والهولدي والصدور والنحور والأعناق والروؤوس لأولئ الأمور، كما يستحيرون الأعماز والأبار والأعقاب والأنتاب لأواخرها" (٢).

٢ - وضع اللفظ في موضعها على الوجه الذي يوافق الاستعارة:

كما نرى في قول لؤي حيلة اشمعي في وصف الإخوال والصور عن الإقدام والمشاركة في الحرب: (السيط)
مَنْ كَانَ أَخْجَمَ لَوْ خَانَتْ خَبِيئَتُهُ جُنْدَ الْجَفَانِظِ لَمْ يُقْسِمْ عَلَى الْفُجْمِ
فَقَتْبُهُ نَنْ زُقَيْرٍ يُؤْمَرُ نَارْلَهُ جُفْعَ بِنِ الثَّرَى لَمْ يُحْجِمْ وَلَمْ يُجِمِ

"هذا الكلام يجري مجرى التعريض لما يشتمل عليه من التعبير ... واستعارة النوم فيها حسن، فهو كما يقال نام للثوب إذا أخلق ... وقوله لم يخم يقال خام عن قرنه، إذا نكل ونكص على عقبه. ويقال أيضاً: خام لي مكبته يخيم، إذا لم يظفر فيها بخير" (٣).

وقول زيد بن حصين: (المؤيد)
أَجَلِي عَلَى السُّؤْمِ نَا أَبْتَهَ مُنْذِرٍ وَنَامِي لَإِنْ لَمْ تَمْتَنِي السُّؤْمِ فَاْمَسْهَرِي
أَلَمْ تَقْلِبِي أَمِي إِنْ السُّؤْمُ هَمَمِي بِنَابِيَةِ زُلْثِ وَلَمْ أُنْتَرِثِرِ

"يخاطب لامة له يرم بلومها قال: قلتي من لومك علي ونلمي علي، لأن تعثر النوم عليك، فنجرا بالحالة التي تجمها فاسهري، ليس لك من عتبك مايرد نغما علي ولا طوك. ثم أخذ يقررها على لثة احتفاله بما يأتي به الدهر. فقال: لما علمت أن الزمان إذا مضي بحثقه ذهب علي ولم أتردد في حرقه، ولم أتكس في لواحق ثره ونواقبه، بل أمضي قدما علي ما يسني منه

(١) المرزوقي: شرح موجز المصلة: النسخة ص ١١.

(٢) نكح: حملية (٦٥) . (٣٠٤ / ١) .

(٣) لكس: حملية (٢٢٤) . (٦٨٧ / ١) .

ويخصني، راضياً بما يقسم لي من غنوه، وملتماً ما يعرض له عند جهده. وقوله زلت استعارة حسنة. كل صبره على الشدة وشقه في وجه المحنة، نزل التوب عنه كما يزل الماء الدنس عن الصفور... والمتكرر: العجلة، فكان المراد: زلت الغلبة ولم تخفني فكنت أصجل أو اتحول عما كنت عليه " (١).

وقول الربيع بن زياد الحنفي:
 ضللتُ زارداً أُرَاقُ ثَناً زلزلتُ أمتين الشفتان الفنا

" يقول: تعطفنا عليك في تلك المواقف، ودافعنا دونك، وقد كثرت الأسنان وأسلمتها الشنان، نتلصاً عنها ويوسه حادثة فيها. وذكر القم كنوة عن الأسنان كما يقال فض الله فاه، ويقال في هذا المعنى ثبت الشغل. ومثله قول عنزة:

بذ ثقبين الشفتان عن فمخ للقم

والراو من قوله قد أسلم الشفتان ولو الحال. والاستعارة بسلام الشفتين في نهية الحسن " (٢).

٣ - الإضافة والزيادة على (ما سبق من استعارات) المحاكى والمقلد:

لأنه بهذا تحقق الرفع والخصوصية، بمعنى ألا تكون الاستعارة علمية مبتذلة كقولنا: رأيت أمناً، ووردت بحرًا، ولقيت بدرًا. أما للربيع من الاستعارة لهر " الخلس النضر الذي لا تجده إلا في كلام الفحول، ولا يقرى عليه إلا أفراد الرجال " (٣). وقد مر بنا بعض النماذج على هذه الاستعارات التي حوت إضافة وزينة على ما سبقها، مما يضي عن تكرارها هنا.

وبعد فكل ما سبق من حديث عن تتول النفاقات للمراح إلى الصورة الاستعارية، يظهر لنا مدى تأثر الشراح بالدرس البلاغي للاستعارة عند السلفين من النقاد والبلاغيين، الذي انعكس على تعليقاتهم المختلفة حول بعض الصور الاستعارية. وكذلك لمكلمهم التي استندوا إليها في تقويم الاستعارة، فجاءت تحليلاتهم - في الغالب - مقتضبة، جزئية، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تعكس مدى ثقافتهم وجراحتهم في التناول والتحليل.

(١) الحريري: شرح ديوان الصفة: حاشية (٧٢٨)، (١٦٧٨/٢).

(٢) نفسه: حاشية (١٦٣)، (١٨٧/١).

(٣) عبد القادر العرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٧٤.

الفصل الثالث: بياض علم البصع وقضاياها

أولاً: الطباق والمتابعة

ثانياً: الجنس

ثالثاً: التجريد

الفصل الثالث: مباحث علم الوبع وأقسامه

أولاً: الطباق والمطابقة:

أما الطباق:

المطابقة في أصل الوبع العربي هي: "المطابق من الخيل والإبل الذي يضع رجله موضع بده، فإذا فعل ذلك قيل: طابق البعير، والمطابقة: الموافقة، وطبقت بين الشئين إذا جعلتهما على حنو واحد وألزقتها"^(١).

ولا يوجد بين الاستعمال اللغوي والاصطلاحي للطباق أدنى مناسبة^(٢)؛ ذلك لأن الطباق أو المطابقة عند البلاغيين هو: "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، مع مراعاة التقليل، فلا يحى بسم مع فعل، ولا بفعل مع اسم"^(٣). ومن مسميات الطباق أيضاً: التطبيق، والمطابقة، والتضاد، والتكافؤ، والمقابلة.

والطباق ينقسم إلى لفظي ومعنوي، واللفظي نوعان: الأول: الطباق الحقيقي، وهو ما يأتي بالإنشاء الحقيقية^(٤) سواء كان من اسمين أو فعلين أو حرفين، كقوله تعالى: "وَتَذَكَّرُ لَهُمْ أَقْلُهُمْ وَهُمْ رُفُودُ" (الكهف / ١٨)، وقوله تعالى: "لَوْ تَرَىٰ أُنَاسًا مِّنَ النَّاسِ يَتَزَاوَعُ الْمَالَكُم مِّمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُهُمْ تَشَاءُ وَتَقُلُّ مِنْ تَشَاءُ" (ال عمران / ٢٦)، وقوله تعالى: "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" (البقرة / ٢٨٦).

الثاني: المجازي، وهو ما يأتي بالعطف المجازي^(٥). كقوله تعالى: "أَوَمِنْ كَانَ مَثَافِلُيْنَهُ" (الأنعام / ١٢٢)، أي ضالاً لهديناه، فقد وقع التقليل في المعنى المجازي للموت والإحياء، والمقصود به الضلال والهدى.

والطباق الحقيقي ينقسم ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب "هو طباق موجود في المعجم، يتقليل طرفاه على وجه الضدية"^(٦)، كالأمثلة السابقة. وطباق العطب فهو "الجمع بين فعلين مصدر واحد مثبت ومنفي أو امر ونهي، كقوله تعالى: "وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"، يَذْكُرُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْخِيَةِ الْغَيْبِ" (الروم / ٦، ٧)، وقوله: "فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَالْخَشْيَةَ" (المائدة / ٤٤)، وقول الشاعر: (الطويل)
وَنَتَكَبَّرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلُهُمْ وَلَا يَتَكَبَّرُونَ الْقِسْلُونَ جِيْنِ ثَقْلُومِ"^(٧)

والثالث هو طباق الترفيد وهو: "أن يرد آخر الكلام المطبق على أوله فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأجزاء على الصدور"^(٨)، مثل قول الأعشى:

لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنَّا أَوْفَىٰ إِنْ جَهَنَّمَا طَبْلُ الْخِيَاةِ وَلَا يُؤَفِّسُونَ مَا رَفَعُوا"^(٩)

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة: (طابق).
(٢) انظر ابن معصوم المصنف: الربيع في أنواع الوبع، تحقيق/شكر علي شكر، النصف الأشرف، العراق، ١٣٨٨ هـ، ١٩٨٦ م، ج ٢ / ص ٣١، وانظر: ابن الأثير: الفتح المشرقي، ج ٢ / ص ٢٨٠.
(٣) انظر: القزويني: التلخيص، ١٠٥٥، والإيضاح: ٤/٤.
(٤) انظر: ابن أبي الأصم: تدمير التعبير، ص ١١١.
(٥) منه، ص ١١١.
(٦) الأثر الرند: دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جبهة: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء / بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م، ص ١٧٣.
(٧) ابن أبي الأصم: تدمير التعبير، ١١٥١٤، والقزويني: الإيضاح: ٧/٤.
(٨) د/اهم مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج ١ / ص ٢٥٨.
(٩) نفسه: ج ١ / ص ٢٥٨.

هذا هو الطباقي اللفظي ، أما الطباقي المعنوي " فهو مقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ ، كتقوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَرَوْنَ زُفْرًا يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَلَيُحْمَلُنَّ فِي الصُّلْبِ سُنُوبُهُمْ" (س / ١٥ ، ١٦) معناه : ربنا يعلم إننا لصافقون^(١) .

نلاحظ إذن أن الطباقي اللفظي ليس وأسهل في الإدراك والفهم على المتلقي من نظيره المعنوي ، الذي يحتاج إلى إعمال العقل والفكر .

ويتبع شروح ديوان الحماسة ويمكن ملاحظة ميل الشراح الواضح إلى استعراج الطباقي والدلالة عليه ، وتحليله . كما نذهبوا على بعض أقسامه وأنواعه ، فهناك الطباقي اللفظي ، وشاهده - بيت شاعر الحماسة ، ويقال إنها لتأبط شراً :

فَيَبْلُغُ النَّاسُ فِي الْبُغْيِ لِلْبُغْيِ نَصِيْبَهُ كَثِيْرُ الْهَوَى شَيْءُ الْهَوَى وَالْمَعْنَى

" وقوله كثير الهوى طلق القليل بقوله كثير ، من حيث التقليل لا من حيث التثنية بالأول شيئاً نزواً قفله بكثير " ^(٢) .

ومثله قول بعض بني قيس بن ثعلبة ، ويقال إنها لمشاعة بن جزء النهشلي :

إِنَّا لَنَرُوحُكُمْ زَوْجَ الزَّوْجِ لَنُفَسِّتَا وَلَوْ نُسَامِتُ بِهَا لَبِئْسَ الْأَنْثَى أَغْيَيْنَا

" وفي البيت طلق بنكر الإرخاص والإعلاء ، والروع والأمن ، في موضعين ، وهو حسن جيد " ^(٣) .

ومثله قول الحارثي :

إِذَا مَتَّبَعْتَ بِأَنْفِكَ الْفِرَاقَ تَقْفُفُفَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلِ مَا تَتَنَظَّرُ
خُذِي بِبَيْدِي ثُمَّ تَهَضْبِي بِسِي تَبْيِي سِي الضَّرُّ إِلَّا تَقْبِي أَتَمْتَرُ

" وفي البيت طباقي بقوله تبيني وأمتري . وأصل تبيني تبني ، فعطف إحدى التاءين " ^(٤) .

وكما حرص الشراح على التنبيه على الطباقي ، وذكر أمثله من أشعار الحماسة ، فقد أغفلوا كذلك ذكر الكثير منه ؛ نظراً لوضوحه وسهولة إدراكه وتمييزه من جانب المتلقي ، مثل قول سالم بن وابصة :

إِذَا مَا أَتَيْتَ مِنْ ضَمَاجٍ لَكَ زُلَّةٌ فَكُنْ أَتَتْ مُخْتَالاً يُزَلُّتُهُ غَفْرٌ
غَضَى الْفُفْسُ مَا يُغْلِيكَ مِنْ مَدٍّ خَاجَةٌ لِيْنِ زَادَ شَيْئًا غَاذَ ذَاكَ الْبَقَى قُلُورٌ^(٥)

فقد وقع الطباقي بين (الغنى وفقر) .

وقد باتى الطباقي في صدر البيت وعجزه مثل قول مطيع بن عيسى ، في معنى بن زياد :

يَا خَيْرَ مَنْ يَحْمِلُ الْكُفْرَ لَكَ سَيُومٌ وَمَنْ غَانَ أَمْسٌ لِلْبُدْحِ
لَكَ ظِلٌّ خَزْنٌ بِالْمَرْوَةِ وَفُذٌ أَبْيَلٌ مَكْرُوفٌ مِّنَ الْفَرْحِ

(١) علي بن مصوم المدي - أقوال الربيع في أنواع البديع ، ٢٣/٧ .
(٢) الرزوقي : شرح ديوان الحماسة - حماسة (١٣) ، (١٤ / ١) .

(٣) نفسه : حماسة (١٤) ، (١٥ / ١) .

(٤) نفسه - حماسة (٥٦) ، (١٤ / ٢) .

(٥) نفسه - حماسة (١١١) ، (١١٢ / ٢) .

الخصايا البلاغية الفصل الثالث: علم البليغ الطبايق والمقابلة
 "وقوله من الفرح يريد من المفروح به، وهو المحبوب؛ لأنه كما طابق الحزن بالمرور في الصدر، طابق للمكروه بالمحسوب في العجز" (١).

وهناك مواضع أعجب فيها الشراح بالطبايق، وعقبوا عليها بالعبارات التي تدل على الاستحسان، من ذلك قول أبيان بن عبدة بن العار:

إذا نَحْنُ بِمِرَّتَا نَمِيزُ شَمَزِيٍّ وَنُفَرِّبُ تَحَرُّكُ نَفْطَانِ الثَّرَابِ وَنَقْبُضُ

"وقد أحسن ما شاء في الاستعارة، والطبايق بالنوم واليقظة" (٢).

أو بالاستحسان مع الحكم بالغريب مثل قول رويشد:

وَمَوْقِعٌ تَنْطَبِقُ غُزْرُ السَّمَادِ لَأَجْرٌ جَزْءُكَ يَسَا مَوْقِعِ
 فَمَا لَمَوْقِ نَأْتِيَتْ نَأْتِيَتْ نَأْتِيَتْ وَلَا تَحْتِ مَوْضِعٌ مَوْضِعٌ

"وقوله لما فوق ذلككم طابق بتحت وفوق فيه، وهو غريب حسن" (٣).

وقد يجتمع الطبايق والمقابلة في بيت واحد مثل تل قال: عبد الملك بن عبد الرحيم العارثي، ويقول إنه للسمويل ابن عافيا اليهودي:

رَمَا أَصْلُهُ نَحْتُ الثَّنَى وَنَسْمَا بِهِ إِلَى السَّجْمِ فَنَزَعُ لَا يَنَالُ طَوِيلُ

"وقد طابق الرسو بالسمو، كما قبل الأصل بالفرع" (٤).

ومن الطبايق للمخوي قول شاعر الحملة: (نهشل بن حري) (الطويل)

أَحْمَرُ قَبْلِ مَنَاحِ الدُّخَانِ يَتَقَبَّسُ قَدْ ذِي الرِّزْدِ حَشَى مُسْتَفَادَ طَابِيئَةِ

"وذلك أنه أراد بالتدنى الخبيث، وقد طابق العليبي به" (٥). وهو ما دعا المرزوقي إلى استبعاد رواية

"القدي" بالدال المهملة؛ لعدم تناسبها مع سياق المعنى، وجعل الرواية بالدال المعجمة أولى، واعتبار الرواية الأخرى لون من التصحيف، وذلك بقوله: "ونكر القدي مستبعداً ها هنا، ولا فائدة في إبقائه له، ويغلب في ظني أنه تصحيف" (٦).

كل هذا وغيره الكثير يكشف لنا مدى اهتمام الشراح بالطبايق، وحرصهم على التنبيه عليه، وإن أخذ عليهم ضعف التحليل والنقد العميق لهذه الظاهرة، إلى جانب إغفالهم الكثير من الشواهد دون الإشارة إليها أو التطبيق عليها.

(١) المرزوقي: شرح ديوان الحملة: حاصية (٢٧٨) + (٨٥٢ / ١).

(٢) نفسه: حاصية (٢٠٨) + (٦٣٦ / ١).

(٣) نفسه: حاصية (٦١٩) + (١٤٧٠ / ٢).

(٤) نفسه: حاصية (١٥) + (١١٤ / ١).

(٥) نفسه: حاصية (٢٨٧) + (٨٧٠ / ١).

(٦) نفسه: حاصية (٢٨٧) + (٨٧١ / ١).

أما المقابلة :

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) قليل بالشيء مقابلة وقبالاً: عارضه ، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله ^(١) .
وقال أبو حنبل العسكري (ت ٢٩٥هـ) : " المقابلة إيراد الكلام ثم مقبلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة " ^(٢) . وجميع التعريفات تكاد تكون متفقة في المعنى العام .

وقد انغلها جماعة في المطابقة ^(٣) ، أو الجمع بينها وبين الطباق في باب واحد كما فعل ابن الأثير الحلبي .
وإن عرف كلا منهما تعريفاً مستقلاً - ^(٤) ، وهو حكم يتقد كثيرا من الدقة والصواب ، إذ أن المقابلة عند كثير من السلاطين أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين أو أكثر ^(٥) .

هذه الآراء جميعا وجنا صدق لها في شروح حملة أبي تمام ، فنرى من الشراح من أدخل كلا منهما في الآخر ، وأطلق المقابلة على المطلقة ، والمطابقة على المقابلة .

فالمراد في قول بعض بني أسد :

ففسا الزئبد في أن تـشتـلوا بنـعـيـبكم بـيـيـمـا ولا أن تـشتـلوا النـمـاء بالـدم

علق عليه قتلا : " يدعوهم إلى المصالحة ، ويعرفهم أنه لا خير في ما ، يصلون إليه بلارقة نماء ، ويزهمن في خصب ونعيم ، يحصل عن عيش بنين ، فيقول : ليس الصلاح والسجاح في أن تستدلوا بنعيمكم بزساء ، وبسلامتكم هلاكاً ، ولا أن تشربوا الماء بسفك النماء . والبنيم ، يكون مصدراً كالبوس ، ويوضع في مقابلة النعيم كما فعله هذا ، ويكون صفه ، على هذا قول الهذلي :

ونـعـيـي لـنـمـون لـبـيـي قـلـلـة نـؤـل بـجـنـه بـفـاج مـخـبـل

وهو الرجل للشجاع ذو البأس " ^(٦) .

وهذا من المطابقة ؛ لأنه جمع بين متضادين متقابلين في الجملة ، ولو أنه أتى بأكثر من كلمة ثم ما اضلها على الترتيب لكان ذلك من المقابلة .

لكن المراد في من نلحية فنية منه على المقابلة - بين اثنين واثنين - في غير موضع من شرحه سواء أكان ذلك بالطباق أو بغير الطباق ، من ذلك المقابلة التي جاءت في قول : عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، ويقال إنه للسموأل ابن عفيا اليهودي :

زمننا أصنله نخبت الأخرى ومنمنا به إلى السنجم فـنـزـع لا يتـال طويـل
فراه يعلق قلا : " رسا الجبل : ثبت أصله في الأرض . ومنه رمت السفن ، إذا انتهت إلى قرار البحر .
والرسو والرسوخ يتقاربان . والثرى : الندى . وما تحت الأرض ثرى . ويقال : ثرى ثرى ، على المبالغة . يقول : شت

(١) قنار : لم منظور : لسان العرب : صفة (قنار) .

(٢) أبو حنبل العسكري . الصفات : ص ٢٢٧ .

(٣) انظر : تقريظ الزهراء ، ص ٢٤١ ، واللمحى ص ٢٥٢ ، وشروح التلخيص ، ج ٤ ص ١٩٦ ، والفتاوى الملوك ، ص ٤١٩ .

(٤) ابن الأثير الحلبي : جوهر الشعر : تلخيص كبر الوراثة في لوائح نوى الوراثة ، تحقيق د. محمد ز. غول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت ، ص ٨٩ .

(٥) قنار : بقوت المعوي : حرفة الذهب : ١٢٩/١ .

(٦) المرزوقي : شرح ديوان الصلابة : حملة (٦٨) ، (٢٥٤ / ١) .

أصل هذا الجبل - وهو يريد المز على ما بينت - تحت الأرض وارتفع به أعلى طويل لا ينال إلى محل النجم. والمواد: عزنا أصله تحت الأرض المسلمة وفروعه عند النجم. ومعنى لا ينال: لا يوصل إليه ولا يحصل مثله. وكما كان ينال في الربيع الشأن العالي القدر: هو في النجم وهو في السكك، وكان قصده في الفرع أنه منبذ حتى اتصل بالنجم. زاده صفة أقل طويل. وقد طابق الرسو بالسمو، كما قبل الأصل بالفرع. ونقله أبو تمام فقال: لنا نبعه فرعيا في السماء ... وفي هامة الحوت أعرفها " (١).

ومن مقابلة لتين بليتين أيضا، مقابلة إياس بن القلقف بين (الأغنياء) و(المقترين)، وبين (أرض الأغنياء) و(مرامي النقراء). في قوله:

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرِي مَرَامِي النَّوَى بِالْمَقْتَرِينَ الْغَرَابِيَا

وهو ما علق عليه المرزوقي بقوله: "يفصل الغنى على الفقر ويعتله على طله وارتياحه. فقال: ترى المرزوقين يتودعون، وتطول إقامتهم في دورهم وأرضهم يمتعون، والنقراء تراههم قوتهم بهم البلدان النقية، وتقتب الثرى بهم المغائب المعقدة، والمهلك المستمعة، فلا يهتزون ولا يهزرون. والنوى وجهة القوم التي ينوونها. والمرامي: جمع رمى، وهو المكان لا غير هنا، لأنه قبل الأغنياء بالمقترين. وأرض الأغنياء بمرامى النقراء، لأنهم لا تنوهم دار ليدأ، فجال تسيارهم لكسهم وتصرفهم كدور أولئك لهم. ومعمل يكون لسا للحدث، ورمقه، ومكفه " (٢).

وإذا كان الطبق قد تم إلى لفظي ومعنوي، فهناك أيضا المقابلة المعنوية، التي تكون بمقابلة الشيء بضده في المعنى لا في اللفظ، من مثل قول عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، ويقال إنه للسمودل ابن عاليا اليهودي:

وَقُرَيْبُ خُبِّ الْمَوْتِ أَجَانْنَا لَنَا وَتَقَرُّبُهُ أَجْمَلُ الْهَمِّ فَتَطْوُلُ

"قوله: يقرب حب الموت أي حينا للموت. وجعل في مقابلة: وفكره أجملهم لأنه يشتمل على ما يرفها حقا من اللفظ. وإن كثرت من حيث المعنى قد حصلت: وبعد بغضهم لياه أجملهم " (٣).

ومثله: قول باعث بن صريم:

وَجَنَابُ غَابِئَةِ غَضَّتْ بِرَأْسِهَا أَصْلًا وَكَانَ مِنْ شَرِّهَا

"تجح في هذا البيت بأنه يغيب المذخورين فيؤمنهم. والفاقية: التي تستغني بحمالها عن الحلي، وقد مضى القول مستقصى فيه. ومعنى البيت: رب امرأة تيرجيت مبرزة من خدرها حاسرة الرأس، مطارة القناع، منشورة الخمار، لما استولى عليها من الخوف، واستلكتها من الروع والغارة الطامعة، والخيال العلوية، حتى كان خمارها طول نهارها منشور على شمالها. وهي لا تشعر أني لنا أمنتها وحفظت عليها صيقة نفسها، ردت إليها عازب عقلها حتى اختمرت وأمنت ما كنت تغلق لها، وستررت وجهها. وإنما قل أصلاً، لأن الغارة كلها وقعت أول النهار، ولحوقه للإعقة والتدارك بعقبها، فحصل الأمن عشياً. وفي طريقه لعترة:

وَمَزِيْصَةُ نَفْسِهِ الْخَبِيلُ عَثَرَهَا وَقَدْ هَمَّ بِإِلْقَاءِ الزَّمَامِ

(١) المرزوقي: شرح ديوان المسلمة: حاشية (١٥) + (١١٤/١).

(٢) نفسه: حاشية (١٠٦) + (١١٣/٢).

(٣) نفسه: حاشية (١٥) + (١١٥/١).

(الكمل)

وَعِزَّةٌ زَعَمْنِي عَزَّيْهَا فَمِمْ مَنَظَرِيْنِ اَبْنَيْتُ عَنْ فُلْخَالِهَا

لما قدم في البيت الأول قدم أتى في الثقي بما يضاده، ليرى أنه كما يطلع الشر والبلاء يوقعه أيضاً، حتى يكون جامعاً للضر والنفع، كقياً في النفاع والوقاع، فيقول: ورب كريمة حي، بطلها أو ذو محرمها القام بأمرها منكبرٌ لفت، يرى صيلتها عن التكتشف ديناً، وحفظها عن التبدل كرماء، أنا أخرجتها من خدرها، وأحوجتها إلى الاعتد وطلب للتملس مشمرة عن ساقها، مبديةً خلخالها، مذيلةً مصونها. أي كما أمنت خوفك، وكما سكنت ألتفتت^(١).

وهكذا يتضح لنا الشراح قد أدركوا أنواع المقالات وحندوها في شروحهم ، وهو ما يدل على وضوح المصطلح البلاغي عندهم ، مما أضفى على الشروح قيمةً جماليةً وقيمةً بلاغيةً لا يمكن التغاضي عنها .

(١) العزولي : شرح ديوان الحمصي : حمص (١٧٥) ، (١ / ٥٣٥ ، ٥٣٦) .

ثقبيا: الجنس:

الجنس : كل ضرب من الشيء ، والناس ، والطير ، وحنود النحو ، والعروض والأشياء ^(١) ، ويقال هذا بجنس هذا أي يشكله . وقد تعددت - في الاصطلاح - الآراء والأقوال في تعريفه وبين قيمته الفنية ^(٢) ، ولعل أحسن تعريف له وأيسره وأنهنا إلى الكمال قول العلوي "هو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما" ^(٣) . ويسمى كذلك التجنيس . والتجنس ، والمجتمعة ، وهو من الألوان التي عرفها البحث البلاغي في خطواته الأولى ، ألف الأصمعي كتاب الأجنس ^(٤) ، وتحدث عنه ابن المعتز ضمن أبواب البديع الحمسة التي ذكرها ، وضرب له أمثلة كثيرة ^(٥) ، وتواصل حديث البلاغيين عنه حتى نل أن يخلو كتاب قديم من الحديث عنه .

وكد اختلف البديعيون في بيان قيمة الجنس ، ما بين مُفْطِرٍ و مُؤَكِّدٍ فيه . ففي حين نجد من يتعصب لهذا اللون البديعي ويكسبه من ثوب المدح القشيب ما لا يضاهيه في علوم البلاغة آخر ^(٦) ، نجد من يعترض على هذه المبالغة التي تصل إلى حد الغلو في توصيف قيمته الفنية ^(٧) ، وأكبر من حمل لواء ذمه ابن حجة الحموي ، وتعصبه عليه يساري تعصب الصغدي له ^(٨) ، وهناك رأي وسط بين الرأيين يجعل من حسن الجنس فلك يدور حوله ، وهو من أعزل الآراء وأصوبها ، يقول عبد القاهر : " تبين لك أن ما يمتلئ للتجنس من الفائدة أمر لا يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان اللفظ وحده لما كان مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعنى لا تدن في كل موضع لما يجذبها للتجنس إليه إذ الألفاظ خدم المعنى والمصرفة هي حكمها وكلفت المعنى هي المائدة سبيلتها للمتحمقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الثمن عن جبهته ولحله عن طبعه ، وذلك مظنة من الاستكراه ، وفيه فتح لأرباب العيب والتمعرض للثمن " ^(٩) .

وإذا كان الجنس - ضد كثير من البلاغيين - من المحمضات اللفظية في البديع ، فإن هذا يعني عدم انفصاله عن المعنى ، بل إتيهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بعضهما بالآخر ، ولذلك وقع المجتهد عند فدامة لدخل في باب اختلاف اللفظ والمعنى ^(١٠) ، وقد قرر عبد القاهر ذلك بقوله " فلما للتجنس فلك لا تستحسن تجنيس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل مولماً حميداً ، ولم يكن مرمى الجمع بينهما مرمى بعيداً " ^(١١) .

(١) تنظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (جنس) .
(٢) تنظر : ابن المعتز : البديع ، لشريك تشكر لمسكي . لندن ، ١٩٣٥ م ، ص ١٧ ، فائدة بن حنبل : نقد الشعر : ١٦ / ٩٧ ، ولو ملال المصنعي : الصنائع ، ص ٣٠٨ ، وابن الأثير : شمل السائر : ص ٩٩ ، وابن سنان اللخمي : سر لتسليم : ص ١٨٣ ، والصغدي : جنس الجنس في علم البديع ، بتحقيق / سمير حسين حلي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥ : ٢٠ ، والمكالي : مفتاح العلوم : ص ٢٢٧ ، والطبيب التزويلي : الإيضاح : ٢٨٢ ، والمبكي : حروس الأبراج (ضمن شروح التلموص) : ٤ / ٤١٣ .
(٣) العلوي : الطراز : ٣ / ٣٥١ .
(٤) تنظر : ابن المعتز : البديع : ص ٢٦ .
(٥) نفسه : ص ٢٦ وما بعدها .
(٦) انظر : العلوي : الطراز : ٣ / ٣٥١ .
(٧) انظر : ابن أبي الحديد : تلك الخاتر على شمل السائر ، ص ١٣ .
(٨) تنظر : الحموي : خزنة الألب ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .
(٩) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ٥ .
(١٠) فدامة بن حنبل : نقد الشعر ، ص ٩٦ .
(١١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، ص ٥ .

ومن الجناس ما هو محمودا مستحسنا ، ومنه ما هو منموما مستهجن ، فأما الأول : هو ما أتى على السجدة دون قصد أو تكلف ، وفي مثل هذا التجنيس غير المقصود يقول عبد القاهر " ومن ههنا كان أحلى تجنيس تمحه واعلاه ، وأخته بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملائمته وإن كان منظوما بهذه المنزلة وفي هذه الصورة ، وذلك كما يتكون به أبدا من قول الشافعي رحمه الله ، وقد سئل عن السبذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه " (١) ، وهو ما صرح عنه ابن رشيق بالقول " فما كان من التجنيس هكذا (يعني المطبوع) فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه " (٢) .

ومعنى هذا أن من أمارات الجناس المقبول (٣) :

١ - أن ينفذ به القتل من غير تمهل ولا تفكير كما ينبذ بكلام التخطب لا يتردد ولا يتكأ ولا يتردد ، بل كله يغترب من غير صعب رقرق .

٢ - أن يكون الكلام في حاجة إليه ، بحيث إذا خفف منه لم يكر له من الرونق والماء والبهاء ما كل له من قبل .

٣ - أن يحقق الجناس - بعد استكمال جمال اللفظ وصواب المعنى - نوعا من الجبرس الرخيم والموسيقية الشجبة تكون سائلة محمودة لا يضلم لها واحد من اللفظ والمعنى .

وهذا ما جرى عليه شعر الأوائل ، فاستعملوا الجناس في غير تكلف ، ولا مقصودا في نفسه ، حتى جاء المحسنون فرأوا فيه وأسندوا طبعه ، وهو ما عبر عنه كثير من البلاغيين (٤) ، ولذلك قل ابن سنان الحفاجي " وقد استعمله العرب للمتنوع في أشعارهم ، ثم جاء المحسنون فلهج به مسلم بن الوليد الأنصاري ، وأكثر منه ومن استعمال المطلق والمخالف وهذه الفنون المذكورة في صناعة الشعر ، حتى قيل : إنه أول من قصد الشعر ، وجاء أبو تمام فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه حتى وقع له الجيد والريء الذي لا غاية وراءه في القبح " (٥) .

أما الآخر : فهو ما أتى على وجه التكلف والإسراف ، وهو مستهجن عند جمهور البلاغيين ، بل وجدنا بعضهم - كنتيجة لهذا التكلف والإسراف - من لا يستحسن الجفاس ويرده ، منهم ابن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) الذي عن هذا الإسراف وهذا التكلف " من أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يشك في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء السلف المتعقبون في فترهم ونظمهم حتى برئوا ، بل تركوا ... " (٦) .

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ص ٧ .

(٢) ابن رشيق : الصنع : (١ / ٢٢٦) .

(٣) د/علي الحنفي : فن الجناس : بلاغة - أدب - نقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٤٨ : ٥٥ .

(٤) انظر على سبيل المثال : ابن المعتز : البديع ، ص ١ .

(٥) ابن سنان الحفاجي : من تنصاعه ، ص ١٨٢ ، ١٨٧ .

(٦) ابن رشيق القيرواني : الصنع ، ١ / ٢٢٦ .

وابن حجة الحموي لم يتخذ من الجنس مذهباً لما في كثير منه من التكلف ، يقول : " أما الجنس فبته غير مذهبي ومذهب من فسدت على متواليه من أهل الألب ، وكذلك كثرة اشتقاق الألفاظ ، فإن كلا منهما يؤدي إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة في مضممار المعاني المبكرة ... " (١) .

فإنه " الميل إلى الإصغاء إليه في مناسبات الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر ، كان للنفس تشوق إليه ، وهو من ألفت مجاري الكلام ، ومن محسن مدخله ، بل هو من الكلام كالغرفة في وجه القوس " (٢) . ومعنى ذلك " أن الجنس الجيد يؤثر إيجاباً من نواح عدة : ناحية التمثال في الصورة ، وناحية الجرس الموسيقي ، وناحية التآلف والتخالف بين ركنيه لفظاً ومعنى ، وناحية ما يحويه كل ركن من المعنى الأصلي " (٣) .

وأبو تمام من هؤلاء الشعراء الذين شغفوا بالجناس ، وقد لجأ إلى استخدامه بكثرة في شعره ، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وكذلك الحال في اختياراته الشعرية ، فترى صدى ولوعه بالجناس قد طبع على أشعاره المختارة ، وما صدق على شعره - من حيث الإصابة والخطأ في استخدامه للجناس - نراد يصدق إلى حد بعيد على اختياراته الشعرية ، وهو ما سيتبدى لنا خلال الشرح إن شاء الله .

وقد حوت شروح حملة أبي تمام العديد من الإشارات إلى هذا اللون البديعي ، إلا أن ملاحظات الشراح هناك جاءت أغلبها لا يحدد نوع الجنس ، كما جاء خائباً من التعقيب والنقد والتحليل .

مثل قول شاعر الحمصة :

فَسَيِّبُ أَسْمَاءَ الْبَرَاءِ مَفَارِقِي وَأَتَشْتَزُّنُ نَفْسِي فَوْقَ خَيْثُ ثَقُوبٍ
وَقَدْ لَانَ إِسْمُ اللَّوْزِ قَدْ لَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَسَنِ قَسِيَةً فَهَذَقُ بَيَوتِ

هناك جنس في البيت الأول في قول الشاعر : (الفراق مفارقي) . وقد شرح المرزوقي معنى البيت شرحاً وافياً جميلاً . ثم أشار إلى الجنس : " وقوله : (أيام الفراق مفارقي) يسمى التجنيس النقص " (٤) ، ونلاحظ أنه " اكتفى بهذه الإشارة العبرة ولم يعقب عليها بقول آخر ، وكلفه لم ير في هذا التجنيس أي أثر في وضوح معنى البيت وتحمينه . وقرأ في البيت الثاني جنساً آخر في قول الشاعر (لأن - ولين) وقد شرح معنى البيت . ثم مضى من غير أن يعرج على هذا الجنس البتة . وكلفه لم ير فيه أية فاعلية في تيسير معنى البيت " (٥) .

وعلى الرغم من اعتبار شواهد الجنس لمظاهر النقد والتحليل الدقيق من جانب الشراح ، إلا أنهم تعاملوا معه بتبرير قليل من الاحتئاط والاهتمام ، فهناك هذه الأنواع المتعددة التي تبه بعضهم - خاصة المرزوقي - عليها ، فيما يتعلق تفصيله وبقائه بعد قليل .

(١) ابن حجة الحموي : الخزافة ، ص ٤٣ .
(٢) د. عبد القادر حسن : في النبع ، دار الفروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٠٩ .
(٣) د. علي المدني : فن الجنس ، ص ٢٠ .
(٤) المرزوقي : شرح ديوان الحمصة ، حماسة (٥٤٧) ، (١ / ١٣٤٩) .
(٥) إلهام الموسوي : علم فنون البلاغة والتعبية في شرح ديوان الحمصة لأبي علي المرزوقي ، ص ٥٠٧ .

كما أشاروا إليه أحياء في تفسير معاني الأبيات ، ففي تحليل المزدولي في بيت شاعر الحماسة : (لن دارة) (الكامل)
 نسي أغزؤ نجاد الرخال غدا في وجهد الرخال من الفهاب الأذوق

نجد قوله : " يقول : إني رجل ينال أعدائي من عداوتهم لي ما ينال الإبل من الذباب الأزرق ، وهذا الجنس من الذباب يتلذذ به الإبل تلذذ الحمر بالنعير أو أشد ... ومعنى تجد تحزن ، ولذلك كان الوجد مصدره . ويجوز أن يكون تجد بمعنى تعلم ... والمعنى : إن عداوتهم لي فتلحقهم وتنزيبهم ، فيعلمها الرجال مثل وجد الركاب من هذا الجنس من الذباب ، أي ينالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل في البيت تجنيس حينئذ " (١) .

أنواع الجنس :

بعد الجنس من أكثر أنواع البديع تبويبا وتنوعا عند علماء البلاغة ، حتى أنهم اختلفوا فيه ، وتدخلت أبوابه بعضهم ؛ ولذلك قال ابن الأثير : " ولقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحققين منهم ، وصنف الناس فيه كتباً كثيرة وجعلوه أبواباً متعددة " (٢) .

إن قد اعتنى علماء البديع بتقسيم الجنس إلى أنواع ، اعتماداً على استقرار الأمثلة ، والنظر الفكري في احتمالات التقسيم " إلا أنهم أسرفوا في وضع أسماء لكل فرع من دروع أنواعه ، وهو أمر يرهق محلل النصوص ، ويصره عن تذوق الجمال الأدبي . ليهتم بالتحليل الآلي ، وتكرر الاسم الخاص بكل فرع من هذه الفروع " (٣) .

للجناس إذن أقسام كثيرة اختلف أرباب البديع فيها اختلافاً كثيراً ، ولكنه بصورة عامة يمكن تقسيمه قسمين رئيسيين هما : الجنس التام والجنس النقص ، ولكل منهما تقريعات حسب درجات الاتفاق والاختلاف .

الجنس التام :

وهذا القسم هو أفضل أنواع الجنس والمقدم فيها إذ أنه " أكمل الأبواع وأحداها موقعا " (٤) ، وهو وحده التجنيس الحقيقي عند ابن الأثير ، وما عداه ليس منه في شيء ، وإنما يسمى تجنيساً بالسنه (٥) ، وهو " ما اتفق ركناه لفظاً واختلافاً معنى بلا تغاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما " (٦) ، والجنس التام أكثر ما يقع في الألفاظ المشتركة ، والاتفاق اللفظي يشتمل أربعة لأنواع :

١ - نوع الحروف .

٢ - عدد الحروف .

(١) المزدولي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١٢٢) ، (١ / ٢٨٥) .

(٢) ابن الأثير : الفلج السمر : ج ١ ص ٢٤٦ .

(٣) عبد الرحمن حسن حنكة السبيعي : البلاغة العربية لسانها ، وطومها ، ولفونها ، ج ٢ / ص ٨٧ .

(٤) ابن حجة المموي : الفخرقة : ص ٦٦ .

(٥) تنظر : ابن الأثير : الفلج السمر ، ٩٩ .

(٦) دعلي الجدي : الجنس : ص ٦٢ .

٣ - هيئة الحروف .

والمراد بها " حركات الكلمة وسكتها ، ولا تعتبر حركة الحرف الأخير ولا سكونه ، لأنه عرضة للتغيير إذ هو محل الإعراب والوقف ، فلا يشترط اتفاق الكلمتين في هيئته " (١) .

٤ - ترتيب الحروف .

والجناس التام عند الجمهور أربعة أنواع :

١ - التام الممثل أو المتمثل ؛ وهو ما اتفق ركناه في الاسمية أو الفعلية أو الحرفية .

فمن ذلك قوله تعالى : " ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " (الروم / ٥٥) ، فالساعة الأولى : القيلة ، والثانية : الساعة الزمانية .

ومثال الاتفاق في الحرفية قولهم : " قد وجود الكريم وقد يخل الجواد ، فإن الأولى للكثير والأخرى للتبلي ، فالعنى مختلف مع اتفاق اللفظين في نوع الحروف " (٢) .

وفي هذا غير قليل من التكلف والتصنع الذي يباه الفوق المليم والطبع السمح ، يرقى إلى مستوى الاحتبال على إيجاد ما ليس بموجود والإغراق . وقد تنبه إلى ذلك بعض اللغاه فقال ابن عتوب : " وأما مثاله في الحرفين فلم يوجد إلا أن يكون في حرف بالنسبة لحقيقته ومجازه إن صح " (٣) ، وقال الصفدي : " وهذا القسم لا يمكن تصوره ؛ لأن الحروف معلومة الصيغ مضبوطة ، فلا يتفق ورود كلمتين قد تملأت حروفهما وصيغتهما في الكلام العربي كما تقدم في اتفاق الاسم والاسم ، والفعل والفعل ، وقد يتصور في مثل إن إن زيدا لقسم ، بمعنى : نعم إن زيدا لقسم - على لغة من قاله - وإنما ذكرته لتكون القسمة العقليّة اقتضته " (٤) .

٢ - التام الممتلئ :

وهو " أن يكون ركناه من نوعين مختلفين كاسم وفعل ، واسم وحرف ، وفعل وحرف " (٥) ، والممتلئ لغة : ما أعطي حقه وإقبا ، وقد سمي هذا النوع بذلك الاسم إيذاً بأنه - وإن اختلف اللفظان نوعاً ما - لم ينقص شيء من حق الجنس ، أو سمي بذلك " لاستيفاء كل من اللفظين لوصف الآخر وإن اختلفا في النوع " (٦) أو " لأن حروف كل منهما مستوفاة في الآخر " (٧) .

(١) دبطي الحندي : الجنس : ص ٦٣ .

(٢) لنسوي : حاشية لنسوي : ٤ / ٤١٦ .

(٣) ابن عتوب المغربي : مواهب النجاج (ضمن شروح نظميص) : ٤ / ٤١٦ .

(٤) الصفدي : جنن العنق : ٣ .

(٥) دبطي الحندي : الجنس : ص ٧٠ .

(٦) لنسوي : حاشية لنسوي : ٤١٦/٧ .

(٧) نقاسي المرجعي : الوسيلة : ٤١ .

ومثله في الاسم والفعل - وهو كثير - قول أبي تمام يمدح يحيى بن عبد الله البرمكي من رجالات الدولة العباسية :
(الكامل)
مَا مَاتَ مِنْ خَدْنِ الزُّمَانِ قَبْلَهُ يَخْتِصِمُ نَدَى نَحْيِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(١)

وإنما عد في هذا الباب لاختلاف المظنيين ؛ لأن أحدهما فعل والآخر اسم ، ولو اتفق المظنيان لم يعد تجنيسا وإنما لفظة مكررة .

ومثله في الحرف والفعل - وهو نادر الوقوع قليل الشواهد - قولهم :

علا زيد على جميع أهله ، أو علا على رأس الجبل .

ولعل السو في خفة هذا البيت تباعد ركني الجنس : أي " أن " ، و " أن " الفعل ، وربما يكون هو الشاهد الأكثر تكرارا عند البلغاء ، وربما هذا ما عناه السبكي بقوله : " ولم يمثل البلغاء لغيره " ^(٢) ، يعني الجنس المتفق في الاسمية والعطفية .

٣ - التام المركب ، أو جناس التركيب :

" وهو ما كان أحد ركنيه مركبا والثقي بسيطا : أي مفردا ، سمي بذلك لتركب أحد لفظيه . والمراد بكويه مركبا : أن يكون مؤلفا من كلمتين مستقتين : أو كلمة وحزء كلمة ، أو جزأين من كلمتين ، والمراد بكويه مفردا : أن يكون كلمة واحدة . وقد يكون الإفراد حقيقة ، وقد يكون تقزيلا كما في قولك : جاملا ؛ لأنهم عدو الضمير المنصوب المتصل بمنزلة حزة من للكلمة ، فصار المجموع في حكم المفرد " ^(٣).

مثل قول أبي الفتح البستي :
(المتقارب)
إذا ملبستك لثم يَخْتِصِمُ نَدَى نَحْيِي فَدَعَا فِدْوَانَهُ لِيُؤْنِسَهُ^(٤)

فالأول مركب من ذا : بمعنى صاحب ، وربة : بمعنى العطية . والآخر : اسم فاعل مؤنث من الفعل ذهب .

وجناس التركيب قسمان :

١ - ملفوف :

وهو ما كان ركنه المركب مؤلفا من كلمتين تلمتين .

(١) أبو تمام : ديوانه مشروح المصنف للتبليغي : تحقيق محمد عبد السلام . دار المعارف بمصر ، م ١٩٥٠ ، ٤ ، ٣ ، ١٩٨٧ م ، ١٩٨٣ م ، ١٩٨٢ م ، ١٩٨٣ م على الترتيب ، (٢١٧/٣) .
(٢) بهاء الدين السبكي : عروض الأراج (ضمن شروح للتلفيس) : ٤٧ / ٤ .
(٣) دعلي الجندي : فن المعاني : ص ٧٥ .
(٤) أبو الفتح البستي : ديوانه ، بتحقيق دةيرة الخطيب ، ولحنه السمتل ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م ، ص ٤٠ .

ب - مرلوء :

" وهو ما كان ركه المركب مؤلفا من كلمة وبعض أخرى ، أو من كلمة وحرف من حروف المعاني " (١) .

سمي بذلك لخذنا من قولهم رفا الثوب . إذا جمع ما نقطع منه بالخياطة نكله ببعض الكلمة رفا (٢) .

وذلك مثل قول الحريري : والمفرد منها استطفت لا تأتبه بتكتبي الممؤنة والمؤنة (٣) (من السويح)

فالأول مفرد ، والثاني مركب من كلمة وبعض أخرى ، (والمؤنة مؤنة ... والمؤنة مؤنة) .

ثم إن كلا من الملفوف والمرفوف إن توافق ركناهما خطأ فهو المتشبه " سمي بذلك لتشبه النظمين في الكتابة " ، وإن اختلفا خطأ فهو المفروق لاقتراحهما في الكتابة .

مثال المركب الملفوف المتشبه ، قول الشاعر : غضنا السد فز يبابه لست ما فعل شي به (٤) (مجزوء الرمل)

مركب ، لأن أحد ركنيه مركب من كلمتين والآخر مفرد . وملفوف ، لأن ركنه المركب مؤلف من كلمتين تامتين وهما : " بنا " و " به " ومتشبه ، لتوافق الركنين خطأ .

ومثال المركب الملفوف المفروق ، قول البيهقي : فإن أنسر غلبي ربي تامله أفمر سائر في كتاب الأمل له (٥) (البسيط)

مركب ، لأن أحد ركنيه مركب " الأمل له " والآخر مفرد " اتمله " .

وملفوف ، لأن ركنه المركب مؤلف من كلمتين تامتين .

ومفروق ، لتخالف ركناه في الكتابة .

٤ - التلم الملقق :

وهو أن يكون كل من ركنيه مركبا من كلمتين أو من كلمة وبعض أخرى . وبالمعنى التركيب في الركنين يتميز من المركب ، فبقي ما ركب أحد ركنيه فقط . وغالب المؤلفين لم يفرقوا بينهما (٦) .

(١) دعلي الجدي : فن العنفس : ص ٧٥ .

(٢) تيسوي : حاشية النسوي : ج ٤ / ٤١١ .

(٣) البيت في شرح مفرد الجمان للبيهقي : ص ١٤٤ .

(٤) نفسه : ص ١٤٤ .

(٥) أرواح البيهقي : ديوانه ، ص ١٥٨ .

(٦) انظر . ابن المقري لتيسوي . نبح الطيب : (٨١٣/٣) .

قيمة الجنس الثام :

والجناس الثام منزلة كبيرة في نفوس البلاغيين ، حيث تعبر أقرانهم عن مبلغ شغفه في البلاغة وسر جماله وحسنه . يقول عبد القاهر - عند تكلمه على مزية الجنس المطبوع - : " لهذه السريرة صائر التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة ، من حلى الشعر ومذكورا في أقسام البديع " (١) ، ويقول المقدي : " هو أعلى الجنس مرتبة " (٢) ، ويقول الحموي - على كرامته للجناس جملة - : " هو أكمل الأنواع إبداعا ، وأسمها رتبة ، وأولها في الترتيب " (٣) ، ويقول ابن يعقوب والنسفي : " ووجه حسنه مطلقا : أن صورته صورة الإعانة ، وهو في الحقيقة للإعانة " (٤) .

الجناس الثامن :

" وهو ما اختلف فيه اللغزان في نوع الحروف ، أو عددها ، أو حيثتها ، أو ترتيبها " (٥) .

وينتمس الجنس الثامن إلى أنواع مختلفة حسب كل حالة من الحالات الأربع السابقة ، التي يتحقق فيها أحد أوجه الاختلاف في اللغزين ؛ فعندما يتحقق بين اللغزين الاختلاف في نوع الحروف ينتج عنه :

أ - الجنس المضارع :

وهو الذي يكون فيه الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج ، ويكونان إما في أول اللفظ كقول الحريري : " ببس وبين كبس أول داس وطريق طاس " (٦) .

وإما أن يكونان في وسط اللفظ . كقوله تعالى : " وهم ينهون عنه وينأون عنه " (الأنعام / بعض الآية ٢٦) ، وإما في آخر اللفظ .

ب - الجنس اللاحق :

وهو الذي يكون فيه الحرفان المختلفان غير متقاربين في المخرج ، ويكونان أيضا إما في أول اللفظ ، كقوله تعالى : " وَيَلْجَأُ لِبُكْلٍ هُمْزَةٍ لَمْزَةٍ " (الهمزة / ١) .

وإما أن يكون الحرفان غير المتقاربين في وسط اللفظ ، كقوله تعالى : " نلکم بما کنتم ترحون في الأرض بغير الحق ، وبما کنتم تمرحون " (غافر / ٥٧) .

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة : ٥ .

(٢) المنصفي : جنات المناس : ٢٠ .

(٣) المصري : خزائن الأدب : ٣٧ .

(٤) تيفلر : ابن يعقوب المغربي : مواهب التناج ، والنسفي : حقيقة النسفي (من شروح التلخيص) : ١١٩ / ١٠ .

(٥) لشعكت محمد أبو سنيت : دراسات منهجية في علم البديع : دار خلدوني للطباعة والنشر ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ص ٢٠٣ .

(٦) لشعكت محمد أبو سنيت : دراسات منهجية في علم البديع ، ص ٢٠٤ ، كتي : أي يني ، نلس : أي شيد القلام ، طلس : أي محله مطبوعة .

وكتوله تعالى: "إنه على ذلك لشهيد، وإنه لحب الخير لشديد" (المعاقلة/٧، ٨).

وإما في آخر اللفظ، كتوله تعالى: "وإذا جاءهم أمر من الأمن" (النساء / بعض الآية ٨٣).

وعندما يتحقق بين اللفظين الاختلاف في عدد الحروف ينتج عنه:

أ - المنيل:

وهو أن يختلف اللفظان بزيادة أكثر من حرف واحد على آخر أحد اللفظين.

ب - المطرف:

وهو ما كتبت الزيادة فيه حرفاً واحداً على آخر أحد اللفظين.

وعندما يتحقق بين اللفظين الاختلاف في هيئة الحروف ينتج عنه:

أ - الجنس للمحرف:

وهو أن يختلف اللفظان في ضبط حروفهما من حيث الحركات والسكنات، مثل قوله تعالى: "ولقد أرسلنا فيهم مبشرين لظفر كيف كان عقبة المنذرين" (الصافات / ٧٢، ٧٣).

للكلمتان (مبشرين / منذرين) الأولى اسم فاعل "بضم الأول وكسر ما قبل الآخر"، والأخرى اسم مفعول "بضم الأول وفتح ما قبل الآخر"، فالجنس بينهما نالص لاختلاف هيئة الحرف الثالث في إحداهما عن الثانية.

ب - جنس الخط أو الجنس المصحف:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في نقط الحروف، منه قوله تعالى: "وهو الذي يطعمني ويصقني، وإذا مرضت فهو يشفين" (الشعراء / ٧٩، ٨٠).

فالجنس بين يشفين ويصقني.

وإذا اختلف اللفظان في ترتيب الحروف، بمعنى أن يتسلسل اللفظان في نوع الحروف وعددها ويختلفان في ترتيبها، ينتج عنه الجنس المقلوب:

وهو عند القزويني هسمان: الأول: قلب لكل، كقولهم: "حاصنه فتح لأوليائه، حنث لأعدائه" والقلبي: قلب لبعض، كما جاء في الخبر: "ألهام لستر عورتنا وأمن روعقتا" ^(١).

(١) تزيوي. الإيضاح: ٧٥/١.

وهناك أنواع أخرى ألحقها البلاغيون بالجنس النقص ، مثل : الجنس المشتق ، والشبه بالمشتق ، والجنس التفضي والمعنوي ، وغير ذلك من أنواع .

وبإوان الحملة زاهر بالعديد من أنواع التجنيس ، أشار الشراح إلى بعضها ، وأكثر من غني منهم بذلك المرزوقي ، والتبريزي . ومن هذه الأنواع التي أشاروا إليها :

١ - الجنس التلم :

وهو - كما سبق أن أوضحنا - ما اتفق ركناه لفظا واختلعا معنى بلا تفلوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركتهما . والاتفاق اللفظي يشمل أربعة أنواع : نوع الحروف ، عدد الحروف ، هيئة الحروف ، ترتيب الحروف . ومنهم من يسميه : المتماثل ، أخذا له من التماثل أو التماثل ، وكلاهما الإتحاد في النوع حريا على اصطلاح المتكلمين .

مثل قول دريد من الصمة :
صبا ما صبا خشي علا الحبيب رأسه فأنسا علا قال لثناطل إغمد (الطويل)

" يحوز أن يكون صا الأول من الصا واللب ، وصبا للثاني من الصاء بمعنى انتهاء ، فيكون المعنى : نعطى اللهب والصا ما دام صبا ، فلما اكتمل وطير في رأسه الشيب فاشتعل في التامل عن نفسه رعداً فيه ، ورجوعاً إلى الحق ، ورغبة فيما بكسه الأختونة الحميمة من لبوب السلاح والحد . ويحوز أن يكون للمعنى : نعطى الصبا ما نعطاه إلى أن علا الشيب ، فيستط التجنيس من البيت ، وهو حسن به . وما صبا في موضع الطرف على الوجهين جميعاً ، أي مدة الأمرين . وحتى للعلة . وقوله بعد من بعد بعد ، إذا ذلك ولو أراد البعد لقال بعد ، بمن العين " (١) .

وهذا المثال يندرج تحت نوع التام المتماثل أو المتماثل من الجنس التلم : وهو ما اتفق ركناه في الإسمية أو الفعلية أو الحرفية (٢) . وهو أيضاً من الجنس المزوج : وهو أن يتوالى الحرفان مطلقاً من غير فصل بينهما إلا بحرف جر أو عطف وما شابه ، سمي بذلك لاندواج اللفظين بتواليهما ، ولما يظهر بين الكلمتين من الاستواء ، لأن الازدواج هو الاستواء .

ويسمى كذلك المكرر والمردد أيضاً ؛ لتكرر أحدهما بالآخر ، وترداده به . مثله في الجنس التلم : تقوم الساعة في الساعة " (٣) .

فالتجنيس الصوتي هنا يكاد يفقد البعد الزمني بالاتحاد الشديد بين طرفي الجنس في : " صبا ما صبا " وهو ما يشير إلى حضور الجنس بصورة مكثفة تثير الجذب البدعي في البيت .

(١) المرزوقي : نرح ديوان الصمة : حاشية (٢٧١) ، (١ / ٨٢١) .
(٢) دبطي الحدي : في الجنس : بلاغة - لب - تند ، شاعرة ، ما لشكر العربي ، ص ٦٢ - ٦٥ .
(٣) نفسه : ص ١٦٠ .

"سمي بذلك لانحراف هيئة أحد اللفظين عن الآخر ، ويسمى أيضا : جناس التحريف ، والجناس المفابر والمختلف ... وتعريفه : ما اختلف فيه اللفظان في هيئة الحروف " حركتها وسكتها " فقط . أي مع التسوي في نوعها وعددها وترتيبها سواء أكان من لسمين أو فعين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك . فإن القصد اختلاف الحركات " (١) .

ومنه قول عبيد بن مويه : (المتقارب)

فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مَرَّةً مَرَّةً إِذَا وَكَيْتُ خَالَةً خَالَهَا (٢)

يقول المرزوقي : " وهذا التجنيس حسن المورد ، والضمير من قوله حالها يعود إلى الحالة ، كنه أضفه إليها لما كُنت ثلثها ، وجعلها مركوبها " (٣) .

فقد وقع التجنيس بين " مرة ومرة " ، وهو أيضا من الجنس المزدوج ، حيث توالى اللفظين بدون فاصل بينهما .

٣ - جناس الاشتقاق :

ويسمى أيضا بتجنيس المشتق ، ألحقه القزويني بالجناس وقال : " هو أن يجمع بين اللفظين الاشتقاق " (٤) ، ويسمى للجناس المشتق ، وجناس الانتماء أيضا وهو " ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى . أو هو : ما جمع وكنه أصل واحد في اللغة ، ثم اختلفا في حركتهما وسكتتهما ... وللمراد به هنا الاشتقاق الصغير الذي ينصرف إليه اللفظ ضد الإطلاق . وهو ما يوافق فيه اللفظان في الحروف الأصول مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى " (٥) .

مثل قول آخر : (ابن دارة) (الكامل)

إِنِّي لَمَنْزُوجُ الرِّجَالِ غَنَاقِي وَجَدَ الرِّجَالُ مِنْ السُّبُلِ الْأَنْزِلِ (٦)

يقول المرزوقي : " والمعنى : إن عداوتهم لي تقلقهم وتزريهم ، فعملها الرجال مثل وجد الركاب من هذا الجنس من الذباب أي يثالون منها ما ينال تلك منهم . ويحصل في البيت تجنيس حينئذ " (٧) .

(١) داخلي الحندي : فن الجنس : ص ٨٧ .

(٢) ليرة : لتوة والتتل ، والمرة : المرة ، يعني لم ذاتها ، وعند تجربة مزاولها . يقول : لعل ذلك واسرف همك إليها ، وإلى السماع لها ، وجلب البنية لغيرها ، ولا تبال بما بين ريعض من مرلعة عم . أو مرلعة حموة ، فيني لكو كوة لا تستعملها الحق المبلدة ، إذا تراكمت الأمور ، وتركبت الأحوال والوجود ، اخفيت مفردها ومسرها ، والتبست أصولها ووصولها .

(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١١٧) ، (٦٠٦ ، ٦٠٥ / ١) .

(٤) تروني : تلخيص في علوم البلاغة : (البرقوني) ٣٩٢ ، (خلعي) ١٢٧ ، والإيضاح : ٧٥ / ١ .

(٥) داخلي الحندي : فن الجنس : ص ١١٤ .

(٦) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١٢٢) ، (٣٨٦ ، ٣٨٥ / ١) .

٤ - التجنيس المطلق ، أو تجنيس الإطلاق . أو الشيء بالمشق :

ويقصد به " أن يجمع اللفظين المتشابهة ؛ وهي مما يشبه الاشتقاق وليس به ويسمى أيضا التشابه والمقاربة والمغايرة ويهمل الاشتقاق ، معنى ذلك أن اللفظين يتفقان في جل الحروف أو كلها ، على وجه يتأخر منه أنها يرجعان إلى أصل واحد ، كما في الاشتقاق ، وليس كذلك في الحقيقة ^(١) .

مثل قول شاعر الحملة .
 نسيب أيسام البزلي مفارقي وأثثرن نفسي فسوق خيث تـكون
 (للطويل)

" وقوله أيسام الفراق مفارقي ، يسمي التجنيس النقص . وفرق الرأس ومفرق واحد " ^(٢) .

...

٦

(١) لنترو د/علي الحندي . فن الجنس . ص ١١٤ .
 (٢) المرواني : شرح ديوان الصنعة : ص ٤٧٠ . (١٣٤٩ / ٢) .

ثالثاً: التجريد:

أسلوب التجريد هو أحد للممتلك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في لغة الشعر ، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا وأوسعها انتشارا ، والتجريد لغة " الشعرية من الثياب ، وتجريد السوف : انتضالاه ، وكل شيء كثرته عن شيء ، فقد جُزِّتْ عنه ، والمقشور مجزؤة ، وما قشر عنه جُزْءة " (١) . أما عن معناه الاصطلاحي فلا يبعد كثيرا عن معناه اللغوي ، حيث إن التجريد هو : " أن ينزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه " (٢) . والأمر الملفت للانتباه أن مصطلح التجريد على كثرة تردده في موروثنا النقدي والبلاغي قد لقي قنرا غير قليل من الخلط والاضطراب (٣) ، والحق أن هذا التراجع إزاء أسلوب التجريد هو أمر يثير التمعجب حقا ، خاصة لدى هؤلاء البلاغيين الذين " أقاموا الحدود ونصبوا الحواجز بين مصطلحات تلك العلوم الثلاثة " (٤) .

وبعد سيويه (ت ١٨٠ هـ) - إن لم يكن أولهم - هو ممن كان له فضل الميق في تناول التجريد ، وللتعرض له ، وعلى الرغم من أن حديثه عنه كان موجزا شديد الاختصار ، وبمثل واحد ، إلا أن العلماء لم يهملوا ربه ، وضمنوه كتبهم ونسبوا إليه (١) ، وقد لفرد له الزجاج (ت ٣١١ هـ) بابا بعنوان : (هذا باب ما جاء في التنزيل من التجريد) ، في كتبه المنسوب إليه " إعراب القرآن " ، سأل فيه براءه الفارسي ، وحفظ على أمته - مع إضافة بعض المزاود والأمثلة الأخرى - وإن لم يشر إليه (٢) ، وعلى الرغم من ذلك يبدو أن أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد ، كما صبر عن ذلك ابن أبي الحنيد (٣) ، وقد أنرد له ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بابا مستقلا يتناول شكله وصوره (٤) ، ثم جاءت مرحلة الخلط والاضطراب ، ونجها اعتبر التجريد ضمن التنبيه (٥) حتى وصلت الدراسة بعد ذلك إلى مرحلة التحليل والتعميد ، ويبرز فيها جهد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، الذي أدرج التجريد ضمن مباحث البديع المعنوي ، وعند صور التجريد المختلفة بعد تعريفه ، وذلك بإيجاز وببساطة ، لا يخلو من فنية التحليل ، ومنهجية الطبع ، وسار أتباعه على نهجه وزادوا على جهوده إضافة وشروحا كثيرة ، فقام شراح التلخيص (٦) ، بالاستفاضة في شرح مزاود التلخيص وعباراته ، بطابع يغلب عليه جانب للنق ، وتحاول في تمييز ، وإن لم يغلب عنه جانب التقنين والتعميد الذي اكسبه طابع للمنهجية .

(١) نظر : ابن منظور : لسان العرب ، ص ٣٦٨ ، ونظر : البهائي الديني : عروض الأفعال (ضمن شروح التلخيص) ، ص ٢١٨ ، ونظر : محمد الأمين لفتنقري : المطول على التلخيص ، مطبعة لعمد كحل ، ١٣٢٠ هـ ، ص ٤٢٢ ، ونظر : المجد الشروب : حشوية السيد الشريف لمرحلي على المطول ، ص ٤٢٢ ، ونظر : ابن يعقوب المغربي : مواهب اللقاح (ضمن شروح التلخيص) ، ص ٣٥٣ ، ونظر : الفيض : إسم المراتبة لقراء النقلة للمصنف لأربعة عشر علما ، ضمن كتاب : (معاني العلوم) ، المكتبة دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ص ١٦٥ ، ونظر : شرح غرر النجاشي ، ١٢١ .

(٢) نظر : المكتبة : معاني العلوم ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، في اختياره بيت امرئ القيس : تطول ليلك ... البيت ، لثقا ، ص ٣٥٤ ، في إخفاه في تنبيه صور التجريد المختلفة ، عند الرحيم بن أحمد العباسي : معاهد التلخيص على شواهد التلخيص ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الصمد ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧ هـ ، ١٩٤٧ م ، ١٧١ / ١ ، في طبعه بين الالتفات والتجريد ، عندما عد قول امرئ القيس : تطول ليلك ... البيت ، لثقا ، وهو في تعليقه يحمي إحدى صور التجريد ، بقوله : " ولشاهد فيه الالتفات ، وهو في قوله " ليلك " لأنه خطاب لنفسه ، ومتضمني الظاهر " ألي " بالمتكلم " .

(٣) د.ب.س. طيل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٩ .

(٤) نادر : سيويه : كتاب سيويه ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٧ م ، ٢٩٠ ، ٣٨٩ / ١ .

(٥) نظر : الزجاج : إعراب القرآن ، للمنسوب إليه ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبراهيمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م ، ١٦٤ / ٢ .

(٦) نظر : ابن أبي الحنيد : التلخيص الدائر على المثل السائر ، قدم له وحققه وعلق عليه ، د.أحمد المولي ، ود.ب.س. طيلة ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٧) نظر : ابن جني : التلخيص ، ص ٤٧٤ ، ٤٧٣ / ٢ .

(٨) نظر : عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإحصاء ، ص ٦٨ ، وأسرار البلاغة ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ونظر : ابن الأثير : للمثل السائر ، ٢ / ١٥٩ ، وأثير الطوي : للطوق ، ٢ / ٧٢ ، ٧٣ .

(٩) ولعمري : شروح التلخيص ، مطبعة د.ب.س. طيلة ، القاهرة ، د.ت ، ٣٥٧ ، ٣٤٨ / ٤ .

القضايا البلاغية الفصل الثالث: علم البديع التجريد

وفي كل أسلوب تعريدي لابدك من ملاحظة أربعة أمور هي : للمجرد منه : وهو الموصوف ، والمجرد : وهو المفرد للكلل الذي اقتصرته من الموصوف ، والصفة المراد بها كمالها في الموصوف ، وكمال تلك الصفة ^(١).

وللتجريد فثنتان : الأولى : طلب التوسع في الكلام ، والتقنية : وهي الأبلغ ، وذلك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المتصورة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطبها بها غيره ، ليكون أعز وأبرأ من اللهنة فيما يقوله غير محجور عليه ^(٢).

ويبقى التجريد على أكثر من صورة هي : التجريد بواسطة حروف مخصوصة : (في) و (من) و (والباء) وتدخل ثلاثتها على المنتزع منه إلا إذا كانت الباء للمعية فتدخل على المنتزع ، وإما بواسطة الكنية أو بمخالطة المرء نفسه " التجريد غير المحض " أو مخاطبة المرء غيره وهو يريد به نفسه " التجريد المحض " ، وقد يكون بدون وسطة .

ولستفهم أبرز ما جاء في شروح ديوان الحماسة عن أسلوب التجريد ودلالاته وأسنته وشراسته ، تجدها على كثرتها ، وتعد أساليب التناول لها ، أنه لم يتم من خلالها التصريح بمصطلح التجريد من جانب كثير من الشراح ؛ والسبب - كما يرى الباحث - أن مصطلح التحريد غامض غير واضح عند كثير ممن تعرضوا لديوان الحماسة بالشرح ، خاصة القدامى منهم ، إذ وجنأهم في شروحه بحدود ملامح التجريد وصوره المختلفة ونقل أمثله عند تعرضهم بالشرح لبعض مواضع التحريد من أشعار الحماسة ، دون التصريح بالمصطلح ذاته .

لذلك وقع اختياري على بعض النصوص التي من كسافد ومقطوعات مختلفة حفل بها ديوان الحماسة ، لرى منها كيف وطف شراح الحماسة تحليلاتهم للآليات وتصنيفها من حيث المعنى " المضمون " وإن لم يكن المسمى ، بوصفها تجريداً يسهم في المعنى من خلال السياق .

وقد أخذ الباحث تحليلات على تلك الصور ؛ طلباً لتقسيم أكثر دقة . فجمع التحريد المحض وغير المحض في قسم واحد هو : الضمائر ، والتجريد بواسطة حروف مخصوصة . وخصها ، في قسم واحد هو : الأدوات ، وثالث تلك الأقسام - بدون تعديل - هو لتجريد بطريق الكنية ؛ وذلك لكي تجتمع الصور المتعارفة والمتشابهة في قسم واحد ؛ لاسيما إذا ما علمنا أن أشعار ديوان الحماسة زاخرة بالكثير من أنواع التجريد ، التي لم يهملها الشراح بالتحليل والتوضيح ، ومنها :

أولاً : التجريد عن طريق الضمير :

يشكل الضمير ركيزة أساسية من ركائز الأداء العدولي على مستوى البنية المطبعية منها والمعنى ، والضمير دال غير مكتمل الدلالة ، إذ إن " الضمير بنفسه لم يستل له دلالة مرجعية ، إنما تتحدد دلالاته بحضور المرجع الحالي أو المقالي ، أي إنه دال غير مكتمل الدلالة ، ويحوج للمقالي إلى التلأل وتجاوز المستوى المبني ، والخصوص في البنية التحتية ، لإدراك المرجع الذي يفسره " ^(٣).

(١) قنار : د. عبد العظيم المطيحي : البديع من المعاني والألفاظ ، ص ٩٣ . ط ٢ ، د ٢٠٠٠ ، ص ٩٣ .

(٢) قنار : مهيا للدين بن الأثير : فصول السطر ، ١٦٠ / ٢٠ .

(٣) د. محمد عبد المطلب : تنبيلات الحداثة في شعر السبعينات ، الهيئة العامة لتصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٥٥ م ، ص ٦٥ ، ٦٦ .

وتتعدد مواضع الضمير تبعاً لنوع الصياغة التي يتشكل من خلالها ، فالأصل في الضمير أن يكون مسبوقاً بقرينة يعود عليها ، إلا أنه قد يأتي أولاً ، ثم يفسر بمتأخر عنه ، أو يفهم من السياق فلا يحتاج إلى ما يفسره .

ونرجع أهمية الضمير إلى كونها "خلفاً لكل الأسماء المستقلة الأخرى، كصفات نحوية وعلاقية خالصة"^(١)، إذ إنها تقدم عندها من الإحالات العلائقية البارزة التي يتشكل من خلالها مفهوم السياق في النسيج النحوي للشعر ، على اعتبار أنها تكتسب بلبى دلالاتها من خلال الإحالات التي تحدد كامل معناها الميقلبي .

كما " أن التعامل مع (الضمائر) سيؤدي إلى ملاحظة بنى متعددة داخل الخطاب الأدبي ، بخاصة (ضمير الغياب) الذي يقودنا مباشرة إلى منطقة (التكرار) بكل احتمالاتها الدلالية ، مع فائدة لها أهميتها ، وهي التخفف من التثقل الصوتي الذي قد يلازمها أحياناً . كما أنه يدخلنا مباشرة إلى دائرة (التلاحم) (الصوت دلالي) ، حيث تتحول الصياغة إلى سبكة متلاحمة العناصر نتيجة لعوامل الربط : الظاهرة والمستترة، المنفصلة والمتصلة ، والتي تعمل على تعليق ذهن المتلقي وشغله بصفة دائمة بما يواجهه من ضمائر ، ثم يتحرك منها إلى مراجعها السابقة ، بل وبمراجعها اللاحقة في بعض الأحيان ، وقد يستوقفه الضمير عنده فلا ينفذه إلى هنا أو هناك . ولاشك أن التعامل مع منطقة الضمير بكل تشكيلاتها المتعددة ، ووظائفها المختلفة ، يدفع المتلقي إلى حركة إيجابية توازي حركة المبدع نفسه ، وليس ذلك مقصوراً على رد الضمير إلى مراجعها ، بل بتقدير هذه الضمير في بعض الأحيان " (٢) .

وقد أشرنا - فيما سبق - إلى أن التجريد لا ينحصر في مجال الضمائر ، وهنا أود أن أشير إلى أنه " قد يتداخل مع الالتفات في الضمير ، بل إن السككي جعله من صور الالتفات ، ولكن الفارق بينهما دقيق ، حيث إن بنية الالتفات تعتمد على المفارقة الظاهرية في المستوى السطحي ، والموافقة الدلالية في المستوى العميق ، بينما تتجه بنية التجريد إلى تعميق المفارقة في المستوى السطحي والمستوى العميق ببلبلة الانفصال بين المعرود والمجرد منه " (٣) ، ومرد ذلك أن " مبني الالتفات على الاتحاد ومبني التجريد على التعدد يعني أن الالتفات هو أن يعبر عن معنى بعد للتجريد عن ذلك المعنى بنفسه ، لو بعد استحقاق المقام التعبير عنه بلفظ آخر من غير أن يكون ثم اختلاف بين المعبر عنه لفظاً لو تقديراً أولاً ، وبين المعبر عنه بلفظاً ، والتجريد هو أن يعبر عن معنى مجرد عن معنى آخر مع اعتبار أن المجرد شيء آخر ، فعلى هذا لا يصح أن يقصد الالتفات والتجريد في لفظ واحد ، لتقضي لآزميهما وتلقي الوازم بوجوب انتفاء الملزومات " (٤) .

وهذه الصورة تقني على نوعين :

النوع الأول : التجريد المحض .

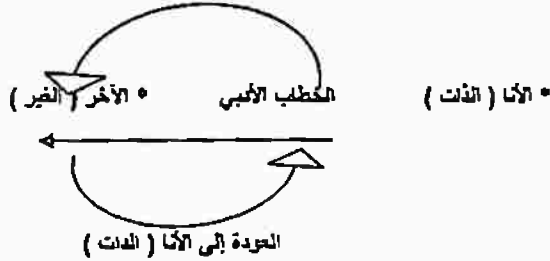
النوع الثاني : التجريد غير المحض .

(١) رومان بكمبوزين لصياغة الشعرية ، ترجمة محمد الرابي ، ومبارك حنون ، دار توسل للنشر ، لدار البيضاء ، ١٩٨٨ م . ص ٧٣ .
(٢) د. محمد عبد الحليم ، دراسات أسلوبية في الشعر الحديث ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة . ١٩٩٥ م . ص ١٤٣ ، ١٤٤ .
(٣) د. لمسة النحوي ، تحولات الثانية في البلاغة العربية ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع . ط ١ ، سنة ٢٠٠٠ م . ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
(٤) ابن منظور المعري : مواضع انتاج (ضمن شروح للتلخيص) ، ٣٥٣ / ٤ .

التجريد الأول : التجريد للمحض :

وهو " أن نأتي بكلام هو خطاب للغير ، ولنت ترديد به نفسك " (١).

حديث الآخر (الغير)



" وهو يمثل ظاهرة أسلوبية أثيرة لدى الشعراء الفناى والمحدثين ، وهو مطهر من مظاهر التقنن والتوسع فى الكلام ، من خلاله يتم التواصل الحميم بين المبدع والمتلقى ، لأن المبدع وإن كان يوجه كلامه فى الظاهر إلى مخاطب آخر منفصل عنه ، ويخلع عليه أحاسيسه وانفعالاته وهو آمن من ظهور مكوناته ، فالمتلقي لا يلبه بهذا الانفصال الطاهرى ، ويكشف عن مكونات المبدع من خلال استبطان النص وإدراك مراميه . عن طريق التجريد يستطيع المبدع أن يعبر عن مشاعره وأمنياته ومطامعه بحرية " (٢).

ويتخذ الضمير فى التجريد المحض أشكالاً مختلفة فى خطابه للغير ، وقصده حديث المتكلم ، ما يحبطه - من خلال بنية النص الشعري الداخلية والخارجية - بتحقيق فى صور مخالفة تعبيرية مختلفة أبرزها :

أ - حديث المتكلم ————— ضمير المخاطب .

مثل قول إبراهيم بن كنفرة للنبهاني :

ثَغْرُ فُلٍّ صَمِيْزٍ بِالنَّخْرِ أَجْمَلُ وَلَسَيْنَ غُلَى زَنْبِ الثُّمَانِ مُغْلُ

يدعو الشاعر إلى التصبر والتجمل فإن الصبر بالرجل الكريم أحسن من التثنع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله ، موجها خطابه إلى الآخر وهو يريد نفسه ، وكان أصل الكلام أن يأتى على ضمير المتكلم لا المخاطب ، ولكنه لجأ إلى الحوار التجريدي للتغلب عن كل المشاعر الدفينة مع الاحتفاظ للذات بمظاهر الاعتداد والتجمل ، وقد فطن المرزوقي إلى ذلك فعبّر عنه بقول " الخطاب بهذا الكلام للنفس على طريق التسلية " (٣).

ومثله قول عبيد بن مارية :

أَلَا حَسْبِي الْيَأْسُ وَالْطَّلَبُ وَزَمَانُ زَيْلٍ وَأَجْبَانُ

(١) ابن الأثير : مثل فسق ١٦٠ / ٢٠ ، وامتز : الطوي : الطرز ٧٢ / ٣ .
(٢) دالسة البحري : كمالات الفنية فى سلاعة العربية ، ص ٣١٢ .
(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحمزة : حمزة (٧٠) ، (٢٥٨ / ١) .

حين يشير إلى موضع التجريد فيه بالقول : " يخلط نفسه مظهراً للتجلد ، ومتوجهاً بأن الشدائد لا تسميه الأوبة ولا تحمله عن التسليم عليها ، والوقوف على منزلها ومساكنها ، ولنه متى ملي بها أهمه لمرها تد ما كل ليل ، ولم يله عنها ؛ فيقول : سلم على هذه المرأة وعلى نيلها ، وعلى رمل ربا والجبال المحيطة بها ، وإن طررك من الحوائث ما يشغل عن مثله " (١).

ومنها التعليق على أبيات مويك المزمومة يرثي امرأته :

فَسَرَّزْ عَلَى الْجَنَّةِ الَّذِي حُلَّتْ بِهِ أُمُّ الْقَلَامِ لَعْنَتُهَا لَوْ شِئْنَا
لَكُنَّا خَالَتٌ وَقَدْ جِئْتُ فَرُوقِيَةً بَعْدَ نَحْرٍ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَلْزَعُ
صَلَى عَنَّاكَ اللَّهُ مِنْ مَقْعَدِهِ إِذْ لَا وَلَئِنَّكَ الْفَتَانُ الْبَلَاءُ فِي

" يخلط نفسه ويبحثها على زيارة المقفودة والتسليم عليها ، قضاءً لحقها ، وتجديداً للعهد بها . فقال : أمر على القبر الذي دفنت فيه ، وسلم عليها إن كفت تسمع . وهذا توجع وتلف ... وهذه الأبيات غلبة فيما يحس به المفجوع نفسه " (٢).

وكذلك على قول شاعر الحماسة :

إِذَا كُنْتُ لَا مُتَلَبِّكَ عَنْ مَنْ تَبَوَّءُ تَتَاءً وَلَا وَشَلِيكَ طَسْمُولُ تَلَالِي
فَهَلْ أَتَيْتُ إِلَّا مُسْتَعِيرَ خَشَانَةٍ لَعْنَتِي نَفْسِي أَتَيْتُ بِفَرَقِي

" بعاطف نفسه مترجماً لها ، ومستوحاشاً من الحالة التي منى بها ، فيقول : إذا لم تستوف مع من تحب التباعده عنه ، ولذا اتس ما تنصمي منه ، ليرتلك ملرا دونه . ولم يقرب شفاك من الداء فيه طول الاجتماع معه ، واتصال التردد منه . والمريض في العرف والمعدة إذا اشتكى من دواء عولج به نقل إلى ما يضره . فإن لم يخن سلم لعلته ، فكذلك أنت إذا لم تنفك فيما تقسمه لا التقي ولا التلني ، فما ذاك إلا غرام ، وما أنت فيه إلا مستعير حشنة ، وهي روح القلب ، ورمق من حياة النفس وقد أنتت بالمفارقة . والمهجة : خلاصة النفس ؛ ومنه لمن لمهجان " (٣).

ومثله قول عبد الله بن النعمية :

أَلَا يَأْ صَنَعًا تُجِدُ مَثَى هَجَتْ مِنْ تُجِدُ تُؤْذِ زَائِي مَحْزَلِي وَجِدَا خَلِي وَجِدْ
أَنَّ هَتَكْتُ وَزُتَاءَ لِي زَوَالِي الضُّحَى عَلَى فَنِي غَضُ التُّبَاتِ مِنْ الزُّبْدِ
بَكَيْتُ قَمَا يَبْكِي الْوَيْدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدَا وَأَيْتَيْتِ السَّوْدِي لَمْ تُكُنْ تَبْدِي

" قوله : أن هتكت ، يخلط نفسه ميكتاً فيقول : الآن صاحبت حماسة وركاء في أول الضحى واقعة على حصن غصن من شجر الرند بكيت بكاء الصبي إذا أعياه مطلوبه ، وأظهرت العجز عما حملته . وعهد الناس بك فيما مضى من أيامك ولم تزل ثابت التدم فيما يتوبك ، دأب الصبر على بلواك ، إن هذا منكر " (٤).

(١) المروزي : شرح ديوان العمدة : معلقة (١١٢) . (١ / ٦٠٤) .

(٢) نفسه : معلقة (٣٠٥) . (١٠٢ / ١٠٢) .

(٣) نفسه : معلقة (٥٠٢) . (١٢٩٨ / ٢) .

(٤) نفسه : معلقة (٥٠٣) . (١٢٩٨ / ٢) .

مثل قول آخر، ويقال إنها لتلطف شراً :

(الطويل)

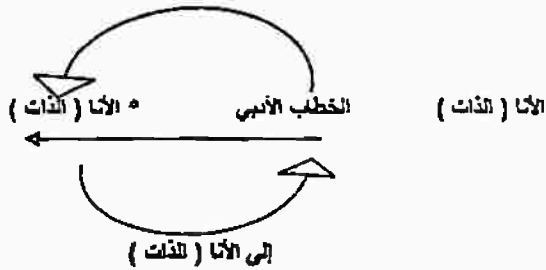
إِذَا خَاطَ غَيْبَهُ غَزَى الثُّغُومَ لَمْ يَزَلْ لَيْلَةً قَالِيَةً مِنْ قَلْبٍ شَنِيعٍ خَانٍ لِقَائِكِ^(١)

نجد المرزوقي قد أشار إلى ما في البيت من تجريد محض وإن لم يسمه بقوله : " يقول : إذا نام النومة التي أشار إليها لم يزل له رقيب وحلفظ من قلب رجل جلد في الأمور ، مفاجئ عريض ، وهذا الرجل هو هو . لكنه يريد إذا نام عينه لا ينلم قلبه " (٢) .

النوع الثاني : التجريد غير المحض :

وهو " خطاب نفسك لا لغيرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كليهما شيء واحد ، لملاقة احدهما بالآخر " (٣) .

حديث الأنا (الذات)



وقد اعتبر أبو علي الفارسي هذا النوع من للتجريد عادة من عادات العرب وسنتها، فنراه يقول : " إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كلما فيه كله حقيقته ومحصوله ، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجردا من الإنسان كله غيره ، وهو هو بعينه . . . وعلى هذا النمط كون الإنسان يخطب نفسه • حتى كله يقول غيره " (٤) .

وقد نعت ابن الأثير هذا النوع من التجريد بـ " نصف تجريد " ، وذلك بقوله : " وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر ، وذلك أولى بأن يسمى تجريدا ، لأن التجريد لائق به ، وهذا هو نصف تجريد • لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئا • وإنما خلطت نفسك بنفسك • كذلك فصلتها عنك • وهي منك " (٥) .

مثل قول أعرابي قل أخوه لبنا له فقدم إليه ليتكلم منه ، فلقى الميف وهويقول :

(البسيط)

أَقُولُ لِلنَّفْسِ ثَمَاءً وَتَقْرِيبَةً أَخَذَى يَذِي أَمْنَابِيهِ وَلَمْ تُجِرِدِ
بَلَاغَنَا خَلَفَ مِنْ قَلْبٍ صَاحِبِهِ هَذَا أَجْمِي جِئِنَ أَدْنُوهُ وَذَا وَلَدِي

(١) انكري شوم الخميم .

(٢) المرزوقي : شرح ديوان الصامة : حاسبة (١٣) ، (١ / ٩٦ ، ٩٧) .

(٣) ابن الأثير : فضل السطر ، ١٦٣ / ٢ ، وانظر المولي : الضرائر ، ٧٤ / ٣ .

(٤) نفسه : ١٦٤ / ٢ .

(٥) ابن الأثير : فضل السطر : ١٦٣ / ٢ .

بحر الموقف التجريدي عن انهزام الذات تحت شدة المعاناة وآلم الفراق ، مع ما تحمله ذات الشاعر من صراع داخلي بين رغبة في الانتقام وأحاسيس العطف والرحمة ومشاعر الأخوة ، فد " عزفت للصياغة على هذا الوتر ، وركزت على دوال الوحدة والتعاون (إحدى يدي) ، وصحت إلى تهوين الخطب وتقليله بنفي عنصر التمدد أو القصد ، وكثفت الصياغة من دوال الصداقة والتقربة (صلحبه ، أخي ، ولدي) لنفي أي رغبة في الانتقام عن طريق تغليب مشاعر الأخوة والمحبة ، ووضحت الصياغة صق العلاقة بين القتل والمقتول بالحدث عنهما بصيغة المثنى (كلاهما خلف) ، والإشارة إليهما بصيغة القرب (هذا أخي ، وذا ولدي) للتذكير بولجبت التقربة ، ونفي أي تأثير للأحقاد "(١).

وقد عبر المرزولي عن هذا المعنى بالقول : " أي أقول مثلياً بخيري ، ومسلماً لنفسي : جلى علي أخي الذي محله مني محل إحدى يدي ، سهواً لا إرادة لمسامتي وخطأ لا عمدًا ... كل واحد من الأخ والوقت والابن المنفرد يصلح لأن يرضى به عوضاً من فقدان الآخر ، فإني اقتنت من الأخ منتصفاً للابن فقنتهما جميعاً ، فليبتقي أخي هو على كل حال أقرب وأعمد "(٢).

ومثله قول شاعر الحملة :

أَقُولُ لِنَفْسِي جِئْتُ خِزْفَةً وَأَلْهَمَ مَقَاتِلُكَ لَنَا ثَمَنِي جِئْتُ مَشْفُوقِي (٣)
مَقَاتِلُكَ خِزْفٌ تَنْظُرِي عِمْ تَجَلَّي غَضَائِي هَذَا الْعَارِضُ الْمُتَأَلِّقِي (٤)

بحث الشاعر نفسه على الثبات والصمود وعدم الجزع والفرار لعمد إلى استخدام صيغة الأمر " مكفك " وهو موضوع موضع الفعل الذي عمل فيه ومكتفي به عنه ، لتأكيد العزم على الثبات والاستمرار فيه ، وجاء قوله " لما تشفى حين مشفق " على سبيل التقييد ، أي لم تخلفي وقت مخلف . وإنما طلب من النفس الصبر إلى ذلك الوقت ، لأن من ثبت وقت الجزع إلى انكشاف الحال ليه فقد أعطاهما حقها .

وعبر المرزولي عن هذا بقوله : " ومعنى البيت : إني أثبت نفسي عند ما بيده من دهر الحرب ، ويفجأ من روعة القتال ، فلخاطب نفسي إذا همت بالإحجام ، أو موسس إليها وجوب الانهزام : الزمي مكفك لم تذعري وقت ذعير ... استكثي وترفق ، وإقول في تلك الحالة ، تملكي يا نفس واحظي مكفك إلى أن يتبين لك عن أي شيء تتكثف لك ظلمة هذا العارض المتشقق بالبرق " (٥).

وكذلك مثله في قول شاعر الحملة :

وَجِئْتُ بِنَفْسٍ لَا يَخْشَا بِمِثْلِهَا وَقُلْتُ لِنَفْسِي جِئْتُ مَسَاوِي ظَنُونَهَا

" يصف ابتذاله نفسه فيما تعناه على حاجة من العشرة إلى بقائها ، وحلولها من القلوب محل ما يضمن بها ، فيوجب صبرتها . يقول : تسخيت بنفسي لا يتسخى بمثلها كرمًا وعزَّة ، وشرلاً ولجأة ، قلت شيئاً لها : استكثي

(١) أسامة البحيري : لمحات الفنية في البلاغة العربية : ص ٣٦٨ .

(٢) المرزولي : شرح ديوان الحملة : حلقة (١٦) ، (٢٠٧ / ١) .

(٣) يقول: غود ركه، للمذعور المرتاح والركه فرخ التمام وهذا مثق. والتعويذ: حرب من السير سريع. ويوصف بمحبها للتمل.

(٤) والعارض : أسد في المحب ، وما هذا فرد به الجيش . وجعل التلق مثل التلمن الأسلحة . ويقال لتلق البرق أي تلالا ، وتلقق . والساية : تظلمة والهمزة .

(٥) المرزولي : شرح ديوان الحملة : حلقة (١٢٤) ، (٢٦٥ / ١) .

واصوري عند استيلاء الرعب عليها ، واختلاف الظنون بها. وهذه إشارة إلى ما لحق النفس في الأول من الانتقاء ، للوهلة المعارضة ، والمجعة المروعة " (١).

ومثله قول سلمة الجعفي يرثي أخاه لأمه :

أَقُولُ بِنَفْسِي لِمِي الْخَلَاءِ أَلُومَهَا نَسَبُ الْقَوْلِ مَا هَذَا الشَّجَلُ وَالْمَمِيزُ
أَلَمْ تَقْتُلِي أَنْ لَمْ تُنْثَرِ مَا عَشْتُ لِقَائِهَا أَجْسِي إِذْ أَتَيْتُ مِنْ دُونِ أَوْصَائِهِ الْقَبْرِ

يبدأ من الوهلة الأولى توجبه اللوم والعتاب إلى نفسه ، على ما تنبئ من مظاهر التجلد والصبر بالرغم من حال المصيبة التي يحشها ، حتى صعد و تيرة اللوم إلى النقد بل والتوبيخ ، فليستختم الاستفهام في قوله (ما هذا للتجد والصبر ؟) على طريق التقرير والتوبيخ ، واجتماع حرفي الاستفهام والنفي في قوله (ألم تعلمي) يجعل من الاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي ليجاب ، بما يفيد الثبوت والتوكيد ، وقد جعل الشاعر التجريد وسيلة للمواجهة والبوح لعله يخفف مشاعر اللوم والألم ، ويظهر النفس من الضغائن والأحقاد . وقد عبر المرزوقي عن هذا المعنى بالقول : " يقول : اني انتسخت ما أقيمه من الهلع فيمن أصبت به ، حتى أرجعالي نفسي اذا خلوت بها باللوم والتعنيف ، وأقول حل بك الولد . ما الذي يظهر منك من تكلف الحلد وللصبر فيما بليت به . اما علمت اني مدة عيشي لا ألقى أخي وقد حجز بيني وبينه الثرى ، وقوله (ألومها) في موضع الحال ، (ولك الولد) في موضع المفعول لأقول . (وما هذا التجد) استفهام على طريق التقرير والتوبيخ . وارتفع التجلد على أنه عطف للبيان . وقوله (ألم تعلمي) تقرير فيما هو واجب ، لأن حرف الاستفهام قد ضامه حرف النفي ، والاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي ايجاب " (٢).

ثانيا : التجريد عن طريق الأثوات :

١ - التجريد بحروف مخصوصة : وهي : الباء ، والي ، ومن .

٢ - التجريد بخفف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كنية) .

ونود - فيما يلي - أن نتوقف إزاء بعض المواطن التي تتسل فيها كلا من الصورتين في ديوان الحماسة عبر الشروح .

١ - التجريد بواسطة حروف مخصوصة :

وتلك الحروف هي : (الباء) ، و (لي) ، و (من) ، وتدخل على ما ينتزع منه الصفة ، كقولهم : لي من فلان صديق حميم ، ولئن لقيت فلانا لثلقين به الأسد ، وقوله تعالى : " فلك جزاء أعداء الله الخار لهم فيها دار الخلد " (فصلت / ٢٨) .

لما التجريد بـ " الباء " فهو على نوعين :

النوع الأول : الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، " والباء التجريدية تلك ينسبها أن تكون للمصلحة ، ويحتمل كذلك أن تكون للسببية " (٣).

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (١١٧) ، (١ / ٢٧٢) .

(٢) نفسه : حماسة (٢٨٥) ، (٢ / ١٠٨٠) .

(٣) اسطر - (شروح تلخيص) : ٢ / ٣٥٠ .

النوع الثاني : باء المعية ، وهي تلك " الباء التجريدية الداخلة في المنتزع بعد دخول الأصلية في المنتزع منه " ^(١) ، " أي على المنتزع لا على المنتزع منه كما في القسم الذي قبله " ^(٢) وهي " الملابسة والمصاحبة " ^(٣) .

وأما التجريد بـ " في " فهو : " كل ما يكون التجريد فيه بدخول " في " على المنتزع منه ، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه " ^(٤) .

ولما للتجريد بـ " من " فهو : " كل ما تكون " من " فيه أداة التجريد ، وتقيد فيه معنى الإبداء ، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه " ^(٥) .

ويتمثل الفرض الرئيس في هذا القسم من التجريد تأكيد المبالغة ، لأن فيه إشارة إلى إهداء كمال الموصوف حتى صار بمنزلة هي بحيث كُتبت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثلها عنها ، وهو ما يقرره ابن مقرب المخربي بقوله : " وإنما قلنا لإهداء الكمال ، إشارة إلى أن يظهر المبالغة بالانزعاج لا يشترط فيه كونه كاملاً في تلك الصفة في نفس الأمر ، بل الإهداء كلف سواء طلق الواقع أم لا ، ووجه دلالة الانزعاج على المبالغة المبنية على ادعاء الكمال ما تقرر في العقول ، من أن الأصل والمنشأ لما هو مثله في غاية القوة حتى صار يفيض بمثالاته ، لهذا لند وصف باعتبار تلك الصفة من موصوف آخر بها ، فهم أنك بالفت في وصفه حتى صيرته في منزلة هي بحيث كُتبت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثلها عنها ، وإيجلاها عنها ، فهي فيه كثرة تفيض بمثالاتها لقوتها ، كما تفيض الأتعة عن شعاع الشمس ، وكما يفيض الماء عن ماء البحر " ^(٦) .

وقد عد ابن الأثير هذا القسم من التجريد - التجريد بواسطة حروف - تشبيها مضمراً للأداة ، معترفاً على إدراجها ضمن أقسام التجريد ، وذلك بقوله : " وأما الأول : وهو قوله : لنن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، ولئن سلته لتسلان منه البحر ، فإن هذا تشبيه مضمراً للأداة ، إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه ، ويبين ذلك أنك تقول : " لنن لقيت فلانا لتلقين منه كالأسد ، ولئن سلته لتسلان منه كالبحر " وليس هذا بتجريد ؛ لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه ، وإنما هو تشبيه مضمراً للأداة ، ألا ترى أن المنكور : هو كالأسد ، وهو كالبحر ، وليس ثم شيء مجرد عنه ^(٧) . ولم ينفرد ابن الأثير بتلك النظرة إلى هذا القسم من التجريد ، إذ نجد بعض البلاغيين قد صرح بدخول التشبيه في بعض صور هذا القسم ، مثل السبكي الذي أدخل بعض صور التجريد بالباء ضمن التشبيه بقوله : " ومنها أن يقصد تشبيه الشيء بغيره ويكون بالباء ، كقولهم : لنن سللت فلانا لتسلان به البحر " ^(٨) ، وكذلك عبد القاهر الجرجاني الذي عد أمثلة التجريد بـ (من) من أبلغ صور التشبيه ، وذلك في حديثه عن مراتب التشبيه بالنظر إلى دلالات أنوات التشبيه ، بقوله : " ثم نقول : " لنن لقيته ليلقيناك منه الأسد " ، فتجده قد أفاد هذه المبالغة ، لكن في صورة أحسن ، وصفة أخص ، وذلك أنك تجعله في " كان " ، يتوهم أنه الأسد ، وتبطله ها هنا يرى منه الأسد على القطع ، فيخرج الأمر على حد التوهم إلى حد اليقين " ^(٩) .

(١) ابن مقرب المخربي : مواهب اللغات (حسن شروح لتلخيص) ٤٠ / ٣٥٠ .

(٢) محمد بن عرفة السمرقي : حاشية السمرقي (حسن شروح لتلخيص) . مطبعة عيسى البني العلمي وشركه ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ٤٠ / ٣٥٠ .

(٣) سعد الدين التتارقي : شرح شمس على السطوط ، ص ٤٣٦ .

(٤) عبد المنعم السعدي : بنية الإيضاح ، ٤ / ٣٩ .

(٥) نفسه : ٤ / ٣٩ .

(٦) ابن مقرب للمخربي : مواهب اللغات (حسن شروح لتلخيص) ٤٠ / ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٧) ابن الأثير : المسال الملوك ، ٢ / ١٦٥ .

(٨) السبكي : عروض الأرواح ، ٤ / ٣٥٠ .

(٩) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص ١٢٥ .

ودخول التشبيه - على هذا الشكل - في بعض صور هذا القسم من التجريد لا شك " يسهم في إبراز جانب السالمة في التجريد ، وتعميق الاتصال بين الأصل وبين الصورة المجردة عنه في الشبهة المطبقة والتبينة العميقة للصياغة . بحيث يتم تقاسي التشبيه واتساعها معها كأصلين متصاحبين . وسواء أدخل هذا القسم من التجريد في التقسيم البلاغي أم انفصل عنه ، فإن بنيته تتشكل في مستوى مقتضى الظاهر ، وليس فيها عدول عنه ، وتكامل دلالاته من خلال المستوى المطهي للصياغة ، لذلك تتعامل شكله ببناء الأسلوب على خلاف مقتضى الظاهر " (١).

وقد وردت لشكل التجريد عن طريق الأنوثة، عبر عن صورتها شراح ديوان الحماسة، وإن لم يسموها باسمها، منها:

(أ) الباء :

مثل قول سعد بن نافع :

(الطويل)

أَبْسِمَ ضَغَا ذِي الْغَيْبِ خُشْيَ أُرْدَا وَأَخْطِئْتُ خُشْيَ نَفْسِهِ إِتْسَى الْفُسْرَى
فَإِنْ تَغْنِيَّتِي تَغْنِي بِي مُرْزَا فَزَيْدٌ نَحْنُ الْإِغْنَارُ مَشْتَرِكُ الْيُسْرِ (٢).

فيكون قد حرد من نفسه شخصا كريما، وهو ما نبه إليه المرزوقي بالقول: " وقوله فإن تغنيني بصف نفسه بله سمح مطعنة ، لا يكف عن البذل ، ولا يرد عن الإعطاء والجود ، على تلون الزمان به ، وتغير الأحوال عليه . والمرزا : المصلب في ملة كثيرا . وقوله تغني بي مرزا ، أي رجلاً مرزاً ، وذلك الرجل هو هو كما يقال : لقيت بزيب الأسد " (٣).

وكنك ما صرح به المرصفي على كونه تجريدا بالباء في قوله : " (تغني بي) الباء التجريدية مثلها في قولك : إن تلقني تلق بي الأسد " (٤).

ومنه قول آخر :

(الطويل)

وَمُسْتَفْعِلِي الْخَرْبِ وَالْمُنْمِ خَطْءُ تَلَعَا امْتَشِيزَتْ كُلُّ غُظْهَا مَخَايِزُ
وَحَارِزَتِ لِيْهَا بِأَمْرِئِي جِيْنٌ شَمُوزَتْ مِنْ الْقِسْمِ مِغْذَارٌ قَبِيْعٌ مَخَابِيزُ
فَمَا غَلَى الَّذِي يَغْطِي السَّائِلَ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ سَنَفِي صِنْدِي لَمْ تَمُتْ أَكْبَابُ

" يقال : استعجل بالشئ ، إذا طلب عجلته ولم يصبر إلى وقته وإياه . فيقول : رب امرئ يعجلك في حرج الحرب له ، ونصب للشر بينك وبينه ، فتراه يرتقي في الإيذاء والمكثفة إلى أعلى درجات القصد ، وحظه في أن يسلم ، لكنه بصوء تلقيه ونقص اختباره ، أبى لنفسه إلا تعريضها لما يستوخم عاقبه ، ويعجل شره ، فلما هيئت الحرب له وأجيب لي إقرارها ، وإيقاد نقرتها ، إلى مرأته منها ، عجز فيها عن الإيذاء والاستيلاء ، ركل عن مباشرة الورد والصدر ، واستعان فيها برجل ركاب لرواحل العجز ، لنيم المكسر والمختبر ، ضيق العطن والمبرك " ، ثم يصل إلى معنى التجريد ومضمونه وهو " ويضي به نفسه ، وهذا كما يقال : لقيتني لقيت بي قرناً بلساً . ويضي بالقرن نفسه " (٥).

(١) دلائل البديع : تحولات البنية في البلاغة العربية ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .
(٢) المرزا : المصلب في ملة كثيراً ، ولتأثيره ، ويمثل في الخير والشر ، واتقاء لا يستعمل إلا في الخير .
(٣) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، حكاية (٢٢١) ، (١٦٥ / ٢) ، (١٦٦) .
(٤) المرصفي : أمداد الحماسة ، ص ٢٠ .
(٥) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، حكاية (١٦١) ، (١٥١٢ / ٢) ، (١٥١٣) .

(ب) من :

ومن شواهد التجريد بمن التي ضمنمتها كتب الشروح بين بفتيها ، ونبه الشراح إلى وجودها، قول تليط شراً:
ونذكر أنه لخالف الأحمر، وهو الصحيح :

(المبيد)

فَوَدَّاهُ الْبُلْبُلُ مِنْ بَيْتِي إِذْ بَنَى خَصْبًا مَصْبُوعًا عَقْنَتُهُ مَا تَخْصِنُ^(١).

يمثل التجريد محاولة للخروج من إيسار أحاسيس القلق والتوجس المسيطرة على الذات ، من خلال إعلان مظاهر قوته وجلالته ، واستحكام خلقه وصبره في الشدائد (مصعب عقتنه ما تحل) ، التي تشد من أزر صاحبها وتبعث الرعب في قلوب الأعداء، فيجرد من نفسه هارسا قويا شديدا للمقتلة والتبكت ، وذلك على سبيل المبالغة في كمال صفة الشجاعة عنده والتي بلغ فيها شلوا بحيث يصح أن ينتزع منه شخص آخر مثله في تلك الصفة وهو هو نفسه ، وهو المعنى نفسه الذي ألمح إليه المرزوقي بقوله: " ويريد : وفي طلب النار من جهتي ابن أختي هذه صفته ، ويعني به نفسه .

(الطويل)

ويجري هذا المجرى قول الشنفرى :

هَمَزَتْ وَهَمَزَتْ وَإِبْرَئِيلَ وَأَسْبَلَتْ وَشَمَزْتُ مِنْ بَيْتِي فَأَبْطَأَ مِنْهُمْ^(٢).

ومنها قول وقال تليط شراً، ونذكر أنه لخالف الأحمر، وهو الصحيح :

(المبيد)

صَلَيْتُ مِنْ بَيْتِي هَمَزْتُ مِنْ بَيْتِي لَا تَعْلُ الْفَتْرُ خَشْيَ نَعْلًا
بَنَيْتُ الْمَصْنُوعَةَ خَشْيَ إِذَا مَا تَهَلَّتْ كَانَ لَهَا بَيْتُهُ عُلُ

" يقول : ابتليت هذيل من جهتي برجل كريمة يخرق في العرف مع الأولياء ، ويلتكر مع الأعداء ، لا يفتقر عن النكابة فيهم ، وعن الإشارة عليهم ما دام لهم ثبات وكان للجزاء عليهم محمل ... وقوله صليت مني هذيل بخرق، مثل قوله من قبل : ووراء التلار مني ابن أختي في أن يخرق هو هو لا غيره " ^(٣).

(الطويل)

وقول تليط شراً :

إِذَا خَاصَ عَقْنَتُهُ غَنَى التَّوَجُّعِ لَمْ يَزَلْ لَيْتَ خَالِي مِنْ قَلْبٍ شَهْوَانٍ لَيْتَ

بقول المرصفي : " (من قلب) من للتجريد مثلهما في قولك : رايت منك أمدا " ^(٤).

٢ - التجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كناية) :

والتجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وسطة حرف ولا كناية) هو : " كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ، وهذا للقسم لا يدل على التثنية " ^(٥).

(١) المصعب : الشديد المقتلة لتبكت فيها .

(٢) المرزوقي : شرح ديوان المصنعة : مصفحة (٢٧٣) ، (٨٢٨ / ١) .

(٣) نفس : مصفحة (٢٧٣) ، (٨٣٦ / ٢١) .

(٤) المرصفي : لمرار المصنعة ، ص ٣٩ .

(٥) عد التمثال المصنوعي : بغية الإيضاح ، ٤٠ / ١٠ .

مثل قول أبي اللحم التعلبي :

وَأَضَعْتُ أُمُورَ النَّاسِ يَغْنَمِينَ غَالِيًا بِمَا يَنْقُصُ مِنْهَا وَمَا يَنْفُذُ
جَمِيدٌ بِهَا إِلَّا أَسْمَكِيْنٌ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَنْدَرُ وَأَسَى مُنْذِرًا أَنْتَبَاهُ

فجاء التجريد بحذف الأداة على تقدير: يغنين مني عالماً ، فالعالم المقصود هو المتحدث نفسه ، وهو ههنا الشاعر ذاته ، لحذف أداة التجريد مني ، ودل عليها السياق، فرى المرزوقي قد انتبه لهذه الصورة بالقول : " قوله (يغنين عالماً) أي يغنين مني عالماً ، لأن العالم هو هو ، فحذف مني . والمعنى : إني بشرت الأمور العظيمة ، ولا يست الخطوب الحليفة ، فصررت بطول تجربتي ، واتصل ممارستي . عالماً من أمور الناس إذا وردت أخبارها على بما يتحلى منها ويحذر ، وما يمتنى منها فيقلب . فلا جرم إني خليق بالألموع عند نوافذ الدهر ولا أخضع ، ولا أرى إنا فقتي أمر أحرر لي إثره وقد ولي ، واضرب بلدة إحدى كفى بالأخرى ، توجعاً وتلهفاً ، إذا كت وقتاً بأن الأمور بملكها تتغير ، وإن ثلثت بتلكى ، فلا يدرم شيء على حال إلا ريث ما يتسلط عليه انتقال " (١).

فجاء حذف الأداة - مني - لادعائه كمال صفة العلم فيه ، وبلوغه شأوا عظيماً بحيث يصح أن ينتزع منه شخصاً آخر مثله في تلك الصفة ، أي جرد من نفسه عالماً آخر لكمال صفة العلم فيه .

ثلاثاً : التجريد بطريق الكناية :

" وهو ما يكون منزولاً فيه على المعنى المجرد بطريق الكناية التي هي أن يعبر بالملزوم ويراد اللزوم مع صحة إرادة الأصل " (٢).

وتعد الكناية عن الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح " أصلاً من أصول للفصاحة ، وشرطاً من شروط البلاغة " (٣).

ويلعب المتلقي دوراً هاماً في تحليل دوال ذلك الأسلوب - إن صححت التسمية - الكناتي التجريدي ، فهو يقوم بإبراز العلاقة التي تجمع بين المكني به والمكني عنه ، " وعنصر القصد من جذب المرسل هو الذي يرجع مجبوزة المستوى المسطحي للأسلوب الكناتي ، ويحول المستقبل - بواسطة النسيج الثقافي المشترك بين طرفي الاتصال - إلى المستوى العميق الذي يدرك من خلاله لازم المعنى ، وعرض المرسل من استعمال بنية الكناية ، وقيام التصورات الكنائية على أحاسيس وتجارب مشتركة وعيشها طرفاً للاتصال كلاهما ، يسهل عملية التواصل بينهما ، وييسر إحالة المستقبل إلى المعاني التي يريد المرسل توصيلها إليه " (٤).

وقد وردت كثير من صور التجريد عن طريق الكناية في ديوان الحماسة ، استطاع من خلالها الشراح - عبر تعليقاتهم - كشف الثلم عن مضمونها ، وتفكيك الصورة التجريبية وتحويلها إلى صورتها الأولية التي يمكن للمتلقى استشفاف ملامحها ، وسهولة إدراكها والتعاطي معها ، ومن هذه التعليقات :

(١) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ، سلسلة (٤١٦) ، (١١٥٠ / ٢) .
(٢) ابن بطوط المغربي : مواهب نتاج (منمن شرح التلخيص) ، ٢٥٤ / ٤٠ .
(٣) ابن منان الغنلي : سر السلسلة ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٤) د/السفة البحري . تحولات النية في البلاغة العربية ، ص ٢٢٧ .

ما ورد على قول قتادة بن مسلمة الحنفي :

(الكمل)
ومعنى أنموذ بن خنيفة في الوطى
فقوم إذا لم يسموا الخبيذ غلنهم
فلنن بغنيت لأنخلن بغنوة
للبرص فوقي زوميسهم تميمون
في البرص والخلق الدلص نخوم
نحو القساي أو ينموت كبريم

أراد بالكريم نفسه ، وقد " وصف نفسه بالكرم هنا ثم بالغ حتى انتزع من نفسه كريما آخر ، وقد دلت قرينة المحجوا على قصد ذلك ؛ لأن المبالغة في المدح أنسب له فيكون تجريداً^(١) ، وهو عينه ما عناه المرزوقي بقوله : " وقوله أو يموت كريم ... ويعني بالكريم نفسه " (٢).

ومنه قول البلغة يرثي أخأله من أمه :

(البسيط)
سئل الخليفة من شاء فأفدحه
حسب الخليلين نأى الأرض بينهما
إلى ذوات النوى خصال أنفصال
هذا عليها وهذا تختها نال
" وقوله حب الخليلين نأى الأرض بينهما ، يعني بالخليلين نفسه والمفقود " (٣).

ومنه قول برج بن مسهر :

(الواسع)
فئنا أن تئشي فسام خزي
إلى وجنهام ناونصة فداست
من البئان مختلف هضم (٤)
وهي الغرقوب منها والصميم (٥)
" أراد بالحرق نفسه ، وهو الكريم المنخرف بالمعروف " (٦).

ومنه قول برج بن مسهر :

(الطويل)
منزيت من لؤى الغروب خشي تجاوزت
إلى رطل يزجي العطش غلى الوجي
إلى فؤوس من قناة شجوتها (٧)
بفأقا وزشفي بالمتام منميتها (٨)
وللطوب منها فزنتها وجنتها
" قوله إلى رجل ... يعني بالرجل نفسه " (٩).

(١) قطر ابن يعقوب المغربي (حسن شرح التلخيص) ، ص ٣٥٢ .

(٢) المرزوقي شرح ديوان الحماسة : حماسة (٢٥٨) ، (١ / ٧٧٠) .

(٣) نفسه ، حماسة (٣٠٤) ، (١ / ٩٠٢) .

(٤) النشوة ، السكر ، وانتشى وشى وتنى بمعنى سكر ، وللمنتقى ، التام خلق ، واليهضم : هو الكريم للمعصاة ، حكاه بهضم ماله بل يفرح منه أكثر من الولع به .

(٥) الوحاء : هي تلك الشجرة الطويلة الروحاني ، والشارية ، السمية ، والكوس ، المشي على ثلاث قوائم ، ولوله فكلت لمنصر المكتم ، والراء لمرادها فكلمت مولد بالصميم العضو الذي به تقوم ، والغرقيب : صلب صوتر خلف الكمين فوق العتب من الإنسان وبين مفصل الوضوف والساق من مولى الأربع ، والوجي : الشق والحرق ، والمهي : لما أرم رسم الاصطباح ، وانتشى للدمان ، فلم هو إلى مقة هذه الصفة فخرتها .

(٦) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (٢٨٤) ، (٢ / ١٢٧٣) .

(٧) اللوى : مستقر الرمل ، والسرور : فعل من السرور ، وهو الأرض التي لا تحت شينا ، وقتة : موضع ، وشعوبها : حواشيها الشقارة وتوابعها .

(٨) الوجي : الحفا ، أي لا ينس عليها ولا يرق بها ، لكنه يديم السير عليها ولا يتبها مع الحما ولا ينس عليها مما يهلكها ، ويقلق : أي صواب مهزول .

(٩) المرزوقي : شرح ديوان الحماسة : حماسة (٧٨١) ، (٢ / ١٧٤٧) .

ومنه قول ابن السكيت: (الطويل)

فَأَسْرَ شَيْبَتٌ إِذْ بِالْأَمْرِ يُسْمَرُ نَقْطَ صَتَتْ
عَيْنُهَا دَلِيلٌ بِبَلَدٍ نَهَارُهُ
بِزَخْلِي قَمَثَلَةُ الدَّرَاعِينَ غَيْنُهُمْ
وَبِالْزَيْلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَمَدُ مَنِيمٌ
"وقوله عليها دليلٌ بالبلاد فإنه يعني به نفسه" (١).

(١) العروولي: شرح ديوان الحماسة، حماسة (٢٥٦)، ١، (٧٩٢/١).

الخاتمة

الخطمة

بحسن بنا الآن ونحن في ختام رحلتنا مع شروح حملة أبي تمام ، تسلط الضوء على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته النقدية والبلاغية في شروح الحملة ، وهي كالآتي :

- تمثل شروح الحملة إضافة إلى تراث مكتبة الأدب العربي ، بما تتركز به من فنون القول وألوان الكلام ، التي تثرى الجلب للنقدي والبلاغي على حد سواء .

- أظهرت مساهمات الشراح القلمى والمحدثين - على السواء - وتفاوتت رؤية وممارسة بسبب اختلاف مذاهبهم ورواهم ، وكذلك بسبب تفاوت مستواهم ؛ مما انعكس على طبيعة الشروح ، فجاءت غير متساوية القيمة الفنية ، منها ما هو عالي الطبقة كشرح المرزوقي ، ومنها ما هو متوسط الطبقة كشرح التبريزي ، ومنها الذي تأخرت رتبته مثل الشرح المنسوب إلى ابن فارس ، وكثير من الشروح المتأخرة ، التي نهكت من محن السلفين من الشراح ، واقتصرت على مجرد التلخيص والإيجاز ، دون إضافة تذكر مثل: الشرح المنسوب إلى الأبيبي محمد عبد القادر سعيد الرفاعي ، ...

- استضاء الشراح في تفسيرهم للنصوص ، وتقييمهم لها بأراء من سبقهم من النقاد والبلاغيين ، فاستقوا منهم كثيرا من الأسس والمقاييس النقدية والبلاغية التي مكنتهم من الحكم على النصوص بالاستحسن أو الاستنباح .

- اتسمت ثقافة الشراح وما نهيا له من معارف وأخبار ، على فضاء الشرح ، فتمايزت الشروح فيما بينها استيعابا وإبداعا .

- يتسم تعامل الشراح مع النصوص أو فيما بينهم بغير قليل من الحيادية والمصادقية ، وإن لم يخل الشرح معهم من التوظيف لخدمة فرض نقدي يحمله ، حتى ولو أدى ذلك ببعضهم إلى "تزعة من التسلط النقدي الذاتي تتمدى النص إلى الشارح" ، كما فعل الأسود الغندجاني الذي كان يشرح الشعر على نحو يرضي ميولاته لثقوبة ولو أدى به ذلك إلى "الطمع" و"التشيع" على الشراح السابقين كالنمري .

- يعمد الشراح إلى نصوص خارجية يصلونها بالنص الأصل على نحو من الاستشهاد الهالف إلى تعزيز قراءاتهم أو ما يذهبون إليه ، وقد اعتمدوا في ذلك للشعر والمثل والقرآن والحديث ... إلخ .

- وقف كثير من الشراح من تجاوز بعض شعراء الحملة ولجروا بهم على مألوف التوالب التي دأب عليها السلفيون شعراء ونقلوا ، موقف من يبارك التجديد ويؤمن بالبدائع ، فزاهم بقصودون للدفاع عنهم ، ولجأوا إلى تحمل الأضرار لهم ، مما يوقع كثير منهم في التلؤلؤ إما بحشد ما ينبي عن براعته في الحجاج والمسلجة من القرآن والشواهد ، وإما بالتمسك أختار واهية مصطنعة لقيمة على الظن والاعتقاد .

- كشف البحث عن إلمام الشراح بأصول المصطلح النقدي والبلاغي ، وفهمهم الواعي لمفهومه ودلالته ، ومتابعتهم لأسلافهم في غالبية تلك المصطلحات .

- اهتم الشراح بقضية اللفظ والمعنى ، ومدى التلازم بينهما ، وشحنوا جل طققاتهم لتحقيق هذا الانسجام والتوافق ، وفق معايير وأسس ميزوا بها بين الخبيث والطيب من المعنى .

- أثر الشراح مصطلح الأخذ والنقل في تعرضهم لقضية الأخذ الأدبي أو السرقت ، وتسعت نظرتهم إلى مصطلح الأخذ بالموضوعية . فلم يكتفوا بمجرد حصر وتسجيل الإبيات ، بل وتقا عند تداول المعنى بين شعراء الحملة وغيرهم من الشعراء ، ونظروا إلى المعنى الثاني في إطاره الجديد ، مع ضرورة تفوق الأخذ على المأخوذ منه في التأليف والصياغة ، ليكون أحق بالمعنى من الأول ، كما تعرضوا خلال ذلك على مظاهر تأثير شعراء الحملة في غيرهم من الشعراء ، وتوقفوا عند صور تكرر شعراء الحملة بغيرهم من الشعراء ، وتوضيح مواطن ذلك ، ومواضعه ، وشرحه وتحليله .

- تعامل الشراح مع الروايات المختلفة للنص الأصل على نحو تغلب فيه الممارسة على التنظير . وبتفاوت ذلك من شراح إلى آخر ، وما اتم به بعض الشراح من الحدة والغلظة في النقد - لاسيما أبي هلال العسكري والمرروفي - في مخالطة الرواة والشراح السابقين ، إلا أن الشراح - ومع ذلك - حفظوا - وعلى غرار أسلافهم - على الأسس العلمية للشرح والنقد .

- لم تتل مسائل علم المعنى ما نالته سائر علوم البلاغة الأخرى من بيان وديع ، من اهتمام الشراح وغائتهم ، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تظل كثيرة ومتنوعة ولها حضور في الشروح .

- تعد ظاهرة التقديم والتأخير من من للظواهر البلاغية التي استطاع الشراح أن ينصوا عليها ، والتعرض لبعض أغراضها بالشرح والتحليل ، ونراهم في كثير من الأحيان يقتصرون على الدراسة النحوية من دون البلاغية ، ودراسهم تعود للتركيب النحوي وفهم المعنى الدلالي للإبيات .

- بحث الشراح في التشبيه ودلالته النسبية واللغوية اعتمد على تحليلهم له - في أغلب الأحيان - وإظهار مكوناته وأطرافه وربطه بمناسبة البيت ، والسباق للوارد فيه ، مع التنبيه على مظاهر إجابة الشعراء ، وأشكال إخفاقهم في تحقيق الصورة التشبيهية على الوجه الصحيح .

- فهم الشراح الاستعارة فهما دقيقا ، وإن لم يسموا الأنواع كلها ، وتعمقوا في معانيها ، واعتمدوا على من سبقهم من البلاغيين ، فاعكس ذلك على تعليقاتهم المختلفة حول بعض الصور الاستعارية . وكذلك أحكامهم التي استندوا إليها في توفيق الاستعارة ، فجاءت تحليلاتهم - في الغالب - مقنعة ، جزئية ، إلا أنها - وعلى الرغم من ذلك - تعكس مدى ثقاتهم وجرائهم في التناول والتحليل .

- توسع الشراح من ذكر الأساليب البدعية وأولوها اهتماما بالغا وغاية فطنة عند شعراء الحملة ، فزاهم يتحدثون عن الطبق والمقابلة ، والجناس ، والتجريد .

وختاما لعلي نكون - بعون الله - قد وفقت في إعطاء موضوع البحث "انقضاء النقبة والبلاغة في شروح حملة أبي تمام "حقه، أملا أن تمتنع هذه الدراسة دراسات أخرى تكمل ما يبدو فيها من نقص، فالكمل له وحده، وحسبي أنني اجتهدت ما وسطي الاجتهاد ، فإن أصبت فمن الله ، وإن كذبت الأخرى فمن نفسي ، وما لغيري نفسي .

" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤلفنا إن نسئنا أو لخطئنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تجعلنا مالا يهتك لنا به أصف ضا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " {البقرة : ٢٨٦ } صدق الله العظيم

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- بهاء الدين عبد القادر بن لقمان : الرسالة القادرية ومقصود ليلى العلمية ، الناشر المطبع للصخري ، الهند ، ١٢٩٩ هـ .

- أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) : تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني ، والنحلي بالقلاند من جواهر الفوائد في شرح الحامسة ، تحقيق د/علي المفضل حمودان ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ببني ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م ، وهو يقع في مجلدين كبيرين .

- أبو الحسين أحمد أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : تفسير كتاب الحامسة ، تحقيق د/هادي حسن حمودي ، عالم الكتب للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .

- أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي الشهير بالخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) : شرح ديوان الحامسة ، عالم الكتب ، بيروت ، د.ت .

- سيد بن علي المرصفي الأزهر (ت ١٣٤٩ هـ) : اسرار الحامسة ، مطبعة أبي الهول بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٠ هـ ، ١٩١٢ م .

- أبو عبد الله الحسين بن علي الثمري (ت ٣٨٥ هـ) : معاني أبيات الحامسة ، تحقيق د/عبد الله عبد الرحيم عيبلان ، مطبعة المنني بمصر ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

- أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) : شرح ديوان الحامسة المنسوب للمعري ، تحقيق د/حسين محمد نقصة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ) : شرح ديوان الحامسة ، نشره أحمد أمين ، وصعد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) : التنبيه على شرح مشكل أبيات الحامسة ، تحقيق د/سيدة حامد عبد العال ، د/غريد محمد حسن ، إشراف ومراجعة د/حسين نصار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، ١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م .

- أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) : وسالة في ضبط وتحرير مواضع من الحامسة ، حققها وقدم لها د/عبد المجيد الإدراي ، دار حراء للطباعة والنشر بالمنايا ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .

ثانياً : المراجع :

- ابن الأثير الحلبي ، أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧ هـ) : جواهر الكنز ، تلخيص كنز البراعة في أدب نوي البراعة ، تحقيق د/محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .

- د/إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب "نقد للشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري"، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ م .

- د/أحمد جمال الصري : شروح الشعر الجاهلي ، على جزئين ، دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٩٨١ م .

- د/أحمد صبرة : شرح المرزوقي النظرية والإجراءات ، المصنفان للنشر والإعلان ، القاهرة ، د.ت .

- أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، مكتبة الختجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
١٩٣٠ م .

- أحمد بن محمد بن أبيب بكر بن خللكان أبو الصلص شمس الدين (ت ٦٨١ هـ) : وفيلت الأعيان وأنساء لباء الزمان ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار صناع ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

- أحمد بن محمد الذُّهلي (كان حيا سنة ١٢١٠ هـ) : الفلاكة والمفلوكون ، تقديم د/زينب محمود الخصيري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة النخلة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، طبعة مصورة عن طبعة مكتبة و طبعة اشعث سنة ١٣٢٢ هـ .

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) : العند اللزيت ، تحقيق د/معيد محمد تميمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م .

- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب . ونكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه ووضع له إعرابه الأيواف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

- أحمد مصطفى المراغي : علوم البلاغة : البيان والمعاني والبدیع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م .

- د/أحمد مطلوب : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٣ م .

- د/أحمد مطلوب ، ود/كامل حسن البصير : البلاغة والتطبيق ، مطبع دار الكتب ، جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٨٢ م .

- د/أحمد الوديني : شرح الشعر عند العرب ، من الأصول إلى القرن ١٤ هـ / ٢٠ م "تراسة مفكرونية"، دار الكتب الجديد المتحدة ، ليبيا ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- أحمد بن يحيى بن أحمد بن صبرة الضبي (ت ٥٩٩ هـ) : بغية الملتصق في تاريخ رجل أهل الأندلس ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

الفضايا اللغوية والبلاغة فهرست المصادر والمراجع

- الأثر الزلزال : دروس البلاغة العربية ، نحو رؤية جديدة ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء / بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م .

أ. أسامة البحيري : نقولات البنية في السلاطة العربية ، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع ، طنطا ، ٢٠٠٠م .

- بدر الدين بن ملك (ت ٦٨٦ هـ) : المصباح في المعاني والبيان والبدیع ، حققه وشرحه ووضع فهرسه د/ حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) : الزهاني في علوم القرآن ، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، د. ت .

- لادھوی طبقت :

١ - البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٧ هـ ، ١٩٥٨ م .

٢ - معجم للبلاغة العربية، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ): نزعة الألباء في طبقات الأنبياء، تحقيق د/إبراهيم السمراني، مكتبة المنار، الأردن، ط ٣، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

- أبو بكر محمد بن الطيب البائلي (ت ٤٠٦ هـ) : إعمار القران ، تحقيق للميد أحمد صفور ، دار المعارف ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٧م .

- بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) : عروس الأندلس (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) : ديوانه بشرح الخطوب التبريزي : تحقيق/محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، م ٥٠١، ٤، ٤، ٣، ١٩٨٧ م، ١٩٨٣ م، ١٩٨٢ م، ١٩٨٣ م، على الترتيب .

جورج عبد التور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩ م.

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) :

١ - إتمام القراءة النقدية الجامع لأربعة عشر علما ، ضمن كتاب : (مفتاح العلوم) ، للسكاكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

٢ - بنية الوصلة في طبقات اللغويين والنحلة ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩ م .

٣ - شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، مطبعة مصطفى الحلبي الحلبي ، مصر ، ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م .

٤ - المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، شرحه وضبطه/محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجلي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى الحلبي الحلبي ، القاهرة ، د.ت.

- جمال الدين أبي المحسن يوسف بن ثوري بردي الأتليكي (ت ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م .

- حاجي خليفة : كشف الظنون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق د/محمد الحبيب بن حوجة ، تونس ١٩٦٦ م .

- الحافظ أبو القداء بن كثير النمطي (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق د/أحمد أبو محلم ، وآخرين ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

- د/حامد صالح خلف الربيعي : مقاييس البلاغة بين الأنساء والعلماء، السعدونية، جامعة أم القرى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

- ابن أبي الحديد (ت ٥٦٦ هـ) : الفلك الدائر على المثل السائر ، قدم له وحققه وعلق عليه، د.أحمد الحوفي ، ود.بدي طيف ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت .

- د/حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م.

- أبو الحسن علي بن مسلم الشنتريني (ت ٥٩٢ هـ) : الذخيرة في محسن أهل الجزيرة ، تحقيق د/إحسان عجلن، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

- الحسن بن رشيق القيرواني (٤٦٥ هـ) : العمدة في محسن الشعر وأدابه ونقده ، تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨١ م .

- أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكسبي (ت ٢٧١ هـ) : البرهان في وجوه البيان ، تقديم وتحقيق/محمد شرف ، مكتبة الشهاب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد ، مكتبة الخفجي ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م.

- الخطيب القزويني ؛ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) : الإيضاح في علوم البلاغة ، للمعاني والبيان والبيان عبد المتعال الصعدي : بغية الإيضاح لتلخيص المتفاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني.

- ابن خير الأموي الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ) : فهرسة ابن خير الأموي الإشبيلي ، تحقيق/إبراهيم الإبياري ، دار الكتب المصري/دار الكتب للتلقي ، القاهرة/بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

- خير الدين الزركلي . الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م .

- رومان ياكوبسون : قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار تويقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨ م .

- الزجاج ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) : إعراب القراء ، المنسوب إليه ، تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٤ م .

- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراه (ت ٢٠٧ هـ) : معاني القرآن ، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للكتاب والترجمة، مصر ، د.ت .

- زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) : تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبين اعجاز القرآن ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

- د/زكي مبارك : الموازنة بين الشعراء ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م .

- ابن الزمكلي ؛ عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١ هـ) : الدرر المنجدة عن سر الإعجاز ، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، دار السامون ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

- سعد الدين التفتازاني ؛ مسعود بن عمر بن عبد الله (ت٧٩٢ هـ) : المطول ، مطبعة أحمد كامل ، سنة ١٣٣٠ هـ .

- د/الصعيد عيادة : أبو للملاء الناك الأندلسي ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

- ابن مثنى الخفاجي ؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ، الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) : سر الفصاحة ، صححه وعلق عليه/عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م .

- سيوييه ؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) : كنف سيوييه ، تحقيق ونشر عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٧ م .

- السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) : حاشية السيد علي المطول ، المطبعة الحفائية ، ١٣١٠ هـ .

- الشحات محمد أبو صيث : دراسة منهجية في علم البديع ، دار خفلي للطباعة والنشر ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٤ م .

- شمس الدين الذهبي ؛ محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : تحقيق /شبيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م .

١ - الشهاب محمود بن سليمان (ت ٧٢٥ هـ) : حسن التوفيق إلى صناعة الترميز ، تحقيق د/أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م .

٢ - صدر الدين علي بن معصوم المنفي (ت ١١٢٠ هـ) : لتوار الربيع في أنواع البيع ، تحقيق/شكر هادي شكر ، الحب الشريف ، العراق ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٨٦ م .

٣ - صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصلدي (ت ٧٦٤ هـ) :

١ - حل النحاس في علم البيع ، بتحقيق/سمير حسين حليبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

٢ - الوافي بالوفيات ، اعتناء/هلموت راينر ، دار نشر فرانز شتيلز ، فيسباين ، ألمانيا ، ١٣١٨ هـ ، ١٩٦٦ م .

٣ - ضياء الدين بن الأثير ، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧ هـ) : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، فقه وحقله وعق عليه د/أحمد الحراني ، ود/يوني طمعة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م .

٤ - د/أنطاهر أحمد مكي : دراسة في مصادر الألب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٩ م .

٥ - د/أنطاهر سليمان حمودة : ظاهرة العنف في النرس للغوي ، الدار المصرية للنشر ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .

٦ - الطاهر بن عاشور : شرح للمقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحملة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا / تونس ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

٧ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢٠ هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٦٤ م .

٨ - أبو العباس أحمد بن محمد الكناسي ، الشهير بابن القاضي (ت ١٠٢٥ هـ) : حنوة الاقتباس في نكر من حل من الأعلام مدينة فلس ، طبع دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م .

٩ - عباس حسن : النحو الوافي : دار المعارف بمصر ، ط ٣ .

١٠ - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٣٨٥ هـ) : الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحقة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت .

١١ - عبد الحي بن أحمد بن الصاد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القمسي ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

- عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني : البلاغة العربية أسسها ، وعلومها ، وقوانينها ، وصور من تطبيقها ،
بهيكل جديد من طريف وتليد : دار التلم ، دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م .

- د/عبد الرحمن عثمان : مذاهب النقد وقضاياها ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م .

- عبد الرحمن بن محمد بن خليلون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ابن خليلون ، بتحقيق د/علي عبد الواحد والي ،
دار نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .

- عبد الرحيم بن أحمد البصامي (٩٦٣ هـ) : معاهد التصحيح على شواهد التأليف ، تحقيق محمد
محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة ، سنة ١٣٦٧ هـ .

- د/عبد الحكيم المطفي : البديع من المعاني والألفاظ ، د١ ، ط ٣ ، د١ .

- د/عبد القادر حسين : فن البديع ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .

- عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح/عبد
السلام محمد هارون ، مكتبة الخفجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .

- عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) :

١ - أسرار البلاغة ، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المعنى ، حنة ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٢ - دلائل الإعجاز ، قراه وعلق عليه/محمود محمد شاكر ، دار المعنى ، حنة ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م .

- د/عبد الله عبد الرحيم عصيلان : حملة أبي تمام وشروحها دراسة وتحليل ، مطبعة عيسى البيبي الحلبي
وشركاه ، القاهرة ، د١ .

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسمي المراكشي : للنيل والتكملة لكتابي
الموصول والصلة ، تحقيق / إحسان عباس ، دار الثقالة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميري (ت ٤٨٨ هـ) : جنوة المقتبس في تاريخ علماء أهل الأندلس ،
تحقيق/إبراهيم الإبراهيمي ، دار الكتب المصرية/دار الكتب اللبنانية ، القاهرة/بيروت ، ق ١/٢ ، ط ١/٢ ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) : البديع ، نشر/كراتسكوفسكي ، لندن ، ١٩٣٥ م .

- عبد المتعال الصدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني ، محمد بن
عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

- عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) : وثيقة الدهر في مجلس أهل العصر ، شرح وتحقيق/د/مفيد محمد قمبحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م .
- د/عبد الله عبد العزيز كقيلة : النقد الأدبي في المغرب العربي ، الهيئة المصرية للعلم للكتاب ، ٢٠٠٧ م .
- أبو عبد الله محمد بن عمران العزبي (ت ٣٨٤ هـ) : الموضع في مأخذ العلماء على الشعراء ، جمعية نشر الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) : مجاز القرآن ، علق عليه د/فؤاد سركين ، ط ٢ ، مطبعة الختجي ، مصر ، ١٩٨١ م .
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) :
- ١ - البيان والبيان ، تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ، بيروت ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م .
 - ٢ - الحيوان ، تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، مطبعة البلي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .
- د/العربي حسن درويش : النقد العربي القديم "مقاييس واتجاهاته وقضايا وأعلامه ومصلوه" ، مكتبة البهجة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- د/عز الدين إسماعيل : المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ، دار المعارف مصر ، ط ٢ ، ١٩٨٠ م .
- د/علي الجندي : فن الخناس : بلاغة - أدب - نقد ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- علي بن الحسن البخاري (ت ٤٦٧ هـ) : حمة للقصر وعصرة أهل العصر ، تحقيق د/سامي مكي المكي ، مكتبة دار المروية للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .
- علي بن خلف الهمذاني (ت ٤١٤ هـ) : المتنور البهقي ، دراسة وتحقيق د/عبد الرحمن بن عثمان بن عبد العزيز الهليل ، ط ٢ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ٢٠٠٢ م .
- علي بن يوسف الفلطي (ت ٦٤٦ هـ) : إنباء الرواة على إنباء للنحاة ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي / مؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة / بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .
- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، مطبعة التراثي ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ، ١٩٦١ م .
- أبو الفتح البهمي (ت ٤٠١ هـ) : ديوانه ، بتحقيق د/ليرة الخطيب ، ولطفي الصقل ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .
- د/فتح محمد أبو عيسى : القضايا الأدبية والفنية في شرح المروزي لديوان الحماسة ، دار المعارف بمصر ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م .

- فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) : نهضة الإيجاز في دراية الإعجاز ، دراسة وتحقيق الشيخ/أحمد حجازي السقا ، مكتبة "تقاني" ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

- فؤاد مزيكين : تاريخ التراث العربي مقنمة ودراسات ، نقله إلى العربية د/محمود فهمي حجازي ، راجع الترجمة د/عروة مصطفى ، د/سعيد عبد الرحيم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وزارة التعليم العالي ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

- أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي (٣٧٠ هـ) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، تحقيق/السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ط٢ ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .

- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) : الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- اللطفي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) : الوسطة بين المعتزلي وخصومه ، تحقيق/علي محمد البحاري ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) :

١ - تلويل مشكل القرآن . تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣ هـ .

٢ - الشعر والشعراء ، تحقيق/أحمد شاکر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢ م .

- ثمامة بن جطر (ت ٣٣٧ هـ) : نقد للشعر ، تحقيق وتعليق د/محمد عبد المنعم حنجلج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، دت .

- كزول بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية د/عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر ، ط٥ ، ١٩٨٣ م .

- لسان الدين بن الخطيب (ت ٧١٢ هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، حقق لسه ووضع مقنمته وحواشيه / محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخالجي بالقاهرة ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ، ط٢ .

- مجدي أحمد توفيق: مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

- مجدي وهبة ، وكلم المهنس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م .

- د/مجدد عبد الحميد ناجي : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجلعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ م .

- محمد بن أحمد بن طهطبا الطوي (ت ٢٢ هـ) : عيار الشعر ، تحقيق د/عبد العزيز ناصر المانع ، دار العلوم للنشر ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

القضايا التقنية والبلاغية فهرست المصادر والمراجع

- أبو محمد الأعرابي الملقب بالأسود القندجقي (كان حيا سنة ٤٣٠ هـ) : إصلاح ما علط فيه أبو عبد الله السمري (ت ٣٨٥ هـ) في " معالي أبيات الحسانة " ، حنقه وقدم له د/ محمد علي سلطاني ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م .

- محمد بن الحسن الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ) : حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق د/جضر الكندي ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٧٩ م .

- أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع (ت ٣٩٢ هـ) : المنصف للبارق والمروق منه في أخبار سرقف أبي الطبيب المتنبى ، تحقيق د/محمد يوسف نجم ، الكويت ، ١٩٨٤ م .

- د/محمد زغلول سلام : تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري . منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .

- محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) : طبقات فحول الشعراء ، شرح الأستاذ/محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٢ م .

- محمد بن شافر الكندي (ت ٧٦٤ هـ) : قرات اللوحات ، تحقيق د/إحسان علي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

- د/محمد عبد المطلب :

١ - نقليات الحدائث في شعر السبعينات ، الهيئة العامة للقصور الثقافية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

٢ - قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

- محمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) : حاشية الدسوقي (ضمن شرح اختلاص) ، مطبعة عيسى السبي الحلي وشركاه ، القاهرة ، د.ت .

- د/محمد علي حسن الصلبي : قضية اللفظ والمعنى وكثرها في تنوين البلاغة العربية إلى عهد السكاكي ، مكتبة وجبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .

- محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد الجلاوي : أيام العرب في الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .

- د/محمد مصطفى هدارة :

١ - في البلاغة العربية علم البيان ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م .

٢ - مشكلة السرفات الأدبية في النقد الأدبي " دراسة تحليلية مقفونة " ، مكتبة الأنجلو ، مصر ، ١٩٥٨ م .

- د/محمد منثور : النقد المنهجي عند العرب ، منهج البحث في الأدب واللغة ، مترجم عن الأستاذين لآسون ومايه ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

- د/مصطفى عليان عبد الرحيم : قنارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م .

- د/منصور عبد الرحمن : مصادر التفكير النقدي والبلاغي عند حازم القرطاجني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت .

- أبو منصور عبد الملك الثعالبي التيمسبولي (ت ٤٢٩ هـ) : بئمة الدهر في مجلس أهل العصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاتم محمد الشافعي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٦ م .

- منثور عبد الجليل : علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١ م .

- التويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٢٣ هـ) : نهلية الأرب في فنون الألب ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الجزء السابع ، ١٣١٧ هـ .

- أبو هلال الصكري (ت ٣٩٥ هـ) : الصناعاتين : الكتابة والشعر ، بتحقيق / محمد علي البجلوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١ م .

- الوطواط ، رشيد الدين محمد العمري (ت ٥٧٣ هـ) : حذلق السحر في دلقق الشعر ، نقله إلى العربية د/إبراهيم الشواربي ، مطبعة لجنة التلخيص والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ ، ١٩٤٥ م .

- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ) :

١ - معجم الأدياء ، تحقيق د/إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .

٢ - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الطوي اليميني (ت ٧٤٩ هـ) : الطراز " المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- ابن بطوط المغربي (ت ١١٦٨ هـ) : مواهب الفتاح (ضمن شروح التلخيص) ، مطبعة عيسى تبلي الحلي وشركاه ، القاهرة ، د.ت .

الفضاء النقدية والبلاغية فهرست المصادر والمراجع

- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) : مفتاح العلوم ، حققه وقدم له وفهرسه د/عبد الحميد هندلوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م .

- د.يوسف حميين بكار : بناء للتصديده في النقد العربي القديم ، طبع دار الثقافة ، ١٩٧٩ م .

ثالثا : الدوريات :

- دل/إلهام الموسوي المبد اللوي : مقال بعنوان " الضاصر البلاغية والنقدية في شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج (٧٩) ، ج (٢) .

- توفيق الزبيدي : مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع ، عرض ومنقشة : أحمد طاهر حسين ، مجلة فصول ، القاهرة ، تراثنا النقدي ، ج ٢ (مج ٦ / ٢ ع) يناير ، فبراير ، مارس ، ١٩٨٦ م .

- د/محمد أجمل أبوب الإصلاحي : إصلاح الإصلاح ، مجلة مجمع اللغة بدمشق ، م ٦٤ / ج ٢ / إبريل ١٩٨٩ م .

- الهادي الجطلالي : مقال بعنوان " خصائص الشروح العربية على ديوان أبي تمام " ، مجلة فصول ، القاهرة ، تراثنا النقدي ج ١ (مج ٦ / ١ ع) ١٩٨٥ م .

رابعا : الرسائل العلمية :

- السيد حمدان السيد سعد : النصايا البلاغية والنقدية في شروح القنماء على شعر أبي العلاء ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، قسم اللغة العربية وأدبها ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .

- عالمة كادي : نثر المنظوم في الأدب العربي ، المنشور البهائي " سونجا " ، منكرة مقنمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي ، تخصص الشعرية العربية ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وأدبها ، جامعة العقيد الحاج لخضر ، بقنة ، الجزائر ، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .

- عبد الله عبيد شحدة الصوفي : خزنة الأدب من كل فن منتخب ، تقي الدين بن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) ، تحقيق ودراسة ، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م .
